

القسم الأدبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فی

فیوز لا لب

تَالْفِ

شہداء الزلزال

السُّفْرُ الْخَامِسُ عَشَرُ

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراقات وفهارس جامعة

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ

المسافرة

مطبعة دار الكتب المصرية

۲۱۹۴۹ - ۵۱۳۶۹

الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

فهرست

السفر الخامس عشر

من

كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

صفحة

ذكر أخبار مصر ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه	
من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك	
من المباني، وما وضعوه بها من العجايب والطلبات والحكم،	
وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه	
من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها	١
ملوكها قبل الطوفان	١
ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها	٢٢
ذكر خبر كهان مصر وحالهم مع الملوك	٤٠
ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك	٤٣
ذكر خبر هاروت وماروت	٥٢
ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيته	٦٩
ذكر أخبار أتريب الملك	٧٥
ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصرم بن بصير بن حام بن نوح عليه السلام	٨١
ذكر خبر عون وما فعله في غيبة الوليد وخبر المدينة التي بناها	١١٥
ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته	١١٩
ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون	١٣٨

صفحة

الباب الثالث من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك الأيم من الأعاجم ، وهم ملوك الفرس الأول ، وملوك الطوائف من الفرس ، والملوك الساسانية واليونان والسرمان والكلوانيين والروم والصقالبة والنوكرد والإفرنجية والجلالقة وطوائف السودان	١٤٢
ذكر أخبار ملوك الفرس وهم الفرس الأول	١٤٢
ذكر أخبار مختصر	١٥٨
ذكر أخبار ملوك الطوائف	١٦٤
ذكر أخبار الملوك الساسانية	١٦٦
ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته	١٩٥
ذكر خطبة أنو شروان	٢٠٧
ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم	٢٢٣
ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله	٢٢٦
ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم	٢٣٤
ذكر شيء من مكابذ الإسكندر وحيله في حروبه	٢٣٨
ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما آتفق له مع ملكي الهند والصين	٢٤٣
كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر	٢٥٢
ذكر أخبار ملوك السرمان	٢٥٥
ذكر أخبار ملوك الكلوانيين وهم ملوك النبط ملوك بابل	٢٥٨
ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم	٢٦٣
ذكر خبر أصحاب الكهف	٢٦٦
ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة وهم ملوك القسطنطينية	٢٧٣
ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام	٢٧٩
ذكر أخبار ملوك الصقالبة والنوكرد	٢٨٤
ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة	٢٨٥

صفحة

٢٨٧	ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم
	الباب الرابع من القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار ملوك العرب
٢٩١	ويتصل بهذا الباب خبر سيل العرم
٢٩١	ذكر أخبار ملوك حِطّان
٣٠٩	ذكر خبر سيف بن ذي يزن وعود الملك الى حمير
٣١١	ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك حِطّان
٣١٥	ذكر أخبار ملوك الحيرة وهم من آل حِطّان
٣٣٢	ذكر خبر سدة مأرب وسيل العرم
	الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس في أيام العرب ووقائعها
٣٣٨	في الجاهلية
٣٣٩	ذكر واقعة طسم وجديس
٣٤٤	ذكر حروب قيس في الجاهلية . يوم منج لغني على عبس
٣٤٦	يوم التفراوات لبني عامر على بني عبس
٣٤٨	يوم بطن عاقل لذبيان على بني عامر
٣٤٩	يوم رحران لعامر على تميم
٣٥٠	يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم
٣٥٣	يوم الحربية وفيه قتل الحارث بن ظالم
٣٥٦	ذكر حرب داحس والغبراء، وهي من حروب قيس
٣٥٨	يوم المريقب لبني عبس على بني ذبيان
٣٥٩	يوم ذي حسي لذبيان على عبس
٣٦٠	يوم اليعمرية لعبس على ذبيان
٣٦٠	يوم الهباءة لعبس على ذبيان
٣٦٢	يوم الفروق لبني عبس
٣٦٣	يوم قطن

صفحة	
٣٦٣	يوم غدیر قلبي
٣٦٤	يوم الزم لطفان على بنی عامر
٣٦٤	يوم التساء لعبس على بنی عامر
٣٦٥	يوم شواخط لبني محارب على بنی عامر
٣٦٥	يوم حوزة الأول لسلم على غطفان
٣٦٧	يوم حوزة الثاني
٣٦٨	يوم ذات الإمل
٣٦٩	يوم اللوى لطفان على هوازن
٣٧٠	يوم الطعينة بين دريد بن الصمة وربيعه بن مکدم
٣٧٣	يوم الصلحاء لهوازن على غطفان
٣٧٣	ذكر حرب قيس وکانة . يوم الکديد لسلم على کانة
٣٧٤	يوم فزارة لکانة على سلم
٣٧٤	يوم الفيفاء لسلم على کانة
٣٧٥	ذكر حرب قيس وتميم . يوم السؤبان لبني عامر على بنی تميم
٣٧٧	يوم أقرن لبني عبس على بنی دارم
٣٧٧	يوم المزوت لبني العنبر على بنی قشير
٣٧٨	يوم دارة مأسل تميم على قيس
٣٧٩	أيام تميم على بکر . يوم الوقیط
٣٨١	يوم النباح وئثل لبکر على تميم
٣٨٣	يوم زرود الثاني لبني ربوع على بنی تغلب
٣٨٣	يوم ذی طلوح لبني ربوع على بکر
٣٨٥	يوم الحائر وهو يوم ملهم لبني ربوع على بنی بکر
٣٨٥	يوم القححق وهو يوم ماله لبني ربوع على بکر
٣٨٦	يوم رأس العين لبني ربوع على بکر

صفحة

٣٨٦	يوم العظالي لبني يربوع على بكر
٣٨٨	يوم الغيظ لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم مخطط لبني يربوع على بكر
٣٨٩	يوم حدود
٣٩٠	يوم سفوان
٣٩١	يوم نقا الحسن وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيان
٣٩١	أيام بكر على تميم • يوم الزويرين
٣٩٣	يوم الشيطان لبكر على تميم
٣٩٣	يوم صغفوق لبكر على تميم
٣٩٤	يوم مبايض لبكر على تميم
٣٩٥	يوم فيحان لبكر على تميم
٣٩٥	يوم ذي قار الأول لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الحاجز لبكر على تميم
٣٩٦	يوم الشقيق لبكر على تميم
٣٩٦	ذكر حرب البسوس • وهي حرب بكر وتغلب آبنى وائل
٣٩٨	ذكر مقتل كليب وائل
٤٠٠	يوم النهى
٤٠٠	يوم الذنائب
٤٠١	يوم واردات
٤٠١	يوم عنيزة
٤٠٢	يوم قضة
٤٠٤	يوم تحلاق اللم
٤٠٦	الكلاب الأول
٤٠٧	يوم الصفقة وهو يوم الكلاب الثاني

صفحة	
٤١٣	يوم طحفة
٤١٤	يوم فيف الريح
٤١٥	يوم زرود الأول
٤١٦	يوم غول الأول وهو يوم كنهل
٤١٧	يوم الجبابات
٤١٧	يوم الشعب
٤١٨	يوم غول الثانى
٤١٨	يوم الخندمة
٤١٩	يوم اللهيماء
٤٢٠	يوم خزاز
٤٢١	يوم النيسار
٤٢١	يوم ذات الشقوق
٤٢٢	يوم خق
٤٢٣	أيام الفجار - الفجار الأول
٤٢٤	الفجار الثانى
٤٢٤	الفجار الثالث وهو بين كانة وهوازن
٤٢٥	الفجار الآخر وهو بين قريش وكانة كلها وبين هوازن
٤٢٧	يوم شمطة وهو يوم نخلة من الفجار الآخر
٤٢٨	يوم العلاء
٤٢٨	يوم شرب
٤٢٩	يوم الحرية
٤٣٠	يوم عين أباغ
٤٣١	يوم ذى قار

٢٥
٥٧ قسمة الفس الخامس
٥٨ قسمة الفس الرابع
٥٩ قسمة الفس الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر أخبار مصر

ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده ، وما بنوه بها من المدن ، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابي وغير ذلك من المباني ، وما وضعوه بها من العجائب والطلسمات والحكم ، وما أناروا من المعادن وما دبروه من الصنعة ، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها

فإنما ملوكها قبل الطوفان فقد ذكرهم إبراهيم بن القاسم الكاتب في مختصر كتاب العجائب الكبير الذي ألفه إبراهيم بن وصيف شاه . قال : أول من ملك مصر من الملوك قبل الطوفان تَقْرَاسُ^(١) ، ومعناه ملك قومه وعظيمهم . وذلك أن بني آدم لما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحمل تَقْرَاسُ^(٢) الجبار ابن مصرام بن براكيل بن زراييل بن غرناب بن آدم في نيف وسبعين رجلا من بني غرناب جبارة ، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه من بني آدم . فلما نزلوا على النيل ورأوا سعة البلد وحسنه أقاموا فيه وبنوا الأبنية ، وقالوا : هذا بلد زرع ؛ [وبنى تَقْرَاسُ مصر] وسمّاها بأسم أبيه مصرام ثم تركها . وكان تَقْرَاسُ

(١) ورد هذا الضبط بالقلم هكذا في نسخة ب .

(٢) اختلفت المراجع في ذكر هذه الأسماء . فاكثفيا بما ورد في الأصول .

(٣) التكلة من خطط المقرئ (ج ٣ ص ٦ طبعة فيت) .

(٤) كذا في خطط المقرئ . وفي الأصل : « تبركا به » .

جباراً له أيدٌ وبسطة ، وكان مع ذلك كاهناً عالماً ، له معاون من الحق ، فلك
 بنى أبيه ولم يزل مطاعاً فيهم . وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان زراييل علمها
 من آدم . قال : فهو وبنوه الجبابرة الذين بنوا الأعلام ، وأقاموا الأساطين العظام ،
 وعملوا المصانع ، ووضعوا الطلسمات ، واستخرجوا المعادن ، وقهروا من نواهم
 من ملوك الأرض ولم يطمع طامع فيهم . وكل علم جليل في أيدي المصريين إنما هو
 من فضل علم أولئك القوم ، كان مرموزاً على الحجارة . فيقال إن فليمون الكاهن
 الذي كان ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسر لها علمهم وكتبها ،
 وسند ذكر إن شاء الله تعالى خبر فليمون في موضعه .

قال : ثم أمرهم نقرأوس حين استقر أمرهم ببناء مدينة فقطعوا
 الصخور والأحجار من الجبال ، وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة وسموها
 أمسوس^(١) ، وأقاموا بها أعلاماً ، طول كل علم مائة ذراع ، وعمروا الأرض ،
 وأمرهم ببناء المدن والقرى ، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر . وهم
 الذين حفروا النيل حتى أبحروا ماء اليهم ، ولم يكن معتدل الحفر إنما كان يتسطح
 ويتفرق في الأرض . قال : ووجه إلى بلد النوبة جماعة حتى هندسوه وشقوا منه
 أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها ، وشقوا نهراً عظيماً إلى مدينتهم
 أمسوس يجري في وسطها وغرسوا عليه الغروس ، فكثرت خيرهم وعزت أرضهم
 وتجر ملكهم . قال : وبعد مائة وعشرين سنة من ملكه أمر بإقامة الأساطين
 العظام وزرعها ذكر دخولهم البلد ، وكيف نزلوا به ، وحرهم لمن حاربوه من

(١) أمسوس ، وردت مضبوطة بالقلم هكذا في نسخة ب وهي أول مدينة بنيت بالديار المصرية قبل

الطوفان . وموضعها خارج الاسكندرية تحت البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) كما ذكره بعض
 المؤرخين ، وشق لها نهراً يصل بها من النيل (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٩) .

الأمم . ثم أمر ببناء قبة على أساطين مُثبتة في الرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل على رأسها امرأة من زبرجد أخضر ، قُطرها سبعة أشبار ، ترى خُضرتها على أمد بعيد . قال : وفي مصاحف المصريين أنه سأل الذي كان معه أن يعترفه مخرج النيل ، فجعله حتى أجاسه على جبل القمر خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزرقى ^(١) ، وأراه النيل كيف يجري فوق ذلك البحر الأسود مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ، ثم يخرج الى بطائح هناك ^(٢) . ويقال : إنه عمل بيت التماثيل هناك ، وعمل فيه هيكل الشمس . ورجع الى أمسوس فقسم البلد بين بنيهِ ، فجعل لنقارس الجانب الغربي ، ولسورب الجانب الشرقي ، ولأبنة الصغير وهو مصرام مدينة سماها برسان وأسكنه فيها ، وأقام فيها أساطين وشق لها نهرا وغرس بها غروسا . وعمل بأمسوس عجائب كثيرة ، منها صورة طائر على أسطوانة عالية ، يصنر كل يوم مرتين عند طلوع الشمس وعند غروبها صغيرا مختلفا ، فيستدلون به على ما يكون من الحوادث فيتأهبون لها ، ويخزن للساء المقسوم على جناتهم مائة وعشرين قسما لا يقدر أحد أن يحوز ما ليس له . وعمل وسط المدينة صنيين من حجر أسود ، اذا تقدم السارق لم يقدر على الزوال عنها حتى يسلك بينهما ، [فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ] ^(٣) .

(١) المراد بخلف هنا شمال خط الاستواء .

(٢) هذه التسمية وردت هكذا أيضا في خطط المقرئى (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) أثناء كلامه على نقاروس والعلة في هذا أن النويرى والمقرئى يقلان عن مرجع واحد وهو ابن وصيف شاه . ولم نوفق الى تحقيقه في مرجع آخر .

(٣) كثر المؤلف هنا عبارة « البحر الأسود الزرقى » ولا معنى له واكتفينا بما ورد في خطط المقرئى .

(٤) المراد بالبطائح هنا منابع النيل .

(٥) ذكر القلقشندى في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣١٩) هذه المدينة على أنها القاعدة الثانية من قواعد مصر قبل الطوفان ثم قال : « ولم أفت على مكانها » .

(٦) الزيادة من المقرئى (ج ٣ ص ٨ طبعة فييت) . وفي الأصلين مكانها : « بمقطان عليه » .

وله أعمال كثيرة سوى هذه . قال : وعمل في برسان صورة [من] نحاس مذهب على منار
 عال لا تزال عليها سحب تظّلها ، من استمطرها أمطرت عليه ماء ، فهلك في الطوفان .
 وعمل على حدود بلادهم أصناما من نحاس مخوف وملاها نارا وكبريتا وجلب اليها
 روحانية [النار] ^(١) ، فإن قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهها نارا
 أحرقتة . وكان حد بلادهم الى داخل الغرب مسافة أيام كثيرة عامرا كله
 بالقصور والبساتين ، وكذلك في المشرق الى البحر ، ومن الصعيد الى بلاد علوة ^(٢) .
 وعمل فوق جبال بطرس منارا يفور بالماء يسقى ماتحته من المزارع . وملكهم
 مائة وثمانين سنة . فلما مات لطمخوا جسده بالأدوية الممسخة ، وجعلوه في تابوت
 من ذهب ، وعملوا له ناووسا مصفحا بالذهب ، وجعلوا معه كنوزا من أنواع
 الجواهر وتمائيل الزبرجد ، وكثرا من الصنعة المعمولة ، وأواني الذهب ، والطلسمات
 التي تدفع الهوام وغيرها ، وزبروا عليه تاريخ الوقت .

ولما مات ملك بعده آبنه نقارس بن نقراوس ، فتجبر وعلا أمره ، وبني
 مدينة يقال لها خلجة ^(٣) ، وعمل فيها جنة صفح حيطانها بصفاق الذهب والحجارة
 الملونة ، وغرس فيها أصناف الفواكه والفروس الحسنة ، وأجرى تحتها الأنهار ،
 وأمر بإقامة الأساطين والأعلام ، وركب عليها ^(٤) أصناف العقاقير والأدوية وجميع
 العلوم . وكان معه شيطان يعمل له التماثيل العجيبة . وهو أول من بني بمصر هيكلا

(١) الزيادة من المقرئ . والعبارة فيه : « وكل بها روحانية النار » .

(٢) بلاد علوة : هي من بلاد النوبة ، وقع على شفة النيل أسفل من مدينة دقلة ، وبينها مسيرة
 أيام في النيل (راجع المغرب وأرض السودان ص ١٩ طبع مدينة ليدن) .

(٣) في المقرئ (ج ٣ ص ١١ طبع فينت) « خلجة » وأشير في الخامس الى أنها في السوملى « خلجة » .

(٤) لعله « وكتب » .

وجعل فيه صور الكواكب السبعة، وزَّبر على رأس كل كوكب محارته وما يعمله من المنافع والمضار، وألبسه الثياب الفاتحة وأقام له كاهنا وسَدَنَةً . وخرج مغرباً حتى بلغ البحر المحيط وعمل عليه أعلاما، وجعل على رأس كل علم أصناما تُسْرَج عيونها بالليل كأنها مصابيح، ورجع على بلاد السودان الى النيل، وأمر ببناء حائط على جانب النيل، وجعل له أبوابا يخرج الماء منها . وبني في صحراء الغرب وراء الواحات ثلاث مَدَن على أساطين، وجعل شرفها من الحجارة الملوَّنة التي تَدْفُف، وجعل في كل ناحية منها ثلاث خزائن للحكمة، وهي أوَّل عجائب الأرض، جعل الدخول الى هذه المدائن من الأساطين التي بنيت عليها . ففي إحدى هذه الخزائن صنم الشمس الذي هو أعظم أصنامهم، وهي معلقة عليه في بيت شرفها، وعلى رأسه إكليل فيه كواكبها الثابتة . وفي إحداها صنم للشمس رأسه رأس طاووس في جسد إنسان من ذهب أزرق، وعيناه جوهرتان صفراوان، وهو جالس على سرير مغنطيس، وفي يده مصحف العلوم . وفي إحداها صنم رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر، وصورة امرأة جالسة من زئبق معقود، لها ذؤابتان، وفي يدها امرأة وعلى رأسها صورة كوكب، وهي رافعة بالمرأة الى وجهه، ومطهرة فيها سبعة ألوان، من الماء السائل لا يختلط بعضها ببعض ولا يوارى بعضها بعضا، وصورة شيخ من حجر الفيروزج، وبين يديه

(١) الحارة : المكان الذي يحور أو يحار فيه (المدار) . والمحارتان : رأسا الورك المستديران اللذان يدور فيهما رموس القطبين . والمعروف أن لكل كوكب محور يدور فيه . وقيل له محور : للدوران، لأنه يرجع الى المكان الذي زال عنه؛ فالمراد بالحارة هنا الدائرة التي يدور فيها الكوكب .

(٢) بيت شرفها : أى محل مزها وعلوها وسعادتھا وحلوها في الحمل وهو محل قوة الكوكب، فالشمس من أجل أنها إذا حلت الحمل تصاعدت في الشمال وظهرت قوتها وصارت شرفها فيه (راجع شرح العلامة الخضرى على متن اللمعة ورقة ٨٧ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٨ ميقات) .

(٣) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « صورة أحدها » .

(٤) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « والآخ » .

صَبِيَّةٌ يَعْلَمُهُمْ ، وَهُمْ مِنْ أَصْنَافِ الْعَقِيقِ وَالْجَوْهَرِ . وَفِي الْخَزَانَةِ الثَّانِيَةِ صُورَةُ هَرْمِسَ [بَعْنَى عَطَّارْد] ^(١) وَهُوَ مَكْبٌ يَنْظُرُ إِلَى مَائِدَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ نُوشَادِزْ عَلَى قَوَائِمِ كَبْرِيتٍ أَحْمَرٍ ، وَفِي وَسْطِهَا مِثْلُ الصَّخْفَةِ مِنْ جَوْهَرٍ أَحْمَرَ فِيهَا دَوَاءٌ أَخْضَرَ مِنَ الصَّنْعَةِ ، وَصُورَةُ عُقَابٍ مِنْ زُمْرَدٍ أَخْضَرَ عَيْنَاهُ مِنْ يَاقُوتٍ أَصْفَرٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ حَيَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ لَوَتْ ذَنْبَهَا عَلَى رِجْلَيْهِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا كَأَنَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَنْفِخَ عَلَيْهِ ، وَفِي نَاحِيَةِ مِثْلِهَا صُورَةُ الْمَرْيَخِ رَاكِبًا عَلَى فَرَسٍ وَبِيَدِهِ سَيْفٌ مَسْلُوكٌ مِنْ حَدِيدٍ أَخْضَرَ ، وَعَمُودٌ مِنْ جَوْهَرٍ أَخْضَرَ ، عَلَيْهِ قَبَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا صُورَةُ الْمُشْتَرَى ، وَقَبَّةٌ [مِنْ أَدْرَك] ^(٢) عَلَى أَرْبَعَةِ أَعْمَدَةٍ مِنْ جَرَجٍ أَزْرَقٍ فِي سَقْفِهَا صُورَةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مُتَحَاذِيَيْنِ فِي صُورَةِ أَمْرَأَةٍ وَرَجُلٍ كَأَنَّهُمَا يُتَحَاذَانِ ، وَقَبَّةٌ مِنْ كَبْرِيتٍ أَحْمَرَ فِيهَا صُورَةُ الزُّهْرَةِ عَلَى صُورَةِ أَمْرَأَةٍ مُسَكَّةٍ بِضَفِيرَتِهَا وَتَحْتَهَا رَجُلٌ مِنْ زَبْرَجْدٍ أَخْضَرَ ، فِي يَدِهِ كِتَابٌ فِيهِ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِهِمْ كَأَنَّهُ يَقْرَأُ فِيهِ عَلَيْهِ . وَجَعَلَ فِي كُلِّ خَزَانَةٍ مِنْ بَقِيَةِ الْخَزَائِنِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يَحْدُ ، وَعَلَى بَابِ كُلِّ مَدِينَةٍ طَلْسِمَاتٌ تَمْنَعُ مِنْ دُخُولِهَا فِي صُورٍ مُخْتَلِفَةٍ لَا يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ مِنَ الْجَوْهَرِ النَّفِيسِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ وَالتُّرْبَةِ الصَّنِيعَةِ فِي الْبَرَانِيِّ الْمَلُونَةِ ، وَصُنُوفِ الْأَدْوِيَةِ النَّفِيسَةِ الْمُؤَلَّفَةِ وَالسُّمُومِ الْقَاتِلَةِ . وَعَلَّمَ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَسَاطِينِ بَعْلَامَةً يَعْرِفُ بِهَا يُصْعَدُ إِلَيْهَا مِنْ مَسَارِبٍ تَحْتَ الْأَرْضِ . قَالَ : وَجَعَلَ بَيْنَ هَذِهِ الْمَدَائِنِ ^(٤)

١٠٦
١٢

(١) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبع فيت) .

(٢) زيادة عن المقرئ (طبعة فيت) . والأدرك : الحجر الأحمر . وفي طبعة بلاق «من أنك»

والآتاك : القصدير .

(٣) كذا في المقرئ (ج ٣ ص ١٠ طبع فيت) وفي الأصول : «... وكانهم يقومون عليه» .

(٤) يريد : وجعل بين أولى هذه المدائن وبين مدينة خلجة ، وهي التي عمل فيها الجنة ، سبعة أميال إلى

الغرب ، وبين مدينة خلجة وبين الثانية أربعة عشر ميلا ، وبينها وبين الأخيرة واحد وعشرون ميلا .

ففي العبارة هنا قصور .

وبين مدينة خلجة، وهي التي عمل فيها الجنة، سبعة أميال إلى الغرب، وبينها وبين
الأخرى أربعة عشر ميلا، وبين الأخرى واحد وعشرون ميلا. وكان له من
مدنائه إلى هذه المدائن أسراب تحت الأرض يصل منها إليها، وكذلك من بعضها
إلى بعض. وعمل عجائب كثيرة أزالتها الطوفان، وركبت هذه الأرض الرمال فأزالت
طلسماتها. قال: وملك تقارس مائة سنة وسبع سنين ثم هلك فعُمل له ناووس،
وجُعل معه من الأشياء العجيبة ما يطول الأمر بذكره.

ثم ملك بعده أخوه مصرام بن نقراوس، فبنى للشمس هيكلا من المرمر الأبيض
ومؤنه بالذهب، وجعل وسط الهيكل كالعرش من جوهر أزرق عليه صورة الشمس
من ذهب أحمر وأرخی عليها كل الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الأدهان،
وجعل في الهيكل قنديلا من الزجاج الصافي، وجعل فيه حجرا مدبراً يضيء كما يضيء
السراج وأكثر منه ضوءاً، وأقام له سدنة، وعمل له سبعة أعياد في السنة. وقيل: إن مصر
سميت به. وتسمى به مصرام بن بيسر بن حام بن نوح بعد الطوفان لأنه وجد
أسمه مزبورا على الحجارة. وكان فليمون الكاهن أخبرهم أخبار هؤلاء الملوك. وكان
مصرام هذا قد ذلّل الأسد في وقته فكان يركبها. وصحبه الروحاني الذي كان مع أبيه
لما رأى من حرصه على لوازم الهياكل والقياس بأمور الكواكب، وأمره أن
يحتجب عن الناس. وألقى على وجهه بسجره نورا عظيما لا يقدر أحد أن يتمكن من
النظر إليه. فادّعى أنه إله، وغاب عن الناس ثلاثين سنة، وأستخلف عليهم رجلا من
ولده غرناي وكان كاهنا. ويقال: إن مصرام ركب في عرش وحملته الشياطين حتى
أتتهى إلى وسط البحر الأسود، فعمل فيه القلعة الفضة وجعل عليها صنين من
النحاس وزير عليها: أنا مصرام الحجار، كاشف الأمرار، الغالب القهار، صنعتُ

الطَّاسِبَاتِ الصَّادِقَةِ ، وَأَقْبَتُ الصُّوَرِ النَّاظِقَةَ ، وَنَصَبْتُ الْأَعْلَامَ الْهَائِلَةَ عَلَى الْبَحَارِ السَّائِلَةِ ، لِيَعْلَمَ مَنْ بَعْدِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مَلِكِي ، وَكُلَّ ذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ السَّعَادَةِ .
وَكَانَ قَدْ عَمِلَ فِي جَنَّتِهِ شَجَرَةً مَوْلِدَةً بِوَكَلِّ مِنْهَا جَمِيعُ الْفَوَاكِهَ ، وَقَبَّةٌ مِنْ زَجَاجٍ أَحْمَرَ عَلَى رَأْسِهَا صَنْمٌ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ ، وَوَكَلَّ بِهَا شَيَاطِينَ إِذَا آخَلَطَ الظَّلَامُ نَادَوْا :
لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ مَنَازِلِهِ حَتَّى يُصْبِحَ وَإِلَّا هَلَكَ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ .
وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا لَهُ ، وَجَلَسَ لَهُمْ فِي مَجْلِسٍ عَالٍ مَزِينٍ بِأَصْنَافِ الزَّيْنَةِ وَتَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ هَالَتِهِمْ وَمَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ رَعْبًا ، نَفَزُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ وَدَعَوْا لَهُ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَأَكَلُوا وَشَرَبُوا وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاضِعِهِمْ ثُمَّ لَمْ يَرَوْهُ بَعْدَ . وَبَلَغَ بِكَهَانَتِهِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ .

- ١٠ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ عِثْقَامُ الْكَاهِنِ ، فَعَمِلَ فِيهِمْ ، وَعَمِلَ مَدِينَةً عَجِيبَةً قَرِبَ الْعَرِيشِ جَعَلَهَا لَهُمْ حَرَمًا . وَقِيلَ : إِنَّ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ فِي زَمَانِهِ . قَالَ : وَيَحْيَى عَنْهُ أَهْلُ مِصْرَ حِكَايَاتٍ كَثِيرَةً تَخْرُجُ مِنَ الْعُقُولِ . وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي عِلْمِهِ كَوْنَ الطُّوفَانِ ، فَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ الَّتِي تَصْحَبُهُ أَنْ تَبْنِيَ لَهُ مَكَانًا خَلْفَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِحَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ الْفَسَادُ ، فَبَنَى لَهُ الْقَصْرَ الَّذِي فِي سَفْحِ جَبَلِ الْقَمَرِ ، وَهُوَ قَصْرُ النَّحَاسِ الَّذِي فِيهِ التَّمَاثِيلُ ، وَهِيَ نَحْصَةٌ وَثَمَانُونَ تَمَثَالًا ، يَخْرُجُ مَاءُ النَّيْلِ مِنْ حُلُوفِهَا وَيَنْصَبُ إِلَى بَطِيحَةٍ .
وَلَمَّا عَمِلَ لَهُ ذَلِكَ الْقَصْرَ أَحَبَّ أَنْ يَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْكُنَهُ ، فَجَلَسَ فِي قَبْتِهِ وَحَلَّتْهُ الشَّيَاطِينَ عَلَى أَعْنَاقِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى حِكْمَةَ بَنِيَانِهِ وَزَخْرَفَةَ حَيْطَانِهِ وَمَا فِيهِ مِنَ النُّقُوشِ وَصُورِ الْأَفْسَاكِ وَالْكَوَاكِبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوفِ الْعَجَائِبِ — وَكَانَ يُسَرِّجُ بَغِيرَ مَصَابِيحَ ، وَتُنْصَبُ فِيهِ مَوَائِدُ يُوجَدُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ الْأَطْعَمَةِ وَلَا يُدْرَى مَنْ يَعْمَلُهَا ، وَكَذَلِكَ الْأَشْرَبَةُ فِي أَوَانٍ ، يُسْتَعْمَلُ مِنْهَا وَلَا تَنْقُصُ . وَفِي وَسْطِهِ [بَرَكَةٌ]
٢٠ .

(١) ضبط هكذا بالقلم في نسخة ب . (٢) زيادة عن المقرئ (ج ٣ ص ١٢ ظيمة فينت).

١٠٧
١٢

من ماء جامد الظاهر تُرى حركته من وراء ما بعده منه، وأشياء كثيرة من هذا النوع وإن كانت تنبؤ عن العقول - أعجبه ما رأى، ورجع الى مصر فأستخلف أبنته عِرْنَاق وأوصاه بما يريدته وقلده المُلْك، ورجع الى ذلك القصر فأقام به حتى هلك هناك .
واله تُعزى مصاحف القبط التي فيها تواريتهم وجميع ما يجري الى آخر الزمان .
قالوا : ولم تطل مدة ملكه .

ثم ملك بعده أبنته عِرْنَاق ^(١) بن عِرْنَاق . ملك بعد أبيه وعمل عجائب كثيرة، منها شجرة صُفِرَ فيها أغصان حديد بخطاطيف حادة إذا تقرب منها الظالم والكاذب تقربت اليه تلك الخطاطيف فتعلقت به وشكت بدنه ولم تفارقه حتى يُحدث عن نفسه بالصدق ويعترف بظلمه ويخرج عن ظلامه خَصْمه . وعمل صنما من صَوَان أسود وسماه غبد قزويس، أى عبد زحل، فكانوا يحتكون اليه، فن زاع عن الحق ثبت في مكانه فلم يقدر على الخروج منه حتى يُصَيَّف من نفسه ولو أقام سنة أو أكثر .
ومن كانت له حاجة منهم أو طلب شيئا ببحر الصنم ليلا ونظر الى الكواكب وذكر اسم عِرْنَاق وتضرع فيُصَيِّح وقد وجد حاجته على باب منزله . قال : وكان عِرْنَاق ربما حملته أطيبار عظام وتمزبه وهم يرونه . وكان ربما غضب على ناس بفعل ما هم مُرّا لا يُدّاق ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوامها . قال :
وتجوز على صيد السباع والوحوش ، وعمل عجائب ، منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان لقطعها بدواء مدبر، فكانت تجلب كل صنف من الوحش . قال :
وفى كتب المصريين أن هاروت وماروت كانا في وقته وعلمّا أهل مصر أصنافا من

(١) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب .

(٢) في نسخة أ : « عبد فرديس » .

السحر، ويُقَالُ بعد الطوفان إلى بابل. وكان عِرْناق يجتلب النساء بسحره ويتنصبن، وكان يسكن الجنة التي عملها نقارس، فأحالت عليه امرأة من المغصوبات فسبته فهلك وبقى مدة لا يعرف خبره. وكان من رثمه - إذا خلا بنسائه - لا يقربه أحد، فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه فتى من بنى نقراوس يقال له لُوخيم ومعه نفر من أهله، فوجدوه ملقى في فراشه جيفة. فأمر أن توقد له نار فأحرقه فيها. وجمع النسوة اللواتي كن في الجنة، فمن كانت من نسائه تركها، ومن كانت من المغصوبات سرحها إلى أهلها، ففرح الناس بذلك وبما نزل به.

وملك بعده لُوخيم وجلس على سرير الملك وليس تاج أبيه، وأمر بجمع الناس وقام فيهم وتكلم ودكر ما كان عليه عِرْناق الأنيم من سوء السيرة وأغتصاب النساء وسفك الدماء ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة إلى أن هلك، وأنه أحق بتراث أبيه وجده. وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم ودفع كل أذى عنهم. فرضى الناس به وأطاعوه وقالوا: أنت أحق بالملك، ولا زلت دائم السعادة طويل العمر قائما بتجويد الهياكل وتعظيمها. فركب إلى هيكل الشمس فقتل له بقرا كثيرا، وسار في الناس بالعدل. قال: وكانت الفرائيق قد كثرت في زمن عِرْناق فأهلك زروع الناس. فعمل لُوخيم أربع منارات من نحاس في أربعة جوانب أمسوس، وجعل على كل منارة صورة غراب في فمه حية قد ألتوت عليه فلم يقربهم شيء من تلك الطيور، فكانت كذلك حتى أزالها الطوفان.

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبعة فييت) : « لُوخيم » بالميم المعجمة .

(٢) في ١ : « أخيه » .

(٣) الفرائيق : المذكور من الطير واحدها غرنوق وغرنيق ، وهو طائر مائي طويل القوائم والعنق .

أسود وقيل أبيض (راجع شرح القاموس مادة غرنق) .

قال: ومن ملوكهم خصليم وهو أول من عمل مقياسا لزيادة الماء، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والمهندسة فعملوا بيتا من رخام على حافة النيل، وجعل في وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون، وعلى حاقبي البركة تمثال عقابين من نحاس ذكر وأنثى. فإذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء فتح باب البيت وحضر الكهان وأمناء الملك وتكلموا بكلام لهم حتى يصغر أحد العقابين، فإن صغر الذكر كان الماء زائدا، وإن صغرت الأنثى كان الماء ناقصا، ثم يعتبرون الماء فكل إصبع يكون في تلك البركة فهو ذراع من زيادة النيل، وكل إصبع ينقص فهو نقصان ذراع.

فإذا علموا ذلك حفروا الترع وأصلحوا الجسور. وعمل على النيل الفنطرة التي هي ببلاد النوبة. وكان له ابن سماه هرصال، أي خادم الزهرة، لرؤيا كانت رأتها أخت الملك أن الزهرة تخاطبها، وكفلت الغلام عمته، وأسمها نرداقة، وأذنته أحسن التأديب، وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك والعظماء، وبنت له مدينة فيها عجائب كثيرة، احتفلت بها وزيتها بأحسن النقوش والزينة والعمارة، وعمات فيها حماما معلقا على أساطين يرتفع الماء إليها حازا من غير وقيد. ولما هلك خصليم دفن في ناووس.

ثم ملك بعده ابنه هرصال بن خصليم فتحول إلى المشرق وسكنه، وبني مدينة هي إحدى المدائن ذوات العجائب، وعمل في وسطها صنما للشمس يدور بدوراتها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا. ويقال: إنه عمل من تحت النيل سربا، وهو أول

(١) كذا في الأصول. وفي المقرئ (ج ٣ ص ١٤ طبعه فيت): «النيل».

(٢) ضبطت هكذا بالقلم في نسخة ب.

(٣) ضبطت هكذا (بكر إلهاء المعجمة) بالقلم في نسخة ب.

(٤) في نسخة (ب): «وزوجته امرأة...».

(٥) الوقيد: ما توقد به النار من الحطب ونحوه.

مَنْ عَمِلَ ذَلِكَ . وَخَرَجَ مُتَنَكِّرًا يَشْتَقِي الْأُمَمَ إِلَى أَنْ بَلَغَ بَابِلَ ، وَرَأَى مَا عَمِلَ الْمُلُوكُ مِنَ
 الْعَجَائِبِ . وَغَلِمَ حَالُ مَلِكِهَا فِي الْوَقْتِ وَسِيرَتُهُ وَبِحَارَى أُمُورِهِ . وَيُقَالُ : إِذَا نُوْحَا عَلَيْهِ
 السَّلَامُ وَلُدَّ فِي وَقْتِهِ . قَالَ : وَوُلِدَ لِهَرِصَالٍ عَشْرُونَ وَلَدًا ، جَعَلَ مَعَ كُلِّ وَلَدٍ مِنْهُمْ قَاطِرًا^(١)
 وَهُوَ رَأْسُ الْكَهْنَةِ . وَتَزَعَمُ الْقَبِيْطُ أَنَّهُ بَعْدَ مِائَةِ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ لَزِمَ
 الْحَيَا كُلٌّ وَتَعَبَّدَ لِلْكَوَاكِبِ فَأَخَفَتْهُ عَنْ أَمِينِ النَّاسِ . وَأَقَامَ بَنُوهُ عَلَى حَالِهِمْ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ فِي قِسْمِهِ الَّذِي أُعْطَاهُ إِيَّاهُ يَدَبِّرُهُ وَلَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ . وَأُمُورُ النَّاسِ جَارِيَةٌ
 عَلَى سَدَادٍ ، فَأَقَامُوا كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ . ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ تَشَاوُجٌ ، وَاجْتَمَعَ رَأْيُ
 الْكَهْنَةِ عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا أَحَدَهُمْ مَلِكًا ، وَيَقِيمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قِسْمِهِ . فَأَجْتَمَعُوا
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي دَارِ الْمَلِكَةِ ، وَقَامَ رَأْسُ الْكَهَّانِ فَتَكَلَّمَ وَذَكَرَ هَرِصَالَ وَسَعَادَةَ أَيَّامِهِ
 وَمَا شَمَلَهُمْ فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَأَخْبَرَ بِمَا رَأَتْهُ الْجَمَاعَةُ مِنْ تَقْلِيدِ أَحَدِهِمُ الْمُلْكَ . فَإِنْ كَانَ
 هَرِصَالٌ لَمْ يَمُتْ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَنْتَكِرُوا مَا فَعَلُوهُ لِأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ حِفْظَ مُلْكِهِ ،
 وَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ كَانَ الْأَمْرُ قَدْ جَرَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ قِيَامِ مَلِكٍ بَعْدَ مَلِكٍ فَأَجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ
 عَلَى أَكْبَرِ وَلَدِهِ وَهُوَ :

تَدْرَسَانُ بْنُ هَرِصَالٍ . فَلَمَّا سَارَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَحَدَّ النَّاسُ أَمْرَهُ . وَعَمِلَ قَصْرًا مِنْ
 خَشَبٍ وَقَشَّهَ بِأَحْسَنِ النُّقُوشِ ، وَصَوَّرَ فِيهِ صُورَ الْكَوَاكِبِ وَنَجَّدَهُ بِالْفَرَشِ وَحَمَلَهُ
 عَلَى الْمَاءِ وَكَانَ يَتَرَقَّهِ فِيهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ فِيهِ إِذْ زَادَ النَّيْلُ زِيَادَةً عَظِيمَةً وَهَبَّتْ رِيحٌ
 عَاصِفٌ فَأَنْكَسَرَ الْقَصْرُ وَغَرِقَ الْمَلِكُ . وَكَانَ قَدْ تَقَى إِخْوَتَهُ إِلَى الْمَدَائِنِ

(١) فِي الْمُرِّيْزِيِّ : « نَظَرًا » .

(٢) فِي الْمُرِّيْزِيِّ (ج ٣ ص ١٥ طَبْعَةُ بَيْت) وَحَسَنُ الْمَخَاضَةِ لِلْسَيُوطِيِّ (ج ١ ص ١٩) « قَدْرَسَانُ »

وَعِبَارَةُ الْمُرِّيْزِيِّ : « ... وَكَانَ اسْمُهُ قَدْرَسَانُ وَقِيلَ قَدْرَسَانُ » . وَفِي صَبِيحِ الْأَعْنَى (ج ٣ ص ٤١١) :

« بَدْرَسَانُ » .

الداخلية في الغرب . واقتصر على امرأة من بنات عمه ، وكانت ساحرة ، فتفرد بها واستخلف بعض وزرائه على الملك وأقبل على لذته ولهوه . فلما هلك كتمت امرأته الساحرة موته ، وكان أمرها ونهيها يخرجان إلى الوزير عن الملك . وأقام الناس تحت طاعته سبع سنين لا يعلمون بأمره . فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا جموعا كثيرة وقدموا على أنفسهم أحدهم وهو شمروذ الجبار وساروا إلى أمسوس . وبلغ ذلك امرأة نَدَّسان الساحرة فأمرت الوزير بالخروج إليهم ومُحَارَبَتِهِمْ ، ففعل ذلك ولقيهم فزقوه وقتلوا كثيرا ممن كان معه ، ودخلوا مدينة أمسوس ، وأتوا دارالملكة فلم يروا نَدَّسان وأيقنوا بهلاكه .

وملك شمروذ بن هرصال فسّر الناس به ، ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتغيير ما كانوا يُنكرونه على أخيه . وأستولى على كنوزه وخزائنه ففزقها على إخوته ، وأقطعهم جميع ما كان في يد نَدَّسان . وطلب امرأته الساحرة وأبناها ليقتلها ، فانتقلت إلى مدينة أهلها من الصعيد ، وكانوا كلهم كُتُهانا صحرة ، فأمتعت بهم ، وأرسلت إلى الناس وعرفتهم أن أبناها الملك في وقته ؛ لأن أباه قلده الملك وأمرها أن تدبر أمره حتى يكبر ، فصذقوها وأجابوها وقالوا : إن الغلام مغضوب على ملك أبيه ، وإن شمروذ متغلب . فأجتمع في ناحيتها جماعة من أهل البلد وزحف ابن الساحرة وقد عمل له السحرة أصنافا من التخلييل المائلة والثيران المحرقة ، فقامت الحرب بينهم أياما ، فأنهزم شمروذ وإخوته وتعلقوا ببعض الجبال .

وملك توميدون بن نَدَّسان وهو ابن الساحرة . ودخل دار الملك وجلس على السرير ولبس التاج الذي كان لأبيه وأطاف به بطانة أبيه ، وهو يومئذ حدث السن ،

٢٠

(١) في المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبة فيت) «نمرود» وقال : ويقال له «شمروذ» .
(٢) في المقرئ : «بوسيدون» راجع تطبقاته عليه (ج ٣ ص ١٦ طبة فيت) . وفي صبح الأعي (ج ٣ ص ٤١١) : «فرسيدون» .

وكانت أمه تدبر أمره، فقتل كل من كان مع شمروذ . وطلب شمروذ حتى ظفرو به،
 واجتمع الناس لينظروا ما يصنع به، فشدد رأسه برأس أسطوانة قائمة، ورجلاه برأس
 أسطوانة أخرى. وكان طوله فيما يذكر القبط عشرين ذراعا، ووكلت الساحرة به حرسا
 لتقتله يوم عيدها، وكان قريبا، فصباح بالليل صبيحة مات منها بعض الحرم وهرب
 الباقيون . فلما اتصل بها ذلك أوقدت نارا وأمرت بإزالته وجعلت تقطع منه عضوا
 عضوا وترميه في النار، قال: ونخرج ابنها كاهنا متجبا، وعملت له الشياطين قبة
 الزجاج الكبيرة الدائرة على دوزان الفلك، وصنّروا عليها صور الكواكب، وكانوا
 يعرفون الطالع منها وما يحدث بطلوعه بعد ستين سنة . ثم ماتت أمه الساحرة
 وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر فإنه يخبرهم بالعجائب وما يسألون عنه
 ففعلوا ذلك . وذل الناس لأبنها وهابوه، وكان يتصور لهم في صور كثيرة، وملكهم
 مائة سنة وستين سنة . ولما حضره الموت أمرهم أن يعملوا له صنما من زجاج
 على شقين ويطبق على جسده بعد أن يطلّى بالأدوية الممسكة ويلحم ويقام في هيك
 الأصنام، ويحمله له عيد في السنة ويقرب له قرباناً، وتُدفن علومه وتكونه تحته،
 ففعلوا ذلك كله .

ولما مات ملك بعده أبنته شرناق^(٢) بن توميدون، فعمل بسيرة أبيه وجدته،
 واجتمع الناس عليه . وزحف رجل من بني صرا بلس بن إرم من ناحية العراق، فتغلب

(١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ١٦ طبع فيت): «... وقام بوسيدون بن قدرشان بالملك في ملطنة
 أسوس، وكان عالما فاضلا، ففوى بسحر أمه وعملت له أعمالا عجيبا، منها قبة من زجاج على هيئة
 الكرة تدور بدوران الفلك، وضورت فيها صور الكواكب، فكانوا يعرفون بها أسرار الطالع وعلوم العالم .
 فلما ملئت أمه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلي جسدها بما يدفع عنه التين والحشرات، ودفن تحت صنم القمر .
 ويقال إنها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الأرواح فتخبرهم بعجائب وتجييب عما تسأل عنه » .
 (٢) في المقرئ: « شراق ويقال فيه شراق » . وقد أوردت هذا الاسم عدة مصادر بصور مختلفة .

(٣) في المقرئ: « من بني فراشي بن آدم، ويقال من بني صوانتي بن آدم » . وقد أوردت هذين
 الاسمين عدة مصادر بصور مختلفة .

على الشام، وأراد أن يزحف إلى مصر، فعرف أنه لا يصل إليها لسجر أهلها، فأراد أن يدخلها متنكراً ليقف على أحوالها، فخرج في نفر حتى بلغ الحصن الذي كانوا به على مصر. فسألم الحرس الموكلون به عن أمرهم، فعرفوهم أنهم قصدوا بلدهم ليسكنوه، فحبسهم وطالعوا الملك بنجرهم. وكان الملك قد رأى في منامه كأنه قائم على منار لهم عال، وكان طائراً عظيماً انقضَّ عليه ليختطفه، فحاذ عنه حتى كاد يسقط عن المنارة بفائزته ولم يضربه، فأنبته مرعوباً، وبعث إلى رأس الكهنة فقصَّ عليه رؤياه، فعرفه أن ملكاً يطلب ملكه فلا يصل إليه. فنظر في علمه فرأى أنه قد دخل بلده. فلما وردت الرسل بذكر القوم علم أن الملك فيهم، فوجه جماعة من أصحابه فاستوثقوا منهم وحملوهم إليه، وقد كان أمرهم أن يطوفوا بهم في أعمال مصر كلها ليروا ما فيها من الظلمات والأصنام المتحركات والعجائب المعجزات، فبلغوا بهم إلى الإسكندرية، ثم ساروا بهم إلى أمسوس وطيف بهم على عجائبها. ثم سار بهم إلى الجنة التي عملها ميسرام، وكان الملك مقبياً بها وأمر السحرة بإظهار التهاويل والتخايل، فجعلوا يتعجبون مما رأوا إلى أن وصلوا إلى شرناق الملك والكهنة حوله وقد أظهروا صنوف العجائب، وجعلوا بين يدي الملك ناراً عظيمة لا يصل إليه إلا من خاضها ولا تضر إلا من أضمر لللك غائلة، وأمر بدخولها، فشقوقها واحداً واحداً لم ينلهم منها أذى، وكان الملك آخرهم، فلما دنا من النار أخذته فوثى هاربا. فأُتي به شرناق فسأله عن أمره فأقر، فأمر بقتله على أسطوانة عند باب الحصن من ناحية الشام، فقتل وزُر عليه: هذا فلان المتغلب على الشام أضمر غائلة الملك، طلب ما لا يصل إليه فعوقب بهذا. وأمر بإخراج الباقيين من بلاده فأخرجوا. وقيل لهم: قد وجب عليكم القتل لصحبكم من أراد الفساد في الأرض، ولكن الملك عفا عنكم. فكانوا لا يمضون على أحد إلا حدثوه بما رأوا من العجائب، فأقطعت أطماع الملوك عن

الوصول الى مصر والتعرض اليها . وعُمِلت في أيامه عجائب كثيرة ، منها أنه عمل على باب كل مدينة بطة نحاس قائمة على أسطوانة ، فإذا دخل الغريب من الباب صفقت بجناحيها وصرخت ، فيؤخذ ويكشف عن أمره . وشق الى مدائن الغرب نهرا من النيل ، وبني على عبّره منازل وأعلاما وغرس بينها غروسا ، وكان اذا خرج اليها سار في عِمارة متّصلة . وملكيهم مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات .

وملك بعده أبْنه سهلوق بن شرناق ، وكان كاهنا منجّما ، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسمًا موزونا ، صرف الى كل ناحية قسمها ، ورتّب المراتب وجعلها على سبعة أقسام : فالطبقة الأولى الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عهده ورأس الكهّان والوزير الأكبر وقائد الجيش الأكبر وصاحب خاتم الملك وصاحب خزائنه . والطبقة الثانية مراتب العيال والمتولين جباية الأموال والإشراف على النفقات في أمر المملكة ومصالح البلد والعبّارات وقسمة المياه . والطبقة الثالثة الكهّان وأصحاب الهياكل وخدمتها ومتولو القرايين والمشرفون على جميع ما يتقرب به من بواكير الفواكه والراحين ويُقيّ البقر والفرايح الذكور ورءوس خواصي الشراب . والطبقة الرابعة المنجّمون والأطباء والفلاسفة . والطبقة الخامسة أصحاب عِمارة الأرض ومتولّو أمر الزراعة . والطبقة السادسة أصحاب الصناعات والمِهَن في كلّ فن ، والمشرفون على أعمالهم ونقل ما يستحسنون منها الى خزّانة الملك . والطبقة السابعة أصحاب الصيْد من الوَحش والسباع والطيور والهُوام والخشّاش ، والمشرفون على أخذ دماها ومرائها وشحومها وحملها الى الأطباء لإصلاح العقاقير وتأليف الأدوية . وتقدّم الا يدخل أهل مِهنة ولا صناعة في غيرهم ، ومن قصّر في عمله عوقب ، ومن أحسن في عمله جُوزى بقدره . وكانت رتبة الألقاب والملاهي في قسمة الملك . وتقدّم في استنباط المعادن وبناء المدائن ونصب الأعلام والمنارات وإبداع الصناعات وجرّ المياه وتوليد غرائب

$$\frac{110}{12}$$

١٠

١٥

٢٠

الأشجار . وأقام على أعلى الجبال شجرة يقسمون الرياح ويمنعون من يقصدهم ويقصد بلادهم بأذى ، وكذلك كل مفسد من طائر وسبع وحش وهوام ، وأجرى أمر البلاد والناس على سداد ، وجعل في كل صنف من الناس صنفا من الكهنة يعلمونهم الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى . ويرفع كل صنف منهم ما يحرى من أمر ما يتولونه الى الملك في كل يوم . وعمل البيت ذا القباب النورية الثلاث ، وأوقد فيه النار الدائمة تعظيما للنور . والقبط تزعم أنه أول من وضع بيتا لتعظيم النار . وقيل : إن جم الفارسي إنما بنى بيت النار - وهو أول من عمل ذلك للفرس - اقتداءً بهلوق مصر . وكان السبب في عمل هملوق بيت النار أنه رأى أباه في نومه يقول له : انطلق الى جبل كذا من جبال مصر فإن فيه كوة من صفتها كذا وكذا ، وإنك واجد على باب الكوة أفعى لها رأسان ، وإنها اذا رأتك كشت في وجهك ، فليكن معك طيران صغيران ، فإذا رايت الأفعى فأذبحهما لها وألقهما إليها ، فإنه يأخذ كل رأس من رأسهما أحد الطيرين ويتنجى الى سرب قريب من الكوة فتدخله ، فإذا غابت عنك فأدخل الكوة فإنك تنتهى الى آخرها الى صورة امرأة جميلة الخلق ، وهى من نور حار يابس ، وسوف يقع عليك وهجها وتحمس بحرارة شديدة ، فلا تقرب منها فتحترق ، وقف وسلم عليها فإنها تخاطبك فأسكن الى خطابها ، وأنظر ما تقول لك فأعمل به ، فإنك تشرف بذلك . وهى حافظة كنوز جدد مصرام التى رفعها الى مدائن العجائب المعلقة وهى تدلك عليها . وتنال مع ذلك شرفا فى بلدك وطاعة فى قومك ، ثم مضى وتركه . فلما آتته هملوق جعل يفكر فيما رأى ويتعجب منه ، ورأى أن يتخذ ما أخبره به أبوه ، فضى الى الجبل وحمل الطيرين معه وفعل جميع ما أمره أبوه الى أن وقف حذاء المرأة وسلم عليها ، فقالت له : أتعرفنى ؟ قال : لا ، لأنى ما رأيتك قبل وقتى هذا .

(١) كذا فى الأصلين ، ولله : « فى آخرها » .

قالت : أنا صورة النار المعبودة في الأُم الخالية ، وقد أردتُ أن تُحيي ذكري وتتخذ لي بيتا وتوقد فيه نارا دائمة بقدر واحد ، وتتخذ لها عيدا في كل سنة تحضره أنت وقومك فإنك تتخذ بذلك عندى يدا وتنال به شرفا وملكا الى مُلكك ، وأمنع عنك وعن بلدك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جدك مصرام . فلما سمع ذلك منها ضين لها أن يفعل ، ودلته على الكنوز التي كانت لجدته تحت المدائن المعلقة ، وكيف يصير إليها ويمتنع من الأرواح الموكلة بها وما يتجرها به . فلما فرغ من ذلك قال لها : كيف لي بأن أراك في الأوقات وأسألك عما أريده ، أصير اليك في هذا المكان أو غيره ؟ قالت : أما هذا المكان فلا تقدر بعد وقتك هذا عليه ؛ لأن الأفقى التي رأيته فيها قيمته لأن فيه آية تمنع أن يوقف عليها في وقتنا هذا ، ولكن إن أحببت أن ترائي فدخل في البيت الذي عمله لي بكذا وكذا : أشياء ذكرتها له ، منها : عظام ما يقربه له من القرابين والذبايح والصموغ ، فإني أتخيل لك وأخبرك بكل حق وباطل مما يكون في بلدك . فلما سمع ذلك منها سر به وغابت عنه ، وظهرت الأفقى وخرج هاربا وجعل على الكوة سدا ، وعمل ما أمرته به وأخرج كنوز جدته .

١١١
١٢

وعمل من العجائب بأسوس وغيرها ما يطول شرحه . وعمل القبة المركبة على سبعة أركان ، ولها سبعة أبواب ، على كل باب صورة معمولة ، وكان يقال لها قبة القصر . وكان السبب في بنائها أن بعض الكهّان جار في قضية قضى بها ، وذلك أن بعض العائمة أتاه يشكو أمراته . وكان يحبها والمرأة تُبغضه . وسأله أن يقومها له ، وكانت المرأة من أهل بيت الكاهن ، فالأها على زوجها ، وأمره بتخليتها فلم يفعل ، فحبسه وشدّد عليه ، وكان من أهل الصناعات ، فاجتمع جماعة من أهل صنعته ممن كان قد عرف حال المرأة معه وأنها له ظالمة وهو لها منصف ، فوقفوا على ظلم الكاهن فاستعدوا عليه عند خليفة الملك . فاحضر الكاهن وسأله ، فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب . فاحضر

١٥

٢٠

رؤساء الكهنة والقوم الذين شهدوا للرجل، فوقف على ظلم الكاهن فأخرج الرجل وحبس الكاهن مكانه، وأمر بعقوبة المرأة ورددّها إلى زوجها ورفع ذلك إلى الملك، فأمر بإخراج الكاهن من رسم الكهانة، وأن يُعاقب ويحبس إلى أن يرى فيه رأيه. وأهتم الملك لذلك وخشى أن يجرى من غير ذلك الكاهن في أمر الرعية مثل ما جرى منه، فبات مهموماً. ثم فكر في أمر النار، فأتى إلى بيت النار ودخّن بالدُخنة التي أمرته بها، فأنته وخاطبته. فسألها أن تعمل له عملاً يقف به على حقيقة أمر المظلوم من الظالم، فأمرته أن يعمل بيتاً مرتّباً على سبعة أركان ويجعل له سبعة أبواب في كل ركن باب، ويعمل في وسطه قبة من صُفْر، ويصوّر عليها صور الكواكب السبعة، ويعمل تحت القبة مطهرة من جوهر ملوّن، ويجعل فيها سبعة أدهان من أشجار مختلفة؛ وتكون القبة معلقة على سبعة أساطين، ويعمل على الباب الأول تمثال أسد رابض، وحذاءه من الجانب الآخر لبؤة رابضة من صُفْر ويقرب لها جرو أسد ويخترهما بشعره. وعلى الباب الثاني صورة ثور وبقرة ويذبح لهما عجلاً ويخترهما بشعره. وعلى الباب الثالث صورة خنزير وحذاءه خنزيرة ويذبح لهما خنوصاً^(١) ويخترهما بشعره. وعلى الباب الرابع صورة فرس وحجر ويذبح لهما مهراً ويخترهما بشعره. وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحذاءه أُنثاء ويذبح لهما جرو ثعلب ويخترهما بوبره. وعلى الباب السادس صورة حمار وحذاءه أُنثاء ويذبح لهما عيراً ويخترهما بشعره. وعلى الباب السابع صورة ديك وحذاءه دجاجة ويذبح لهما فروجاً ويخترهما بريشه. ويلطخ وجوها جميعاً بدم ما يذبح. ثم يُحرق بقية القُربان ويُجعل تحت عتب أبوابها وتُغلق الأبواب، ويُقام للبيت سَدَنَةٌ يُوقدون له ليلته ونهاره. فإذا فرغ ذلك

٢٠ (١) الخنوص : ولد الخنزير . (٢) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

(٣) كذا في الأصلين، ولعله : « فإذا فرغت من ذلك فكلّم ... الخ » .

- يَتَكَلَّمُ عَلَى بَابِ الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ ، فَإِنِ سَوَّفَ أَلْقَى رُوحَانِيَّةَ الْكَوَاكِبِ عَلَى تِلْكَ الصُّورِ فَتَنْطَلِقُ . وَإِذَا فَرَّغَتْ مِنْ ذَلِكَ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنَ الْمَرَاتِبِ الَّتِي قَسَمْتَهَا بِأَبَا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَلِيَكُنْ بَابُ الْأَسَدِ لِأَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، وَسَائِرُ الْأَبْوَابِ لِسَائِرِ الْمَرَاتِبِ . فَإِذَا تَقَدَّمَ الْخَصِمَانِ إِلَى شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الصُّورِ أَلْتَصَقَتْ بِالظَّالِمِ وَشَدَّتْ عَلَيْهِ شِدَّةً عَنِيفًا يُؤَلِّمُهُ حَتَّى يَخْرُجَ لِحَصْمِهِ مِنْ حَقِّهِ ، الذِّكْرُ لِلذِّكْرِ ، وَالْأُنْثَى لِلْأُنْثَى ، فَيُعْرِفُ بِذَلِكَ الْمَظْلُومُ مِنَ الظَّالِمِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ قَبْلَ أَحَدٍ حَقٌّ وَدَعَا إِلَى تِلْكَ الصُّورِ فَلَمْ يَجِئْ مَعَهُ فَأَتَاهُ الْمَظْلُومُ ، وَقَدْ عَرَّفَ الصُّورَةَ ذَلِكَ ، أَقْعَدَ الظَّالِمُ مِنْ رَجُلِهِ وَتَحَرَّسَ لِسَانَهُ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ . فَاسْتَرَحَ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ . وَلَمْ تَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَزَالَهَا الطُّوفَانُ مَعَ مَا أَزَالَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَطَلْسَمَاتِهِمْ وَعَجَائِبِهِمْ . وَعَمِلْتُ فِي أَيَّامِ سَهْلُوقِ أَعْمَالَ كَثِيرَةٍ ، وَكُتِبَتْ سِيرَتُهُ وَمَا عَمِلَ مِنَ الْعَجَائِبِ فِي مَصْحَفٍ . وَعَمِلَ عَقَائِرَ كَثِيرَةً وَتَمَائِيلَ وَمَحْرَكَاتَ وَصَّنْعَةً ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَى نَاوُوسَ عَمَلُهُ لِنَفْسِهِ فِي الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ وَتَقْلَ إِلَيْهِ حِكْمَهُ . وَهَلَكَ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ تِسْعًا وَسِتِينَ سَنَةً وَحَمَلَ إِلَى نَاوُوسَةَ ، وَأَقَامَ أَهْلَ الْمَمْلَكَةِ وَوَجْهَ الْمَدِينَةِ وَنِسَاؤَهُمْ عِنْدَ نَاوُوسَةَ شَهْرًا يَبْكُونَ عَلَيْهِ وَيَتَوَجَّعُونَ عِنْدَهُ . وَاعْتَمَوْا عَلَيْهِ غَمًّا لَمْ يَقْتَمَوْهُ عَلَى مَلِكٍ قَبْلَهُ ، وَأَقَامُوا لَنَاوُوسَةَ سَدَنَةً يَخْدُمُونَهُ .
١٥. وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ سُورِيدُ بْنُ سَهْلُوقٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قَلَّدَهُ الْمَلِكُ قَبْلَ مَهَلِكِهِ ، فَلَمَّا وَقَفْنِي سِيرَةَ أَبِيهِ فِي الْعِبَارَةِ وَمَصَالِحِ الْبُلْدِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ النَّاسِ وَالْأَخْذَ لِهِمْ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِي بَيْتِهِ ، وَعَمِلَ الْهَيَاكِلَ وَبَنَى الْمَنَارَاتِ ، وَنَصَبَ الْأَعْلَامَ وَالطَّلْسِمَاتِ فَأَحْبَبَهُ النَّاسُ . وَبَنَى بِالصَّعِيدِ ثَلَاثَ مَدَائِنَ وَعَمِلَ فِيهَا عَجَائِبَ كَثِيرَةً . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَبَى الْخَرَاجَ بِمِصْرَ ، وَأَلْزَمَ أَهْلَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى أَقْدَارِهِمْ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى الزَّيْنِيِّ وَالْمَرْضِيِّ مِنْ خَزَائِنِهِ . وَعَمِلَ مَرَّةً مِنْ أَخْلَاطِ كَانَ يَنْظُرُ مِنْهَا جَمِيعَ الْأَقَالِمِ مَا أَخْصَبَ مِنْهَا ، وَمَا أَجْدَبَ وَمَا حَدَّثَ فِيهَا ، وَكَانَتِ الْمَرَاةُ عَلَى مَنَارَةٍ مِنَ التَّحَاسِ وَسُطَّ مَدِينَةُ أَمْسُوسَ ،

وكان يعلم من المرأة مَنْ يقصد مدينته من جميع النواحي فيتأهب له . وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه وما يعمل به ويرفع اليه ، ثم يُخلد في نِزائته يوما بيوم . وإذا مضى الشهر نُقلت إلى مصحف الملك وختمه بخاتمته ، وما صلح أن يُزبر على الحجارة زبره : وكذلك ما عمل من الصنائع وما أحدث منها . وكان يُعطى الرغائب على الصناعات العجيبة والحِكم الغريبة . وعمل في المدائن صورة امرأة جالسة في حجرها صورة صبي كأنها تُرضعه ، فن أصابتها علة يجسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فيزول عنها ما تجسد ، وكذلك إن قل لبنها مسحت نديها ، وإن أحببت أن يعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب وقالت افعل كذا وكذا ، وإن قلت حبضتها مسحت فوق رَكيها ، وإن كثر دمها ونزفت مسحت تحت رَكيها ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي فيسبرأ ، وإن عسرت ولادتها ومسحت رأس الصبي سهلت ويسهل اقتضاؤها ، وإذا نجرت ومسحته بدهن طيب منع جميع التوابع . وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن زناها . وما كان من أعمال الليل بُجرت ليلا ، وما كان من أعمال النهار بُجرت نهارا . وكانت تعمل أعمالا كثيرة إلى أن أزالها الطوفان . قال : وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان وأنهم استعملوها وعبدوها .

وصورتها مصورة في جميع البرابي ، وأسمها نبيلوية ، والذي دهم عليها قرابة فليمون^(٢) الكاهن . قال : وعمل سور يد عجائب كثيرة ، منها الصنم الذي يقال له نكرس^(٣) المعمول من مادة أخلاط كان يعمل أعمالا كثيرة في الطب ودفع الأسقام

(١) عبارة المقرئ (ج ٣ ص ٢١ طبعة فيث) : « وإن عسرت ولادة امرأة مسحت رأس

الصبي الذي في حجر الصورة فضع حملها » .

(٢) في المقرئ (طبعة فيث) : « فيلون » وفي معجم البلدان وبعض نسخ المقرئ : « فليمون »

(٣) في ب « نكرس » بالثاء .

والعلل ، ويعرفون به من تُبرئهُ الأدوية فيعيش ، وإن كان يموت فله علامات فيُقصرون عن علاجه ، وكانوا يفسلون المواضع التي يزاء أعضاء العلل منه ويُسقِ لصاحب الداء فيزول عنه . وهو أول من عمل الأفروثات^(١) وزبر فيها جميع العلوم . وهو الذي بنى الهرمين الكبيرين .

ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها

قال : كان بناء الأهرام قبل الطوفان بنحو ثلاثمائة سنة . وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا هذا نبذة من خبر الأهرام في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول ؛ وذلك في السفر الأول من هذه النسخة . ونحن الآن نذكر من خبرها خلاف ما قدمناه مما أورده إبراهيم بن القاسم الكاتب مما اختصره من كتاب العجائب الكبير لإبراهيم بن وصيف شاه . قال : كان سبب بنائها أن الملك سُوريد رأى رؤيا أفزعته ؛ رأى كأن الأرض أنقلبت بأهلها ، وكأن الناس يَحْزُونَ على رموسهم ، وكأن الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفرعة ، فتمه ذلك ولم يذكره لأحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم . ثم رأى بعد ذلك [بأيام]^(٢) كأن الكواكب الثابتة [نزلت إلى الأرض]^(٣) في صور طيور تنصب^(٤) ، وكأنها تتخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكأن الجبلين انطبعا عليهم ، وكأن الكواكب النيرة مظلمة كاسفة ؛ فأنبئه أيضا مدعورا فزعا ، فدخل إلى هيكل الشمس وجعل يمرغ خذيه ويكي . ولما أصبح أمر

١١٣
١٢

(١) الأفروثات : لفظ يوناني معناه القبور . وفي معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٢ طبع

أوربا) : « الأفروثيات » .

(٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) الكلمة من خطط المقرئ (ج ٢ ص ١١٣ طبعة فييت) .

(٤) في خطط المقرئ « ... طيور يرض » .

يجمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر فأجتمعوا، وكانوا مائة وثلاثين، فغلبهم وقص عليهم رؤياه، فأعظموه وأكبروه وأولوه على أمر عظيم يحدث في العالم. فقال لهم فليمون : وكان من كبارهم وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس كهنة أمسوس - : إن في رؤيا الملك لعجبا وأمرأ كبيرا، والملوك رؤياهم لا تجري على فساد ولا كذب لعظم أخطارهم، وكبر أقدارهم. وأنا أخبر الملك عن رؤيا رأيته منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس. فقال له الملك : قصها علينا. قال : رأيت كأني مع الملك على رأس المنار الذي في أمسوس، وكأت الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب ستمت رؤوسنا، وكان علينا كالقبة المحيطة بنا^(١)، وكأت [الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها] قد خالطتنا في صور مختلف، وكان الناس يستغيثون بالملك وقد انضموا إلى قصره، وكأت الملك رافع يديه ليدفع الفلك أن يبلغ رأسه، وأمرني أن أفعل فعله ونحن على وجل شديد، إذ رأينا منه نورا مضيئا طلعت علينا منه الشمس، فكأنا استغشنا بها، فخطبتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت ثلاثمائة دورة، وكأت الفلك لصق بالأرض ثم عاد إلى موضعه، ثم أنتهت فرعا. فعند ذلك قال لهم الملك : خذوا ارتفاع الكواكب فانظروا هل من حادثة تحدث. فنظروا فأخبروه بأمر الطوفان وبعده بذكر النار [التي تخرج من برج الأسد تحرق العالم]^(٢)، فذكروا له أن ذلك يكون في وقت عينوه له من مقارنات النجوم ونزولها في الأبراج على ما حرروه من الدقائق، وشرحه إبراهيم في كتابه مما لا فائدة لنا في ذكره. قال : فلما تبين ذلك له أمر بقطع الأساطين العظام ونشر البلاط

(١) كذا في المقرئ (ج ٢ ص ١١٤ طبع فيت) وفي الأصلين : « كالكنية » .

(٢) الكلمة من خطط المقرئ . وفي الأصول : « وكان كواكب » .

(٣) الزيادة من خطط المقرئ .

الكبير المصفتح، واستخراج الرصاص من أرض المغرب، وإحضار الصخور
السود التي جعلها أساسا من ناحية أسوان، وكانت تُحْمَلُ على أطواف^(١). وقيل:
كانت لهم فراقل من خوص لها عَذَبٌ وعليها كتابة منقوشة، فكانوا إذا ضربوا بها
الحجارة عَدَّتْ على وجه الأرض وحدها مقدار رمية سهم حتى وضعت الأساسات.
وأمر أن يُزَبَّرَ على البلاط المنشور المهندم جميع علومهم. ثم بنى الأهرام
الثلاثة الأول: الشرقى، والغربي، والملقون؛ فكانوا يعملون في وسط البلاطة
قلب حديد قائما ويركبون عليه بلاطة أخرى مثقوبة الوسط، ثم يَدْخُلُ ذلك القلب
الحديد في ثقب البلاطة التي تُطَبَّقُ عليه، ويذاب الرصاص ويُصَبَّ حول البلاطة
بعد أن تَوَلَّفَ الكتابة التي عليها. وجعل أبوابها من تحت الأرض بأربعين ذراعا
في أزاج مبنية بالحجارة في الأرض، طول كل أزج مائة وخمسون ذراعا. قال: فأما
باب الهرم الشرقى فإنه من الناحية الجنوبية على قياس مائة ذراع من وسط حائط
الهرم إلى الناحية الجنوبية، ويحفّر حتى ينزل إلى باب الأزج ثم يدخل إليه منه.
وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية يُقَاسُ أيضا من وسط الحائط الغربي
إلى الغرب مائة ذراع، ويحفّر حتى ينزل إلى باب الأزج المبنى ويدخل منه إليه.
وأما باب الهرم الملقون فمن الناحية البحرية يُقَاسُ أيضا من وسط الحائط البحري
مائة ذراع، ويحفّر حتى ينزل إلى باب الأزج. وجعل طول كل واحد منها أربع مائة

(١) الطوف: خشب يشد بعضه إلى بعض ويركب عليه في الماء.

(٢) الأزج بالتحريك: بنت بيني طولاً، ويقال له بالفارسية: «أوستان» وانظر الكلام عليه في شرح القاموس واللسان والصحاح والمصباح وكتاب الأنفاط الفارسية المعربة لأدنى شير.

(٣) في معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٩٦٤): «الناحية البحرية». وفي خطط المقرئى:
«الناحية الشرقية»..

(٤) في معجم البلدان لياقوت: «الناحية القليلة». وفي خطط المقرئى: «الناحية الجنوبية».

ذراع بالملكي، يكون خمسمائة بذراعا . وجعل تربيع كل واحد أربعائة ذراع . وبنها
 في الاستواء الى أربعين ذراعا ثم هزما .^(١) وكان أول بنائهم لها في أوقات السعادة ،
 فلما فرغ منها كساها دياجا ملونا من أعلاها الى أسفلها ، وعمل لها عيدا عظيما لم يبق
 في المملكة أحد إلا حضره . ثم أمر بعمل ثلاثين جرنًا من حجارة الصوان ملونة^(٢)
 بفعلت في الهرم الغربي ، ونقل اليها من الكنوز والأموال والجواهر المعدنية ، والجواهر
 المسبوكة الملونة ، والآلات الزبرجد . والتماثيل المعمولة ، والطلسمات ، والحديد الفاخر ،
 والسلاح الذي لا يصدأ ، والزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر ، والنواميس والمولدات
 والدخن وأصناف العقاقير والمفردات والمؤلفات والسموم وغير ذلك شيئا كثيرا
 لا يدرك وصفه . ونقل الى الآخر وهو الشرق أصنام الكواكب والقباب
 الفلكية ، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها لها ومصاحفها ،
 وما عمل لها من السورج والحوادث التي مضت ، والحوادث التي تحدث ،
 والأوقات التي تحدث فيها ، ومن بلى مصر من الملوك الى آخر الزمان ، وكون
 الكواكب الثابتة وما يحدث بكونها وقتا وقتا ، وجعل فيها المطاهر التي فيها^(٤)
 المياه المدبرة والبودقات الذهبية وما أشبه هذه الأشياء . وجعل في الهرم الآخر
 أجساد الكهنة في توايت من الصوان الأسود ، وعند كل كاهن منهم
 مصحف فيه عجائب صناعته وسيرته وما عمل في وقته . وكانوا سبع مراتب .
 فالمرتبة الأولى القاطرون ، وهم الذين يعبدون الكواكب السبعة لكل كوكب

(١) يلاحظ أن هذا الوصف ينطبق عما كان في عصر المؤلف . وقد كشف العلم الحديث عن أشياء
 كثيرة تدل على عظمة بناء هذا الأثر الخالد .

(٢) حجارة المقرزي : « ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين جرنًا من حجارة صوان ملون وملئت بالأموال
 الجدة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة ... الخ » . (٣) كذا في خطط المقرزي .
 « الذي لا يطوى » . (٤) كذا في خطط المقرزي . وفي الأصلين « والمطاهر » .

- سبع سنين ، ومعنى القاطرون جامع العلوم . والمرتبة الثانية لمن يعبد ستة من الكواكب وهم اللاحقون بالدرجة الأولى . ثم يسمون صاحب الخمسة وما دونها كل واحد بأسم ، فجعل في كل ناحية من الهرم مرتبة من هذه المراتب ، فأجسادهم هناك وما عملوه من العجائب . وجعل في الحيطان^(١) من كل جانب مما يدور أصناما [تعمل^(٢)] بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها ، وصفة كل صنعة وعلاجها . وما يصلح لها ، وكذلك أصحاب النواميس ومن عاج شيئا من الأشياء وجعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها الكواكب وأموال الكهنة . وجعل لكل هرم منها خادما ؛ فخان الهرم الشرقى صنم من جزع أسود [مجزع بأسود^(٣)] وأبيض له عينان مفتوحتان [برافتان^(٤)، وهو] جالس على كرسي ، ومعه شبه بالحربة ، إذا نظر إليه الناظر سمع من جهته صوتا كالرعد يكاد يفزع قلبه ، فيهم على وجهه ويحتلس عقله ، ولا يكاد يفارق الهرم حتى يموت فيه . وجعل خازن الهرم الآخر من حجر الصوان المجزع ، معه شبه بالحربة ، وعلى رأسه حية تطوق بها ، من قرب منه وثبت عليه من ناحيته وتطوقت في عنقه فقتله [ثم تعود إلى مكانها] . وجعل خازن الهرم الثالث صنما صغيرا من حجر البهتة على قاعدتيه ، من نظر إليه اجتذبه إليه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت . فلما فرغ من ذلك حصنها بالأرواح وذبح لها

(١) كذا في خطط المقرئ (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فيث) وفي الأصلين : « في حيطان البري ما يدور » .

(٢) الزيادة عن خطط المقرئ (ج ٢ ص ١١٧ طبعة فيث) .

(٣) في خطط المقرئ كلمة « خادم » بدل « خازن » في هذا المقام .

(٤) كذا في خطط المقرئ . وفي الأصلين « مطوقة » .

(٥) حجر البهتة ، ويقال له البهت والباهت ، يوجد في المحيط الأطلنطي وكانت له شهرة في أفريقيا الغربية حيث يباع ثمن غال . وقد نسب إليه أهل الشرق خصائص عجبية . (عن قاموس دوزي باختصار) .

(٦) كذا في المقرئ . وفي الأصلين : « صدها » .

الذبايح ^(١) لتتبع عن نفسها [من أرادها] إلا من قزب إليها وعمل لها أعمال الوصول فإنه يصل إليها . قال : وذكر القبط أنه كُتِبَ عليها آسم الملك والوقت الذي بناها فيه ، ويقول : إنا بنيناها في ست سنين فقل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة فإن الهدم أهون من البُنيان . وإنا كسوناها الديباج الملون المذهب المرقوم بالذهب فقل لمن يأتي بعدنا يكسوها حصيرا . فنظروا فوجدوا أحدا لا يقوم بهدمها وكسوتها لأنه لا يستطيع ذلك ولا يُقدِر عليه .

قال : وحكى عن هذه الأهرام عجائب يطول الشرح بذكرها ؛ منها أن المأمون لما دخل إلى مصر أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها ، ف قيل له : إنك لا تقدر على ذلك . فقال : لا بد من فتح شيء منه . ففوجئت الثأمة المفتوحة منه فأنفق عليها مالا كثيرا النار توقد وخل يُرش ومنجنيقات ترمى بها ، فوجد عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا . فلما آتوها إلى داخل الهرم وجدوا خلف الحائط عند النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب دنانير ، وزن كل دينار أوقية ^(٢) من أواقينا ، وكان عددها ألف دينار ، ففججوا من ذلك ولم يعرفوا ما معناه ، ثم أتى المأمون بالذهب والمطهرة فجعل يتعجب من الذهب وحسنه وجودته وحمرة ، فقال : ارفعوا لي حساب ما أنفقتموه على هذه الثأمة ففعلوا ، فوجده بإزاء المال الذي أصابوه لا يزيد ولا ينقص . فعجب المأمون من معرفتهم على طول المدد بأنهم سيفتحونه من ذلك الموضع بعينه ، ومعرفتهم بمقدار ما يُنفق عليه وتركهم مقداره

(١) في الأصلين : « فتتبع » والنصوب من خطط المقرئ .

(٢) في الأصلين : « في ستة أشهر » .

(٣) وكان ذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما في صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٤) بهامش نسخة ما نصه : « الأوقية هي سبعة مثاقيل زتها أربعون درهما فيما مضى . وأوقية

الأطباء عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وهو أسنار وثلاث أسنار ، وأوقية بزر الفزائنا عشر درهما » .

في موضعه، فقال : كان هؤلاء القوم من العلوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا .
وقيل : إن المطهرة التي وُجد فيها الذهب كانت من زَبَرَجَد ، فأمر المأمون بحملها
إلى خزانته ، وكانت أحد ما حمل من عجائب مصر .

ومن عجائب أخبارها أن المأمون لما فتح الهرم أقام الناس سنين يقصدونه
ويدخلون فيه ويتزلون الزلافة التي فيه ، فمنهم من يسلم ومنهم من يهلك .
وأن جماعة من الأحداث أهتموا ، وكانوا عشرين رجلاً ، على أن يدخلوا الهرم
ولا يبرحوا منه حتى يقفوا على منتهى أمره ، فأخذوا معهم من الطعام والشراب
ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا السكك والحبال والشمع والوقيد والفئوس والقفاف
ودخلوا الهرم ، ونزل أكثرهم في الزلافة الأولى والثانية ، ومضوا في أرض الهرم فرأوا
فيه خفافيش بقدر العُقبان تضرب وجوههم ، فأتتهن إلى لُصَب في حائط تخرج
منه ريح باردة لا تفتُر ، فذهبوا ليدخلوا فأنطفت سُرُجهم ، فجعلوها في زجاج وذهبوا
ليدخلوا فكاد اللَّصَب ينطبق عليهم فهأبوه فقال أحدهم : اربطوا وَاِطْطِ بِجِلِّ وَأَنَا
أُدْخِلُ ، فإذا كاد اللَّصَب ينطبق فجزوني إليكم ؛ وكان على باب اللَّصَب أُجْرنة فارغة
فعلبوا أن أجساد موتاهم داخل ذلك اللَّصَب ، فربطوه بالحبل ، فلما تقحم اللَّصَب
انطبق عليه فجزه أصحابه فلم يقدروا على نزعهِ وسمعوا عظامه تُسَكَّر ، وسمعوا صيحة
هائلة فسقطوا على وجوههم لا يعقلون . فلما أفاقوا طلبوا الخروج فأخرجهم
أصحابهم بشدة ، وسقط بعضهم في وقت صعودهم من الزلافة فزل ، وخرجوا من
الهرم فجلسوا في سَفْحِه متعجِّين ، فإنهم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم

١١٥
١٢

(١) اللَّصَب (بالكسر) : الثعب الصغير في الجبل .

(٢) أُجْرنة : الأجرة جمع جرن بالضم وهو حجر منقول للآ .

(٣) تقحم اللَّصَب : دخل فيه .

يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ كَاهِنِيّ فَسَرَهُ لَهُمْ بَعْضُ أَصْحَابِ الدِّيَارَاتِ بِالصَّعِيدِ : هَذَا جَزَاءٌ مِنْ يَطْلُبُ مَا لَيْسَ لَهُ ؛ ثُمَّ مَقَطَ مَيْتًا ، فَحَمَلُوهُ وَفَطِنَ بِهِمْ فَأَخَذُوا وَأَتَى بِهِمْ إِلَى الْوَالِي فَخَذَّوْهُ بِالْخَبَرِ .

وفي خبر آخر : أَنَّ قَوْمًا دَخَلُوا الْمَهْرَمَ وَأَتَهَوْا إِلَى أَسْفَلِهِ وَطَوَّفُوهُ فَعَرَضَ لَهُمْ
 ٥ مِثْلُ الطَّرِيقِ فَسَارُوا فِيهِ فَوَجَدُوا قُبَّةً تَحْتَهَا كَالْمَطْهَرَةِ يَقْطُرُ فِيهَا مَاءٌ فَيَنْشُ^(١) ثُمَّ يَغِيضُ^(٢)
 وَلَمْ يَدْرُوا مَا هُوَ ، وَوَجَدُوا مَوْضِعًا كَالْمَجْلِسِ الْمُرْتَعِ حَيْطَانُهُ كُلُّهَا بِحِجَارَةٍ مُلَوَّنَةٍ عَجِيبَةٍ ،
 فَقَلَعَ أَحَدُهُمْ مِنْهَا حِجْرًا وَجَعَلَهُ فِي كَمَّةٍ فَأَنْسَدَتْ أَدْنَاهُ مِنَ الرِّيحِ ، وَلَمْ تَزَلْ تُصِرُّ وَهِيَ
 مَعَهُ ، وَوَجَدُوا مَكَانًا كَالْفَوَارَةِ الْعَظِيمَةِ فِيهَا ذَهَبٌ مَضْرُوبٌ كَثِيرٌ يَكُونُ الدِّينَارُ مِنْهُ
 زَهَاءً مِائَةً مِثْقَالًا ، فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَمْشُوا وَلَمْ يَتَحَرَّكُوا حَتَّى تَرَكَوهُ مِنْ بَيْنِ
 ١٠ أَيْدِيهِمْ . وَوَجَدُوا فِي مَكَانٍ آخَرَ كَالصُّفَّةِ فِيهَا شَيْخٌ^(٣) مِنْ حَتَمٍ أَخْضَرَ كَأَنَّهُ مُشْتَمِلٌ بِشَمْلَةٍ ،
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمَائِيلٌ صِفَارٌ فِي صُورِ الصَّبِيَّانِ وَكَأَنَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، فَأَخَذُوا مِنْهُ شَيْئًا فَلَمْ يَقْدِرُوا
 أَنْ يَتَحَرَّكُوا فَرَدَّوْهُ ، وَمَشُوا أَيْضًا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَوَجَدُوا بَيْتًا مَسْدُودًا فِيهِ دَوَى
 هَائِلٌ وَزَمْزَمَةٌ فَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لَهُ ، وَمَضَوْا فَوَجَدُوا كَالْمَجْلِسِ الْمُرْتَعِ فِيهِ صُورَةٌ دِيكٍ
 مِنْ جَوَاهِرٍ مَعْمُولَةٍ ، قَائِمٌ عَلَى أُسْطُوَانَةِ خَضْرَاءَ ، وَلَهُ عَيْنَانِ يُسْرَجُ مِنْهُمَا الْمَجْلِسُ ،
 ١٥ فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهُ صَوْتٌ بِصَوْتٍ مُفْرِعٌ وَخَفَقَ يَجْنَاحِيهِ ، فَتَرَكَوهُ وَمَضَوْا حَتَّى بَلَّغُوا صَمَّا
 مِنْ حِجْرِ أَبِيضٍ فِي صُورَةِ أَمْرَةٍ مَنَكْسَةٍ عَلَى رَأْسِهَا وَمِنْ جَانِبَيْهَا أَسْدَانٌ مِنْ حِجَارَةٍ
 كَأَنَّهُمَا يَرِيدَانِ نَهْسَهَا^(٤) ، فَعَمَلُوا يَتَعَوِّذُونَ وَيَقْرَبُونَ إِلَى أَنْ جَاوَزَوْهَا . قَالَ : وَقِيلَ
 إِنَّهُمْ مَشَوْا حَتَّى لَاحَ لَهُمْ نُورٌ فَأَتَّبَعُوهُ فَإِذَا بِفُؤُوهَ مَفْتُوحَةٍ فَخَرَجُوا مِنْهَا فَإِذَا هُمْ

(١) يَنْشُ : يَأْخُذُ مَائِهِ فِي النُّضُوبِ . (٢) يَغِيضُ : يَقْصُرُ . (٣) تَصَوَّرَ : تَصَوَّرَتْ

صَوْنًا شَدِيدًا . (٤) الْحَتَمُ : جِرَارٌ خَضِرٌ تَضْرِبُ إِلَى الْحَرَّةِ .

(٥) نَهْسًا : يَقَالُ نَهْسَهُ الْكَلْبُ وَالذَّبُّ وَالسَّجُّ بِالْبَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَنَهْسَتُهُ الْحَيَّةُ بِالضَّادِ الْعِجْمَةِ .

في صحراء ، وإذا على باب تلك الفوهة تماثلان من حجر أسود معهما كالمزراقين فعجبوا من ذلك . ووجدوا أجرة منقورة وأسطوانات مخروطة ، فساروا منها بعداً فأتوها إلى ماء وجدوه في قَارِ حِذاء^(١) تلك الفوهة ، وأخذوا نحو المشرق فساروا يوماً حتى وصلوا إلى الأهرام من خارج فأخبروا والى مصر بنحبرهم ، فوجه معهم من يدخل من تلك الفوهة ، فطافوا فلم يجدوها وأشكل عليهم أمرها . ووجد الآخذ للحجر الحجر جوهرها نفيساً فباعه بمال .

قال : وحكى أن قوماً في زمن أحمد بن طولون^(٢) دخلوا الهرم فوجدوا في طاق في أحد بيوته أستاذانة زجاجاً ثخينة فأخذوها وخرجوا ، ففقدوا رجلاً منهم فدخلوا في طلبه ، إذ خرج عليهم الرجل عُرباًنا يضحك ويقول : لا تتبعوا في طلبي ، ورجع هارباً إلى أن دخل ، فعلموا أن الحق استهوته وشاع أمرهم ، فأخذوا الأستاذانة منهم ومنع الناس من الدخول إلى الهرم ، ووزنت الأستاذانة فكانت أربعة أرتال زجاجاً أبيض صافياً ، فأنته رجل من أهل المعرفة لها وقال : لم تعمل إلا لشيء ، وملاها ماء ووزنها فوجد وزنها وهي ملائ مثل وزنها فارغة لا تزيد ولا تنقص فكانت أعجوبة .

وحكى أن قوماً دخلوا الهرم ومعهم من يريدون يعثون به ، فلما هموا بذلك خرج عليهم غلام أسود أمرد في يده عصا فأخذ في ضربهم ، فخرجوا هارين وتركوا ما كان معهم من طعام وشراب وبعض ثيابهم . وحكى أن رجلاً دخل بامرأة ليفجر بها فصرعا جميعاً ولم يزالا مجنونين مشهورين حتى ماتا .

(١) قار : القار جمع قرة بالضم ، الودة المستديرة في الأرض غير كبيرة .

(٢) في عقد الجمان العيني : « طولون بضم الطاء اسم تركي معناه : البدر الكامل » .

قال : وفي بعض مصاحف القبط أن سُورِيد الملك لما أخبره كهنته بخبر النار المحرقة وأنها تخرج من برج الأسد فتحرق العالم، عَمِلَ في الأهرام مَسَارِبَ موجهة الى آراج ضيقة تجلب الرياح الى داخل بصوت هائل . وعَمِلَ فيها مَسَارِبَ يدخل منها ماء النيل الى مكان ينتهى الى موضع من أرض الغرب وأرض الصعيد، وملاً تلك الأسراب عجائب وطلسمات وأصناما تنطق .

قال : وحكى بعض القبط أن سُورِيد لما أخبره منجموه قال : انظروا بلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا فقالوا : يلحقه طوفان ويلحقه خراب يُقيم فيه عدة سنين وتغلب عليها التنانين . قال : كيف يكون خرابها ؟ قالوا : يقصدها ملك فيقتل أهلها ويغنم مالها ويهدم مصانعها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم تكون عمارتها من قبله . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم يقصدها قوم مشوهون من ناحية مصب النيل فيأتون على أكثرها . قال : ثم ماذا ؟ قالوا : ثم ينقطع نيلها ويجلو أهلها عنها ، فأمر أن يكتب جميع ذلك على الأهرام .

قال : وذكر رجل من أهل الغرب ممن يختلف الى الواح ويحمل الشمار^(١) على جبل له أنه بات في بعض الليالي قُرب الهرم فما زال يسمع الضوضاء والعطعطة فهاله ذلك وتباعد عنه بجملة ، وكان يرى حول الهرم شبه النيران تأتلق ، فلم يزل مرعوباً الى أن سرقته عيناه فنام وأصبح وهو في الموضع الذي جمع منه الشمار وشماره موضوع بحاله ، فتعجب من ذلك وشد شماره على جملة ورجع الى القسطاط وآلى على نفسه ألا يقرب من الهرم بعد ذلك .

(١) الشمار : هو الرازيانج تعريب رازيانه وهو الأيسون ، وأنواعه ثلاثة : بستاني وبرى وشامى .

وهو نبات يزده حريف مرة .

قال : والقبط يذكرون أن روحانية الهرم الغربى فى صورة امرأة عُرْبَانَة مكشوفة
الفرج حسناء لها ذؤابتان ، فإذا أرادت أن تستفز الإنسى صَحكت إليه فاخلسته
الى نفسها فيدنونها فتستهويه ويزول عقله . قال : وقد رأى جماعة هذه المرأة
تدور حول الهرم وقت القائلة وعند غروب الشمس . وروحانية الهرم الشرقى
غلام أَمْرَدُ أَصْفَرُ عُرْيَان له ذؤابة . قال : وقد رآوه أيضا يطوف حوله . وروحانية
الهرم الملقون فى صورة شيخ يرى عليه برطلة^(١) وفى يده نجمة من مجامر الكائنس وهو
يغير كذلك فى جميع الأفروثات .

وأما روحانيات البراني : فيبدأ إنجيم روحانيتهما غلام أسود عُرْيَان . وروحانية
رَبْأ قَفْط^(٢) فى صورة جارية سوداء تحمل صبيا أسود صغيرا . وروحانية رَبْأ^(٣)
دَنْدَرَة فى صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنَان . وروحانية رَبْأ بُوَصِير فى صورة شيخ^(٤)

(١) برطلة ، البرطلة (بضم الباء ، وفتح اللام وتشدد) : المظلة الصيفية ، نبطية وفقد استعملت
فى لفظ العرب .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ صفحة ٢٠ من هذا الجزء .

(٣) إنجيم : من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى لنيل . وكانت إنجيم فى عهد الفراعنة
قاعدة قسم « خمينو » وفى عهد الرومان قاعدة قسم « بانوس » وفى عهد العرب قاعدة كورة الإنجيمية ،
واستمرت كذلك الى آخر حكم دولتى المسالك . وفى العهد العثمانى ألغيت الإنجيمية وأضيفت بلادها الى ولاية
برجا وأضحت إنجيم إحدى بلاد مركز سوهاج . وفى سنة ١٩٠٣ م صدر قرار من الداخلية بفصل البلاد
الواقعة شرق النيل من مركز سوهاج وجعلها مركزا باسم إنجيم وهى قاعدة المركز من تلك السنة الى اليوم .
(راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) قفط : مدينة بالصعيد الأعلى ، اسمها القديم « قوبطى » ومنه اشتق اسم قبلى وأقباط للصيريين .
وهى وطن الوزير صاحب جمال الدين القفطى الملقب بالقاضى الأكرم وزير حلب المتوفى سنة ٥٦٤٦ هـ .

(٥) سيذكروها المؤلف فيما بعد أثناء كلامه على قفطريم بن قبطيم .

(٦) هى بوسير سمند ، وكانت قاعدة شهيرة قبل الاسلام .

أبيض عليه زى الرهبان ومعه مصحف يحمله . وروحانية يربا سمنود في صورة شيخ
آدم طوال أشيب صغير اللحية . وروحانية يربا عدى في صورة راج عليه كساء ومعه
عصا . وهذه البربا في أعمال المرتاحية من عمل أشمون طئاح بقرب تلانة عدى .
قال : ولكل من هذه الأهرام والبرابي قرايين وبحورات تظهر كنوزها وتؤلف
بين الناس والروحانيين الذين بها .

(١) سمنود : مدينة شهيرة بالوجه البحرى بمصر، واسمها الفرعونى تينوتير واليونانى سبنيطوس .
(٢) المرتاحية : هو اسم أحد الأقاليم المصرية بالوجه البحرى فى العهد العربى ، وكان يقال لها :
كورة المرتاحية ثم الأعمال المرتاحية . وكان إقليم المرتاحية واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مركزى
المصورة وأجا بمديرية الدقهلية ، وكان يجاوره من الجهة البحرية إقليم الدقهلية . وكان إقليم الدقهلية فى ذلك
الوقت واقعا فى المنطقة التى تشمل اليوم بلاد مراكر فارصكور ودكرنس والمنزلة بمديرية الدقهلية . وفى زمن
حكم دولى المماليك جسرل هذان الإقليمان إقليما واحدا باسم إقليم الدقهلية والمرتاحية . وفى عهد الحكم
العثمانى اختصر باسم الدقهلية ولم يزل يطلق لغاية اليوم على مديرية الدقهلية التى فاعلتها مدينة المنصورة .
(راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٣ ص ٣١٢ من الجزء الخامس طبع دار الكتب المصرية) .

(٣) أشمون طئاح ، ويقال لها « أشمون طئاح » : وهى من المدن المصرية القديمة واقعة على الشاطئ
الشرق للبحر الصغير الذى كان يسمى بحر أشمون نسبة إلى هذه المدينة ، وكان اسمها المصرى شون أرمان ، والرومى
بانيغوسوس ، وسماها العرب أشمون طئاح نسبة إلى كورة طئاح التى كانت تقع أشمون فى دائرتها ، وتعرف
اليوم باسم أشمون الرمان ، وهو اسمها القديم محرفا .

ولما تكلم عليها ابن دقاق فى كتاب الانتصار قال : « وتعرف بأشمون طئاح وأشموس الرمان ، وهى
قبة كورة الدقهلية ومدينة ذات حمامات وأسواق وجوامع وفنادق » وقد استمرت قاعدة لإقليم الدقهلية
والمرتاحية إلى آخر عهد المماليك . وفى أوائل الحكم العثمانى نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة ومن ذلك
الوقت اضطلعت أشمون الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدينة والعمران ، وأصبحت اليوم قرية عادية
من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية . (راجع النجوم الزاهرة الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٨ من الجزء
السادس طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) تلانة عدى : بلد بمركز المنصورة بمديرية الدقهلية . وقد ورد فى المشترك والحقبة السنية لابن
الجبينان : أنها من أعمال الدقهلية والمرتاحية . وفى مساحة سنة ١٢٢٨ هـ وردت مختصرة باسمها الحالى .

ولنرجع الى أخبار الملوك قال : وأقام سُورِيد في الملك مائة سنة وسبع سنين ، وقد كان منجموه عرّفوه الوقت الذي يموت فيه واليوم والساعة ، فأوصى الى ابنه هِرَجِيْب وعرفه ما يعمل ، وأمره أن يُدخل جسده الهرم ، وأن يجعله في الجُرْن الذي أعدّه لنفسه ويفشّيه بكافور ، ويحمل معه ما أعدّه من فاخر الثياب والسلاح والآلات ، فأمتل جميع ما أمره به .

(١)

ولما مات ملك بعده هِرَجِيْب بن سُورِيد فسار بسرة أبيه في العدل والعمارة والرأفة بالناس ، فأحبّوه . وبني الهرم الأول من أهرام دَهْشور وحمل اليه من المسال والجوهر . وكان غرضه جمع المسال وعمل الكيمياء واستخراج المعادن ودفن ماتنها له من الكنوز في كل سنة . وكانت له ابنة أفسدت مع بعض خدمه فتفاهها الى ناحية الغرب ، وأمر أن تُبنى لها مدينة هناك ويقام عليها علم ويُزبر عليها أسمها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته . قال : وشج رجل رجلا فأمر بقطع أصابعه ، ووجد سارقا من العامة فلّمك رقّه الذي سرق منه ، وعمل منارات ومصانع وطلّسمات ، وملكهم نيّفا وسبعين سنة .

١٥ وملك عليهم بعده ابنه منقاوش بن هِرَجِيْب وكان جبارا أنيا فأذى الناس وسفك الدماء وأغضب النساء واستخرج كنوز آبائه ، وبني قصورا بالذهب والفضة [وأجرى] فيها الأتهار ، وجعل حصباءها من صنوف الجواهر ، وتخزق في الهبات (٢) وأغفل العمارات فأبغضه الناس ، وأباح أصحابه غصب نساء العامة . وأطاف به أهل الشر من كل ناحية ، وكان يفتريع النساء قبل أزواجهن ، وأمتنع عليه قوم

(١) في خطط المقرئى : « هوجيت » .

(٢) الكلمة من خطط المقرئى . (٣) تخزق في الهبات : توسع فيها .

(١١) في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار، وسلط رجلا من الجبارين اسمه قرناس من ولد وراديس بن آدم على الناس ووجهه لمحاربة الأمم الغربية فقتل منهم أمما . وكان أشجع أهل زمانه ثم هلك، فأغتم عليه الملك وأمر أن يدفن مع الملوك في الهرم . ويقال : بل عمل له ناووسا وأقام عنده أعلاما وزبر عليها اسمه وما عمله في وقته . وملك منقاوش ثلاثا وسبعين سنة ومات ، بفعل في الهرم مع أجداده في حوض مرمر مصفح بالذهب والجوهر ، وحمل معه كثير من ذخائره وأمواله وسلاحه وعجائبه .

(١٢) وملك بعد أبه أقروش بن منقاوش ، وكان عاقلا يخالف آثار أبيه وعدل في الناس ورد النساء الآلات غضبه منقاوش إلى أهله . وعمل في وقته فؤارة قطرها مائة ذراع وطولها خمسون ذراعا ، وركب في جميع جوانبها أطيارا تصفر بأصناف اللغات المطربة لا تفتر . وعمل في وسط المدينة منارتين من صفر عليهما صورة رأس إنسان من صفر كلما مضت ساعة من النهار صاح ذلك الرأس صياحا عاليا ، وكذلك الليل ، فيعلم به دخول الساعات ، وجعل فيه علامة لكل ساعة يمضي تعرف بها عديتها . وعمل منارا آخر وجعل على رأسه قبة صفر مذهب ولطخها بلطوخات ، فإذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة ناراً يضيء بها أكثر المدينة لا تطفئها الأمطار ولا الرياح ، فإذا كان النهار قل ضوءها بضوء الشمس . ويقال : إنه أهدى الدرسميل [بن محويل] (١٤) الملك ببايل مائدة من الزبرجد قطرها خمسة أشبار ، وكان استهدها ذلك ليجعلها في بيت القربان . ويقال إنها وجدت بعد الطوفان . ويقال أيضا : إنه عمل على الجبل

(١) في خطط المقرئ « قرماس » بالميم . (٢) في خطط المقرئ : « أفراوس

ابن مناوس » . (٣) في خطط المقرئ : « نورا » . (٤) التكلة من خطط المقرئ .

(٥) في خطط المقرئ : « مدهتا » .

الشرق^(١) صنما عظيما قائما على قاعدة [وهو] مصبوغ بلطوخ أصفر مصور بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب، ثم يدور ليلا الى الناحية الجنوبية حتى يحاذي الشمس مع الصبح^(٢)، فلم يزل الى أن سقط في أيام فرغان^(٣) الملك قهشم . وكان نصبه تعظيما للشمس . ويقال : إن أقروش كان يطلب الولد فنكح ثلاثا امرأة يتبنى الولد منهم فلم يكن ذلك . وقيل : إن في عصره عَقَمَت الأرحام لما أراد الله عز وجل من هلاك العالم بالطوفان، وعَقَمَت أرحام البهائم ووقع الموت فيها . وقيل : إن الأسد كثرت في وقته حتى كانت تتخلل البيوت، فأحتالوا لها بالطلسمات المانعة والحيل المضرة لها، فكانت تغيب وقتا وتعود، فرفعوا ذلك الى الملك فقال : هذه علامة مكروهة ، وأمر أن تُعمل أخاديد وتُملأ ناراَ وأَجْتَرُوا إليها الأسد بالدُخْن التي تجلب رُوحانيتها وألقوها على تلك النيران، فأجلبتها تلك الدخن فهاقت في تلك النيران فأحترقت . وبجى في وقته مدائن في ناحية الغرب تَلَفَت بالطوفان مع أكثر مدنها .

قال : وارتفعت الأمطار عنهم وقل الماء في النيل فأجدبوا ، وهلك الزرع بالنار والريح الحارة وغيرها ، فأضر ذلك بهم ، فأحتالوا لدفع النار بطلسماتهم فكانت تذهب وتعود . وقيل : إن الذي فعل بهم ذلك ساحر من شعرتهم كان منقاوش غصبه أمر أنه فكان يعمل الحيلة قليلا قليلا في إفساد طلسماتهم ؛ لأن لكل طلسم شيء تبطل به روحانيته . وبهذه العلة دخل بختنصر الفارسي مصر وقد كانت ممنوعة من جميع الملوك . فلما أفسد ذلك الساحر الطلسمات ، سَطَط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسمات التماسيح فهاجت عليهم ومنعتهم الماء وعذبهم عذابا كبيرا الى أن

(١) الكلمة من خطط المقرئ . (٢) في خطط المقرئ : « حتى يحاذي المشرق مع الفجر » .

(٣) في خطط المقرئ : « فرغان » بالعين المهملة .

فطنوا به من قِبَل تلاميذه؛ وذلك أن أحدهم لأمه على فعله فانتهره وتنفخ في وجهه
 فأظلم عليه بصره، فجاء الى وزير الملك وعرفه القصة فأنهاها الى الملك، فأمر الملك
 بإدخاله عليه فأدخل، فسأله عن الخبر فعزفه بفعل الساحر، فأنفذ اليه جيشا ليأتوه به،
 فلما نظر الساحر الى القوم وقد أقبلوا دخن دُخنة أغشت أبصارهم وأرفعت منها
 نجاجة نار أحرقت وحالت بينه وبينهم، فهالهم ذلك، فرجعوا الى الملك وعرفوه
 ماجرى فأمر بجمع السحرة، وكان من رسم السحرة أن يعاهدوا ملوكهم على أن
 يكونوا معهم ولا يخالفونهم ولا يتألم منهم مكروه ولا يغيثونهم الغوائل، فمن فعل ذلك
 سلب علمه، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته وولده، وكانوا مع الملوك
 على هذه الحال يؤفون بعهودهم. فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم خبر الساحر،
 وكان يقال له: أختاليس. وبما عمله وقال: مُحضرونه إلى وإلا أهلككم؛ فسألوه
 النظرة^(١) فأنظرهم، فأخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا هارين، فلما خرجوا عنه
 تكلموا بينهم وقالوا: إنكم لتعرفون كثرة علم أختاليس وشدة سحره، وما نرى لنا به
 طاقة، ومنقاوش الملك الذي نقض عهده وتعدى عليه وأخذ أمراته غصبا، فأحتالوا
 لخلاصكم منه؛ فأجمعوا أنهم يصدقون الملك عن أنفسهم، ويستأذنون في الذهاب
 اليه ومداراته حتى يأتوه به بعد أن يأخذوا له أمانا منه ويحدد العهد بينه وبينه.
 فمضوا الى الملك وصدقوه عن أنفسهم، فأجابهم الى ما سألوه من ذلك، ثم مضوا
 الى أختاليس فلفطوا به ووعدوه الى أن أجابهم الى ما أرادوا، فكتبوا الى الملك
 بذلك، فكتب للساحر أمانا وعهدا، فرجع وردت اليه أسرته، فأكرمها وردّها الى
 دار الملك، وعرفهم أنه لا يرى في ذمته أن يلبس امرأة لابسها الملك على حال من
 الأحوال لما كانوا يراعونه من حقوق الملك، فسّر الناس بذلك وعجبوا من عقله

(١) النظرة: التأخير والإمهال في الأمر.

وحكمته ، وصَلَح أمر الناس ، وعمل أختاليس طَلِّمات ومجانِب كثيرة . قال :
ومَلَكهم أفرُوش أربعا وستين سنة ، وهلك وليس له ولد ولا أخ ، فدُفِن في الهرم
وجُعِلت معه أمواله وذخائره وجواهره والصنائع التي عَمِلت في وقته ، وأجتمَعَ
الناس على تَمْلِك رجل من أهل بيت الملك .

- ٥ فلَمَكوا عليهم أرمالينوس ، فلَمَّا ملك أمر بجمع الناس وقال : أرى الأمم الغريبة
قد تَطَرَّقت إليكم في نواحيكم ، ويُوشِك أن تسير إليكم ، وأنا مانع لبلادكم ودمائكم منهم
بغزوهم والخروج إليهم وتحريكهم إليهم ، وأحتاج إلى معونة من حكامكم بالأعمال
الهائلة والتخايل العجيبة ، فشكروه ودَعَوْا له بالتوفيق . وقالت الحكماء : نحن نخرج
مع الملك إذا خرج ونبلغ له مجابهة أو يقيم ونحن نخرج مع الجيش مكانه ونسُدُّ
أفئسنا دُونه . فامتنع من ذلك وخرج في جيش عظيم وحارب تلك الأمم ونكأ فيها
١٠ أعظم نكابة ، ورجع غانما وخَلَف في وجوههم جيشا ، فأجتمعت تلك الأمم فهزمت
جيشه ورجع أصحابه مغلوبين فعظُم ذلك عليه . وكانت أصابته علة من تَغْيِير الهواء
فأنفذ ابن عم له يقال له فِرْعَان بن مِسُور ، وكان أحد الجبابرة الذين لا يطاقون ،
وهو أوَّل فرعون تسمَّى بهذا الاسم ومن سُمِّي بعده سُمِّي تشبيها به ؛ فأنفذه الملك
١٥ أرمالينوس في جيش عظيم فأجلى تلك الأمم ونفاها إلى أطراف البحر ، وعاد معه
خلق كثير من الأسرى والرؤوس ، فأمر الملك بنصب تلك الرؤوس حول مدينته وقتل
جميع الأسرى . وكان منهم كاهن فأمر الملك أن يُوسَّر بِنَشَار ، وهو أوَّل من فعل

(١) نكأ : قتل فيهم وجرح وأتخذ .

(٢) وكذا ورد في صيغ الأعراس (ج ٣ ص ٤١٢) أنه أوَّل من لقب بلقب الفراعنة .

(٣) يوسر ، يقال : وشرا الخشب بالنشأ إذا نشرها .

ذلك، فأعلم الملكُ فرعانَ وألبسه خلعاً منظومةً بالجوهر، وأمر بأن يطاف به ويذكر فضله، وأمر له ببعض قصوره .

وأتفق أن امرأة من نساء الملك عشقته ورأسلته فأمتنع فرعان من ذلك وفاءً للملك، ولأن التحظى الى نساء الملوك كان من الأمور العظيمة عندهم . فلما طال ذلك عليها أحضرت ساحرة ولاطفها وذكرت لها حالها ووجدتها بفرعان، فضيمنت لها بلوغ مآربها منه وسحرته لها، فأحتاج اليها وندم على ردّها وجعل يدس اليها الى أن اجتمعت معه، وتمكّن حبّ كلّ واحد منهما من صاحبه، الى أن ذاكرته أمر الملك وأنها لا تأمن أن يتصل به خبرهما وقالت : أنا أعمل الحيلة في قتله وتكون أنت الملك وأكون لك وتأمن على أنفسنا . فمن شدة ما عنده من حبّها حسن لها ذلك، فسمت الملك في شرايه فأت لوقته وحمل الى الهرم .

وملك بعده فرعان بن مسور وجلس على سرير الملك فلم يئازه أحد، وفرح الناس بمكانته لشجاعته . وهو الذي كان الطوفان في وقته . قال : ولما ملك علا في الأرض وتجبر وأغضب الناس أموالهم وأنفسهم ونساءهم، وعمل ما لم يعمل ملك قبله، وأسرف في القتل وهابته الملوك وأقزوا له . وهو الذي كتب الى الدرمسيل ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام . وذلك أن الدرمسيل بن محويل كتب الى الأقاليم يسألهم : هل يعرفون آلهة غير الأصنام ؟ ويذكر قصة نوح وأنه يريد تغيير ذلك، وأن له إلهًا غيرها، فكلُّ أنكر ذلك . ولما أخذ نوح في بناء السفينة كتب فرعان الى الدرمسيل يشير عليه بإحراقها، وكان عند أهل مصر خبر الطوفان ولكنهم لم يُقَدِّروا كثرتهم وطول مقامه على الأرض، فاتخذوا السرايب تحت الأرض

وصفّحوها بالزجاج وحبسوا فيها الرياح بتدبيرهم ، وأتخذ فرعان منها عدّة له ولأهل بيته . وكان فرعان قد أقصى الكهّان وابعدهم ، وكانوا مع الملوك على خلاف ذلك . ولنصل هذا الخبر بنجر الكهّان وما كانوا عليه .

ذكر خبر كهّان مصر وحالهم مع الملوك

- قال : وكهّان مصر أعظم الكهّان علما ، وأجلّهم في الكهانة حديثا . وكان حكماء اليونان يصفونهم بذلك ، ويشهدون لهم به ويقولون : أخبرنا حكماء مصر بذلك فأستفدناه منهم . وكانوا يتخون في كهاتهم نحو الكواكب ، ويزعمون أنها هي التي تُفيض عليهم العلوم وتُخبرهم بالغيوب ، وهي التي علّمتهم أسرار الطبائع ، ودلّتهم على العلوم المكنونة ؛ فعملوا الطلّسمات المشهورة ، والنواميس الجلييلة ، وولّدوا الولادات الناطقة ، والصوّر المتحرّكة ؛ وبنّوا العالّى من البنيان ، وزبّروا علومهم في الصلب من الصوّان ، وأنفردوا بعمل البرابي ، ومنعوا بها الأعداء من بلدهم . وعجائبهم ظاهرة . وكان الذي يتعبّد منهم الكواكب السبعة المدبّرة ، لكلّ كوكب سبع سنين ، فإذا بلغ هذه الرتبة ^(١) سُمّي قاطرا ، وكان يجلس مع الملك في المرتبة ويصدّر الملك عن رأيه ، وإذا رآه قام له .

- وكان من رّسهم في كل يوم أن يدخل القاطر إلى الملك فيجلس إلى جانبه ؛ ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات فيقفوا حذاء القاطر ، وكلّ واحد من الكهنة مغرّد بكوكب يخدمه لا يتعبّده إلى سواه ، ويُسمّى عبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تُسمّى عبد شمس ، فيقول القاطر للكاهن : أين صاحبك؟ فيقول :

(١) القاطر : معناه جامع العلوم ، وهو الذي يعبّد الكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين ، كما ذكره

المؤلف أيضا فيما سبق (ص ٢٣) من هذا الجزء .

في البُرج الفلاني في الدرجة الفلانية في دقيقة كذا ، ويسأل الآخر حتى إذا عرف مستقر الكواكب قال لللك : ينبغي لك أن تعمل اليوم كذا ، وتضع ببيان كذا ، وتوجه جيشا إلى ناحية كذا ، وتُجمع في وقت كذا ، وتأكل في وقت كذا ، وجميع ما يراه صلاحا له في أموره كلها ؛ والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله القاطر ، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول : انقش أنت صورة كذا على حجر كذا ، وأغرس أنت كذا ، وأصنع أنت كذا ، حتى يمر على أهل الصناعات ؛ فيخرجون إلى دار الحكمة ويضعون أيديهم في تلك الأعمال ، ويستعمل الملك جميع ما أمره القاطر . ويُشرح ذلك اليوم في الصحيفة وتطوى وتودع في خزانة الملك ، فعلى ذلك كانت تجري أمورهم .

وكان الملك إذا نابه أمر جمعهم وأصطف الناس لهم في شارع المدينة ، ثم يدخلون رُكباناً يقدم بعضهم بعضا ، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة : فمنهم من يعلو وجهه نور كنور الشمس فلا يقدر أحد على النظر إليه ، ومنهم من يكون عليه بدنة^(١) جوهر أخضر أو أحمر أو من ذهب منسوج . ومنهم من يدخل راجبا أسدا متوشحا بحيات عظام . ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو من جوهر في صنوف من العجائب كثيرة . ويصنع كل واحد منهم ما يدره عليه كوكبه الذي يعبد ، فإذا دخلوا على الملك قالوا : أرادنا الملك لأمر كذا وقد علمنا ، أو أضمر الملك كذا والصواب فيه كذا . فكانوا مع ملوكهم على هذه الحال حتى ملك فرعان فأبعدهم . وكان فليمون^(٢) رئيس الكهان ، فرأى فيما يرى النائم كأن مدينة أمسوس قد أنقلبت بأهلها ، وكانت الأصنام

(١) بدنة : البدنة البقيرة ، وهي فيص لا كمين له ، تلبس النساء .

(٢) في خطط المقرئى : « فليون » .

تهوى على رهوسها ، وكان ناسا يزلون من السماء معهم مقامع فيضربون الناس بها ، وكأنه قد تعلق بأحدهم وقال له : ما لكم تفعلون بالخلق هذا ! أما ترجمونهم ؟ فقال : لأنهم كفروا بإلههم . قال : أفما لهم من خلاص ؟ قالوا : نعم ، من أراد الخلاص فليلق بـ صاحب السفينة ، فأنبته وهو يخاطبه ، فبقى مرعوبا مما رآه . وكان له امرأة وولدان ذكر وأنثى ومعه تلاميذه ، فأجمع على أن يلقى نوح عليه السلام ، ثم نام . أيضا فرأى كأنه فى روضة خضراء ، وكان فيها طيورا بيضاء تفوح منها رائحة طيبة ، وكأنه تعجب من حسنها إذ تكلم بعض الطيور فقال لأصحابه : سيروا بنا ننج المؤمنين . قال له فليؤمن : ومن هؤلاء المؤمنون ؟ قال : أصحاب السفينة . فأنبته مرعوبا وأخبر أهله وتلاميذه بذلك ثم نام .

١٠ فلما كان الغد أتى الملك فقال : إن رأى الملك أن يُنفذنى إلى درمسيل لأعرف حال هذا الرجل الذى عمل السفينة فأشاهده وأناظره على ما جاء به من هذا الدين الذى أظهره وأتيت حقيقة أمره فليفعل ؛ فإنى أرجو أن يكون ذلك سببا لهلاكه ودفعه عما يدعيه ، فأعجب الملك ذلك منه وأذن له فى الخروج ، فسار بأهله وولده وتلاميذه حتى انتهوا إلى أرض بابل وقصد نوحا وسأله أن يشرح له دينه ففعل ذلك ، فأمن به وجميع من معه ، فقال نوح عليه السلام : من أراد الله عز وجل ١٥ به الخير لم يصدقه أحد عنه . فلم يزل فليمون مع نوح عليه السلام يخدمه هو وولده وتلاميذه إلى أن ركبو السفينة .

١٢٠
١٢

وأما فرعان الملك فإنه أقام منهما فى ضلاله وظلمه ، مقبلا على لهوه ، واستخف بالكهنة والهيكل ، وضاعت الدنيا بأهلها ، وكثر الهرج والظلم ، وفسدت الزروع ،

٢٠ (١) مقامع : المقامع جمع المقمعة ، وهى خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه لئلا يهين .

وأجذبت النواحي ، وظلم الناس بعضهم بعضاً ، ولم يكن أحد ينكر ذلك عليهم ،
وسُدت الهياكل والبرابي ، وطُيئت أبوابها ، وجاءهم الطوفان وأقبل المطر عليهم ،
وكان فرعان سكران فلم يَقم إلا بخرير الماء ، فوثب مُبادراً يريد ^(١) [الحرب إلى] الهرم
فتخلخت الأرض به ، وطلب الأبواب ثغراته رجلاه وسقط على وجهه وجعل
يُحور كما يُحور الثور ، إلى أن أهلكه الله تعالى بالطوفان ، ومن دخل الأسراب منهم
هلك بنعمها ، ولحق الماء من الأرض والأهرام إلى آخر التربع ، وهو ظاهر عليها
إلى الآن ، وأنقرضت ملوك الدنيا أجمع بالطوفان ولم يسلم إلا أصحاب السفينة كما
تقدم . فعدة من سُمي لنا من ملوك مصر قبل الطوفان على هذا السَّياق تسعة عشر
ملكاً ، ثم ملكها بعد الطوفان من نذكره .

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك

قال إبراهيم بن القاسم الكاتب : قال إبراهيم بن وصيف شاه : أجمع أهل الأثر أن
أول من ملك مصر بعد الطوفان مضر بن مضر بن حام بن نوح عليه السلام ،
وذلك بدعوة سبقت له من جده . وكان السبب في ذلك أن فليمون الكاهن سأل نوحاً
عليه السلام أن يخلطه بأهله وولده وقال : يا نبي الله ، إني قصدتك رغبة في الإيمان بالله
سبحانه وتعالى وتصديقك يا نبي الله ، وتركت وطني وبلدي فأجعل لي رفعةً وقدرًا
أذكر بهما من بعدي ، فزوج نوح عليه السلام مضر بن حام بنت فليمون الكاهن
فولدت له ولداً سماه فليمون مضر بن حام بلسان بلده ، فلما أراد نوح قسمة الأرض بين
بنيه قال له فليمون : ابعث معي يا نبي الله ابني حتى أمضي به إلى بلدي وأظهره
على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه ، فأنفذته معه في جماعة من أهل بيته ، وكان

(١) الكلمة من خطط المقرئ (ج ٣ ص ٢٥ طبع فيت) .

(٢) في خطط المقرئ (ج ١ ص ٧٣ طبع فيت) : «مصرام» .

غلاما مراهقا ، فلما قُرب من مصر بنى له عَرِيشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض ، ثم بنى له بعد ذلك في الموضع مدينة وسمّاها دَرَسَان ، ^(١) أى باب الجنة ، فزرعوا وغرسوا الأشجار والأجّنة من درسان الى البحر . [فصارت هناك لزروع وأجّنة وعمارة وكان الذين مع مِصرِم جابرة ، فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا في أرغد عَيش .

ونكح مِصرِم امرأة من بنات الكَهنة فولدت له ولدا سَمّاه قِبطِمْ ، ونكح قِبطِمْ بعد سبعين سنة من عمره امرأة ولدت له أربعة نفر ، وهم : قُفْطَرِمْ ، وأَشْمُون ، وأَتْرِب ، وصا ، وكثروا وعمروا الأرض وبُورِك لهم فيها . وقيل : كان عدد من وصل مع مِصرِم ثلاثين نفرا فبنوا مدينة سَمّوها مائَة . ومعنى مائة ثلاثون بلغتهم ، وهى مَنف ، وكشف أصحاب فليمون عن كنوز مصر وعلموهم خُط البرابى ، وأناروا لهم المعادن من الذهب والزبرجد والقيروزج والأسباد شم وغير ذلك ، ووصفوا لهم عمل الصنعة ، فجعل الملك أمرها الى رجل من أهل بيته يقال له مقيطام ، فكان يعمل الكيمياء فى الجبل الشرقى فسمّى به المَقْطَم ، وعلموهم أيضا عمل الطلّسات . وكانت تخرُج من البحر دواب تفسد زرعهم وأجّتهم وبنانهم فعملوا لها الطلّسات فغابت ولم تعد . وبنوا على عَبر البحر مَدُنًا منها : رَقُودة مكان الإسكندرية ، وجعلوا فى وسطها قبة على أساطين من نُحاس مُذهب والقبة مُذهبة ، ونصبوا فوقها امرأة من أخلاط شتى قُطرها خمسة أشبار ، وكان ارتفاع القبة مائة ذراع ، فكانوا اذا قصدهم قاصد من الأمم التى حولهم ، فإن كان مما يهتهم أو من البحر عملوا لتلك المرأة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشئ فأحرقتة ، فلم تزل على حالها الى أن غلب عليها

(١) درسان : هى مدينة العريش . (٢) التكلة من خطط المقرئى (ج ١ ص ٧٣ طبعة فييت) .

(٣) فى مروج الذهب للسودى (ج ١ ص ١٨٠ طبع بلاق) : « الاسباد جشم » وذكر أنه نوع من الجواهر تتخذ منه النصول وغيرها .

البحر فنسفها . وقيل : إن الإسكندر إنما عمل المنارة تنبأها بها . وقد ذكرنا خبر
المنارة فيما تقدم من كتابنا هذا^(١) .

وقال : لما حضرت مصرم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم بن مصرم ، فقسم
قبطيم مصرين بنه الأربعة : فجعل لأبنيه قُفَطْرِيم من فِطْط الى أسوان الى النوبة ،
ولأشْمُون من أشْمُون الى مَنَف ، ولأثْرِب الحَوْف كُلَّهُ الى الشجرتين الى أيلة الى
الحجاز ، وَلِصَا من ناحية صَا البحيرة الى قُرب بَرْقَة ، وقال لأخيه فارق : لك من برقة
الى المغرب ، فهو صاحب إفريقية . وولده الأفارق . وأمر كل واحد من بنه أن
يبنى لنفسه مدينة في موضعه . وأمر مصرم عند موته أن يحفروا له في الأرض
سَرَبَا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ، ويدفونوا معه جميع ما في خزانته
من الذهب والجوهر ، ويذبروا عليه أسماء الله تعالى المسانعة من أخذه . حفروا له
سربا طوله مائة وخمسون ذراعا ، وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفائح الذهب ،
وجعلوا له أربعة أبواب ، على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع
بالجوهر ، جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ، وزبروا في صدر كل تمثال
آيات عظاما مانعة ، وجعلوا جسده في جُرن من المرمر مُصَفَّح بالذهب وزبروا على
مجلسه : مات مصرم بن بيسر بن حام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان ،
ومات ولم يعبد الأصنام ، إذ لا هَرَم ولا سَقَام ، ولا حُزْن ولا أَهْتَام ، وحصنه
باسماء الله العظام ، لا يصل اليه إلا ملك ولدته سبعة ملوك يدين بدين الملك الديان ،
ويؤمن بالبعث والفرقان ، الداعي الى الإيمان في آخر الزمان . وجعلوا معه في ذلك
المجلس ألف قطعة من الزبرجد المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، وألف

١٢١
١٢

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

بَرْنِيَّة [مملوءة ^(١)] من الدرّ الفاخر والصّنعَة الإلهية ، والعقاير البرّية ، والطلّسمات العجيبة ، وسبائك الذهب مكدّسة بعضها على بعض ، وسقّفوا ذلك بالصخور العظام وهالوا فوقها الرمال [بين جبلين ^(١)] .

وَأَسْتَقْلَ قِبْطِيمَ بِالْمَلِكِ بَعْدَ أَبِيهِ .

- ويقال : إن قِط مصر منسوبون اليه . وهو أوّل مَنْ عَمِلَ العجايب وأثار المعادن ، وشقّ الأنهار . ويقال : إنه لحق البلبلة ^(٢) وخرج منهم بهذه اللغة القِبطية ، وعَمِلَ ما لم يعملهُ أبوه من نَصَب الأعلام والمنارات والعجايب والطلّسمات . ومَلَكَهُمْ قِبْطِيمَ [أربعمائة و ^(٣)] ثمانين سنة ومات ؛ فَأَغْتَمَ عليه بنوه وأهله ودُفِنَ في الشرق في سَرَب تحت الجبل الكبير الداخل ، وصَفَّحوه بالمرمر الملوّن وجعلت فيه منافذ للرياح ؛ فهي تُخْزَق فيه بدوى عظيم هائل ، وجُعِلَ فيه من الكبريت الأحمر وأكْرَم من نحاس مطلّية بأدوية مُشْعَلَة لَانْطِفَاء ، ولَطَّخُوا جسده بالتر والكافور والمومياء ، وجعلوه في جُرْن من ذهب في ثياب منسوجة بالمَرْجَان والدرّ ، وكشفوا عن وجهه وجعلوه تحت قبة ملوّنة ، في وَسَطِهَا دَرَّة معلقة تُضِيء كالسراج ، والقبة على أعمدة بين كلّ عمودين تمثالٌ في يده أعجوبة ، وجعلوا حول الجُرْن توابيت مملوءة جوهرا وذهبا وتمائيل وصنعة وغير ذلك ، وحول ذلك مصاحف القِبط والحكمة ، وسدّوا عليه بالصخور والرصاص وزبّروا عليه كما زبّروا على ناووس أبيه .

- وملك بعده ابنه قُطْطَرِيم بن قُطْطِيم ؛ وكان أكبر ولد أبيه ؛ وكان جبارا عظيم الخلق ، وهو الذي وضع أساسات الأهرام الدّهْشورية وغيرها ليعمل منها كما عمل الأولون ، وهو الذي بنى دَنْدَرَة ومدينة الأصنام . ودَنْدَرَة : بلد من بلاد إقْلِيم قوص ، وهي في البرّ الغربي مشهورة هناك . قال : وأثار من المعادن ما لم يُثَر غيره ،

(١) التكلة من يخطط المقرّبي (ج ١ ص ٧٥ طبع فيت) . (٢) البلبلة : اختلاط الألسن .

(٣) التكلة من يخطط المقرّبي (ج ٣ ص ٣٣ طبع فيت) .

وكان يميز من الذهب مثل حجر الرحي، ومن الزبرجد كالأسطوانة، ومن الأسباد شم
 في صحراء الغرب كالقلة. وعمل من العجائب شيئا كثيرا. وبنى منارا عاليا على جبل فقط.
 يرى من البحر الشرقي، ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه بركة كبيرة، فيقال إنها
 هناك الى الآن؛ وأما المنار فسقط. وعمل عجائب كثيرة. ويقال : إنه بنى المدائن
 الداخلية وعمل فيها عجائب كثيرة، منها : الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينحل
 ولا يذوب، والبركة التي تسمى فلسطين، أي صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط
 فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ. وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر
 إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرة من تلك المدينة صفرا عاليا فترجع
 تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس
 لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى
 يأتيه أهل المدينة وينفخون في وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما عند
 الأصنام حتى يهلك. وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى
 رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفي يده كالقوس كأنه يرمي عنها، فإن
 عاينه غريب وقف في موضعه لم يبرح حتى يُنجيه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم
 يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه.

قال وقيل : إن هذا الصنم على حاله إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك
 المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم
 أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف. قال : وكان بعض الملوك
 عمل على قلعه فإمكانه، وهلك لذلك خلق كثير. ويقال : إنه عمل في بعض
 المدن الداخلة مرآة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهي غريبة
 البلد. قال : وعمل خلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة

وَوَكَّلَ بِهَا الرُّوحَانِيَّينَ الَّذِينَ يَمْنَعُونَ مِنْهَا ، فَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهَا وَلَا يَدْخُلَهَا أَوْ يَعْمَلَ قَرَائِينَ أَوْ لَيْلِكَ الرُّوحَانِيَّينَ فَيَصِلُ إِلَيْهَا حَيْثُذُ وَيَأْخُذُ مِنْ كُنُوزِهَا مَا أَحَبَّ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ وَلَا ضَرَرٍ . قَالَ : وَأَقَامَ قَقْطَرِيمَ مَلِكًا أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَأَكْثَرَ الْعَجَائِبَ عُمِلَتْ فِي وَقْتِهِ وَوَقْتُ أَبْنَةِ الْيُودُسِيرِ .^(١) وَكَانَ الصَّيِّدُ أَكْثَرَ عَجَائِبَ مِنْ أَسْفَلِ الْأَرْضِ . قَالَ : وَفِي آخِرِ أَيَّامِ قَقْطَرِيمَ هَلَكْتَ عَادَ بِالرَّيْحِ الْعَقِيمِ .

- وَلَمَّا حَضَرَتْ قَقْطَرِيمَ الْوَفَاةَ عُمِلَ لَهُ تَأْوُوسٌ مِنَ الْجِبَلِ الْقَرْبِيِّ قَرِبَ مَدِينَةِ الْكَهْنَةِ ، كَانَ عَمَلُهُ لِنَفْسِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ فِي سَرَبٍ فِي الْجِبَلِ كَهَيْئَةِ الدَّارِ الْوَاسِعَةِ وَجَعَلَ دُورَهَا خَزَائِنَ مَنْقُورَةً ، وَجَعَلَ فِي سَقُوفِهَا مَسَارِبَ لِلرِّيَّاحِ ، وَبَنَى ذَلِكَ بِالْمَرْمرِ ، وَجَعَلَ فِي وَسْطِ الدَّارِ مَجْلَسًا عَلَى ثَمَانِيَةِ أَرْكَانٍ مَصْفُوحًا بِالزَّجَاجِ الْمَلْتُونِ الْمَسْبُوكِ ، وَجَعَلَ فِي سَقْفِهِ جَوَاهِرَ وَجِجَارَةً تَسْرُجُ ، وَجَعَلَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْمَجْلِسِ تَمَنَّا لًا مِنَ الذَّهَبِ بِيَدِهِ ١٠ كَالْبُوقِ ، وَجَعَلَ تَحْتَ الْقَبَةِ دَكَّةً مَصْفُوحَةً بِالذَّهَبِ ، وَجَعَلَ لَهَا حَوَافِي زَبْرَجَدَ ، وَفَرَشَ فَوْقَ الدَّكَّةِ فَرْشَ الْحَرِيرِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا جَسَدَهُ مَدَّ أَنْ لُطِخَ بِالْأَدْوِيَةِ الْمَسْكَةِ ، وَمِنْ جَوَانِبِهِ آلَاتُ الْكَافُورِ الْمَخْرُوطَةِ ، وَسُدَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ مَفْسُوجَةٌ بِالذَّهَبِ ، وَوَجْهُهُ مَكْشُوفٌ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مُلْكِي ، وَعَنْ جَوَانِبِ الدَّكَّةِ أَرْبَعُ تَمَائِيلَ مَجْنُوقَاتٍ ١٥ مِنْ زَجَاجٍ مَسْبُوكٍ مِثْلَ صُورِ النِّسَاءِ وَالْوُثَانِ ، بِأَيْدِيْنِ كَالْمَرَاوِحِ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعَلَى صَدْرِهِ مِنْ فَوْقِ الثِّيَابِ سَيْفٌ صَاعِقِي قَاعِهِ مِنَ الزَّبْرَجَدِ ، وَجُعِلَ فِي تِلْكَ الْخَزَائِنِ : مِنْ الزَّبْرَجَدِ وَسَبَائِكُ الذَّهَبِ وَالتَّيْجَانِ وَالْجَوَاهِرِ وَبَرَانِي الْحِكْمِ وَأَصْنَافُ الْعَقَاقِيرِ وَالطَّلَسِمَاتِ ، وَمِنْ الْمَصَاحِفِ الْحَاوِيَةِ لِمَجْمُوعِ الْعُلُومِ ، مَا لَا يَحْصِي قَدْرَهُ كَثَرَةً ، وَجُعِلَ عَلَى بَابِ الْمَجْلِسِ دِيكٌ مِنْ ذَهَبٍ عَلَى قَاعِدَةٍ مِنْ زَجَاجٍ أَخْضَرَ مَنَشُورِ الْجَنَاحَيْنِ مَرْبُورٍ عَلَيْهِ ٢٠ آيَاتُ عِظَامٍ مَائَةٍ ، وَجُعِلَ عَلَى مَدْخَلِ كُلِّ أَرْجَ صُورَتَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ مَشْوَهِتَيْنِ بِأَيْسِهِمَا

(١) فِي خَطِّ الْقُرْطُبِيِّ : « الْيُودُسِيرِ » بِالثَّنَيْنِ الْمَجْمُوعَةِ .

سيفان كالبرق ، ووراءهما بلاطة تحتها لوالب فن وطئها ضرباه بأسيا فهما فقتلاه ،
وفي سقف كل أَرْج كرة عليها لَطُوخ مدبر يُسْرَج ، وسُد باب الأَزَج بالأساطين ورضوا
على سقفه البلاط العظام ورددوا فوقها الرمال ، وزبروا على باب الأَزَج : هذا
الداخل إلى جسد الملك العظيم المهيّب الكريم الشديد قفطريم ذى الأيد والفخر،
والغلبة والقهر ، أقلّ نجمه وبقى ذكره وعلمه ، فلا يصل أحد إليه ، ولا يقدر بحيلة
عليه ، وذلك بعد سبعمائة وسبعين ، ودورات مضت من السنين .

قال : ولما مات قُفْطَرِيم ملك بعده أبوه البودسير بن قفطريم ؛ فتجبر وتكبر
وعمل بالسحر وأحتجب عن العيون ، وقد كان أعمامه أشمون وأريب وصا ملوكا على
أحيازهم إلا أنه قهرهم بيجروته وقوته ، فكان الذكر له كما كان لأبيه . ويقال : إنه
أرسل هِرْمِس الكاهن المصرى إلى جبل القُمر الذى يخرج النيل من تحته حتى
عمل هناك هيكل التماثيل النحاس ، وعدل إلى البطيحة التى ينصب إليها ماء النيل .
ويقال : إنه الذى عدل جانبي النيل وقد كانت يفيض [فى مواضع وينقطع
فى مواضع ^(١)] ، وأمره البودسير أن يسير مغربا فينظر الى ما هناك . فوقع على أرض
واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العُشب ، فبنى منائر ومتزهات ، وحول إليها جماعة
من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب كلها عمارة ،
وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فتناكحوا ؛ ثم إنهم تحاسدوا وبنى بعضهم
على بعض ، وكانت بينهم حروب غروب البلد وباد أهله إلا بقية منازل تسمى
الواحات هى موجودة الى وقتنا هذا .

ويقال : إنه عمل عجائب كثيرة فى وقته ، منها : قبة لها أربعة أركان
وفى كل ركن منها كوة يخرج منها كالدخان الملتف فى ألوان شتى [يستدلون بكل

(١) الكلمة من خطط القرى (ج ٣ ص ٣٧ طبة فيت) .

(١) لون على شيء] ؛ فما خرج منته أخضر دلّ على العماره وحسن النبات والزرع
وضلاحة ، وإن خرج الدخان أبيض دلّ على الجذب وقلة الزكاء (٢) ، وإن خرج
أحمر دلّ على الدماء والحروب وقصد الأعداء ، وإن كان أسود دلّ على
كثرة الأمطار والمياه وفساد بعض الأرض بذلك ، وإن كان أصفر دلّ على
النيران وآفات تحدث في الفلك ، وما كان منها مختلطاً دلّ على مظالم الناس وتعدي
بعضهم على بعض وإهمال ملوكهم لهم ، وأشياء من هذا الضرب . وكانت هذه القبة
على منار أقام زماناً طويلاً ثم هدمه بعض الملوك البربر ؛ لأنه أراد غزو قوم بتلك
الناحية فعلموا بحاله فانتقلوا عن ذلك الموضع إلى قرب النيل فلما جاء ولم يجدهم هدمه .

ومما عُمل له في الصحراء التي تقرب منه — وكانت الوحش قد كثرت وأفسدت
عليهم زرعهم وكذلك خنازير الماء — شجرة من نحاس عليها أمثال تلك الوحوش
ملجمة أفواؤها بحیوط من نحاس ، فما يجوز بها من الوحش لا يستطيع الحراك
ولا البراح من عندها حتى يؤخذ قبضاً ويُقتل ؛ فأشبع الناس في لحوم تلك الوحوش
وانتفعوا بجلودها زماناً طويلاً إلى أن اترعها بعض ملوك العرب سرّاً من أهل مصر
وقدر أن ينصبها في بلدهم فتعمل له مثل ذلك ، فلما عملها بطلت ؛ لأنهم كانوا
يعملون ما يعملون بطالع يأخذونه له ، فلا يزال عمله مستقيماً إلى أن تغير عن مكانه
فبطل عمله .

ومما عُمل في وقته أن غراباً تقرر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها ،
فعمل شجرة من نحاس عليها تمثال غراب من نحاس في منقاره حربة بادية الطرفين .
منشور الجناحين ، وكتب على ظهره كتاباً ؛ فكانت الغربان تقع على تلك الشجرة

(١) النكلة من خطط المقرئ . (٢) الزكاء : النماء ، يقال زكا الشيء . يزكو زكاً . وزكوا ، نما .

ولا تبرح حتى تؤخذ فقتل، ففني أكثر الغربان وزالت عن تلك الناحية إلى ناحية الشام . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن أصاب بعض ملوكهم علة^١ ووصف له فيها لحم غراب يطبخه ويأكله ويشرب من مرقه فلم يوجد، فوجه إلى آخر العمل الذي بمصر من ناحية الشام من يأتيه غراب فأبطأ عليه، فأمر بنزع الشجرة فرجع الغربان وأخذ منها ما عولج به الملك قبل أن يرجع رسوله .

ومما عمل في وقته - وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ظهرت على زروعهم - فعمل لذلك صنماً من صوان أسود على قاعدة منه وعلى كتفه شبه القفّة فيها كالسحاة، ونقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه حروفاً، وأقامه الكاهن بطالع أخذه له ووجهه إلى الغرب، فأُنكشفت تلب الرمال ورجعت إلى ورائها . فملك الأكداس العالية في صحراء الغرب منها . ولم تزل الرمال تندفع عنهم إلى أن زال ذلك الصنم عن موضعه . قال : وأقام البودسير مدة واحتجب عن الناس ، وكان يتجلى لهم في صورة وجه عظيم ، وربما خاطبهم ولا يرونه، ثم غبر مدة^(١) وهم في طاعته إلى أن رآه أبنته عديم وهو يأمره بالجلوس على سرير الملك .

بجلس عديم بن البودسير على الملك وكان جباراً لا يطاق، عظيم الخلق، فأمر بقطع الصخور ليعمل هراماً كما عمل الأولون . قال : وكان في وقته الملكان اللذان

(١) غير : مكث ربي .

(٢) في خطط القرزي (ج ٣ ص ٣٨ طبعة فييت) ما فيه : « فلما مات ملك بعده أبنته أرفقيون ، وكان كاهناً ساحراً ، فعمل أعمالاً غريبة ، منها : أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة إنسان عظيم ، وأقام مدة على ذلك ، ثم إنه ذهب عن أهل مصر وصاروا يغير ملك ، ثم رأوا صورة بجاء جرم الشمس عند حلولها أول برج الحمل ، فأمرتهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطريم : وأعلمتهم أنه ما ين يعود إليهم . فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطريم ، وكان جباراً عظيماً ... الخ » .

هبطاً من السماء، وكانا في بئر يقال لها أفنوه، وكانا يعلمان أهل مصر السحر. ويقال:
إن عديم استكثر من عليهما ثم نُقلا إلى بابل .

قال : وأهل مصر من القبط يقولون إنهما شيطانان يقال لهما : مُهَلَّة ومَهَالَّة ،
وليس هما المَلَكَيْن . والمَلَكَان بابل في بئر هناك يغشاها السحرة إلى يوم الساعة .
ولنصل هذا الفصل بنجر هاروت وماروت وإن لم يكن منه ؛ وإنما الشيء
بالشيء يذكر . والله أعلم .

ذكر خبر هاروت وماروت

قال الله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الشَّيْطَانَ عَلَى مَلَكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ
الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ وَمَا أُتْرِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾
الآية . قال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره : وكانت قصتهما — على ما ذكره ابن عباس
رضي الله عنه والمفسرون — أن الملائكة رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة
وذنوبهم الكثيرة ؛ وذلك في زمن إدريس عليه السلام فيعبرونهم بذلك ، ودعت عليهم
الملائكة وقالوا : هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم فهم يعصونك ؛ فقال الله
عز وجل لهم : لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتهم ما أرتكبوا ؛
فقالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نصيبك ؛ قال الله تعالى : فَأَخْتَارُوا مَلَكَيْنِ
من خياركم أهبطهما إلى الأرض ، فَأَخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، وكانا من أصلح
الملائكة وأعبدتهم . قال : وقال الكلبي : قال الله لهم : اختاروا ثلاثة فَأَخْتَارُوا
عَزَّاءَ وَهُوَ هَارُوتَ ، وَعَزَّاءَ وَهُوَ مَارُوتَ ، وَغَيْرَ اسْمِهِمَا لَمَّا قَارَفَا الذَّنْبَ ، وَعَزَّائِيلَ ؛
فَرَكَّبَ اللَّهُ فِيهِمُ الشَّهْوَةَ الَّتِي رَكَّبَهَا فِي بَنِي آدَمَ وَأَهْبَطَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْكُمُوا

١٣٤
١٢

بين الناس بالحق ، ونهاهم عن الشرك والقتل بغير حق ، ونهاهم عن الزنا وشرب الخمر . فأما عزراييل فإنه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأقاله ورفعه ، فسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه . ولم يزل بعد ذلك مطاطاً رأسه حياةً من الله تعالى . وأما الآخرا ن فإنهما بقيا على ذلك ، وكانا يقضيان بين الناس يومهما فإذا أمسيا ذكرا أسم الله الأعظم وصعدا إلى السماء . قال قتادة : فما مرة عليهما أشهر حتى افتتنا .

قال الثعلبي : قالوا جميعا : وذلك أنه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة ، وكانت من أبجل النساء . قال علي رضي الله عنه : كانت من أهل فارس ، وكانت ملكة في بلدها ، فلما رآها أخذت بقلوبهما ، فراوداها عن نفسها فأبت وأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك ، فأبت وقالت : لا ! إلا تعبدا ما أعبد ، وتصليا لهذا الصنم ، وتقربا للنفس ، وتشربا الخمر . فقالا : لا سبيل إلى هذه الأشياء ، فإن الله عز وجل نهانا عنها ، فأنصرفت ، ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من نحروفي أنفسهم من الميل إليها ما فيها ، فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالا : الصلاة لغير الله عظيم ، وقتل النفس عظيم ، وأهون الثلاثة شرب الخمر ، فشربا فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا ، فلما فرغا رآهما إنسان فقتلاه . قال الربيع بن أنس : وسجدا للصنم فمسخ الله عز وجل الزهرة كوكبا .

وقال علي بن أبي طالب والسدي والكلبي رضي الله عنهم : إنها قالت لها : لن تدركاني حتى تحبباني بالذي تصعدان به إلى السماء . فقالا : بأسم الله الأكبر . قالت : فما أنما بدركاني حتى تعلمانيه . فقال أحدهما لصاحبه : علمها ! قال : إني أخاف الله . قال الآخر : فإين رحمة الله ! فعلمها ذلك . فتكلمت به وصعدت

إلى السماء . فسبحها الله تعالى كوكبا . فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها ، وقيدوها فقالوا : هي هذه الكوكبة الحمراء واسمها بالفارسية « ناهيد » ، وبالنبطية « بيدخت » . قال : ويدل على صحة هذا القول ما رواه الثعلبي بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى سُهَيْلا قال : ^(١) « لعن الله سُهَيْلا إنه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فإنها فتنت ملكين » .

وقال مجاهد : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما ذات ليلة فقال لي : ارمي الكوكبة فإذا طلعت فأيقظني ، فلما طلعت أيقظته ، بفعل ينظر إليها ويسبها سباً شديداً ، فقلت : رحمك الله تسب نجما سامعا مطيعا لله ؟ ما له يسب ! فقال : إن هذه كانت نبياً فلقى الملكان منها ما لقياً ، وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى الزهرة قال : لا مرجأ بها ولا أهلا . وروى أبو عثمان النهدي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن المرأة التي قُتِن بها الملكان مُسِيختٌ ، فهي هذه الكوكبة الحمراء ، يعني الزهرة .

قال الثعلبي : وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا : إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله قواماً للعالم ، وإنما كانت هذه التي قتنت هاروت وماروت امرأة ، كانت تسمى زهرة من جمالها ، فلما بغت جعلها الله تعالى شهاباً ،

(١) العشار : الذي يقبض عشر الأموال .

(٢) ويؤيد هذا ما قاله الإمام القرطبي في تفسيره هذه الآية الكريمة (ج ٢ ص ٥٢) : « هذا كضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شيء ، فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وجهه ، وسفرائه إلى رسله (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) » ، (بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) ، (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) . وأما العقل فلا يترك وقوع المصيبة من الملائكة ويوجد منهم خلاف ما كلفوه ، ويخلق فيهم الشهوات ؛ إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم ؛ ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء ، لكن وقوع هذا الجائر لا بدرك إلا بالسمع ولم يصح . وما يدل على عدم صحته أن الله تعالى خلق النجوم وهذه الكواكب حين خلق السماء ؛ ففي الخبر : =

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر هذه المرأة لموافقة الأسمين فلعنهما ، وكذلك سهيل العشار . والله أعلم .

قالوا : فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود إلى السماء

١٢٥

١٢

فلم تظاوعهما أجنحتهما ، فعلمتا ما حل بهما فقصدا إدريس عليه السلام فأخبراه

بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله عز وجل ففعل ذلك ، فغيرهما الله تعالى بين

عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فأختارا عذاب الدنيا إذ علما أنه ينتقطع ، فهما ببابل

يعذبان . واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

هما معاقان بشعورهما إلى قيام الساعة . وقال قتادة : كُجِّلَا من أقدامهما إلى أصول

أفخاذهما . وقال مجاهد : إن جُيَا ملئ نارا فجعلوا فيه . قال حصيف : معلقان

منكسان في السلاسل . وقال عُمَيْر بن سعد : منكوسان يضرَّبان بسياط الحديد .

وروى أن رجلا أراد تعلم السحر فقصده هاروت وماروت فوجدتهما معلقين بأرجلهما ،

مُزْرَقَة أعينهما ، مُسَوَّدة جلودهما ، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع

أصابع ، وهما يعذبان بالعطش ، فلما رأى ذلك حاله مكانهما فقال : لا إله إلا الله .

وقد نُهِيَ عن ذكر الله هناك . فلما سمعا كلامه قالَا : مَنْ أنت ؟ قال : رجل من

الناس . قالَا : من أى أمة أنت ؟ قال : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . قالَا :

وقد بُعِث ؟ قال نعم . قالَا : الحمد لله ! وقد أظهرنا الاستبشار . فقال الرجل : ومم

استبشاركما ؟ قالَا : إنه نبى الساعة ، وقد دنا آتضاء عذابنا .

== "أن السبا لما خلقت خلق فيها سبعة دوائر زحل والمشتري وهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر" .

وهذا معنى قول الله تعالى : (وكل في فلك يسبحون) . فثبت بهذا أن الزهرة وسهيل قد كانا قبل خلق آدم ،

ثم إن قول الملائكة : ما كان ينبغي لنا عوده ، لا تقدر على فتننا ، وهذا كفر تعوذ بالله منه ومن نسبته

إلى الملائكة الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ؛ وقد زعمناهم وهم المزهرون عن كل ما ذكره وقوله

المفسرون ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

- قال : وأما كيفية تعلّم السحر ، فقد رُوي فيه خبرٌ جامعٌ ، وهو ما رواه أبو إسحاق بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدمت على امرأة من أهل ثومة الجندل جاءت تبغي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به ، قالت عائشة رضي الله عنها لعروة : يا بن أخي ، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تبكي حتى إنى لأرحمها ! تقول : إني أخاف أن أكون قد هلكت ، قالت : كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت : إن فعلت ما أمرك به فلعلة يأتيك ، فلما كان الليل جاءتني بكبشين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل ، فإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا : ما جاء بك ؟ فقلت : أتعلّم السحر ، قالوا : إنما نحن فتنة فلا تكفري وأرجعي ، فأبيت فقلت : لا ، فقالوا : اذهبي إلى ذلك الثور فبُولي فيه ، فذهبت ففرّعت فلم أفعل ، فرجعت إليهما فقالا : فعلت ؟ قلت نعم ، قالوا : هل رأيت شيئاً ؟ قلت : لم أر شيئاً ، فقالوا : لم تفعل ، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري ، قالت : فأبيت ، فقالوا : اذهبي إلى ذلك الثور فبُولي فيه ، فذهبت فأقشعر جلدي فرجعت إليهما فقلت : قد فعلت ، فقالوا : هل رأيت شيئاً ؟ فقلت : لم أر شيئاً ، فقالوا : كذبت لم تفعل ، إرجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك ، قالت : فأبيت ، فقالوا : اذهبي إلى ذلك الثور فبُولي فيه ، فذهبت إليه فبلتُ فرأيت فارساً مقنناً بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني حتى ما أراه ، بخفتُهما فقلت : قد فعلت ، قالوا : فما رأيت ؟ قلت : رأيتُ فارساً مقنناً بالحديد خرج مني حتى ذهب في السماء حتى ما أراه ، قالوا : صدقت ، ذلك إيمانك خرج منك ، اذهبي . فقلت للمرأة : والله ما أعلم شيئاً ، وما قالوا لي شيئاً . فقالت : لن تریدی شيئاً إلا كان ، خذي هذا القمح فأبدري ،

فَبَدَّرْتُ، قلت: أَطْلُي، فَأُطْلِمْتُ، فَقُلْتُ، أَحْقِلِي، فَأَحْقَلْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَفْرُكِي،^(١)
فَأَفْرَكْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَطْحِنِي، فَأُطْحِنْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَخْبِزِي، فَأُخْبِزْتُ. فَلَمَّا رَأَيْتُ
أَنِّي لَا أُرِيدُ شَيْئًا إِلَّا كَانَ، سَقَطَ فِي يَدِي وَنِدِمْتُ. وَاللَّهِ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ مَا فَعَلْتُ
شَيْئًا قَطُّ، وَلَا أَفْعَلُهُ أَبَدًا.

قال: وقال بعضهم: إنهما لا يتعمدان تعليم السحر ولكنهما يصفانه ويدكران
بطالانه ويأمران بآجتنابه، فيتعلم الشق منهما في خلال صفتها ويترك موعظتهما
ونصيحتهما، فلا يكون على هذا التأويل كفرا وإنما يكون العمل به كفرا. وقد أنكر
بعضهم أن يكونا ملكين قال: وإنما كانا مَلَكَيْنِ. وقرئ في الشواذ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ
عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ (بكسر اللام). وقيل: كانا عليّين ببابل. حكاها القاضي عياض^(٢)
في كتاب الشفا. والله تعالى أعلم.

ولنرجع إلى أخبار عديم بن البوسدير الملك. قال: وعديم أول من صلب؛^(٣)
وذلك أن امرأة زنت بريمل من أهل الصناعات، وكان لها زوج من أصحابه، فأمر

١٢٦
١٢

(١) أطلعت: أطلع الزرع، بدا. (٢) أحققت: أحقن الزرع: تشعب ورقه قبل

أن تلتظ سيفه. (٣) أفرك: يقال أفرك الزرع إذا بلغ أن يفرك باليد.

(٤) ورد بهامش نسخة ب هذه الحاشية ونصها: «والصحيح الذي ذكره القاضي عياض، وأما
الذي ذكر أولا ليس بصحيح، فإن صاحب العقل الرابع الصحيح هو الذي يقسول بقول العلماء الأقدمين
الذين درسوا العلوم الإلهية الحقيقية والمعارف العقلية، وهم الفلاسفة العظام الذين هم في مراتب الأنبياء.
العظام مثل آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون ويوشع وعيسى ومجد صلوات الله عليهم أجمعين، لأن
الملائكة خلفهم الله تعالى خليفة غير خليفة ابن آدم ويجعل فيهم من القوة واللقوة، ينصرون بكل صورة
أرادوا، وهم شباب لم يموتوا ولم يتغيروا ولم ينجسوا ولم يهرموا بشر إلا إن أرادوا ذلك. والصحيح أن
هاروت وماروت ليسا ملكين وإنما كانا عليّين ظالمين فأهلكهما الله سبحانه وضرب بهما المثل.»

(٥) راجع صفحة ١٧٢ طبع الآستانة. (٦) يعني لأجل الزنا.

بصلبهما على منارتين ، وجعل ظهر كل منهما إلى ظهر صاحبه ، وزبر على المنارتين
 أسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك بهما فيه ، فأتته الناس عن الزنا .
 قال : وبني أربع مدائن وأودعها صنوفا كثيرة من عجائب الأعمال والطلسمات
 وغير ذلك ، وكثر فيها كنوزا كثيرة . وعمل في الشرق منارا وأقام على رأسه صنما^(١)
 موجهها إلى الشرق ، ماذا يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده ، وزبر
 في صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ؛ ويقال : إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا ؛
 ولولاه لغلغ الماء المالح من البحر الشرقي على أرض مصر . وعمل فطرة على النيل
 في أول بلاد النوبة ونصب عليها أربعة أصنام موجهة [إلى أربع جهات الدنيا]^(٢)
 في يدي كل صنم جرس يضرب به إذا أتاهم آت من تلك الناحية ؛ فلم تزل بحالها
 إلى أن هدبها فرعون موسى . وهو الذي عمل البربا على باب النوبة ، ويقال :
 إنه عمل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوء ماء
 لا ينقص على طول الدهر ولا يتغير ؛ وكان أهل تلك الناحية يشربون منه ولا
 ينقص ماؤه ؛ وإنما عمل ذلك لبعدهم عن النيل وقربهم من البحر المالح . وقد
 ذكر بعض كهنة القبط أن ذلك لقربهم من البحر المالح ، لأن الشمس فيما ذكروا
 ترفع بحرها بخارا فيحصل من ذلك البخار حر بالهندسة ، وقيل بالسحر . وملكهم
 عديم مائة سنة وأربعين سنة ، ومات وهو ابن سبعمائة سنة وثلاثين سنة . وقيل :
 إنه دفن في إحدى المدائن ذات العجائب في أزج من رخام ملون بزرقة ، مبطن
 برخام أصفر ، وطلى جسده بما يمسكه ، وجعل حوله كثير من ذخائره ، وذلك
 وسط المدينة ، فهي محروسة بما يمنع منها من الروحانيين .

(١) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « منارا عليه صنما » .

(٢) الكلمة من خط المقرئ .

قال : وذكر بعض القبط أن عديما هذا عمل لنفسه في صحراء قفط على وجه الأرض قبة عظيمة من زجاج أخضر براق، معقودة على ثمانية أراج من صنفها، على رأسها أكرة من ذهب، عليها طائر من ذهب، متوشح بجوهر، منشور الجناحين، يمنع من الدخول إليها، وقطرها مائة ذراع في مثلها، وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه، وعليه ثياب منسوجة بذهب مغرزة بجوهر منظوم، والآراج مفتحة، طول كل أراج ثمانية أذرع، وأرتفاع القبة أربعون ذراعا تلتقي الشعاع على ما حولها من الأرض، وجعل حوله في القبة مائة وسبعون مصحفا من مصاحف الحكمة، وسبع موائد عليها أوانيها، منها : مائدة من أدرك رمانى أحمر وآنيتهما منها. ومائدة من ذهب فيلمونى يخطف البصر، وهو من الذهب الذى تعمل منه تيجان الحكماء، وآنيتهما منها. ومائدة من حجر الشمس المضي بآنيتهما. ومائدة من الزبرجد المخروط الذى يخالطه شعاع أصفر بآنيتهما، قال : وهذا الزبرجد إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها. ومائدة من كبريت أحمر مدبر بآنيتهما. ومائدة من ملح مدبر براق يكاد نوره يخطف الأبصار بآنيتهما. ومائدة من زئبق معقود وقوائمه وحافاتهما من زئبق أصفر معقود مضى، وعليها آنية من زئبق أحمر معقود. وجعل في القبة جواهر كثيرة ملونة ورائى صنعة مدبرة، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية وأتراس من حديد أبيض مدبر، وجعل معه تمائيل أفراس من ذهب، [عليها سروج من ذهب] وسبعة توايلت من الدنانير التى ضربها وصور عليها صورته، وجعل معه من أصناف العقاقير والسمومات والأدوية فى برانى الختم، ومن أصناف الأحجار شىء كثير.

(١) كذا فى خطط المقرئى، وفى الأصول «فلزى»، وفى هامش خطط المقرئى طبعه فييت «فلونى» . (٢) التكلة من المقرئى . (٣) الختم : جوار خضر تضرب إلى الحرة

قال : وقد ذكر من رأى تلك القبة وأقاموا عليها أياما فما قدروا على الوصول إليها ، وأنهم إذا قصدوها وكانوا منها على مقدار ثمانية أذرع دارت القبة عن أيمانهم وشمالهم وقد عاينوا ما فيها . ومن أعجب ما ذكروا أنهم كانوا يحاذون أزاجها أزجا أزجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد . وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير ، ولحيته كبيرة مكشوفة ، وقدروا طول بدنه عشرة أذرع وزيادة ، وأنهم لما تباه أن يصلوا إليها فتي مأوهم وخافوا على أنفسهم فرجعوا ليمتاروا ما يكفيهم من الزاد ففعلوا ، ثم رجعوا فأقاموا أياما يطوفون تلك الصحراء ، ثم أخبروا أنهم رأوا بها عجائب كثيرة وصنواها من الوحش لم يروا مثلها .

قال : وفي كتبهم أنهم لا يصلون إليها إلا بأن يذبح لها ذكرا أفرق ويتخبر بريشه من بعد ، ثم يسأل من المريخ الوصول حتى يصل ، وتكون الكواكب النيرة على مثل ما كانت عليه وقت ناصبها من اجتماعها في البروج : يكون زحل والمشتري والمريخ في برج واحد ، والشمس والقمر في برج واحد ، والزهرة وعطارد في برج واحد ، ويتكلم عليها بصلاة الكهنة سبع مرات ، فإذا وصل إليها لطخ حائطها بدم الديك الذي قرب له لها ويأخذ ما شاء من المال والتماثيل ولا يكثر المقام فيها ولا يقيم غير ساعة واحدة .

١٢٧
١٢

قال : وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم لم يكونوا من تلك الناحية وإنما خرجوا يطلبون غيرها ، فإنهم سألوا أهل قفط عنها فلم يجدوا من يعرفها ولا رآها غير رجل شيخ منهم ، فإنه ذكر أن أبنا له خرج في بعض الأمور ومعه جمل له فرآها ولم يصل إليها ، وبحث عن أمرها فعرف أن قوما من الشرق جاءوا في طلبها وأنهم أقاموا يطوفون يقفط أياما وخرجوا إليها فما رجع أحد منهم ولا عرف لهم خبر .

قال : وكان عديم قد أوصى إلى ابنه شدّاث عند موته أن ينصب في كل حيز من أحياز عمومته منارا ويزبر عليه اسمه ، فأخذ إلى الأشمونين فعمل منارا وزبر عليه اسمه وعمل بها ملاعب ، وعمل في صحرائها منارا وأقام عليه صنما ذا رأسين بأسم كوكبين كانا مقتربين في الوقت .^(١) وخرج إلى أتريب وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمود وأساطين بعضها فوق بعض ، وجعل على رأسها صنما صغيرا من ذهب ، وعمل هيكلا للكواكب . وكان أبوه البودسير أول من أقام للكواكب فأخذ ذلك عنه . ومضى إلى حيز صا فعمل فيه منارا على رأسه امرأة من أخلاط تورى الأقاليم ، ورجع إلى أبيه فعهده بالملك .

فلك شدّاث بن عديم وهو الذى بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التى قُطعت في زمان أبيه . قال : من أنكر أن يكون العادية دخلوا مصر إنما غلطوا بأسم شدّاث بن عديم فقالوا شدّاد بن عاد لأنه أكثر ما يجرى على ألسنتهم ، وقلة ما يجرى على ألسنتهم شدّاث بن عديم ؛ وإلا فما قدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير بُحْت نصر . وشدّاث الذى عمل مصاحف التارنجيات ، وعمل هيكلا أرمنت وأقام فيه أصناما بأسماء الكواكب من ذهب وفضة وحديد أبيض ونحاس

(١) عبارة المقرئى : « كانا مقتربين في الوقت الذى خرج فيه إلى أتريب ، وبنى فيها ... الخ » .

(٢) كذا في المقرئى . وفي الأصول : « مربعة » .

(٣) كذا في الأصل وتكتاب الانتصار لابن دقاق (ج ٥ ص ٣٨) . وفي المقرئى (ج ٣ ص ٣٩)

طبعة فينت) وصحح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٣) : « شدّاث » بالشين المعجمة والياء المثلثة .

(٤) كذا في الأصل . والذى في القاموس « النبرج » قال شارح القاموس : « هكذا

في مائر السخ ، والمقول من نص كلام الليث « النبرج » بإسقاط النون الثانية . وكذا ورد

في لسان العرب لابن منظور . وهو أخذ كالسحر وليس به ، إنما هو تشبيه وتليس . » (٥) أرمنت :

بلدة بصعيد مصر الأعلى ، بينها وبين الأنصر في سمت الجنوب بعض مرحلة ، وبينها وبين أسوان مرحلتان

(راجع معجم البلدان والانتصار لابن دقاق) . (٦) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « أصنام

الكواكب » .

مذهب ورصاص مُصقًى وزئبق معقود، وهذه الأجساد المعدنية في طباع الكواكب
وفي قسمتها . فلما فرغ منه زينته بأحسن زينة ونقشه بأحسن النقوش من الجواهر
الملونة والزجاج المعمول الملون وكساه الوشي والديباج ولم يترك شيئا من التحف إلا
عمله، وكذلك عمل في المدن الداخلة من أنصنا^(١) هيكلا، والقبّة التي أقامها بأتريب^(٢)
وهيكلا شرق الإسكندرية، وأقام لرحل صنما من صوّان أسود على عبر النيل من
الجانب الغربي . وبني شذات من الجانب الشرق مدائن وجعل فيها صورة صنم
قام له لإحليل إذا أتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر نفسه بكلتا يديه أزال عنه
ذلك وانتشر وقوى على الباء، وجعل في إحداها بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحتهما
المرأة التي آنعتد لبنها دز وصلح أمرها .

وفي أيامه بُنيت قُوص^(٣) العالية، بناها لأبن له كان يخط على أمه فجعلها إليها
وأسكن معها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات . وقيل : إن شُطْب بُنيت
في أيامه ؛ وعمل الصورتين المتصقتين لكثرة النسل . وكانت الحبش والسودان
عاثوا في بلده فأخرج لهم أبنيه منقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي وآستعبد
الذين سباهم وصار ذلك سنة لهم ، واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك

١٥ (١) أنصنا : بلدة بالصعيد الأوسط، وبها آثار عظيمة أولية، وهي على شط النيل من البر الشرق قبالة
الأشمونين من البر الآخر، ولها مزدور كثير، وهي المدينة المشهورة بمدينة السجرة ومنها جلمهم فرعون (راجع
تقويم البلدان) . (٢) أتريب : كورة في شرق مصر، بناها أتريب بن فيطيم بن مصر، وقد
وصفها المقرئى وشرح ما فيها من آثار وبجانب (راجع ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) .

(٣) قوص : أعظم مدائن الصعيد وهي على ضفة النيل الشرقية، سميت باسم قوص بن فقط بن أنعيم،
وهي باب مكة واليمن وسواكن، وقد وصفها المقرئى في خطه (ج ١ ص ٢٣٦) وأبن دقاق في كتاب
الانتصار (ج ٥ ص ٣٨) ووصفها الأدهوى كذلك في كتابه الطالع السعيد (ص ٨) وصفها يديعا وذكر كثيرا
من الأشعار التي قيلت فيها . (٤) شطب : مدينة من المدن التي أخربها بخت نصر وأحرقها،
وهي بالقرب من أسيوط . (راجع كتاب الانتصار ج ٥ ص ٢٤ ومعجم البلدان لياقوت) .

السبي يعملون فيه ويحملون الذهب إليه ؛ وهو أول من أحب الصيد وأتخذ الجوارح ، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرة وما تعالج به الدواب ، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة ، وجمع التماسيح ، بطلم عمله لها ، إلى بركة بناحية أسيوط فكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فتقتلها ، وتستعمل جلودها في السفن وغيرها ، وتستعمل لحومها في الأدوية والعقاقير المؤلفة . قال : وبعض القبط يحكى أنه عمل بمصر اثنتى عشرة ألف أعجوبة وطلسم ، ولم يعمل في بلد كما عمل فيها ولا تها لأهله ما تها لهم من ذلك . قال : وأقام شذات في الملك تسعين سنة وخرج يطرد فأكب فرسه في وهدة فقتله . وفي بعض كتبهم : أنه أخذ بعض خدمه ، وقد خالفه في أمر من الأمور ، فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فتقطع جسده ، وندم على فعله ذلك فرأى في منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه ، وآلى على نفسه ألا يعلو جبلا ، وأوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه في الموضع الذى يلحقه فيه ما يلحقه ، ويُربر عليه : ليس ينبغى لذى القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز له فعله ، وهذا ناووس شذات بن عديم بن قفطريم الملك ، عمل ما لا يحل له فكوفى عليه بمثله .

قال : ولما هلك عمل له سرب في سفح الجبل فيه قبة على مجلس قد صُفح بالفضة وجعل فيه على سرير ملكه ، وجعل معه من الأموال والجواهر والتماثيل وأصناف الحكم والمصاحف شيء كثير . وكان له أر بمائة وأربعون سنة .

وملك بعده أبنة منقأوش بن شذات ؛ فلك مجرم وحكمة وأظهر مصاحف الحكم وأمر بالنظر فيها ، وأن يُنسخ منها لم بخط العامة ليفهموها ، ورد الكهنة إلى

(١) يطرد : بصطاد . (٢) في المقرئى : « منقأوش » بالسین المهملة .

مراتبهم . وهو أول من عمل له الحمام من ملوك مصر . وكان كثير النكاح ؛ تزوج عدة نساء من بنات عمه وبنات الكهنة ، وجعل لكل امرأة منهن مكانا يجمع ما يصلحه من البنيان العجيب والصور المتقنة والغروس الحسنة والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها . وقد قال بعض أهل الأثر : إنه الذى بنى منف لبناته وكفى ثلاثين بنتا ونقلهن إليها ، وعمل مدنا غيرها ومصانع ، وعمل هيكلا لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراعخ من منف ، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وعجائب أغرب فيها بفضل حكمة أبيه وجده ، وعمل فى السنة اثنى عشر عيدا لكل شهر عيد يُعمل فيه من الأعمال ما كان موافقا لبرج ذلك الشهر ؛ وكان يُطعم الناس فى تلك الأعياد ويوسع عليهم ، ففرح الناس به ورأوا معه ما لم يروه مع غيره ، وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح على أحد ، وألزم أصحاب الكيمياء العمل فكانوا لا يفترون ليل ولا نهارا ؛ فاجتمع عنده أموال عظيمة وجوهر كثير وزجاج نفيس مسبوك وغير ذلك ، فأحب كثره فدعا أخاه فقال له : قد ترى كثرة هذا الذهب والجوهر ، وما عمل من هذه التماثيل الكثيرة ، ولست آمن أن يتسامع بنا الملوك فيغزونا من أجله ، فأمن فى أرض الغرب ثم انظر مكانا حريزا خفى الأثر ثم أحرزه فيه ثم أسرته بعلامات وأكتب صفة المكان وطريقه وعلامته . قال : ويقول أهل الأثر : إنه حمل معه اثنتى عشرة ألف عجلة ؛ منها من الجوهر ثلاثمائة عجلة ، وسائرها من الذهب الإبريز الصفائح والمضروب ، ومن آلات الملوك وطرانقهم وسلاحهم وأوانيتهم ؛ فسار فى الجنوب يوما ثم أخذ مقربا اليوم الثانى وبعض الثالث ، فأتته إلى جبل أسود مُنيف ليس له مصعد بين جبال مستديرة حوله ، فعمل تحت ذلك الجبل أسرابا ومغاوير ودفن فيها ما كان معه وردمها وزبر عليها ورجع ؛ فحكى أربع سنين يبعث كل سنة عجلة عظيمة تدفن فى نواح شتى .

وهو الذى عمل فى أنديس المدينة بيتا تدور به تماثيل لجميع العِلال ، وكتب
 على رأس كل تمثال ما يصلح له من العلاج ، فانتفع الناس بها زمانا إلى أن
 أفسدها بعض الملوك ضنًا بالحكمة . وعمل فى هذه المدينة صورة امرأة مبتسمة
 لا يراها مهموم إلا زال همه ونسيه ، وكان الناس يأتونها ويطوفون حولها
 ثم عبدوها من بعد . وعمل تماثلا روحانيا من صُفر مُذهب بجناحين لا يمر به زان
 ولا زانية إلا كشف عورته بيده ، وكان الناس يمتحنون به فامتنعوا من الزنا فرقا
 منه ، واستمر كذلك إلى زمن كلكتن الملك ، وذلك أن بعض نساؤه ، وكانت خطية
 عنده ، عشقت رجلا من خدم الملك وخافت أن ينتهى إليه خبرها فيمتحنها بذلك
 الصنم فيقتلها ، فأحاتت لذلك فخلا بها الملك فى بعض الليال ، وهما يشربان ،
 فأخذت فى ذكر الزواني وجعلت تسبهن وتذمهن ، فذكر الملك ذلك الصنم وما فيه
 من المنافع للناس ، وما يستحق من عمله من الثناء والذكر الجميل ، فقالت المرأة :
 إنه كذلك وقد صدق الملك ، غير أن متقاوش لم يُصب الرأى فى أمره ، قال الملك :
 وكيف قلت ذلك ؟ قالت : لأنه أتعب نفسه وحكامه فيما جعله لصلاح العامة
 دون نفسه ، وهذا أكبر العجز ، وإنما كان حُكم هذا التمثال أن يُنصب فى دار
 الملك حيث تكون نساؤه وجواريه ، فإن أقترفت إحداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا
 لهن متى عرض بقلوبهن شئ من الشهوة ، لأن شهواتهن أغلب وأكثر من شهوات
 الرجال ، ولو حدث — وأعوذ بسعد الله الأعلى — فى دار الملك شئ من هذا فأحب
 امتحانه فضح نفسه وشاع فى الخاص والعام أمره ، وإن عاقب بغير أمر يتحققه كان
 متعديا آثما ، وإن لم يمتحنه صبر على المكروه . قال الملك : صدقت ، فكيف الوجه
 فى هذا الأمر ؟ قالت : يأمر الملك بترع هذا الصنم من مكانه ونقله إلى داره ففعل
 فبطل عمله ، وأمتحن فلم يصنع شيئا ، فعملت المرأة ما كانت همت به وأنهمكت فيه .

قال : ويقال : إن متقاوش بنى هيكلا للسحرة على جبل القصير وقدم عليه رجلا منهم يقال له مسيس ، فكانوا لا يطلقون الرياح للراكب المقلعة إلا بضربة يأخذونها منهم لذلك . وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التخييل العجيبة ، فيجتمع الناس إليهم ويمجبون من أعمالهم ، وأمر أن يُبنى لهم هيكل للعبادة يكون لهم خصوصا ، وجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب ، وجعل حولها أصناما وعجائب ، وكان الملك يركب إليه ويقم سبعة أيام ، وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذي عمل فيه ، وهما بعين شمس ، ونقل متقاوش إلى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفنها بها وبنواحيها .

قال : وكان متقاوش قسم خراج البلاد أرباعا : فربع منه للملك خاصة يعمل منه ما يريد ، وربع لأرزاق خدمه ، وربع ينفق في مصالح الأرض وما يحتاج إليه من حفر ترعها وعمل جسورها وتقوية أهلها على العارة ، وربع يدفن لحادثة تحدث وحاجة تنزل . وكان خراج البلد في ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف دينار . وهو مقسوم على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف . وأقام ملكا إحدى وسبعين سنة ، ومات من طاعون أصابه ، وقيل : من سم جعل له في طعامه ، وعمل له ناووس في صحراء المغرب ، وقيل : في غربي قوص ، ودفن معه من مصاحف الحكمة والصنعة المعمولة وتماثيل الذهب والجواهر ، ومن الذهب المضروب شيء كثير ، ودفن معه روحاني الشمس من ذهب يلعب ، وله جناحان من زبرجد ، وصنم على صورة أمراته التي كانت أحظى نساته عنده وكان يحبها ، فأمر أن تعمل صورتها

(١) التخييل : هي التوهم بالخيال ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني ، فيخيل للناظر أنها

بجلاف ما هي به ، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيرا حقيقيا

يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

في هياكلهم جميعا، فعمل له تماثلا من ذهب بذؤابتين من ذهب أسود، وألبست حلة من جواهر منظومة وجعلت جالسة على كرسي، فكانت تجعل بين يديه في موضع تجلس فيه يتسلّى بذلك عنها، فدُفنت معه عند رجله .

وملك بعده أبوه مناوش بن منقاوش، ملك بوصية من أبيه، فطلب الحكمة على عادة أبيه واستخرج كتبها وأكرم أهلها، وبذل فيهم الجوائز وطلب الإغراب في عمل العجائب، وكان كل واحد من ملوكهم يجهد جهده في أن تعمل له غريبة من الأعمال لم تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة في توار يخهم . قال : ومناوش هذا أول من عبد البقر من أهل مصر، وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة يئس منه فيها، وأنه رأى في منامه صورة روحاني عظيم يحاطبه ويقول له : إنك لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر لأن الطالع كان وقت حلولها بك في صورة نور بقرين، ففعل ذلك، وأمر بأخذ نور أبلق حسن الصورة، وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة، فكان يتخذه ويطيب موضعه، ووكّل به سادنا يقوم به ويكنس تحته، وكان يتعبد له سرا من أهل مملكته، فبرا من علة وعاد إلى أحسن أحواله .

ويقال : إنه أول من عمل العجل وضبيها بالذهب، وعمل فيها قبابا من الخشب المذهبة وفُرشت بأحسن الفرش، وكان يركب عليها مع من أحب . وقيل : إنه عمل له ذلك في علة لأنه كان لا يقدر على الركوب، وكانت البقر تجزه فإذا مرّ بالمكان التزمه أقام فيه، وإن مرّ بالمكان الخراب أمر بعمارة . وقيل : إنه نظر إلى نور أبلق من البقر الذي يميز عجلته فأعجبه حسن بشرته فأمر بترفيه وسوّفه بين يديه إلى كل موضع يسلكه إعجابا به، وجعل عليه جلا من الديباج المنسوج بالذهب، فلما كان في بعض الأيام - وقد خلا في موضع منفرد عن أتباعه والثور قائم بين يديه -

إذ خاطبه الثور وقال: لو رفهني الملك عن السير معه وجعلني في الهيكل وعبدني وأمر أهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد ، وعاونته على أمره ، وقوته في ملكه ، وأزلت عنه جميع عله ؛ فأرتاع لذلك وأمر بالثور أن يُغسل ويطيب وينظف ويدخل الهيكل ، وأمر بعبادته . وعبد ذلك الثور مدة وصارت فيه آية أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل إلا أطراف ورق القصب الأخضر في كل شهر مرتين ، فأفتن الناس به وصار ذلك أصلا لعبادة البقر .

١٣٠
١٢

قال : وابتنى مناوش مواضع وكثر فيها كنوزا وأقام أعلاما . وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا . قال : ويقال : إن هذه المدينة قائمة ، وإن قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد أضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن ورأوا أضواء نيرانهم . قال : وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور ، بعد مدة من عبادتهم له ، أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ، ويؤخذ من رأسه ^(١) هو شعرات ، ومن ذنبه ومن نحاته قرونه وأظلافه ، ويجعل ذلك في التمثال ، وعرفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر [أحمر] ^(٢) ويدفن في الهيكل ويتصب تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تليث والقمر في الزيادة ، وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك ، وعملت الصورة من ذهب ملتح على شبه الثور ، وجعل له قرنان من ذهب وكلا باصناف الجواهر ، وجعلوا عينيه جزعتين سوادا في بياض ، ودفن جسد الثور في الجرن الأحمر .

قال : وجعل في المدينة شجرة تطلع كل لون من الفاكهة ، ومنارا في وسطها طوله ثمانون ذراعا ، وعلى رأسه قبة تتأون في كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام

(١) كذا في المقرئ (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاق) . وفي الأصل : « وعرفه » .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « بعاله فيجعلوا » . (٣) التكلة من المقرئ .

ثم تعود إلى اللون الأول فيكسو المدينة من تلك الألوان، وجعل حول المنار ماء شققه إليه من النيل، وجعل في ذلك الماء سمكا من ذلك اللون، وجعل حول المدينة طلسمات رءوسها رءوس قردة وأبدانها أبدان الناس، كل واحد منها لدفع مضرة أو اجتلاب منفعة، وعمل على أبواب المدينة، وهي أربعة أبواب^(١)، على كل باب صنما، ودفن تحت كل صنم كتزا من الكنوز، وباب كل واحد منها على قياس مائة ذراع منه إلى الجهة التي وجهه منصرف إليها، وكتب على كل واحد منها قُرْبَانَهُ وبُخُورَهُ والوصول إليه، وأسكنها السحرة فكانت تعرف بمدينة السحرة، ومنها كانت أصناف السحرة تخرج.

قال: وأقام مناوش في الملك سبعا وثلاثين سنة وذلك، وعمل له ناووس تحت الجبل الغربي، وجعل وصيته إلى ابنه من بعده جرْميس بن متقاوش، فملك إحدى عشرة سنة لم يبن بنايا ولا نصب منارا ولا عمل في أيامه أعجوبة حتى إنه لم يكن يذكر في عداد ملوكهم. فهذا ما أورده في أخبار قفطريم بن قبطيم وبنيه على توالي وآساق فلنذكر أخبار أشمون.

ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيه

هو أشمون بن قبطيم بن مضر بن حم بن نوح عليه السلام، وهو أخو قفطريم أبي الملوك الذين قدمنا ذكرهم. كان ملكا من أشمونين إلى منف، ومن الشرق إلى البحر المسالج، ومن الغرب إلى حدود برقة، وهو آخر حاد مصر،

(١) وفي المقرئ (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) في كلامه على أشمون بن قبطيم: أنها مدينة في سفح الجبل لها أربعة أبواب من كل ناحية باب، فلي الباب الشرق صورة عقاب، وعلى الباب الغربي صورة نور، وعلى الباب الشمالي صورة أسد، وعلى الباب الجنوبي صورة كلب، وفي هذه الصور روحانيات تنطق، فإذا قدم غريب لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها ودفن تحت ... الخ.

- ومن الصعيد إلى حد أنحيم . وكان ينزل مدينة الأشمونين وله بُنيت وبأسمه
 سُميت ، وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها . قال إبراهيم : وأشمون أول من اتخذ
 الملاعب بأنصنا والبهنسا وغيرها ، وبني القصور وغرس الغروس ، وبني مدينة تُعرف
 بِقِمَنْطَر ذات العجائب ، وهي بالقرب من مدينة السَّحَرَة التي تقدّم ذكرها في أخبار
 منقوش . قال : وفي وسط هذه المدينة قبة تُمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا ، وتحت
 القبة مطهرة فيها ماء أخضر يُتداوى به من كل داء فيبرنه ، وفي شرقها سرب لطيف
 له أربعة أبواب ، لكل باب منها عِصادة صورة وجه يخاطب كل واحد منها صاحبه
 بما يحدث في قومه ، ومن دخل تلك البربا على غير طهارة نفخوا عليه فأصابته علة
 فظيعة لا تفارقه إلى أن يموت . وكانوا يقولون إن في وسطه مهبط النور وهو
 في صورة العمود ، من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانيات ، ويسمع
 كلامهم ويرى ما يعملون ، وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب
 في يده مصحف فيه علوم الكهنة ، فمن أحبّ ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها
 بيديه وأمرهما على صدره ، فيثبت ذلك العلم في صدره . ويقال : إن هاتين
 المدينتين قَمَنْطَر ومدينة السَّحَرَة بُنيتا على أسم هرِمِس وهو عطارد ، وأنهما بجالهما .
 قال : وحكى عن رجل أنه أتى عبد العزيز بن مروان ، وهو على مصر ، فعرفه
 أنه ناه في صحراء الشرق وأنه وقع على مدينة خراب ، وأنه وجد فيها شجرة تحمل من
 كل فاكهة ، وأنه أكل منها وتزوّد ، فقال له رجل من القبط : هذه إحدى مدينتي
 هرِمِس وفيها كنوز كثيرة ، فوجه عبد العزيز معه جماعة وحمل معهم زادا وماء ،
 فأقاموا يطوفون شهرا في تلك الصحارى فلم يقفوا لها على أثر . ويقال : إن أشمون
 عمل في وقته على باب الأشمونيين إبرة من نحاس ، فكان الغريب إذا دخل المدينة
 صاحت الإبرة وخفقت بجناحيها فيعلم به ، فإن أحبوا منعوه ، وإن أحبوا تركوه .

قال : وفي أيامه كثرت الحيات فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها الأدوية والدرياقات ، ثم ساقوها بسحرهم إلى وادى الحيات في جبال لوبية ومراقبة فسجنوها هناك . قال : وهو أول من عمل النوروز بمصر ورتبه سبعة أيام يدمنون فيها الأكل والشرب واللهو . وفي زمانه بُنيت الهرمسا وأقام بها أسطوانات ، وجعل فيها مجلسا من زُجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، فكانت الشمس إذا طاعت على القبة ^(١) ألقت شعاعها على المدينة . وعمل فيها عجائب كثيرة يطول الشرح بذكرها .

قال : ويقال إن أشمون كان أول إخوته ملكا ، وكان أعذل بنى أبيه وأرغهم في صنعة تبقّى ويوقّ ذكرها . وهو الذى بنى المجالس المصقّعة بالزجاج الملون في وسط النيل . وتزعم القبط أنه بنى سربا تحت الأرض من الأشمين إلى أنصنا تحت النيل . وقيل : إنه عمله لبنائه لأنهم كنّ يميّضن إلى هيكल الشمس . وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج التخين الملون . وقيل : إنه كان أطول إخوته ملكا . وقال أهل الأثر : إنه ملك ثمانمائة سنة ، وإن قوم عاد اترعوا منه الملك بعد ستمائة سنة من ملكه وأقاموا تسعين سنة وأستوبأوا البلد فانتقلوا [إلى الدّينة من طريق الحجاز إلى وادى القرى فعمروها] واتخذوا [بها] المنازل ^(٢) والمصانع فسلب الله عليهم الدّثر فأهلكهم ، وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد . ويقال : إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ودُفن في أحد الأهرام الصّغار القبليّة . وقيل : بل عمّل له ناووس في غربى الأشمونيّين ودُفن معه فيه من الأموال والعجائب شئ كثير ، وأصنام الكواكب السبعة التى كانت في هيكل المرأة التى تُرى منها الأقاليم ، ودُفن معه ألف سرج من ذهب وفضّة ، وعشرة آلاف

(١) فى المقرئى (ج ١ ص ٢٣٨ طبع بلاق) : « فإفوقها » .

(٢) التّكلمة من المقرئى (ج ١ ص ٢٣٩) ، والدّينة : ناحية بين الجند وعدن .

خابية صغار من ذهب وفضة وزجاج ، وألف عَقَّار مَدْبَرَة لفنون الأعمال وزُبر عليه اسمه ومدة مُلكه والوقت الذى مات فيه .

وَأَسْتَخْلَفَ ابْنَهُ مَنَاقِيُوسَ بْنَ أَشْمُونَ . وَكَانَ جَلْدًا مَحْتَكًا فَاسْتَأْنَفَ الْعِمَارَةَ وَبَنَى الْقُرَى وَنَصَّبَ الْأَعْلَامَ ، وَجَمَعَ الْحِكْمَةَ وَمَصَاحِفَ الْمُلُوكِ وَالْحِكْمَاءَ وَعَمَلَ الْعَجَائِبَ ، وَبَنَى لِنَفْسِهِ مَدِينَةً وَأَتَقَرَّدَ بِهَا ، وَعَمَلَ عَلَيْهَا حَصْنًا وَنَصَّبَ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَعْلَامَ ، فِي كُلِّ رَكْنٍ مِنْ أَرْكَانِهِ عِلْمٌ ، وَبَيْنَ تِلْكَ الْأَعْلَامِ ثَمَانُونَ صِنًا مِنْ نَحَاسٍ وَأَخْلَاطٍ ، فِي أَيْدِيهَا آلَاتُ السِّلَاحِ وَزُبُرٌ عَلَى صُدْرِهَا آيَاتُهَا .

قال : وَكَانَ بِمَنْفٍ رَجُلٌ مِنْ أَوْلَادِ الْكُهْنَةِ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالسَّحَرِ وَأَبْصَرِهِمْ بِأَخْذِ التَّمَاسِيحِ وَالسَّبَاعِ ، وَكَانَ يَعْلَمُ الْغُلَامَانِ السَّحَرَ فَإِذَا حَذَقُوا عِلْمَ غَيْرِهِمْ ، فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ تُبْنَى لَهُ مَدِينَةٌ وَيَحُولَ إِلَيْهَا قُبُيَّتٌ ، وَهِيَ إِنْجِيمٌ . وَمَلِكُ مَنَاقِيُوسَ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ فَدُفِنَ فِي الْمَهْرَمِ الْمُحَاذِي لِإِطْفِيحٍ ، وَثِقُلَ مَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْآتِيَةِ وَالْتِمَائِيلِ ، وَزُيِّرَ عَلَيْهِ اسْمُهُ وَالْوَقْتُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ .

وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ — وَلَمْ يُسَمَّهِ إِبْرَاهِيمُ ^(١) — فَكَانَ أَحْزَمَ مِنْ أَبِيهِ ، فَعَظُمَ فِي عَيُونِ أَهْلِ مِصْرَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمَلَ الْمَيْدَانَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِرِيَاضَةِ أَنْفُسِهِمْ فِيهِ . وَأَوَّلُ مَنْ عَمَلَ الْبِيَارِ سَنَاتٍ لِعِلاجِ الْمَرْضَى وَالزَّمْنَى وَأَوْدَعَهَا الْعَقَاقِيرَ وَرَتَّبَ فِيهَا الْأَطْبَاءَ وَأَجْرَى عَلَيْهِمْ مَا يَسْعُهُمْ ، وَأَقَامَ الْأَمْنَاءَ عَلَى ذَلِكَ ، وَصَنَعَ لِنَفْسِهِ عِيدًا وَسَمَّاهُ عِيدَ الْمَلِكِ ، فَكَانَ النَّاسُ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ ، فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ

(١) هو إبراهيم بن القاسم الكاتب مختصر كتاب العجائب الكبير الذى ألفه إبراهيم بن وصيف شاه

وهو الذى اعتمد عليه المؤلف فى النقل فى كلامه على ملوك مصر كما أشار الى ذلك فى أول هذا الجزء .

وقد رجعت الى بعض المصادر التاريخية التى بأيدىنا فلم نوفق الى معرفة اسم هذا الملك ، بل رأينا بعض

المؤرخين يذكرونه (راجع الهامش رقم ٢ ص ٤٤ ج ٣ من مخطوط المقرئى طبعة فيت) .

سبعة أيام وهو يُشرف عليهم في مجلس قد بُني له على عمد قد طوّقت ذهباً وألبست فاخر الذهب المنسوج، وعليه قبة مصفحة من داخلها وخارجها بالذهب والزجاج المسبوك، وكان يعطى كل قوم قسطهم من النظر ثم يُكثرون الدعاء له وينصرفون الى مواضعهم .

وفي أيامه بنيت سَـتْرِيَّةٌ ^(١) في صحراء الواحات ، عملها من حجارة بيض مربعة على تقدير واحد، وجعل في كل حائط من حيطانها باباً في وسطه شارع يتنهي الى الحائط المجاور له من الجهة الأخرى، وجعل في كل شارع أبواباً يمتدة ويسرة تنتهي طرفاتها الى داخل المدينة، وجعل في وسط هذه المدينة ملعباً يدور به من كل ناحية سبع درج ، وعمل عليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام ، وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من سؤان أسود يدور مع الشمس بدورانها ، وبسائر نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصبح بلغات مختلفة . وكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك، وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة [والوزراء] ^(٢) ، وعلى الثالثة رؤساء الجيش ، وعلى الرابعة أصحاب الفلاسفة والمتبحرون والأطباء وأصحاب العلوم ، وعلى الخامسة أصحاب العمارات ، وعلى السادسة أصحاب المهن ، وعلى السابعة العامة؛ فيقال لكل طائفة منهم : انظروا من دونكم ولا تنظروا من فوقكم ، فإنكم لا تلتحقونهم . فكان في هذا ضرب من التأديب .

قال : وكان لللك عدة نسوة ، وكان يحبّ منهنّ امرأتين ويتخطّاهما ويجمع بينهما في مجلس واحد ، فيأكل لإحديهما في بعض الأيام دون الأخرى ، ففارت

(١) سترية، مدينة في غربي الفيوم دون فزان السودان وهي آخر أعمال مصر .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « على خشب عظيمة من زجاج » وهو تحريف .

(٣) التكلة من المقرئ .

وغرب عقلها وتناولت سكيناً ودخلت الى الملك وهو مغتر وتلك المرأة جالسة الى جنبه فضربتها بالسكين ، وقام الملك دُونها ليمنعها منها فضربته على فؤاده فخر صريعاً ، وقُبِض على المرأة وحُبِسَتْ ، ومات الملك . وقد أوصى بقتل المرأة ووضع رأسها على ناووسه . ومدة مُلْكِه ستون سنة .

- ٥ . وملك بعده ابنه مرقورة الملك ، فدخل عليه العطاء وهشوه ودَعَا له بدوام المُلْكِ والنعمة ، وكان حازماً عاقلاً ، فأخذ في حُسْنِ التدبير وتقويم العمارَة وترتيب المراتب ، وجعل لرأس الكهّان الحكومة في أمر الدين . قال : وفي كتبهم أنه أول مَنْ ذَلَّل السباع بمصر وركبها . قال : وبني [المدين وعمر^(١)] الهياكل وأقام الأصنام التي غربي منف ، وكان مُلْكُه نيفاً وثلاثين سنة ، وعُمل له ناووس على طريق الغرب على مسافة يومين .

- ١٠ . وقَدَ ابنه بلاطس بن مرقورة ، فملك وهو صبي . وكانت أمه تدبّر الملك مع الوزراء والكهنة ، وكانت حازمة مجتربة ، فأجرت الأمور على ما كانت في حياة أبيه ، وأحسنّت الى الأولياء ، وعدلت في الرعية ، ووضعت عنهم بعض الخراج فأحبّوها . وعُملت في وقته البركة العظيمة في صحراء الغرب ، وجُعِل في وسطها عمود طوله ثلاثون ذراعاً ، في أعلاه قصعة من حجارة يفور منها الماء فهي لا تنقُص أبداً ، وجُعِل حولها أصنام حجارة ملوّنة من كل صنف على صُور الحيوان والوحش والطير ، وكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ ولا يدرى .

قال : ولما زعرع الملك أحب الصيد ولهَج به ، فعملت له أمه متزّها فيه مجالس مركّبة على أساطين من المرمر مصقّعة بالذهب ، عليها قباب مرصّعة بالنصاوير

(١) التكملة من المقرئ (ج ١ ص ١٣٨ طبع بلاق) .

العجيبة والنقوش المؤلفة ، يطلع من تحتها الماء في فوارات وتنصب الى أنهار مصفحة
بالفضة تُقضى الى حدائق فيها بدائع الفروس ، عليها تماثيل تصفر بأصناف اللغات ،
ونُضدت بأنواع الفواكه ، وأرخت عليها ستور الدِّياج المذسوجة بالذهب ، وأختارت
له من بنات الملوك الحسان وأزوجته منهن ، وبنت حول تلك الجنة مجالس يجلس
فيها الوزراء والكهنة وأشرف أهل الصناعات يرفعون اليه ما يعملونه ، فكان أكثر
مقام الملك في تلك الجنة ، فإذا فرغوا من أعمالهم يُقل اليهم الطعام والشراب من
مطبخه ، ولا يزالون في أكل وشرب بقية يومهم وليتهم ، وأقاموا على ذلك والأمر
جارية على السداد .

وكانت أيامه سعيدة كثيرة الحُصْب والسعة للناس والدل فيهم والإحسان
اليهم . وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لمن معه بالجوائز
والأطعمة والأشربة ، ويجلس يوما للناس فينظر في أمورهم ومصالحهم ويقضى
حوادثهم ، ويجاس يوما للتلوة بِنسائه ، ثم جُدر فئات ، وعُمل له ناووس في جنته
وجعل فيه من الأموال والجواهر والصنعة والتماثيل كما كان يجعل لآبائه . وكان
ملكه ثلاث عشرة سنة ، وانتقل الملك إلى أعمامه .

ذكر أخبار أتريب الملك

هو أتريب بن قبطيم بن مصرم بن بئصر بن حام بن نوح عليه السلام . قال :
وكان أتريب قد انتقل إلى حيزه بعد وفاة أبيه قبطيم ، وهي المدينة التي كان أبوه
بناها له ، وكان طولها اثني عشر ميلا ، ولها اثنا عشر بابا ، وفي شارعها الأعظم
ثلاثُ قباب عالية على عمد بعضها فوق بعض ، منها قبة في وسط المدينة ، وقبتان
في طرفيها ، وجعل على كل ركن منها مرقبا كبيرا يُوقد ليلا ، وعلى كل باب من أبوابها

حرسا كثيرا، وجعل في كل جانب منها ملعبا ومجالس ومتزهات تشرف من تلك
المجالس عليها، وشق في عرضها نهرا وعمل عليه قناطر معقودة، وبنى فوقها مجالس
يتصل بعضها ببعض، وجعل حوله منازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض
مزروعة وخلفها الأجنّة والبساتين؛ وعلى كل باب من أبوابها أعجوبة من تماثيل
وأصنام متحركة وأصنام ينبع الماء من آذانها، ومن داخل كل باب صورة شيطانيين
من صُفر، فكان إذا قصدها أحد من أهل الخير فهقه الشيطان الذي عن يمينه
الباب، وإن كان من أهل الريب بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب، وجعل
في كل متّزه منها من الوحوش الآلفة والطير المفزدة كل مستحسن، وجعل فوق
قباب المدينة صورا تصفر إذا هبت الرياح، ونصب له فيها مرايا ترى البلدان
البعيدة والعجائب الغريبة، وبنى حذاءها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب
وأصناما بارزة كثيرة في خلق مختلفة، وجعل في وسطها بركة إذا مر بها الطير سقط
عليها فلا يبرح حتى يؤخذ، وجعل لها حصنا [بأثنى عشر بابا] (١) وجعل على كل
باب من أبوابها تماثلا يعمل أعجوبة وعمل حولها أجنّة، وجعل ما يقرب منها من
ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثمانى أساطين، وفوق المجلس قبة عليها طائر منشور
الجنّاحين يصفر كل يوم ثلاث صَفَرَات : بكرة، ونصف النهار، وعند الغروب :
وأقام فيها أصناما وعجائب كثيرة، وبنى مدنا كثيرة وأكثر من العمارات، وأقام رجلا
يقال له برسان يعمل الكيمياء، وضرب منها دنانير، في كل دينار سبعة مثاقيل عليها
صورته، وعمل منها تماثيل كثيرة. وعاش أتريب في الملك ثلاثمائة سنة وستين سنة،

(١) في المقرئى (ج ١ ص ١٧٥ طبع بلاق) : « غربيا » .

(٢) في المقرئى : « الشر » .

(٣) الكلمة من المقرئى (ج ١ ص ١٧٦ طبع بلاق) .

وكانت سنّته خمسمائة سنة . وعُمل له ناووس في جبل بالشرق حُفر^(١) [له] تحته سرب
بُطن^(١) بالزجاج [والمرصر] وجُعِل على سرير من ذهب [مرصع]^(١) وحُمِلت إليه ذخائره ،
وجُعِل على بابه صورة تنين لا بدنو منه أحد إلا أهلكه ، وزبر عليه اسمه وتاريخ
وقته ، وسفّوا عليه الرمال .

وملكت بعده أبنته [تدرورة]^(٢) فدبّرت الملك وساسته بأيد وقوة خمسا وثلاثين
سنة ثم ماتت .

فقام بالملك بعدها أخوها فليمون بن أتريب ، فردّ الوزراء إلى مراتبهم ،
وأقام الكهّان [على مواضعهم]^(٣) ولم يخرج الأمر عن رأيهم ، وجدّ في العمارات وطلب
الحكم وعمل بها . وفي أيامه بُنيت تيّس الأولى التي غزقها البحر ، وكان بينها وبين
البحر شيء كثير ، وحولها الزروع والأشجار والكروم والقرى ومعاصر الخمر وغيرها
وعماره لم يكن أحسن منها ، فأمر الملك أن يُبنى له [في] وسطها مجالس ، ويُنصب
له عليها قباب ، وتزين بأحسن الزينة والنقوش ، وأمر بفرشها وإصلاحها ، وكان
إذا بدأ النيل في الزيادة انتقل الملك إليها فأقام بها إلى التوروز ورجع . وكان لللك
بها أمناء يقسمون المياه ويُعطون كل قرية قسطها ، وكان على تلك القرى حصن
يدور بقناطر ، وكان كل ملك يأتي بأمر بمارتها والزيادة فيها ويجعلها له متزها .

(١) التكلة من المقریزی (ج ١ ص ١٧٦) . (٢) التكلة من المقریزی (ج ١ ص ١٣٨) ،
ورصف هذه الملكة بقوله : « وكانت كاهنة ساحرة ، فسات الملك أحسن سياسة ، ودبرت الملك أجود
تدبير ، وعملت طلبات عجبة ، منها طلسم منع الوحش والطيّر أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ،
وروقت في زمانها صيحة ارتجت لها الأرض فهلكت » . (٣) في المقریزی (ج ١ ص ١٧٦) :
« ابن أختها » . (٤) في المقریزی : « فليمون » بالقف . (٥) التكلة من المقریزی
(ج ١ ص ١٧٦) .

ويقال: إن الجنتين اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه كانتا لأخوين من أهل بيت الملك أقطعهما الملك ذلك الموضع . وقد تقدم ذكر خبرهما عند ذكرنا لبحيرة ينيس^(١)، وهو في الباب السادس من القسم الرابع من الفن الأول في ذكر البحار والجزائر وهو في السفر الأول من كتابنا هذا .

- قال : وفي زمان فليمون بُنيت دمياط على أسم غلام له كانت أمه ساحرة لفليمون . قال : وملك فليمون تسعين سنة ، وعمل لنفسه ناووسا في لجبل الشرق ، وحول إليه من الأموال والجواهر وسائر الذخائر شيئا كثيرا ، وجعل من داخله تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف فمن دخلها قطعته بسيوفها . وجعل عن يمينه ويساره أسدين من نحاس مذهب بلوالب أيضا فمن دنا منهما حطمه ، وزير على الناووس : هذا قبر فليمون بن أتريب بن قبطيم بن مصريم ، عمر عمرا ، وبقي دهره ، وأناه الموت فما أستطاع له دفعا ، فمن وصل إليه فلا يسلبه ما عليه ، وليأخذ مما بين يديه .

- وصار الملك بعده إلى ابنه قرسون بن فليمون ، وجلس على سرير الملك ، ودخل إليه عطاء أهل البلد والخاص والعام فهنئوه بالملك ، فتقدم في أمر الهياكل والكهنة وطلب الحكمة ، وكان حدنا جميلا فعشقتة إحدى نساء أبيه ، وكانت تولى طبية^(٢) وتزعم أن أباه أمرها بذلك ، ثم بعثت إلى ساحرة من أعلم السحرة بمنف^(٣)

(١) راجع (ج ١ ص ٢٥٢ من هذه الطبعة) .

(٢) طبية : هي ثيبة عاصمة الصعيد في أيام الفراعنة وذات المساة باب . وفي بعض مكانها الآن مدينة الاقصر أو قصور أبي الحجاج (راجع قاموس الجغرافية القديمة للرحوم أحمد زكي باشا) .

(٣) منف : هو الاسم العربي للعاصمة مصر في أيام القراعة ، وتسمى عند اليونان سفيس ، وعند قدماء المصريين مانوفرى ، وفي بعض محله الآن قرية ميت دهية بالجيزة . (راجع قاموس الجغرافية القديمة) .

١٣٤
١٢

فسألته أن تسحره لها وبذلت لها على ذلك أموالا ، وإذا الساحرة قد عشقته أشد من عشقها ، فسعت بامرأة أبيه وعزفته ما بذلت لها على ذلك ، فأبعدها عن مجلسه ومنعها من الدخول إليه .

وبلغ ملكا من ملوك حمران ملك مصر صار إلى غلام حدث غر فطمع فيه وسار إليه في جموع عظيمة ، فخرج قرسون نحوه فالتقوا بأيلة^(١) وأقتلوا قتالا شديدا حتى تفانى الفريقان ، فانت تلك الساحرة إلى الملك فقالت : ما تجعل لي إن أعنتك على عدوك حتى تقض جموعه وتظفر به ؟ قال حُكك ؛ فأخذت عليه بذلك العهد والمواثيق ، وأصبحوا للحرب فدخلت الساحرة بدخن عجيبة وأظهرت تخاييل هائلة ، فهرب الحميري في نفر يسير من ثقاته ، وقتل بقية أصحابه ، وحاز جميع ما كان في خزانهم ، وعاد الملك إلى منف بالظفر والغنيمة ، فأنته الساحرة فسألته الوفاء بالشرط فقال : احتكى ما أحببت ، فهذه الأموال والخزائن بين يديك ؛ فقالت : ما أريد غير الملك ؛ فقال : ويحك ! إنك لست من أهل بيت الملك ، وقد علمت ما في هذا على الملك ؛ فقالت : قد كان الملوك قبلك ينصبون نساء الناس ويلدن منهم ولا يسألون عن ولاداتهم ، وأنا أبنة فلان رئيس الكهنة ، ويوشك أن يحتاج الملك إلى بعد هذا . ولم تزل به حتى انصرف قلبه إليها ، فزوجها وأحبها وحظيت عنده . فضاقت الأرض بامرأة أبيه فأخذت في أعمال الحيلة عليها ؛ فدست جارية لها عاقلة لطيفة على ساق الملك الذي يتولى شرايه ، فاختلطت بجواريه حتى

(١) أيلة : فرضه على خليج العقبة ، سميت باسم أيلة بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ، كانت مدينة شهيرة في الأزمان الخالية ، وفيها قلعة شيدها أحد بن طولون صاحب مصر ، وفي جنوبها على ساحل بلاد العرب كانت مدينة أز يونجابر القديمة . وخليج أيلة ، أو العقبة ، يعرف في كتب اليونان باسم : « إلانيك » . (راجع معجم الخريطة التاريخية للإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

تمكنت من إثناء كان فيه شرابٌ لملك فألقت فيه سماً وعادت في الوقت إلى مولاتها وأخبرتها ، فدخلت إلى الملك فسجدت له وقالت : قد كنتُ لملك ناصحة ، وعليه مشفقة ، فأقصاني وأخصّ هذه الساحرة الفاجرة ، وقد سميت شرابه في إثناء من صفته كذا وكذا ، فلبسها الملك منه ليعلم صدقي ؛ فدعا الملك بالإثناء فوجده على ما ذكرت ، فأحضر الساحرة وأمرها بشرب قدح منه فشربته ولم تعلم ما فيه .
فانسقط لهما عن عظمها ، فأمر بدفنها في ناووس وزبر عليه اسمها وما همت به وما صار أمرها إليه ، وعاد إلى امرأة أبيه وتزوج بها وحسنت حالها عنده .

قال : وفي أيامه عمل المنار على بحر القلزم^(١) وجعلت على رأسه امرأة من أخلاط تجتذب المراكب على شاطئ البحر ، فلا يمكنها أن تبحر أو تعشر ، فإذا عثرت سرت المرأة فتجوز المراكب .

قال : وأقام قرسون ملكاً مائتين وستين سنة ؛ وقد كان عمل لنفسه ناووساً خلف الجبل الأسود الشرقى . وجعل في وسطه قبة فيها اثني عشر بيتاً ، في كل بيت أعجوبة لا تشبه الأخرى ، وزبر عليها اسمه ومدة ملكه . قال : وملك بعده ثلاثة أو أربعة . فهؤلاء الذين ستمهم من أولاد أتريب ممن ملك منهم . والله أعلم .^(٢)

(١) هو الآن البحر الأحمر .

(٢) هنا ينتهي السفر الثاني عشر من هذا الكتاب من تحفة الأمل من النسختين المأخوذتين بالتصوير الشسمى المحفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقمي ٥٤٧ ، ٥٥١ معارف عامة - وصورة ما جاء في آخر هذا السفر من النسخة الأولى : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري في أواسط شهر ربيع الأول من سنة سبع وستين وتسعمائة على يد كاتبه أفقر الخلق إلى رحمة الحق نور الدين بن شرف الدين العاملي . بلدا الشافعي مذهب غفر الله له ولوالديه وإن يقرأ له الفاتحة ويهديها للنبي ثم له آمين » .
وصورة ما ورد في النسخة الثانية : « كل الجزء الثاني عشر من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي المعروف بالنوري عفا الله عنهم . يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث عشر منه ذكر أخبار صابن قبطيم بن صيرم بن حاتم بن نوح عليه السلام .

والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وحبنا الله ونعم الوكيل » .

ذَكَرَ أَخْبَارَ صَا بْنِ قَبْطِيمَ بْنِ مَصْرِيمَ بْنِ بَيْصَرَ بْنِ حَامٍ
أَبْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال: ولما قسم قبطيم الأرض بين بنه الأربعة كما تقدم وانتقل كل واحد منهم إلى حيزه، خرج صا بأهله وولده وحشمه إلى حيزه، وهو بلد البحيرة وما يليها إلى برقة، ونزل مدينة صا، وذلك قبل أن تُبْنَى الإسكندرية. وكان صا أصغر ولد أبيه وأحبهم إليه، فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العارة، وبني المدائن والبلدان والهياكل، وعمل في إظهار العجايب كما صنع إخوته، وطلب الزيادة في ذلك. وكان مرهون الهندى صاحب بنائه، فبنى له من حد صا إلى حد لوبية ومراقية على عبر البحر أعلاما، وجعل على رؤوس تلك الأعلام مرايا من أخلاط شتى: فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاهم، ومنها ما إذا قصدهم عدو من الجزائر الداخلة وأصابها الشمس ألفت شعاعها على مراكبهم فأحرقها، ومنها ما يرى المدائن التي تجاورهم من عدوة البحر وما يعملها أهلها، ومنها ما ينظر منها إلى إقليم مصر فيعلم ما يخصب وما يجذب منه في كل سنة. وجعل فيها حمامات تُوقد من نفسها ومستشرفات. وكان كل يوم في موضع منها بمن يختصه من حشمه وخدمه، وجعل حولها بساتين وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستوحش والمستأنس والأنهار المطردة والرياض الموثقة،

(١) أول الجزء الثالث عشر من تجرئة الأصل. وكتب المرحوم أحمد زكي باشا في أول هذا الجزء من نسخة ما نصه: «يظهر لي أن هذا الجزء كتب في أيام المؤلف، وفي آخره عبارة هذا نصها: "بلغ مؤلفه مقابله بأصله والحمد لله" وهي بخط المؤلف كما يظهر من مضاهاتها بالأجزاء الأخرى المكتوبة بخطه».

(٢) كذا في المقرئى (ج ١ ص ١٨٢ طبع بلاق) ونسخة (ب) وفي نسخة (أ): «مرهوب».

(٣) كذا في الأصل والمقرئى. وفي تطبيقات المقرئى (ج ٣ ص ٢١٨ ضبعة فييت): «المهندس».

(٤) في المقرئى طبعة فييت: «صاحب بابه».

وجعل شرف القصر من حجارة ملونة تلمع إذا أصابتها الشمس فتشع شعاعها على ما حولها ؛ ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية إلا استعمله . فكانت العمارة ممتدة إلى برقة في رمال من رشيد إلى الإسكندرية إلى برقة . وكان الرجل يسافر في أرض مصر لا يحتاج إلى زاد لكثرة الفواكه والخيرات ، ولا يسير إلا في ظلال تستره من الشمس . وعمل في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا ، وساق إليها من النيل أنهارا . وكان يسلك من الجانب الغربى إلى حد الغرب في عمارة متصلة .

قال : فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها . قال : ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكى ما رأى فيها من الآثار والعجائب .

١٠

قال : ومن ملوكهم مرقونس^(١)، وكان [فاضلا] حكيما، محبا للنجوم والحكمة، فعمل في أيامه درهم إذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة، فيفتقر البائع بذلك ويقبل الشرط، فإذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم أرطال كثيرة تساوى عشرة أضعافه، وإن أحب أن يدخل في وزنه أضعاف تلك الأرطال دخل. قال : وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم في أيام بنى أمية، فكان الناس يتعجبون منه . وقد كانوا وجدوا درهما آخر قيل إنه عمل في وقته أيضا يكون في ميزان الرجل ، فإذا أراد أن يبتاع حاجة أخذ الدرهم من ميزانه وقلبه وقال : اذكر العهد ، ومضى فأبتاع به ما أراد، فإذا أخذ السلعة ومضى إلى بيته

١٥

$$\frac{2}{13}$$

(١) الكلمة من المقرئى (ج ١ ص ١٣٩ طبع بلاق) .

(٢) فى المقرئى (ج ١ ص ٣٤) « وقيلة » .

وجد الدرهم قد سبقه إلى منزله ، ووجد البائع حيث وضعه ورقة آس أو قرطاس أو مثل ذلك بدور الدرهم ^(١) .

وقيل : إن في وقته عملت الآنية الزجاج التي توزن ، فإذا ملئت ^(٢) [ثم] وزنت لم تزد على وزنها الأول شيئا ، وهي تحمل من الماء بوزنها . وعمل أيضا في وقته الآنية التي إذا جمل الماء فيها صار نحرا في لونه ورائحته وسكره . قال : وقد وجدت من هذه الآنية بإطفيح ^(٣) في إمارة هارون بن ثمارويه بن أحمد ابن طولون شربة جزع ^(٤) بعروة زرقاء بياض . وكان الذي وجدها أبو الحسن [الصائغ] الخراساني ^(٥) هو ونفر معه ، فجلسوا لياكلوا على عذ النيل وشربوا الماء بها فوجدوه نحرا فسكروا منه ورقصوا ، ف وقعت الشربة فأذكسرت على عدة قطع ، فاعتم الرجل وجاء بها إلى هارون مكسورة ، فأسف عليها وقال : لو كانت صحيحة لأشتريتها ببعض مئلي .

وفي أيامه عملت الصورة الحتمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات ، فكانت إذا جملت في موضع من المواضع آجتمعت إليها ذلك الجنس بعينه ولا يقدر أن يفارقها حتى يقتل . وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون ، وجعل في وسطه قبة من الزجاج خضراء صافية اللون ، وكانت إذا طلعت عليها الشمس ألقت شعاعها على المواضع البعيدة . وعمل من أربع جهاته أربعة مواضع عالية من الزجاج ، كل مجلس منها بلون ، ونقش كل مجلس منها بما

(١) كذا في الأصل والمقرئ . وفي تعليقات المقرئ (ج ١ ص ١٥٠ طبعة فيث) : « بدون » .
(٢) الكلمة من المقرئ . (٣) إطفيح : هي الآن إحدى بلاد مركز الصف بمديرية الجيزة .
(٤) سمى جزعا لأنه مقطع بألوان مختلفة ، أي قطع سواده بياض وصفرة . (٥) الكلمة من المقرئ (ج ١ ص ٣٤ طبع بلاق) . (٦) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « الدبابات » .

يخالف لونه من الطلسمات العجيبة والنقوش الغريبة والصور البديعة ؛ كل ذلك من زجاج مطابق يشق . وكان يقصد هذا الملعب ويُقيم فيه الأيام الكثيرة . وعمل له ثلاثة أعياد في كل سنة ، فكانوا يحجّون إليه ويدبحون له ويطعمون فيه سبعة أيام ؛ فلم يزل ذلك الملعب بحاله تقصده الأمم لتنظر إليه لأنه لم يكن له نظير ولا شكل ، ولا عمل [في العالم ^(١)] مثله إلى أن هدمه بعض الملوك لأنه تعاطى مثله . فلم يقدر على ذلك .

وكانت أم مرقونس أبنة ملك النوبة ، وكان أبوها يعبد نجما يقال له السها ، ويسميه إلها ، فسالت أبنها أن يعمل لها هيكلًا ويفردها به ، فعمله لها وصفحه بالذهب والفضة [وأقام فيه صمًا ^(١)] وأرخت عليه ستور الحرير ، فكانت تدخل إليه مع جواريا وحشيمها وتسجد له كل يوم ثلاث مرّات . وعملت في كل شهر عيدا ١٠ تقرب له فيه القرابين وتجره ليله ونهاره ، ونصبت له كاهنا من النوبة فكان يقوم به ويختر ^(١) [ه] ويقرب ^(١) [له] ، ولم تزل بأبنها حتى سجد له ودعا الناس إلى عبادته .

قال : ولما رأى الكاهن أن الأمر قد أحكم له من جهة الملك في عبادة الكواكب ، أحب أن يكون له مثالا في الأرض على صورة شيء من الحيوان يتعبده ليكون حذاء عينيه ؛ فأقام يعمل الحيلة في ذلك إلى أن آنفق بمصر كثرة العقبان ١٥ حتى أضرت بالناس ، فأحضره الملك وسأله عن كثرتها فقال : إن إلهك أرسلها لتعمل له نظيرا يسجد له . فقال الملك : إن كان ذلك يرضيه فأفعله ، فعمل تمثال عُقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك ، وعمل عينيه من ياقوتتين ،

(١) الكلمة من المقرئ (ج ١ ص ٣٥ ضع بلاق) .

(٢) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « ويفرده » .

وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على أنابيب جواهر ^(١) [أخضر] ، وجعل في منقاره
 كرة معلقة وسروله بأدرك أحمر ، وأقامه على قاعدة ^(٢) [من] فضة منقوشة ، وركبها
 على قائمة زجاج أزرق ، وجعله في أزج عن يمين الهيكل ، وألقى عليه ستور الحرير ،
 وجعل [له] دُخْنة معمولة من جميع الأفاويه والصمغ ، وقرب له بعجل أسود وبكارة
 الفراريج وبواكير الفواكه والرياحين . فلما تمت له سبعة أيام دعاهم إلى السجود له
 فاجابوه . ولم يزل [الكاهن ^(٣)] يُجهد نفسه في عبادته ، وعَمِلَ له عيداً دعاهم فيه إلى
 أن يتجرله في أنصاف الشهور بالمنديل وترش الهياكل بالتمر العتيقة [التي تؤخذ ^(٤)]
 من رءوس الخوابي ، ونطق لهم العقاب وعرفهم أنه أزال عنهم العقبان وضررها ،
 وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون ؛ فسُرَّ الكاهن بذلك ووجهه إلى أم الملك فغفرها
 ذلك فصارت إلى الهيكل ، فلما سمعت كلام العقاب سرها ذلك وأعظمته ، وبلغ
 الملك خبره فركب إلى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه ، فسجد له وأقام له سَدَنَةً
 وأمر أن يزين بأصناف الزينة ، وكان الملك يقوم بذلك الهيكل ويسجد لتلك
 الصورة ويسألها عما يريد فتخبره .

وعمل من الكيمياء والذهب ما لم يعملهُ أحد من الملوك . فيقال : إنه دَفَنَ
 في صحراء الغرب خمسمائة دَفين . ويقال : إنه عمل على باب صا عموداً وجعل
 عليه صنماً في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة ينظر فيها العليل [أو ينظر له ^(١)]
 أحد فيها [فإن كان يموت رآه ميتاً ، وإن كان يعيش رآه حياً ، والمسافر ، فإن كان
 مُقبلاً بوجهه علموا أنه راجع ، وإن رآه مولياً علموا أنه متماد ، وإن كان مريضاً
 أو ميتاً رآوه كذلك . وعمل بالإسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى

٢٠ (١) التكملة من المقرئ (ج ١ ص ٣٥) . (٢) في المقرئ : « دزة » . (٣) كذا في المقرئ .
 وفي الأصل : « الخوابي » . (٤) كذا في المقرئ . وفي الأصل : « أحب » .

رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز إذا مر به رجل تاجر جعل بين يديه شيئا من الذهب على قدر بضاعته، وإن حاذاه عن بُعد ولم يفعل ذلك لم يقدر على الجواز ويبيت قائما مكانه ، فكان يجتمع من ذلك مالٌ عظيم يفترق في الزمنى والفقراء .

وعمل في وقته كل أعجوبة طريفة ، وأمر أن يُزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل طَلسم وصنم . وعمل لنفسه ناووسا في داخل أرض الغرب عند جبل يقال له سددام ، وعمل تحته رَحَى طوله مائة ذراع في ارتفاع ثلاثين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، وصفحه بالمرمر والزجاج الملون المسبوك وسقفه بالحجارة الصافية ، وعمل فيما دار به مصاطب لطافا مبلطة بالزجاج ، وعمل على كل مصطبة فيها أعجوبة وتمثالا مما عمل في وقته ، وعمل في وسط الأَرَج دَكَّة من زجاج ملون ، على كل ركن من أركانها صورة تمنع من الدنو إليها ، وبين كل صورتين كالنارة عليها حجر مضيء ، وجعل في وسط الدَكَّة حوضا من ذهب يكون جسده فيه بعد تضميده بالأدوية المسكة ، ونقل إليه ذخائره من الجواهر والذهب وغير ذلك ، وأمر أن يُسَدَّ باب الأَرَج بالصخور والرصاص وتُهال عليه الرمال . وكان مُلكه ثلاثا وسبعين سنة ، وعمره مائتين وأربعين سنة ، وكان جميلا ذا وَفَرَةٍ حَسَنَةٍ فَسَكَت عاقمة نسائه بعده ولزمن الهيكَل .

وعهد بالملك إلى أبنه أنساد بن مرقونس ؛ فملك بعد أبيه وهو غلام ابن خمس وأربعين سنة ، وكان مُعجبا جبارا طامح العين ، فنكح امرأة من نساء أبيه وأنكشف أمره معها ، وكان أكبرهم الهوى واللعب ، فجمع كل مُلْكِهِ كان في مملكته وقصده كل من هذه سبيله ، وجعل تدير المُلك إلى وزير له

(١) كذا في المقرئى . وفي الأصل : « كالبرنس » .

(٢) في المقرئى : « تجاوزه » .

مسرور ، ورفض العلوم والميكل والكهنة والنظر في أمور الناس . وعمل قصورا من خشب عليها قباب من خشب منقوشة ممّوهة وجعلها على أطواف في النيل ، فكان يشرب عليها مع من يحبه من نسائه وخدمه ومن يُلهمه . وعمل تجلا في البرّ وحمل عليها الأروقة المذهبة وفرشها بفانر الفرش ، فكان ينتزه عليها ويمجّزها البقر ويقيم في نزهته شهورا لا يمتز بموضع نزه إلا أقام فيه أياما . وولد من الشجر توليدا كثيرا . وأستفد أكثر ما في خزائن أبيه لجوائز الملّمين والنفقات في غيره وجه . فلما أسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا عليه حاله وسألوه مسألته والمشورة عليه أن يقع عما هو عليه فضمن لهم ذلك ، وفاوضه فيه فلم ينته عنه ، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضروا بهم . وخرج في بعض الأيام إلى منتزه كان له قد صفّح مجالسه بصفائح الذهب والفضة ، وغريب الزجاج الملّون ، والجواهر المخروطة ، والصمغ المرنّحة الملّونة ، وأمال إليه المياه ، وغرس فيه الرياحين والثمار ، وفرش مجالسه بأصناف الفرش ، وكان إذا أحب أن يخلو بامرأة من نسائه خلا بها هناك ، فإنه في ذلك المكان ، وقد أقام به أياما ، إذ خرج غلام لبعض حرمه فأتى بعض التجار في حاجة أراد أخذها بغير ثمن ، فمنعه التجار منها ، فوثب بهم فضرّبوه حتى أسالوا دمه وحمل ، وأتصل الخبر بالوزير وصاحب الجيش فركبا إلى الموضع وأنكرا على الناس فأغلظوا لها ، فأنصرفا وعرفا الملك الخبر ، فأراهما أنه لم يحفل بذلك ، وأمر بالنداء في الناس من تعترض لكم من خدم الملك وأصحابه بأذى فاقتلوه ، فشكروا الناس وحدوا فعله على ذلك ، وتواصوا بالوثوب على أصحابه ، حتى إذا مضى لذلك أسبوع وجه الملك إلى الوزير وصاحب الجيش فعرفهما أنه قد عزم على الركوب إلى صحراء الغرب يتصيد هناك . وأمر أن يركب معه الجيش ويتروّدوا ثلاثة أيام ففعلوا ، وخرج إلى البرية فسار حتى إذا اختلط

السلام رجع الجيش حتى وافي باب المدينة ، وأمر أصحابه أن يضعوا السيف في الناس فقتلوا خلقا كثيرا ، ثم أمر أن ينادى : هذا جزء من أقدم على الملوك من رعاياهم وأصحاب مهنهم ، وأحرب الموضع الذي ضرب فيه الغلام ، فاستغاث به الناس ، فتقدم إلى وزيره أن يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ، ففعل وأقمنهم وقال : من عاد إلى مثل ما كان فقد حل لنا دمه ، فدعوا له وأنصروا . ثم احتجب عن الناس واستخف بالكهنة والهبيا كل فابفضته العائمة والخاصة وبقوا الغوائل فأحتال عليه خاصته بطباخه وساقيه فسيأه وهو ابن مائة وعشرين سنة ثمات .

- وصار الملك من بعده إلى ابنه صا بن أنساد بن مرقونس ، قال : وأكثر القبط تزعم أن صا بن مرقونس أخو أنساد . فملك وبناه الناس ، فوعدهم بالعدل فيهم ، والإحسان إليهم ، وحسن النظر لهم ، وسكن منف وحكم الأحياز كلها ، وعمل بها عجائب وطمسمات ، وزد الكهنة إلى مراتبهم ، ونفى المثلين وأهل الشر ممن كان يصحب أخاه ، ونصب العقاب الذي كان أبوه عمله ، وشرف هيكله ودعا إليه . وعمل في منف مرآة كان يرى منها ما يخصب من بلده وما يجذب . وبني بداخل الواحات مدينة غرس حولها نخلا كثيرا . ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة . وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من تعذر عليه أمر^١ يأتيه فيخبره فيتيسر عليه ذلك الأمر . وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون إليه ما يجري في حدودهم . وعمل على غربي النيل منائر يؤقدها عليها إذا قصدهم قاصد أو ناهب أمر . ويقال : إنه بنى أكثر منف وكل بنيان عظيم بالإسكندرية . قال : وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء إليه ونظر في النجوم . وكان بها حاذقا — فرأى أن بلده لا بد أن تغرق بالطوفان من نيلها ، ورأى أنها تخرب على

(١) وورد في المقرئ (ج ١ ص ١٥٥ طبعة فيث) بعد هذا ما نصه : « وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه أمر البحر وما يحدث فيه من أقصى ما يصل إليه البصر على مسيرة أيام وهو يؤقده من اتخذها » .

يد رجل [يأتي ^(١)] من ناحية الشام ، فجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح
الأقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها جميع الحِكم
والأموال .

وبني المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية ، وكان قد أخذ
على الواح الأقصى ، وكان عنده علم منها ، وأقام سبعة أيام يسير في رمال وصحارى
سمت الغرب والجنوب إلى أن ظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب حديد ، فأصعد
إليها الرجال ليقفوا على ما فيها لما لم يمكنه فتح أبوابها ، ولغلبة الرمال على ما حولها ؛
فكانوا إذا علّوا الحصن وأشرفوا عليها وشبوا إليها ؛ وعرض حصنها عشرون ذراعا ؛
فلما أعياه أمرها تركها ومضى ، فهلك في تلك الطريق جماعة من أصحابه . فلم يسمع
بأحد بعد موسى بن نصير ولا قبله وقع عليها .

قال : وفي تلك الصحارى أكثر متزّياتهم ومدائنهم العجيبة ؛ إلا أن الرمال غلبت
عليها . ولم يبق بمصر ملك إلا وقد عمل للرمال دفعا ثم تفسد طلسماتهم على تقادم الأيام .

(١) التكلة من المقرئ (ج ٣ ص ٨٨ ضمة فيت) .

(٢) هذه المدينة تسمى « مدينة النحاس » ويقال لها « مدينة الصفر » وتقع في بعض مفاوز الأندلس .
قال ياقوت في معجمه : « ولها قصة بعيدة من الصحة لفارقها العادة وأنا برى . من عهدتها ، إنما أكتب
ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العفلا . ومع ذلك فهي مدينة مشهورة الذكر فلذلك ذكرتها »
ثم ذكر عن ابن الفقيه أن ذا القرنين بناها وأودعها كنوزه وعلومه وطاسم بابها فلا يقف عليه أحد ،
وبني داخلها بحجر البهة وهو مغناطيس الناس ، وذلك أن الإنسان إذا نظر إليها لم يحالك أن يضحك
ويلق نفسه عليها فلا يزالها أبدا حتى يموت . وبنا بلغ عبد الملك بن مروان خبرها وخبر ما فيها من الكنوز
والعلوم وأن إلى جانبها بحيرة بها كنوز عظيمة كتب إلى موسى بن نصير عامله على المغرب يأمره بالمسير إليها
والحرص على دخولها وأن يعرف ما فيها ، ودفع الكتاب إلى طالب بن مدرك لحمله وسار حتى انتهى إلى
موسى بن نصير وكان بالقيروان ، فلما أوصله به تجهز وسار في ألف فارس نحوها فلما رجع كتب إلى
عبد الملك بن مروان ... وساق الكتاب الذي وصف فيه رحلته إلى هذه المدينة وما جادفه فيها (راجع معجم
البلدان في كلامه على مدينة النحاس) .

وقال : وحكى قوم من التَّاء في ضياع الغرب : ^(١) أن عاملا من عمّالهم عَفَّ بهم
 فهربوا ودخلوا في صحراء الغرب وحلوا معهم زادا إلى أن يصلح أمرهم ويرجعوا
 إلى بلادهم ، وكانوا على يوم وبعض آخر قد لحجوا في سفح الجبل ، فوجدوا عَيَّرا
 أهليا قد خرج من بعض شِعباه ، فبعه نفر منهم ، فأخرجهم إلى مساكن وأشجار
 ونخل ومياه تَطَرَّدُ وقوم يسكنون هناك ويزرعون ، فحاطبهم وعجبوا منهم وسألوهم
 عن حالهم فعرفوهم أنهم منذ كانوا يسكنون تلك الناحية ويتناسلون ويزرعون
 ولا يطالبهم أحدٌ بخراج ولا يؤذيهم ، وأنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب قط ، وقالوا
 لهم آتقلوا إلينا ؛ فخرج القوم بعد أن صلحت أمورهم واجتمعوا على الرجوع إلى
 ذلك الموضع والسكنى فيه بأهلهم ومواشيهم ، فخرجوا يطالبون الطريق مدة فما
 عرفوا الطريق ولا تأتى لهم الوصول إليه بعد ذلك فأسفوا على ما فاتهم منه .

وحكى أيضا عن آخرين ضلُّوا الطريق في الغرب ، فوقفوا على مدينة عامرة ،
 كثيرة الناس والمواشى والتخيل والشجر ، فأضافوهم وأكلوا عندهم وشربوا ، وباتوا
 في طاحونة يعمل فيها الخبز ، فسكروا من الشراب وناموا ، فلم ينتبهوا إلّا عند طلوع
 الشمس ، فوجدوا أنفسهم في مدينة كبيرة خراب ليس فيها أحدٌ ، فآرتاعوا لذلك
 وخرجوا على وجوههم كالحارين ، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء ،
 فظهرت لهم مدينة أخرى عظيمة أكبر من الأولى وأعمر ، وأكثر أهلا ودواب
 ومواشى وشجرا ونحلا ، فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة ، ففعلوا يعجبون منهم
 ويضحكون ؛ وإذا لبعض أهل المدينة وليمةً فأطلقوا بهم معهم ، فأكلوا وشربوا

(١) التَّاء : المقيون ؛ يقال : تَسَّ بالبلد ينزحوا أقام به وقطنه . ويقال : هو من بناء تلك

الكورة ، أى أصله منها . (٢) لحج بالمكان : لزمه . (٣) تطرد : تجرى .

(٤) كذا في نسخة ب وفي نسخة أ : « الخمر » .

وغتوهم بأصناف الملاحى ، وسألوهم عن حالهم فخذتوهم أنهم ضلّوا عن الطريق
 في هذه الصحارى ، فقالوا لهم : الطريق بين أيديكم واضح مستقيم لا يمكن أن تفلطوا
 فيه ، فإن أحببتم المسير وجهنا معكم من يوقفكم على سنن الطريق الكبير الذى
 يوصلكم إلى منازلكم ، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا رفقناكم وكنتم إخواننا وأحبابنا .
 قالوا : فسررنا بذلك من قولهم ، وأجمع بعضنا على المقام معهم ، وأجمع من كان
 له منا أهلٌ وولدٌ على أن يسير إلى منزله ويحمل أهله وولده ويعود إليهم . قال : وبتنا
 عندهم في خير مبيت ، فرحين بما ساق الله إلينا . فلما كان من الغد انتبهنا فوجدنا
 أنفسنا في مدينة عظيمة ليس فيها أحدٌ من الناس وقد تشعب بعض حصنها ، إلا أن
 حولها نخلا قد تساقط ثمره وتكدس حوله ، فليحقتنا من الخوف لذلك والارتفاع
 ما استوحشنا له ، وخرجنا على وجوهنا هارين مفكرين فيما عايناه من أهلها ، وإنا لنجد
 روائح الشراب منا ومعانى الخمار ظاهرة ، فلم نزل نسير يومنا أجمع وليس بنا جوع
 ولا عطش ، حتى إذا كان المساء رأينا راعيا يرعى غنما فسألناه عن العمارة وعن الطريق
 فدلّنا على الطريق وقال : إن العمارة هذاؤكم ؛ وإذا يتقار من ماء المطر فشربنا منه
 وبتنا عليها ، ثم أصبحنا فإذا نحن في خلاف موضعنا الذى تكأ فيه ، وإذا آثار العمارة
 والناس فما سرنا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمونين بالصعيد ، فكنا نحدث
 الناس ولا يقبلون منا .

قال : وهذه مدائن القوم القديمة قد غلب عليها الجحاح ، ومنها ما قد سترته عن
 العيون فلا ينظر إليها أحد .

قال : وذكر بعض القبط أن رجلا من بنى الكهنة الذين قتلهم أنساد سار إلى
 ملك الإفرنجية فذكر له كنوز مصر وعجائبها وخيرها ، وضمن له أن يوصله إلى ملكها

(١) القار : جمع نقرة (بالضم) ، وهى الوعدة المستديرة فى الأرض .

- وأموالها، ويدفع عنه أذى طَّسَمَانِهَا حتى يبلغ جميع ما يريد، ويعترفه مواضع الكنوز.
- فلما اتصل بصا الملك أن صاحب الإفرنجية يتجهز إليه، عمد إلى جبل بين البحر المالح وشرق النيل فاصعد إليه أكثر كنوزه وما في خزائنه، وبني عليها قبابا وصفحها بالرصاص، وأمر ففتحوها جوانب الجبل إلى منتهى خمسين ذراعا، وجعلوا في آتواء المنحوت منه شبه الطرر البارزة خارجة من النحت بقدر مائة ذراع وهو بين جبال وعرة، فخصن أمواله هناك. وتجهز إليه صاحب الإفرنجية في ألف مركب، فكان لا يميز شيء من أعلام مصر ومنازلها وأصنامها إلا هدمه وكسره بمعونة الكاهن له.
- حتى أتى الإسكندرية الأولى فمات فيها وهدم كثيرا من معالمها إلى أن دخل النيل من ناحية رشيد وصعد إلى منف فخاربه أهل النواحي، وجعل ينهب ما مر به ويقتل من قدر عليه إلى أن طلب المدائن الداخلة ليأخذ كنوزها فوجدها ممنوعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق الشداخت، فأقام عليها أياما كثيرة يعالج أن يصل إليها، فلما لم يتمكن ذلك قتل الكاهن، وهلك جماعة من أصحابه، واجتمع أهل النواحي على مراكبه وأصحابه فقتلوا منهم خلقا وأحرقوا بعض المراكب. ولما تيقن أهل مصر تلف الكاهن الذي كان معه أرسلوا إليه سحرهم وتهاويلهم، وأتت مع ذلك رياح غرقت كثيرا من مراكبه، وكان جل مرامه أن ينجو بنفسه فما عاد إلى الإفرنجية إلا وقيدا بجراحات أصابته، ورجع الناس إلى منازلهم وقراهم، ورجع صا إلى منف فأقام بها وترك ما كتبه على حاله.
- قال: ولم يزل بعد ذلك يغزو بلاد الروم وأهل الجزائر ويخربها فهابته الملوك، وتبع الكهنة فقتل منهم خلقا، وأقام سبعا وستين سنة، وكانت سنة مائة وسبعين سنة وهلك، فدفن بمنف في ناووس عمله وسط المدينة من تحت الأرض، وجعل

المدخل إليه من خارج المدينة من الجهة الغربية ، وحمل إليه أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ، وتمائيل وطلسمات وغير ذلك كما فعل أجداده . وكان فيه أربعة آلاف تمثال ذهب على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جوهر أخضر جعل عند رأسه ، وتمثال تين من ذهب مشبك عند رجله وزبر عليه اسمه وسيرته وغلبته للولك .

وعهد إلى ابنه تدارس بن صبا ، فملك الأحياز كلها بعد أبيه وصفا له ملك مصر . وكان محتكا مجزبا ذا أيدٍ وقوة ومعرفة بالأمور ، فأظهر العدل ، وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا . وبنى غربى منف بيتا عظيما للزهرة وزبر جميع الأخبار — وكان صنم الزهرة من لازورد مذهب متوجا بذهب — وسوره بسوارين من الزبرجد الأخضر ، وكان في صورة امرأة لها صغيرتان من ذهب أسود مدبر ، وفي رجلها خلخالان من حجر أحمر شفاف ونعلان من ذهب ، وفي يدها قضيب مرجان وهى تشير بسبابتها كالمسلمة على من فى الهيكل ، وجعل حذاءها من الجانب الآخر تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بحجر اللازورد ، ووجه البقرة محاذيا لوجه الزهرة ، وجعل بينهما مطهرة من أخلاط للأجساد على عمود رخام مجزع فيها ماء مدبر يستشفى به من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلون فى كل سبعة أيام ، وجعل فيه كراسى للكهنة مصفحة بذهب وفضة ، وقرب له ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير ، وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به . وكانت فرش الهيكل وستوره عن يمين تمثال الزهرة ويساره . وكان فى قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان وله حربة فى سنانها رأس إنسان معلق ، وبقى هذا إلى زمان فمُحَت نصر

(١) فى المقرئى (ج ١ ص ١٥٦ طبعه فيت) «تجاء وجه» .

وهو الذى هدمه . ويقال : إن تدارُس الملك هذا هو الذى حفر خليج سخا ، وأرتفع مال البلد فى أيامه مائة ألف ألف [دينار^(١)] وخمسين ألف [ألف^(١)] دينار . وقصده بعض عمالقة الشام نخرج إليه وأستباحه ودخل إلى فلسطين فقتل منها خلقا كثيرا . وسبى بعض حكامها وأسكنهم مصر وهابته الملوك .

- قال : وعلى رأس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والثوبة
 فى أرضه فعاثوا وأفسدوا ، فأمر بجمع الجيوش وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده
 يقال له : بلوطس فى ثلثمائة ألف ، وقائدا آخر فى مثلها ، ووجه فى البحر ثلثمائة سفينة^(٢)
 فى كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب [ثم خرج فى جيوش كثيرة ، فلقى
 جموع السودان] وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزمهم ، وقتلوا أكثرهم أرح قتل ، وأسر
 منهم خلقا كثيرا ، وتبعهم حتى وصل إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج فأخذ منها
 عدة من النور والوحش وذللها وساقها معه إلى مصر . وعمل على حدود بلده
 منارات وزبر عليها مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه . ولما وصل إلى مصر
 اعتل ورأى رؤيا تدل على موته ، فعمل لنفسه ناووسا ونقل إليه شيئا كثيرا من
 أصنام الكواكب والذهب والجوهر والصنعة والتماثيل وهلك به حمل إليه وزُبر
 عليه اسمه وتاريخ الوقت الذى هلك فيه ، وجعل عليه طُلُسمًا تمنع منه .

وعهد إلى ابنه مالىق بن تدارس ، فلك بعد أبيه . وكان غلاما كريما
 حسن الوجه ، مجتربا ، مخالفا لأبيه وأهل بلده فى عبادة الكواكب والبقر .

(١) الكلمة من المقرئى (ج ١ ص ٢٨٨ طبعة فييت) .

(٢) فى المقرئى : « فى النيل » .

(٣) الكلمة من المقرئى . وفى الأصل : « وتوجه هو » .

(٤) بلاد الزنج هى الآن بلاد الصومال والحبشة وبلاد زنجبار (راجع معجم الخريطة التاريخية) .

ويقال : إنه كان موحدًا على دين أجداده قبطيم ومصريم ، وكانت القبط تذمه لذلك . وكان سبب إيمانه فيما حكي أنه رأى في منامه أن رجلين لها أجنحة أتياه فأختطفاه وحملاه إلى الفلك ، فأوقفاه بين يدي شيخ أسود أبيض الرأس والحية ، فقال : هل عرفتني ؟ فدخلاه فزعة الحداثة ، وكانت سننه نيفًا وثلاثين سنة ، فقال له : ما أعرفك ! فقال : أنا قرويس ، يعنى زحل ، فقال : قد عرفتكَ ، أنت إلهي ، فقال : إنك وإن كنت تدعوني إلهًا فإني مربوب مثلك ، وإلهي الذي خلق السموات والأرض وخلقني وخلقك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : هو في العلو لا تراه العيون ، ولا تلحقه الأوهام ، وهو الذي جعلنا سبيلًا لتدبير العالم الأسفل . قال له مالىق الملك : فكيف أعمل ؟ قال : تُضمِر في نفسك ربوبيته علينا . وتُخلص في وحدانيته وتعرف بأزليته . ثم إنه أمر الرجلين فأنزلاه ، فأنبّه وهو مذعور ، فدعا رأس الكهنة فقَصَّ عليه رؤياه فقال : قد نهاك عن عبادة الأوثان فإنها لا تنُصِر ولا تنفع ، فقال له : مَنْ أعبد ؟ قال : الله الذي خلق السموات والكواكب التي فيها والأرض ومن عليها . فكان الملك يحضر الهيكل فإذا سجد انحرف عن الصنم وأضمر السجود لخالق السموات والأرض دون غيره ، ثم أخذ في الغزو والغلبة عن أهل مصر وجال في البلدان .

قال : وقال بعض أهل مصر : إن الله تعالى أيده بملك من الملائكة يعصده ويرشده ، وربما أتاه في نومه ، فأمره أن يأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل ، واتخاذ السلاح وما يصلح للأسفار ، وإعداد الزاد ، واتخذ في بحر الغرب مائتي سفينة ، ونحرج في جيش عظيم في البر والبحر ، فلقبه بجوع البربر في جموع لا تُحصى فهزبهم وأستأصل أكثرهم ، وبلغ إلى إفريقية وسار منها ، وكان لا يمتزأمة إلا أبادها إلى أن عدى من ناحية الأندلس يريد الإفريقية ، وكان بها ملك عظيم يقال له : أرقبوس ، فأقام يحاربه شهرًا ثم طلب صلحه وأهدى له هدايا كثيرة فسار عنه ، ودوخ الأمم المتصلة

بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها . ومرة بأمة عمارة لهم حوافر في أرجهم ، وقرون صغار ، وشعور كشعور الدواب ، ولهم أنياب بارزة من أفواههم ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى أثنهم ، فتفرّوا منه إلى غيران لهم مظلمة عظام .

والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة ، وعمل أعلاما على البحر وزبر عليها اسمهم ومسيره ، وخرب مدن البربر حيث كانت ، وألجأهم إلى قرون الجبال ورجع ، فلقاه أهل مصر بأصناف اللهو والطيب والرياحين ، وفُرشت له الطرقات ولقوه بأبنه بلهقانس وكان ولد بعد مسيره فُسّر به . واتصل خبره بالملوك فهابوه وحملوا إليه الهدايا من كل وجه ومكان .

قال : وبلغه أن قوما من البربر سحرة لهم تخايل عجيبة ونجور تدلون بها ، وأنهم في مدينة لهم يقال لها : قرميدة ، في الغرب من مصر ، قد ملكو عليهم امرأة ساحرة يقال لها : اسطافا ، فاتصل به كثرة أذاهم للناس فغزاهم ، فلما قرب منهم ستروا عنه مدنتهم بسحرم فلم يرها ، وطمأ مياهم فلم يعرفها ، فهلك أكثر أصحابه عطشا . فلما ستروا عنه البلد صعد إلى ناحية الجنوب ، ثم رجع على غير الطريق التي سار إليهم فيها ، فترهبكل كان لهم يحضرونه في أعيادهم ، فهدم بعضه وسقط منه موضع على جماعة ممن تولى هدمه فأهلكهم ، فلما رأى ذلك تركهم وأنصرف ، وخرجوا إلى هيكلكم فبنوا ما سقط منه وحرسوه بطلسيات محكمة ، ونصبوا فوق قبتة طلسيا من نحاس مذهب ، وكان إذا قصده أحد صاح صياحا منكرا يرتعد منه من سمعه ويهت فيخرجون إليه ويصطلمون . وكانت ملكتهم أخذق منهم بالسحر فقالت :

(١) البحر الأخضر ، ويقال له بحر الظلمات : هو المحيط الأطلسي ، ويسمى أيضا : بحر الظلمة أو بحر أقيانس أو البحر الأعظم ، ويقرأ في بعض الكتب « بحر أقيانس » وهو تصحيف ظاهر (راجع معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية للرحوم أمين وادف بك) . (٢) ميان : جمع غار ، وهو ما نحت في الجبل شبه المغارة فإذا اتسع قبل كهف . (٣) يصطلمونه : يثقلونه .

إني أعمل الحيلة في إفساد مصر وأذى أهلها، فعملت أشياء وأرسلتها مع من ألقاها في النيل، ففاض النيل على مزارعهم وغلاتهم، وكثرت فيه التماسيح والضفادع، وكثرت العال في الناس، وأنبتت فيهم النعابين والعقارب، فأحضر مالبق الكهنة والحكماء وقال: أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا ما هي؟ ولم لم تشرحوها في طالع السنة؟ فأجتمعوا في دار حكمتهم ونظروا حتى علموا أنه من ناحية الغرب، وأن امرأة عملته وألقته في النيل، فعلم أنه من فعل تلك الساحرة، فقال لهم: اجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم مرادها، فأجتمعوا للهيكل الذي فيه صور الكواكب وأصنامها، وسألوا الملك الحضور معهم فلم يمكنه الخلاف عليهم. فلما أمسى ابس مسحا واقترش رمادا وأستقبل مصلاه وأقبل على الآبتهال إلى الله والتضرع وقال: يارب يا الله، أنت إله الآلهة، وخالق الخلق، ولا يكون شيء إلا بقضائك، أسألك أن تكفيني أمر هؤلاء القوم، وغلبه السهر فأغنى في مصلاه، فرأى آتيا يقول له: قد رحم الله تضرعك، وأجاب دعاءك، وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمر عليهم، وصارف عنك الماء المفسد والدواب المضرة. فلما أصبح الكهنة غدوا عليه وسألوه حضور هيكلكم، فقال لهم: قد كفيتم أمر عدوكم وأهلكتمهم، وأزلت الماء الفاسد والدواب المضرة عنكم، ولن تروا بعدها شيئا تكرهونه، فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين لقوله وقالوا: قد سررنا بما ذكره الملك، وهم يضمرون الاستهزاء به والتكذيب له، ومضوا إلى دار الحكمة فقال بعضهم: الرأي ألا تقولوا في هذا شيئا، فإن كان حقا وقسم عليه، وإن كان باطلا اتسع لكم اللفظ في لومه، وسيتبين لكم أمره.

فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء الفاسد، وهلكت تلك الدواب المضرة، فعلموا أن الذي أخبرهم به حق، وأمر قائدا من قواده ورجالا من الكهنة أن يمشوا

- حتى يعلموا علم هؤلاء القوم، فأتوا المدينة فوجدوا حصنها قد سقط وقد هلكوا بجمعهم واحترقوا وأسودت وجوههم ؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوها ، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم ، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم بسبب رؤيا رآها ؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والتمثيل ما لا يحصى ولا تعرف له قيمة ، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباد شم ؛ ووجدوا صورة روحاني من ذهب ، ورأسه من جوهر أحمر، وله جناحان من در، وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ملون ؛ ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك ، وفيها فضلة من الماء الدافع لأسقامهم ، وفرسا من فضة من عزم عليه بعزائمه ودخنه بدخنة وركبه طار به فيما يزعمون، وغير ذلك من العجائب والأصنام ؛ فحملوا من ذلك ما قدروا عليه من الأموال والجواهر ، وسأل الملك ذلك الرجل : ما أعجب ما رأيت من أعمالهم ؟ فقال : نعم أخبرك أيها الملك ؛ إنه قصدهم بعض ملوك البربر، وكان جبارا من أهل بيت سحر، بغاء بالجموع الكثيرة وتخاييل هائلة ، فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجأوا إلى أصنامهم يخضعون لها ويتضرعون إليها ، وكان لهم كاهن عظيم الشأن، فسار إليه رؤساؤهم وشكوا إليه ما دهمهم من عدوهم ، فأتى إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها ، فجاس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها وزمزم على ماء البركة ، فلم يزل كذلك حتى فار الماء وفاض ، وخرجت من وسطه نار نتاج ، وظهر من وسطها وجه كدارة الشمس وعلى صورتها وضوؤها، فخر الجماعة وسجدوا لذلك الوجه، وتجلأهم نور؛ وجعل يعظم حتى ملأ البركة ، وصعد حتى خرق سقف القبة ، ثم ارتفع إلى رأسها وسمته يقول : قد كفيتكم شر عدوكم، وأمرهم أن يأخذوا دوابهم ففعلوا

ذلك ، وهَلَكَ الملك الذي قصدهم وجميع مَنْ كان معه ، وأنصرفوا ، فأقبلوا يأكلون ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة : لقد رأيت عجا من ذلك الوجه فما هو ؟ فقال : تلك الشمس تبَدَّت لنا في صورتها وأهلكت عدونا ، صاحت بهم صيحة أحرقتهم فأصبحوا خامدين .

قال : وكان هذا الرجل عاقلا فاتخذهُ مالىق وزيرا . ولم يزل مالىق على التوحيد ، وهو مع ذلك يسائر أهل البلد خوفا من اضطراب مُلكه ، وأمر أن يُعَمَّل له ناووس ، فكان يقصده ويتعبّد فيه ، وأمر ألا يُدَقَّن معه ذهب ولا جوهر ، فلم يُدَقَّن معه شيء سوى الطَّيب وصحيفة مكتوبة بخطه فيها : هذا ناووس ملك مصر مالىق ، مات مؤمنا بالله العليم لا يعبد معه غيره ، بريثا من الأصنام وعبادتها ، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال ، عاش كذا وكذا سنة ، ملك فيها كذا وكذا ، فمن أحبّ النجاة من عذاب الآخرة فليدين بما دان به . وأوصى ألا يُدَقَّن معه في ناووسه أحد من أهله ، وكان قد كثر كنوزا عظيمة وزبر عليها أن تخرجها أمة النبي المبعوث في آخر الزمان .

وأسخلف ابنه حرما بن مالىق . قال : وكان لنا سهل الخلق ، لم يمت أبوه حتى شرح له التوحيد ، وأمره أن يدين به ، ونهاه عن عبادة الأصنام ، وكان معه على ذلك في حياته ، ثم رجع عنه بعد وفاته الى دينهم . وكان سبب رجوعه الى عبادة الأصنام أن أمه كانت من بنات كبار الكهّان ، فنقلته بعد موت أبيه الى دينها وغلّبت عليه رأيه ، وأمرت بتجديد الهياكل وتشدّد في عبادة الأصنام . وتزوج حرما امرأة من بنى عمّه فأحبّها حبّا شديدا وهام بها ، فأفسدته على جميع نسائه ،

فاشئت ذلك على أمه، وكانت له قَهْرْمَانَةٌ من أهل سُيُوط ساحرة لا تطاق، وكانت تميل الى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها؛ فزادت في محورها لتلك المرأة فأوحشت ما بين الملك وأمّه حتى رفضها وأستخفّ بأمرها، وزاد الأمر حتى حلف ألا يجاورها، وأنه يغزو وينصرف فلا يرجع الى مصر أو يتصل به موثها، ففعل ذلك وغزا بلد الهند وأرض السودان .

- وكان سبب خروجه الى الهند أن ملكا من ملوكها يقال له مسور خرج في عدد كثير وسأيرته مراكبه في البحر ففتح بلدانا وجزائر، وأكثّر القتل والسبي؛ وذُكرت له مصر فقصدها وأعتلّ فرجع من طريقه، فأمر حرما الملك بعمل مائة سفينة على شكل سفن الهند، وتجهّز وركب وحمل معه المرأة ووجوه أصحابه وقواده، وأستخلف أبْنَه كلكن على مصر وكان صبياً، وجعل معه وزيرا يقال له لاون، وكاهنا يقال له ويسموس، وخرج ففرّ على ساحل اليمن وعاث في مدائنه . وكان لا يمر بمدينة إلا أقام صنّاً وزبر عليه أسمه وسيرة ووقته، وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها، وغنم منها مالا وجوهر كثيرا، وحمل معه حكما لهم، وبلغ جزيرة بين الهند والصين بها قوم سمر طوال يميزون شعورهم، ورأى لهم الدواب والطيور وشجر الطيب والتارجيل والفواكه التي لا تكون إلا عندهم، فأذعنوا له بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم . وأقبل يتنقل في تلك الجزائر عدة سنين؛ ففيل : إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة، ورجع إلى مصر بالظفر والغميمة، ووجد أمه قد هلكت، ووجد أبْنَه على الملك كما أستخلفه؛ فسر بذلك وهابه من حوله من الملوك . وبني عدة هياكل وأقام فيها أصنام الكواكب؛ لأنها - فيما زعم - هي التي أيدته في سفره حتى ظفر بما ظفر به وغنم ما غنمه . وقد كان حمل

$\frac{10}{13}$

معه من الهند حكما وطيبيا ، وكان معهما من كتبهم وحكمهم ما أظهرها به في مصر عجائب مشهورة ، وحمل معه صنما من أصنام الهند من الذهب مقروطا بالجوهر ، فنصبه على بعض الهياكل التي عملها . وكان حكيم الهند يقوم به ويخدمه ويقرب له . وكان يخبرهم بما يريدون منه .

قال : وأقام حرما بعد مُنْصَرَفِهِ من الهند مدة ثم غزا نواحي الشام فأطاعه أهلها وهادؤهُ ورجع إلى مصر . ثم غزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على خراج يحملونه له ، ورفع أقدار الكهنة وزاد في تعظيم دينهم ؛ فصوروه في هياكلهم ومضاجعهم ، وملكهم نحسا وسبعين سنة . وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووسا ، وعمل برقودة مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى أن مات وأبنته كلكن بمنف ، فضمده جسده بالموميا والكافور والمز ، وجعل في تابوت من ذهب ، وجعل معه مال كثير ، وجوهر نفيس ، وسلاح عجيب ، وتمائيل وصنعة وعقاقير ، ومصحف الحكمة . وصور في جانب الناووس صورا وزبر عليها ذكر السفن التي سار فيها ، والبلدان التي فتحتها ، وسد باب الناووس وزبر عليه اسمه ومدته وتاريخ الوقت الذي هلك فيه ، وقتل جماعة من نسائه أنفسهن عليه . وكان جميلا سمح الأخلاق ، وأغتم عليه الكهنة لإكرامه لهم ، وأهل المملكة لاتباعه لهم .

وملك بعده أبنته كلكن بن حرما ، وعقد التاج على رأسه بالإسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع إلى منف . وكان أصناميا على دين أبيه وأستبشر به أهل مصر . وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم . ولم يزل يعمل الكيمياء في مدة ملكه ؛ فخرن أموالا عظيمة بصحاري الغرب . وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان مكتوما . وكان الملوك قبله

(١) رقودة : هي مدينة الإسكندرية .

أمروا بترك صنعها لئلا تجتمع ملوك الأمم على غزوهم ، فعملها كلكن وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب بمصر أكثر منه في وقته ولا الخراج ؛ لأنه كان في وقته — فيما حكاه القبط — مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال . قال : وكان المنقال الواحد من الصنعة يطرح على القناطير الكثيرة فيصبغها ،

فاستغنوا عن إثارة المعادن لقلة حاجتهم إليها . وعمل من الحجارة المسبوكة الملوّنة الصمّ التي تشفّ شيئا كثيرا لم يعمل مثله أحد من تقدمه . وعمل من الأدرك الملوّن والفيروزج أشياء تخرج عن العقول ، حتى كان يسمى حكيم الملوك . وغلب جميع الكهنة في علومهم ، وكان يخبرهم بما يغيب عنهم ، فهابوه واحتاجوا إلى علمه .

وكان نمرود بن كنعان الذي أهلكه الله تعالى على يد إبراهيم الخليل عليه السلام

في وقته ، فيقال : إنه لما اتصل بنمرود خبر حكمته استتراه فوجه إليه أن يلقاه منفردا من أهله وحشمه بموضع كذا ، ففعل النمرود ذلك وسار إلى الموضع الذي ذكره ، وأقبل كلكن على أربعة أفراس تحمله ذوات أجنحة ، وقد أحاط به نور كالنار ، وحوله صور هائلة قد خيل بها ، وهو متوشح بشعبان محترما ببعضه ، والثعبان فاغر فاه ، ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك الثعبان رأسه ضربه بالقضيب . فلما رآه النمرود هاله أمره وخاطبه ؛ فاعترف له بجليل الملك والحكمة ، وسأله أن يكون ظهيرا له .

وتقول القبط : إن كلكن الملك كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة

تلوح على رأسه . وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم . ويقولون :

إنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ، ثم استتر عنهم مدة حتى

توهموا أنه هلك . وكان يحول في الأرض وحده حتى طمعت الملوك التي حول

في ملكه ؛ فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له «سادوم» في جيش عظيم ، وأقبل من ناحية المغرب من نحو وادي هيب ليكبس البلد ، فأقبل حتى وافاهم ، ثم جالهم بشيء من سحره كالغمام شديد الحرارة ، فأقاموا تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون ، فطار إلى مصر فاستأنس الناس لمقدمه ، فعرفهم ما جرى وأمرهم بالخروج إليهم ليعرفوا خبرهم ، فوجدوهم ودواهم أمواتا فعجبوا لذلك ، وهابته الكهنة هيبة لم يهابوها أحدا قبله ، وصوروه في جميع الهياكل ، وملكهم زمانا .

وبنى في آخر عمره هيكلا لرحل من صوان أسود في ناحية الغرب ، وجعل له عيدا ، وجعل في وسطه ناووسا ، وحمل إليه ما أراد من ذهب وجوهر ، وحكم وعقاقير ، وعرفهم بموته ، وجعل على باب الناووس طائسات تمنع منه ، وغاب عنهم فلم يقفوا على موته .

وكان قد أوصى إلى ابنه ماليا بن كلكن فملك بعد أبيه . وكان شريها كثير الأكل والشرب ، منفردا بالرفاهة ، غير ناظر في شيء من الحكمة ، وجعل أمر البلد إلى وزيره . وكان معجبا بالنساء ؛ وكان له ثمانون امرأة ، ثم اتخذ امرأة من بنات الملوك التي بمنف وكانت عاقلة سديدة الرأي ، وكان بها معجبا فحتمه النساء . وكان له بنون وبنات ، وكان أكبر بنه يقال له : طوطيس ، فكان يستجمل أباه فاعمل الحيلة في قتله ، وإنما حملته على ذلك أمه وجماعة نسائه وبعض وزراء أبيه ؛ فهجم عليه في وزرائه وهو سكران وتلك المرأة عنده فقتله وقتل المرأة وصلبها .

(١) وادي هيب : هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم ، يجلب منه الملح والظرون . عرف بهيب بن محمد الفقاري أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . شهد فتح مصر (راجع خطط المقرئ ج ١ ص ١٨٦ طبع بلاق) .

وملك بعده أبنة طوطيس بن ماليا وجلس على سرير الملك . وكان جبّارا جريئا شديدا البأس مهيبا ؛ فدخل عليه الأشراف وهنشوه ودعّوا له ، وأمرهم بالإقبال على مصالحتهم وما يعينهم ، ووعدهم بالإحسان .

والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وهو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقولون إن الفراعنة سبعة هو أولهم . قال : ثم نذاكر الناس ما فعله بأبيه وأنكره .
وآستقبحوا صلبه المرأة فأنزلها ودفنها ، وآستخف بالكهنة والهيّاكل .

ولنذكر خبره مع إبراهيم الخليل عليه السلام في أمر سارة^(١) ، ونورد من ذلك ما أورده أهل الأثر وما ورد في الحديث الصحيح النبوي من هذه القصة . قال إبراهيم بن القاسم الكاتب في سياقه أخباره : لما فارق إبراهيم عليه السلام قومه والنمرود بن كنعان ونزل الشام ثم خرج إلى مصر ومعه سارة امرأته وخلف ابن أخيه لوطا بالشام وسار إلى مصر ، وكانت سارة أحسن نساء العالمين في وقتها ، ويقال إن يوسف الصديق ورث جزءا من حسننها لأنها جدّة أبيه . قال : فلمّا سار إبراهيم إلى مصر وآتى الحرس المقيمون على أبواب المدينة فرأوا سارة وعجبوا من حسننها ورفعوا خبرها إلى طوطيس^(٢) . وقد روينا في ذلك حديثا بسندنا الذي قدّمناه إلى أبي عبد الله البخاري رحمه الله قال : حدثنا أبو اليمان قال : أخبرنا شعيب قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " هاجر إبراهيم عليه السلام بمسرة فدخل بها قرية فيها ملك^(٣) "

(١) سارة : بتخفيف الراء وقيل بتشديد ها .

(٢) في شرح البخاري للقسطاني (ج ٤ ص ١٢٢ طبع بلاط سنة ١٢٩٣ هـ) أن اسم هذا الملك

صاروق ، وقيل ستان بن علوان ، وقيل عمرو بن امرئ القيس بن سبأ ، وكان على مصر .

(٣) في شرح البخاري للقسطاني : « هي مصر . وقال ابن فتيبة : الأردن » .

من الملوك أو جبار من الجبابرة ف قيل : دخل إبراهيم بأمرأة هي من أحسن النساء ؛ فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك ؟ قال : أختي . ثم رجع إليها فقال : لا تكذبي حديثي فإني أخبرتهم أنك أختي ؛ والله إن على الأرض من مؤمن غيري وغيرك ؛ فأرسل بها إليه فقام إليها فقامت تَوَضَّأُ وتصلي ، فقالت : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجي فلا تسلطُ عليّ هذا الكافر ، فغط حتى ركض برجله .

قال الأعرج : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن أباه ريرة قال : قالت : اللهم إن يمت يقال هي قتلته فأرسل ، ثم قام إليها فقامت تَوَضَّأُ وتصلي وتقول : اللهم إن كنتُ آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجي فلا تسلطُ عليّ هذا الكافر ، فغط حتى ركض برجله . قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة : قال أبوه ريرة : فقالت :

اللهم إن يمت فيقال هي قتلته فأرسل في الثانية أوفى الثالثة . فقال : والله ما أرسلتم إلى إلا شيطانا ! إرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها أجر ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة . هذا ما روينا من صحيح البخاري .

وقد ورد في أخبار طوطيس زيادات نذكرها ؛ وهو أن الملك لما أطلقته في المرة الثالثة قال لها : إن لك رباً عظيماً لا يُضِيعُك ؛ وأعظم قدرها وسألها عن إبراهيم فقالت : هو قريبي وزوجي . قال : فإنه ذكر أنك أخته . قالت : صدق أنا أخته في الدين ، وكل من كان على ديننا فهو أخ لنا . قال : نعم الدين دينكم ! ووجهها إلى ابنته حوريا ، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير ، فالتق الله تعالى بحبة سارة في قلبها فعظمها حوريا وأضاعتها أحسن ضيافة ، وهبت لها جوهرها ومالا ، فأتت

(١) إن بكسر الهمزة وسكون النون نافية بمعنى « ما » . (٢) غط : بضم الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة ، أي أخذ يجاري نفسه حتى منع له غطيظ . (٣) يقال هي قتلته : بباثبات الألف في « يقال » على أن جواب الشرط المحذوف تقديره « ... أعذب ويقال ... » . (٤) هي هاجر أم اسماعيل كما - يأتي بعد . (٥) راجع (ج) ص ٣٥ طبع بلاق سنة ١٢٩٠ .

به إبراهيم عليه السلام فقال لها : رُدِّيهِ فلا حاجة لنا به فردته؛ فذكرت حوريا ذلك لأبيها فعجب منها وقال : هؤلاء من قوم كرام ومن أهل بيت طهارة فتحلّى في برّها بكل حيلة ، فوهبت لها جاريةً قبطيّةً من أحسن الجوارى يقال لها آجر، وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام، وعملت لها ميلالا من الحلوى وقالت : يكون معك هذا للزاد. وجعلت تحت الحلوى جوهر انقيسا وحلياً مصبوغاً مكّلاً. فقالت :

أشاور صاحبي ؛ فأتت إبراهيم عليه السلام فشاورته فقال : إذا كان ما كولا نخذه ، فقبلته منها وخرج إبراهيم عليه السلام . فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال فأصابها الجوهر والحليّ ، فعزّت إبراهيم ذلك ، فباع بعضه وحفر من ثمنه البئر التي جعلها للسبيل وفترق بعضه في وجوه البرّ ، وكان يضيف كل من مرّ به .

- قال : وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة تعزّفه أنها بمكان جدد وتستغيثه ، فأمر بحفر نهر في شرقيّ مصر يمزج بسفح الجبل حتى يتهى إلى مرفأ السفن في البحر المسالخ ، فكان يحمل إليهما الحنطة وأصناف الثلثات فتصل إلى جُدّة وتحمل من هناك على المطايا ، فأحيا بلد الحجاز مدة . ويقال : إن كل ما حُلّيّت به الكعبة في ذلك العصر هو مما أهداه ملك مصر . ويقال : إنه لكثرة ما كان طوطيس يحمله إلى الحجاز سمّته العرب «جرهم الصادق» وكذلك يسمّيه كثير من أهل الأثر . وقد تقدّم في قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام أن أسم الملك صادق ، ويقال : إنه سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في بلده ، فدعا بالبركة لمصر ، وعزّفه إبراهيم أن ولده سيملكها ويصير أمرها إليه .

- قال : وطوطيس أول الفراعنة بمصر ؛ وذلك أنه أكثر القتل حتى قتل قراباته وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه ، وأكثر الكهنة والحكماء . وكان حريصاً على الولد

فلم يرزقه الله ولدا غير أبنته حوريا، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يده كثيرا وتمنعه من سفك الدماء، فأبغضته وأبغضه الخلق : الخاص والعام . فلما رأت أمره يزيد خافت على زوال ملكهم فسمته فهلك . وكان ملكه سبعين سنة . ولما مات اختلفوا فيمن يملكوه عليهم بعده فقالوا : لا يملكُ علينا أحد من أهل بيته، وأرادوا تملك بعض ولد أتريب ؛ فقام بعض الوزراء ودعا إلى تملك أبنته لصنيعها فيه، ولما كانت تنكر عليه، وتبعه أكثر القواد والوجوه فتم لها الأمر .

وملكت حوريا بنت طوطيس وجلست على سرير الملك، ووعدت الناس بالإحسان، وأخذت في جمع الأموال وحفظها، فاجتمع لها من الأموال والجواهر والخلى والطيب ما لم يجتمع لملك، وقدست الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم، وأمرت بتجديد الهياكل وتعظيمها . وسار من لم يرضها إلى مدينة أتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أتريب يقال له أنداخس ؛ فعقد على رأسه تاجا وأنضم إليه جماعة من بنى عمه وأهل بيته، فأنفذت إليه جيشا فخاربه ؛ فلما رأى أنه لا طاقة له بها دعاها إلى الصلح وخطبها إلى نفسه وقال لها : إن الملك لا يقوم بالنساء، وخوفها أن يزول ملكهم بمكانها ؛ فعملت صنيعا وأمرت أن يحضره الناس على منازلهم ، فحضروا وأكوا وشربوا وبذلت لهم الأموال وعزفتهم ما جرى من خطبتها، فبعض صوب الرأي، وبعض امتنع وقالوا : لا يتولى علينا غيرها لمعرفةنا بعقلها وحكمتها ، وهى وارثة الملك ؛ وشبوا على نفر ممن خالفها فقتلوه ، وخرجوا في جيش كثيف فلقوا جيش الخارج بأتريب فهزموه وقتلوا كثيرا من أصحابه ، فهرب إلى أرض الشام وبها الكنعانيون من ولد عمليق، فاستغاث بملكهم وضمن له أخذ مصر وفتحها، فجهزه بجيش عظيم إلى مصر، فاجتمع الناس كلهم إلى حوريا، ففتحت خزائن أيها وفزقت ما فيها على الناس فأحبوها، وقوت السحرة بالمال ووعدتهم الإحسان .

فلما تقدم أنداخس بالجيش أمرت السحرة أن يعملوا له عملاً ، وكان على جيوشهم قائدٌ من عطاء قواد ملكهم يقال له جيرون ؛ فلما نزلوا أرض مصر بعث ظمرا لها من عقاء النساء إلى جيرون سرّاً من أنداخس تعزفه رغبته في تزويجه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه إن قتل أنداخس تزوجت به وسلمت إليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه . فرغب في ذلك وسم أنداخس بسم أنفذته إليه . فقتله ؛ فوجهت إليه أنه لا يجوز أن أتزوجك حتى تظهر في بلدي قوتك وحكمتك وتبني لي مدينة عجبية — وكان آفتارهم حينئذ بالبنان وإقامة الأعلام وعمل العجائب —

وقالت له : انتقل من موضعك هذا إلى غربي بلدي فم آثار لنا كثيرة فاقف تلك الأعمال الغريبة وآبن عليها . ففعل ذلك وبنى لها مدينة بصحراء الغرب يقال لها تندومة^(١) ، وجر إليها من النيل نهرا وغرس عليها غروسا كثيرة ، وأقام بها منارا عاليا ، وعمل فوقه منظرا وصفحة بالذهب والفضة والصففر والرخام الماؤون والزجاج المسبوك وأبدع في عمله . وكانت تمدّه بالأموال وتكتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم .

فلما فرغ من بناء المدينة قالت له : إن لنا مدينة حصينة كانت لأوائلنا وقد حربت منها أمكنة [وتسعت حصنها] فامض إليها واعمل في إصلاحها إلى أن أنتقل إلى هذه المدينة التي بنيتها وأنقل إليها جميع ما يحتاج إليه ، فإذا فرغت من إصلاح تلك المدينة فأنفذ إلى جيشا حتى أصير إليك وأنظر ما صنعت ، وأبعد عن مدينتي وأهل بيتي فإني أكره أن آتيك بالقرب منهم . فمضى وجه في عمل الإسكندرية الثالثة .

قال : وأهل التاريخ يسوقون شيئا من أخبار أنداخس ويذكرون أنه الذي قصد الوليد بن دوع العملي ، وهو ثاني الفراعنة . وكان سبب قصده له أنه كانت به علة فوجه إلى المواضع ليحمل إليه من مياهها حتى يعرف ما يلائم جسده ، فوجه

(١) في خطط المقرئ (ج ٣ ص ٧٤ طبعة فيت) : « أندومة » . وأشار في الهامش إلى أنها وردت أيضا باسم « تندومة . قندومة . قندومة » . (٢) الزيادة من المقرئ .

غلاما له فأتى مملكة مصر ووقف على كثرة خيراتها ^(١) وحمل إلى صاحبه من مائها والطائفها وعاد إليه ، فعزفه حال مصر فقصدها في جيش كثيف حتى حطَّ عليها ، وكاتب الملكة وخطب إليها نفسها ، فوجهت إليه من أشرف على حاله فوجد قوما عظاما لا يقوم بحربهم ، فأجابته إلى التزويج والطفقة وشرطت عليه أن يبنى لها مدينة يُظهر فيها أيده وقوته ويجعلها مهرا لها ، فأجابها ودخل مصر وآتتهى إلى ناحية الغرب لىبني لها المدينة ناحية الإسكندرية ، فأمرت أن يُتلقَّ بأصناف الرياحين والفواكه وتُخلَّق وجوه الخيل ، فمضى إلى الإسكندرية — وقد خربت بعد خروج العادية منها — فنقل منها ما كان من حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع أساس مدينة عظيمة وبعث إليها مائة ألف فاعل ، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال ، وكان كلما بنى بناء خرجت من البحر دوابُّ تقلعه فإذا أصبح لم يجد منه شيئا ، فاهتم لذلك .

وكانت حوريا قد أنفذت إليه ألف رأس من المعز اللبون يستعمل ألبانها في مطبخه ، وكانت مع راع يثق به ، وكان ذلك الراعى يطوف بها ويرعاها هناك ، فكان إذا أراد أن ينصرف عند المساء خرجت إليه من البحر جارية حسناء فتوق نفسه إليها ، فإذا كلمها شرطت عليه أن تصارعه فإن صرعها كانت له وإن صرعته أخذت رأسين من المعز ؛ فكانت على طول الأيام تصرعه وتأخذ من الغنم حتى أخذت أكثر من نصفها وتغير باقيا لشغله بحب تلك الصورة عن رعيها ، وتفسير هو أيضا في جسمه وتحمّل ، فمزبه صاحبه وسأله عن حاله وحال الغنم فخبّره الخبر خوف سطوته فقال : أى وقت تخرج ؟ قال : قرب المساء . فلبس ثياب الراعى وتولّى رعية الغنم ^(٢) يومه إلى المساء ، وخرجت البخارية فشرطت عليه كما شرطت على الراعى ، فأجابها وصارعهما فصرعها وقبض عليها وشدها فقالت له : إن كان لا بد

(١) كذا في المقرئى . وفي الأصول : « خزانها » . (٢) كذا في الأصول والمقرئى . والعادية : نسبة إلى قبيلة عاد البائدة . (٣) رعية : بكسر الزا ، اسم من رعى المشاة يرعاهها .

من أخذنى فسلمنى لصاحبي الأول فإنه ألطف بى، وقد عذبتُ مرةً بعد مرة، فردّها إليه وقال له : سلها عن هذا البنيان الذى بنيه ويزول من ليلته من يفعل به ذلك ؟ وهل فى بنائه من حيلة ؟ فسألها الراعى عن ذلك فقالت : إن دوابّ البحر التى تنزع بنيانكم . قال : فهل فيها من حيلة ؟ قالت : نعم . قال : وما هى ؟ قالت : تعملّ توابيت من زجاج كثيف بأغطية وتجعل فيها قوما يُحسنون الصناعة فى التصوير ، وتجعل معهم صحفاً وأنقاشاً وزاداً يكفيهم أياماً ، وتجعل التوابيت فى المراكب بعد أن تُسَدّها بالحبال ، فإذا توسّطوا الماء صوّر المصورون جميع ما مرّ بهم وترفع تلك التوابيت من الماء ، فإذا وقفت على تلك الصور فاعملوا لها أشباها من الصُّفَر أو من الخجارة أو من الرصاص وأنصبوها أمام البنيان الذى تبنيه من جانب البحر ، فإن تلك الدوابّ إذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد . فعرّفه الراعى ذلك ففعله ، وتمّ بناء المدينة .

وقال قوم من أهل التاريخ : إن صاحب البناء والغنم جيرون ^(١) [المؤتفكي] وكان قصدهم قبل الوليد ، وإنما أتاهم بعد حوريا وقهرهم جيرون وملك مصر . وذكروا أن الأموال التى كانت مع جيرون نفدت كلها فى تلك المدة ولم يتم البناء ، فأمر الراعى فسأل تلك الجارية فقالت : إن فى المدينة التى تحربت ملعباً مستديراً حوله سبعة عمود على رؤوسها تماثيل ^(١) [من] صُفَر قيام ، فقرب لكل تماثل منها نورا سمينا ولطّخ العمود الذى عليه التماثل من دم الثور ، وبخره بشعر من ذنبه وشيء من نخاعه قروونه وأظلافه ، وقال له : هذا قربانك فأطلق لى ما عندك ، ثم قس من كل عمود إلى الجهة التى يتوجّه إليها وجه التماثل مائة ذراع وأحفر ، وليكن ذلك فى وقت أملاء القمر واستقامة زحل ، فإنك تنمى بعد خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فاطّحها بمرارة الثور وأقلعها فإنك تنزل منها إلى سرب طوله خمسون ذراعاً فى آخره خزانة مقلّبة ومفتاح

القفل تحت عتبة الباب نخذه ولطّخ الباب ببقية مرارة الثور ودمه وبخره بئحاته قرونة وأظلافه وشعره، وأدخل الباب بعد أن تخرّج الرياح التي فيه، فإنه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صُفْر معلق مكتوب فيه جميع ما في الخزانة من مال وجوهر وتمثال وأعجوبة، نخذ منه ما شئت ولا تتعرض لميت تجده ولا لما عليه؛ وكذلك فأنفل بكل عمود وتمثاله؛ فإنك تجد في تلك الخزائن نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم. فلما سمع ذلك سرّبه وفعله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئا كثيرا؛ فتم بناء المدينة. واتصل ذلك بحوريا فساءها؛ وإنما كانت أرادت إتيابه وهلاكه بالحيلة عليه. فيقال: إنه فيما وُجد من العجائب درج ذهب مختوم بطين ذهب فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعها عرق جوهر أحمر، من اكتحل من ذلك الذرور وكان أشيب عاد شابا وأسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى أصناف الروحانيين، ووُجد تمثال من الذهب إذا أظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوّت وأجاب عنه. ويقال: إنه كان في كل خزانة عشر أعجوبات.

قال: فلما فرغ جيرون من بناء المدينة وجه إليها يعلمها ذلك ويحثها على القدوم، فحملت إليه قرشا فاحرة وقالت: ابسطها في المجلس الذي تجلس فيه، وأقسم جيشك أنلانا وأنفذ إلى ثلثه، حتى إذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ إلى الثلث الآخر، فإذا جرت نصف الطريق فأنفذ إلى الثلث الباقي، ويكونون من وراني لثلاثي راني أحد إذا دخلت عليك، ولا يكن عندك إلا صبية تتق بهم يخدمونك فإنى أوافيك في جوار تكفيك الخدمة ولا أحشمهن؛ ففعل. وأقامت تحمل إليه الجهاز والأموال حتى علم بمسيرها ووجه إليها ثلث جيشه فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، فلما أتوها استترطهم جوارها وحشمها وأقبلوا عليهم بتلك الأطعمة والأشربة والطيب والكساء.

- واللهو فلم يصبح منهم أحديهم ، ولقيها الثلث الثاني والثالث بعده ففعلت بهم كذلك ، وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها ومملكتها يحفظونه ، إلى أن دخلت عليه هي وظهرها وجوار كن معها ، فنفتحت ظهرها في وجهه نفخة بهت إليها ورشت عليه ماء كان معها فأرتعدت مفاصله فقال : من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبت نفسه وغلبته النساء ، ثم فصدت عروقه وأسالت دمه وقالت : دماء الملوك شفاء .
- وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها فنصب عليه وحملت تلك الأموال إلى منف .
- وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها وآسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت .
- قال : ولما اتصل خبرها بالملوك الذين يتأخرون بلدها ، هابوها وأذعنوا لها وهادوها . وعملت بمصر عجائب كثيرة ، وأقطعت أهل بيتها وقوادها وحشمها أقطاعا كثيرة ، وأمرت أن يبنى على حد مصر من ناحية النوبة حصن وقنطرة يجرى ماء النيل من تحتها . وأعتلت حوريا فاجتمع إليها أهل مملكتها وسألوها أن تقدم عليهم ملكا ، ولم يكن في ذلك الوقت من ولد أبيها وأهل بيته من يصلح لذلك ، فقلدت عمتها دليغة بنت ماموم ، وكانت عذراء من عقلاء النساء وكبراهن ، فعهدت إليها وأخذت لها الموائق على أهل مصر ألا يسلموها وأن يتبعوا أمرها ، وسلمت إليها مفاتيح خزانها ، وأطاعتها على مواضع كنوز آبائها وكنوزها ، وأمرت أن يضمم جسدتها بالكافور وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت عملت لها فيها ناووسا وعملت فيه عجائب ونقلت إليه أصنام الكواكب ، وزينته بأحسن الزينة ونصبت له قومة ، وأسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة وأصحاب العلوم والمهن وبعض الجيش ، وعمرت تلك المدينة فلم تزل على حالها من العماره إلى أن تحرقها بمختصر وحل بعض كنوزها .

وجلس دليفة بنت ماموم على سرير الملك بعد وفاة حوريا ، واجتمعت الكلمة عليها وأحسنّت الى الناس ووضعت عنهم رَاجَ سنة ، وقام عليها أيمى يطلب بثار خاله انداخس ، واستنصر بملك العبالقة فوجّه معه قائدا من قواده في جيش كثيف ، فأخرجت اليه دليفة بعض قوادها فالتقوا بالعريش ، وجعل سحرة الفريقين يُظهرون التخييل الهائلة والعجائب العظيمة والأصوات التى تفرع الأسماع وتؤلّمها ، فاقاموا مدة يتكاثفون الحرب ويتراجعون فهلك بينهم خلق كثير ، ثم انهزم أصحاب دليفة الى منف وسار أصحاب أيمى في آثارهم ، ومضت دليفة في جمع من جيوشها الى ناحية الصعيد فزلت الأشمونين وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش ووقعت الحرب بينهم بناحية الفيوم وخلق أصحاب دليفة الماء بينهم وبين عدوهم ، وأستجدت دليفة بأهل مدائن الصعيد لخاربوا أصحاب أيمى حتى أزالوهم عن منف ، وكانوا قد ظفروا بها وعانوا فيها ، فهزموهم حتى ركبو المراكب وعدوا الى ناحية الحوف ، وكان معهم ساحر من أهل ناحية فقط فأظهر بسحره نارا حالت بينهم وبين أصحاب دليفة ، فلما زاد الأمر وأشفق أهل مصر من خروجها عن أيديهم سَفَر السفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قِسْمَةً بينهم فأجاب كل منهما الى الصالح ، ثم غدرت دليفة بعد ذلك بأيمى وأخرجت الأموال والجواهر وفرقتها فى الناس ، وكان بعضهم قد لامها فى الصلح ، فرجعت الى الحرب فأقاموا ثلاثة أشهر ثم ظهر أيمى عليها وهزمها الى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة ، فلما رأت ذلك سَمَت نفسها فهلكت .

وملك بعدها أيمى ؛ فتجبر وقتل خلقا كثيرا من كان حاربه . وكان الوليد بن دوع العمليق قد خرج فى جيش كثيف يتنقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن

(١) العبالقة : من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام

ما يوافقها منها؛ فلما صار بالشام انتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها ، وأن أمرها قد صار إلى النساء وبادت ملوكها؛ فوجه غلاما له يقال له عون، فسار إلى مصر وفتحها وحوى أموالا، ومولاه لا يعرف خبره ولا يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي معه ، لما كان يسمع عما بمصر من الطلسمات والسحر؛ ثم اتصل به خبره فسار إلى مصر فلقاه عون وعرفه أنه كان عزم على المسير إليه وإنما أراد تعديل البلد وإصلاحه فقبل قوله ودخل .

وملك مصر الوليد بن دومع العمليقي ، واستباح أهلها وأخذ أموالها وقتل جماعة من كهنتها، ثم سنع له أن يخرج فيقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم ويغزوهم ، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه ، وأصلح ما يحتاج إليه ، واستخاف عونا على البلد وخرج في جيش كثيف فلم يزمأه إلا أبادها . فيقال :
 ١٠ إنه أقام في سفره سنين كثيرة ، وإنه مر على أمم من السودان وجاوزهم ، ومر على أرض الذهب وفيها قضبان نابتة؛ ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الأنهار التي تخرج من تحت جبل القمر^(١)؛ ثم سار حتى بلغ هيكल الشمس فدخله . ويقال : إنه خطب فيه . وسار حتى بلغ جبل القمر؛ وهو جبل عال .
 وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لخروجه عن خط الاستواء . ونظر
 ١٥ إلى النيل يخرج من تحته . وقد تقدم خبر النيل^(٢) .

(١) توجد بالجهات الاستوائية في المصورات الجغرافية القديمة ومنها « الخريطة المنسوبة إلى الإدريسي عن ملر » ثلاث بحيرات هي التي تسمى : البطيحة الغربية، والبطيحة الشرقية، وبينهما البطيحة الكبرى، وهي التي يخرج منها نهر النيل المصري ، ونهر النيل السوداني الذي يطلق عليه اسم النيجر ، وإلى الجنوب من هذه البطائح توجد سلسلة جبال القمر، ويقال أن البطيحة الكبرى هي التي تسمى الآن « فيكتور يانازره » وهي التي أشار إليها المؤلف هنا (أفادني الأستاذ الجليل الشيخ محمد توفيق الدين بك) .

(٢) ضبطه بعض أهل الجغرافيا بفتح القاف والميم . والتقات منهم على أنه بضم القاف وسكون الميم (انظر تقويم البلدان ص ٦٤ طبع باريس) . (٣) راجع (ج ١ ص ٢٦٢ من هذه الطبعة) .

قال : ودخل الوليد القصر الذى فيه تماثيل النحاس التى عملها هِرْمِس الأول
فى وقت البودسير الأول بن قفطريم . قال : ولما بلغ الوليد جبل القمر رأى جبلا
عاليا فاعمل الحيلة وصعد عليه ليرى ما خلفه ، فأشرف على البحر الأسود الزرق
المتن ، ونظر إلى النيل يجرى عليه كالأنهار الرقاق ، وأنته من ذلك البحر روائح
منتنة هلك كثير من أصحابه من ريحها فأسرع التزول بعد أن كاد يهلك .

قال : وذكر قوم أنهم لم يروا شمس ولا قمر وإنما رأوا نورا أحمر كنور
الشمس عند مغيبها . وأقام الوليد فى غيبته أربعين سنة . وأما عون الذى استخلفه
بمصر فإنه فعل فى غيبة الوليد ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر عون وما فعله فى غيبة الوليد وخبر المدينة التى بناها

قال : ولما مضت من غيبة الوليد بن دومع سبع سنين تجبر غلامه عون بمصر ،
وآدعى أنه الملك ، وأنكر أن يكون غلاما للوليد ، وأنه أخوه وقّده الملك بعده ، ووثب
على الناس وغلّبهم بالسحرة وأسنى جوائزهم ولم يمنعهم محابهم ، فقالوا إليه ووثقوا
أمره ، فلم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل
صاحبه . وكان مع ذلك يلزم الهياكل ويكرم الكهنة ، فكانوا يُسكنون عنه إشفاقا
منه وخوفا من السحرة الذين معه ؛ إلى أن رأى فى منامه الوليد بن دومع وكأنه
يقول له : مَنْ أَمْرُكَ أَنْ تُسَمَّى بِأَسْمِ الْمَلِكِ ، وقد علمت أنه من فعل ذلك

استحققت القتل ، ونكحت بنات الملوك وأخذت الأموال بغير واجب ، ثم أمر
بقدور فقلت زيتا وأحميت على أنه يغمر فيها ، فلما غلت أمر بترع ثيابه فأتى طائر
فى صورة عُقاب فاخطفه من أيديهم وحلق به فى الجوّ وجعله فى هوة على رأس
جبل ، وأنه سقط من رأس الجبل إلى واديه حية ، فأنبّه مرعوبا طائر العقول . وقد

كان في فعله ذلك وتملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة كاد عقله يزول، خوفاً منه لِمَا يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته . ولم يتيقن هلاكه وأضمر في نفسه الحرب من مصر بما معه من الأموال .

قال : ولما رأى الرؤيا لم يشك في حياة الوليد وأنه سيعود ، فأطلع بعض السَّحَرَةِ مَنْ يثق به على أمره وقال : إني خائف من الوليد وقد عزمتم على الخروج من مصر فما الوجه عندكم ؟ قالوا : نحن نُثجِك منه على أن تقبل منا . قال : قولوا ، قالوا : تعمل عُقاباً وتعبد به ؛ فإن الذي حصنك منه أحدُ الروحانيين وهو يريد ذلك منك . قال عون : أشهد لقد قال لي وأنا معه : أعرف لي هذا المقام ولا تنسَه . قالوا : قد بينا لك . فأجابهم إلى ذلك وعمل عُقاباً من ذهب وعمل عينيه جوهريتين ووشحه بأصناف من الجواهر ، وعمل له هيكلاً لطيفاً وجعله في صدره وأرخص عليه ستور الحرير ، وأقبل أولئك يتخرونه ويقربون إليه ويستَحِرُّون إلى أن نطق لهم ، فأقبل عون على عبادته ودعا الناس إليها فأجابوه .

فلما مضى لذلك مدَّة أمره العقاب ببناء مدينة يحوله إليها وتكون مَعْقَلاً له وحرزا من كل أحد . فأمر عون أصحابه أن يخرجوا إلى صحارى الغرب ويطلبوا كل أرض سهلة حسنة الاستواء ، ويكون المدخل إليها بين هَجُولٍ صعبة وجمال وعرة ، ويتوخَّأ أن تكون قريبة من ناحية مَغِيضِ الْمَاءِ التي هي اليوم الفيوم . وكانت مغيضا لماء النيل حتى أصلحها يوسف عليه السلام على ما ذكره إن شاء الله . وإنما أراد عون بذلك ليجرَّ الماء منها إلى مدينته التي بينهما ؛ فخرج أصحابه وأقاموا شهراً يطوفون الصحارى حتى وجدوا له بغيته ، ولم يبق فاعل ولا مهندس ولا أحد ممن

(١) هَجُول : جمع هَجْل (يفتح فسكون) ، وهو المظلم من الأرض .

يُصْرُ البناء ويقطع الصخور ويختها إلا وجهه به عون إليها ، وأنفذ معهم ألف رجل من جيشه وسبعمائة ساحر يعاونونهم بالروحانيين الذين في طاعتهم ، وأنفذ معهم جميع الآلات وأقام يحمل لهم الزاد إلى هناك شهورا على العجل ؛ وطريق العجل على الفيوم واضحة في صحراء الغرب وخلف الأهرام — وهي التي يقصدها أصحاب المطالب — مشهورة .

٥ قال : فلما تكامل له ما أراد من ذلك ومن نحت الأحجار خطوا المدينة فرسخين في فرسخين ، وحفروا في الوسط بئرا وجعلوا في تلك البئر تمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة من نحاس وجعلوا وجهه إلى الشرق ، وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له في شرفه ، وأخذوا خنزيرا فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه ويجزوه بشعره ، وأخذوا شيئا من عظامه ولحمه ومرارته فخلوه في جوف ذلك الخنزير النحاس ، وجعلوا في أذنيه شيئا من مرارته ، وأحرقوا بقية الخنزير ، وجعلوا رماده في قلة نحاس بين يدي الخنزير النحاس ، ونقشوا عليه آيات زحل ، ثم شقوا في البئر أخذودا من أربعة وجوه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، ومدوا تلك الأخاديد إلى حيطان المدينة ، وعملوا على أفواهاها مسارب تجلب الرياح إليها ، ثم سدوا البئر وعملوا عليها قبة على عمد مربعة ، وجعلوا منها شوارع كل شارع ينتهي إلى باب من أبواب المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل ، وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب ، وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود وفوقه أحمر وفوقه أصفر وفوقه أخضر ، وفوق الجميع أبيض يشق ، مثبتة كلها بالرصاص المصبوب بين الحجارة ، وقلوبها أعمدة من حديد على وضع بناء الأهرام ؛ وجعل طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين ذراعا ، ونُصب على كل رأس باب من أبوابها في أعلا الحصن تمثال عقاب كبير من صفر وأخلاق ناشر الجناحين أجوف ، وعلى كل ركن صورة فارس بيده حربة ووجهه

$$\frac{18}{13}$$

إلى خارج المدينة؛ وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقى ينحدر في صَبَبٍ إلى الباب الغربى ويخرج إلى صهاريج هناك، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمال، وقرب تلك العقبان عقباناً ذكوراً، واجتذب الرياح إلى أفواه التماثيل، فكانت الرياح إذا دخلتها سُمِعَتْ لها أصواتٌ شديدة لا يسمعها أحد إلا حالته، وصمدها بعفاريت تمنع الداخل إليها إلا أن يكون من أهلها، ونصب العقاب الذى كان يعبد تحت القبة التى فى وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان فى كل ركن منها وجه شيطان، وجعلها على عمود يديرها، والعقاب يدور إلى كل الجهات الأربع، ويقم فيها ربع السنة، يقرب إليه من جهتها .

فلما فرغ من ذلك كله حمل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بمصر وما وجدته فى خزائن الملوك، ومن التماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وغير ذلك، وحول إليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار، وقسم المساكن بينهم لا يختلط أهل صنعة بغيرها، وعمل لها رِبَضاً يحيط بها، وبني فيه منازل لأصحاب المهن والزراعة، وعقد على تلك الأنهار قناطر يمر عليها الداخل إلى المدينة، وجعل الماء يدور حول الرِبَضِ؛ ونصب عليها أعلاماً وحرساً؛ ثم غرس وراء ذلك بالبرية النخل والكروم وأصناف الأشجار، ومن وراء ذلك مزارع الغلات من كل جهة، وكان يرتفع له بها فى كل سنة ما يكفيه لعشر سنين، كل ذلك خوفاً من الوليد .

قال : وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام؛ فكان عونٌ يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام ثم يعود إلى منف، وكان لها أربعة أعياد فى السنة؛ وهى الأوقات التى يتحول العقاب فيها . فلما تم ذلك كله لعون أطمأن قلبه، وسكنت نفسه .

(١) فى خطط المقرئى (ج ١ ص ٢٤١ طبع بلان): «وركل بها أدراجاً تمنع الداخل إليها...» .

(٢) الرِبَضُ هنا : سور المدينة .

ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون إلى مدينته

قال : ثم وافا كتاب الوليد بن دوع من نواحي النوبة إلى عون يأمره أن يُنفذَ إليه الأزوادَ وينصبَ له الأسواقَ؛ فوجهَ إليه ذلك في المراكب وعلى الظهر، وحول جميع عياله ومن أصطفاه من بنات ملوك مصر وكبرائها إلى المدينة، حتى إذا قرب دخولُ الوليد إلى مصر خرج عون إلى مدينته وخلف خليفة على مصر يكون بين يدي الوليد . ودخل الوليد مدينة منفَ وتلقاه أهل مصر وشكّوا إليه عوناً وما حلّ بهم منه . قال : وأين هو؟ قالوا : فز منك . فغضب الوليد وأمر بجيش كثيف ينفذ إليه ، فعزّفوه أن الجيش لا يصل إليه ، وأخبروه خبر المدينة وكيف بناها وخبر السحرة الذين معه . فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ويحذّره التخلف عنه ، ويُقسم أنه إن لم يفعل وظفر به بضَع لحمه بضَعاً . فردّ جوابه يقول : ما على الملك مني مؤنة ، وأنا لا أتعرض إلى بلده ولا أعيث فيه ؛ لأني عبده ، وأنا له في هذا الموضع أردّ كل عيّد ويأتيه من نواحي الغرب ، ولا أقدر على المصير إليه لخوفي منه ، فليقرني الملك بحالي كأحد عمّاله وأوجه إليه ما يلزمني من الخراج والهدايا . ووجه إليه بأموال جليلة وجوهر نفيس . فلما رأى ذلك كفّ عنه . وأقام الوليد بمصر فاستعبد أهلها وأستباح حريمهم وأموالهم . وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسئموا أيامه . واتفق أنه ركب في بعض الأيام إلى الصيد فالتقاه فرسه في وهدة فهلك . وكان أبسه الريان يُنكر عليه فعله ولا يرضاه . فلما هلك عمل له ناوروسا قرب الأهرام . وقيل : بل دفن في الهرم .

(١) الظهر : الركاب التي يحز الأتقال في السفر، حللها إياها على ظهرها .

ثم ملك بعده ابنه الريان بن الوليد بن دومع، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نهراوش^(١)، وجلس على سرير الملك. وكان عظيم الخلق، جميل الوجه، عاقلا متمكنا، فتكلم ومنى الناس وضمن لهم الإحسان وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين، فاثنوا عليه وشكروه، وأمر بفتح الخزائن وفترق ما فيها على الخاص والعام، وتمكنت منه أريحية الصبا فللك على الرية رجلا من أهل بيته يقال له أطفين، وقيل في اسمه: قطفير، وقيل: قوطيفر، وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز. وكان من أولاد الوزراء. وكان عاقلا أديبا متمكنا صائب الرأي كثير التزاهة مستعملا للعدل والعجارة والإصلاح. وأمر الريان أن يُنصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه ويغدو ويروح إلى باب الملك، ويخرج بجميع الوزراء والعلماء والكتاب بين يديه، فكفى الريان ما خلف سريره وقام بجميع أمره وأخلاه لذاته، فأقام الريان منعكفا على قصفه ولهوته منغمسا في لذته لا ينظر في عمل ولا يظهر للناس ولا يخاطبهم، فأقاموا بذلك حيناً. هذا والبلد عامر.

وبلغ الخراج في وقته سبعة وتسعين ألف ألف مثقال فجعلها أقساما، فما كان للملك وأسبابه وموائده حمل إليه، وما كان في أرزاق الجيش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصالح البلد وأهل المهنة صُرف إليهم، والملك مع ذلك غير سائل عن شيء؛ قد حُمِلت له مجالس من الزجاج الملون وأُجرى حولها الماء وأُرسلت فيها الأسماك المقزطة، فكانت الشمس إذا وقعت على المجلس منها أرسل شعاعا عجيبا يبهر العيون. وعملت له عدة متنزعات على عدد أيام السنة، فكان كل يوم في موضع منها، وفي كل موضع منها من الفرش والآنية والآلات ما ليس في غيره.

(١) هو أحد العاتقة، وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظم ملكا. والعاتقة: ولد عمليق بن لارذ بن سام بن نوح (راجع المقرئ). (٢) في المقرئ: «ما خلف ستره».

فلما اتصل بملوك النواحي تشاغل الريان ببلداته وتدير العزيز لأمره، قصد
 رجل من العمالة يقال له عاكن بن يحموم وكنيته أبو قابوس، وقصد مصر حتى نزل
 على حدودها، فأنفذ إليه العزيز جيشا كثيفا وجعل عليه قائدا يقال له بريانس، فأقام
 ثلاث سنين يحاربه، ثم ظفر به العمليقي ودخل من الحدود وهدم أعلاما ومصانع
 كثيرة، وتمكن طمعه في البلد فأعظم أهل مصر ذلك واجتمعوا إلى قصر الملك وجعلوا
 يصيحون ويستغيثون ويرفعون أصواتهم حتى سمعها الملك فقال: ما بال الناس؟ فأخبر
 خبر العمليقي وأنه قد دخل عمّل مصر وعاث وأفسد المزارع والمصانع والأعلام،
 وأنه سار بجيشه إلى قصر الملك، فأرتاع الريان لذلك وأنف منه وأنتبه من غفلته
 وعرض جيوشه وأصلح أمره وخرج في ستمائة ألف مقاتل. بي الاتباع، فالتقوا من
 وراء الأحياف في تلك الصحراء، واقتتلوا قتالا شديدا فأنهزم العمليقي وأتبعه الريان
 إلى حدود الشام وقتل من أصحابه خلفا وأفسد زرعهم وأكثر أشجار الفواكه
 والزيتون، وأحرق وصلب ونصب أعلاما على الموضع الذي بلغه وزبر عليها: إني لمن
 يجاوز هذا المكان بالمرصاد. فلما تم له هذا الظفر هابته الملوك ولاطفوه وأعظموه.
 وقيل: إنه بلغ الموصل وضرب على الشام خراجا وبني عند العريش مدينة لطيفة وشحنها
 هي وتلك الناحية بالرجال، ورجع إلى مصر فحشد جنوده من جميع الأعمال، وأستعد
 لغزو ملوك الغرب فخرج في تسعمائة ألف واتصل بالملوك خبره، فنهزم من تتحي عن
 طريقه، ومنهم من دخل تحت طاعته. ومرت بأرض البربر فاجلى كثيرا منهم، ووجه
 قائدا يقال له مريطس في سفن فركب البحر من ناحية رقودة. ومرت الريان بجزائر
 بني يافث فعاث فيها وأصطلم أهلها، وخرج من ناحية أرض البربر فقتل بعضهم وصالح
 بعضهم وحملوا إليه الأموال، ومضى إلى إفريقية وقرطاجنة فصالحوه على أموال

والطاف كثيرة حملوها إليه، ومرت حتى بلغ مصب البحر الأخضر وهو موضع الأصنام النحاس، فأقام هناك صنما وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذي خرج فيه، وضرب على أهل تلك النواحي خراجا، وعدى إلى الأرض الكبيرة وصار في الإفرنجية، والأندلس في حوزهم وعليها الذريق الأصغر، فخاربه أياما وقتل من أصحابه خلقا وصالحه بعد ذلك على ذهب مضروب، وعلى ألا يغزو مصر ويمنع من رام ذلك من جميع أهل النواحي، وأنصرف مشرفا فشق بلد البربر فلم يمر بموضع إلا خرج أهله بين يديه وأهدوا له ودخلوا تحت طاعته. ثم أخذ نحو الجنوب ومر ببلد الكوسانيين فخاربه فقتل خلقا كثيرا، وبعث قائدا إلى مدينة على عبر البحر الأخضر^(١) فخرج إليه ملك المدينة وأهلها فمرت بهم حال الريان ومصالحة الملوك له فقالوا: ما بلغنا أحد قط، وسألهم هل ركب هذا البحر أحد؟ فقالوا: ما يستطيع أحد أن يركبه، وأخبروه أنه ربما أظله الغمام فلا يروونه أياما، وآتى الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها الموز، وحجارة سود فإذا جعلت في الماء صارت بيضاء، ثم تركهم وسار إلى أمم السودان حتى بلغ ملك الدمدم^(٢) الذين يأكلون الناس، فخرجوا إليه عراة بأيديهم العمد الحديد، وخرج ملكهم على دابة وهو عظيم الخلق له قرون، وكان جسيما أحمر العينين، فظفر بهم فانهزموا إلى أوحال وأدغال فلم يتهيا له اتباعهم فيها، وجازهم إلى قوم على خلق القروء لهم أجنحة صفار يثبون بها من غير ريش. ومرت على عبر البحر المظلم فغشيهم منه غمام فرجع شمالا حتى انتهى إلى جبل يقال له وسن، فرأى فوقه تماثلا من حجر أحمر يومي

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٦ من هذا الجزء.

(٢) في المقرئ « على البحر الأسود ».

(٣) كذا في الأصل. وفي مسالك الأبحار لابن فضل الله العمري (ج ١ ص ٤٩) « تميم » وكتب بالهامش ما نصه: « ولعلها تميم ».

بيده : إرجعوا ، وعلى صدره مزبور : ما ورائي أحد . فتركه وسار راجعا فأتتهى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها . ومضى حتى بلغ الوادى المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحدا لشدة ظلمته . وسار حتى أتتهى إلى وادى الرمل ورأى على عبّره أصناما عليها أسماء الملوك قبله فأقام معها صنما وزبر عليها اسمه . فلما أسبت (١) الرمل جاز عليه إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود ، وسمع جلبة وصياحا هائلا فخرج في شجعان أصحابه حتى أشرف على السباع المقرنة الأنوف ، فإذا بعضها تهزّوتا كل بعضها بعضا ، فلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع ، وعدى وادى الرمل ومهر بأرض العقارب فهلك بعض أصحابه ورفعوها عنهم بالرقى التى يعرفونها ، ثم جاوزهم حتى أتتهى إلى مكان صلوفاً وهى حية عظيمة ، فهجموا عليها ولم يعرفوها وظنوا أنها جبل ، ثم عرجوا عنها وتموّذوا منها بالرقى . قال : ويزعم القبط أنه منعها من الحركة بسحره وتركها فهلكت . وقيل : إن تعريج هذه الحية ميلٌ وأنها كانت تبتلع السباع هناك .

(٢) وسار حتى بلغ مدينة الكند ، وهى مدينة الحكماء ، فتهاربوا منه إلى جبل صعدوه من مواضع يعرفونها من داخل مدينتهم لم يعرفها غيرهم ، ولم يجد الريان ومن معه إلى الصعود إليها سبيلا ، فأقاموا عليها أياما وكادوا يهلكون من العطش ، فزل إليهم من الجبل رجل يقال له مندوس ، كان من أفاضل الحكماء وقد لبس شعره جسده ، فقال : أين تريد أيها المغرور الممدود له فى الأجل ! المرزوق الكفاية ! أتعبت نفسك وجيشك ! ألا اقتنعت بما تملكه وأتكلت على خالك ! [وربحت الراحة] وترك العناء والغرور بهذا الخلق . فعجب الملك من قوله وسأله عن الماء فدلّه عليه ، وسأله عن

(١) أسبت هنا : سكن ولم يترك .

(٢) فى هامش خطط القرينى طبعه فينت : «الكهنة» .

(٣) الكلمة من القرينى .

- موضعهم فقال : موضع لا يصل إليه احد ولا بلغه قبلك أحد . قال : فما عيشكم ؟ قال :
من أصول نبات لنا نعتصم به ونقنع بأكله ويكفينا السير . قال : فمن أين تشربون ؟
قال : من تقار الماء من الأمطار . قال : فلم هربتم منا ؟ قال : رغبة عن خلطكم
والأفليس لنا ما نخاف عليه . قال : فكيف تكونون إذا حمت عليكم الشمس ؟
قال : في غيران تحت هذه الجبال . قال : فهل تحتاجون إلى مال أخلفه لكم ؟ قال :
لنمنا يريد المال أهل البذخ ونحن لا نستعمل منه شيئا ، استغنينا عنه بما قد اكتفينا
به ، وعندنا منه ما لو رأيته لحقرت ما عندك . قال : فأرنيه ، فانطلق به مع نفس
من أصحابه إلى أرض في سفح جبلهم فيها قضبان الذهب نابتة ، وأراهم واديا حافتاه
حجارة الزبرجد والفيروزج ، فأمر الزيان أصحابه أن يأخذوا من كبار تلك الحجارة
ففعلموا ، ورآهم الحكيم يصلون إلى صنم يحملونه معهم ، فسألهم ألا يقيموا بأرضهم
خوفا من عبادة الأصنام ، فسأله الملك أن يدلّه على الطريق ففعل ، وودّع الحكيم
وسار على السمّ الذي وصفه له . فلم يمر بأمة إلا أبادها وأثر فيها إلى أن بلغ بلد
النوبة ، فصالح أهلها على مال يحملونه إليه ، ثم أتى دُقْلَةَ فأقام بها علما وزبر عليه
أسمه ومسيره . ومروا يريد منف ، فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقّونه بالفرح
والسرور والطيب والرياحين والملاهي إلى أن بلغ منف . فلم يبق أحد من أهلها
إلا خرج إليه مع العزيز وتلقّوه بأصناف الطيب والبخورات والرياحين .
وكان العزيز قد بنى له مجلسا من الزجاج الملون وفرشه بأحسن القُرش المذهبة ،
وغرس حوله جميع الأشجار والرياحين ، وجعل فيه صهريحا من زجاج سمائي ،
وجعل في أرضه شبه السمك من زجاج أبيض وأنزله فيه ، وأقام الناس يأكلون
ويشربون أياما كثيرة . وأمر بعرض جيشه فوجد أنه قد قُتد منهم سبعون ألفا ،
وكان قد خرج في ألف ألف ، ووجد من أنصاف إليه من الغرباء والماصورين نيفا .

ونحسين ألفاء، وكان مسيره وغيبته إحدى وعشرين سنة . فلما سمع الملوك بذكره وما فتح من البلاد وما أسر هابوه ، وخافوا شدة بأسه وعظم سلطانه . وتجبر وبني بالجانب الشرق قصورا من الرخام ونصب عليها أعلاما ، فكان يقيم بها الأيام الكثيرة . وكان الخراج قد بلغ في وقته سبعة وتسعين ألف ألف فأحب أن يتمه مائة ألف ألف دينار ، فأمر بوجود العمارات وإصلاح الجسور والزيادة في استنباط الأراضي حتى بلغ ذلك وزاد عليه .

ثم كان من خبر يوسف الصديق عليه السلام وبيعه بمصر وخبره مع امرأة العزيز وسجنه وقصته مع صاحبي الملك ورؤيا الملك وتعبيرها وتولية الريان بن الوليد يوسف عليه السلام رتبة العزيز وخبر الفحط ، ما قدمنا ذكره في أخبار يوسف عليه السلام ، وهو في السفر الحادى عشر من نسخة الأصل . فلا فائدة في إعادته . إلا أنه قد وردت زيادات أخر لم ترد هناك نحن نذكرها الآن . وهو ما حكاه مؤلف هذا الكتاب الذى نقلنا منه إبراهيم بن القاسم الكاتب عن إبراهيم بن وصيف شاه قال : إن يعقوب عليه السلام لما قدم مصر بأهله وولده ، خرج يوسف عليه السلام في وجوه أهل مصر فلتقاه وأدخله على الملك ، وكان يعقوب عليه السلام مهيبا جميلا فقر به الملك وعظمه وقال له : يا شيخ ، كم سنوك وما صناعتك وما تعبد ؟ فقال : أما سنى فعشرون ومائة سنة ، وأما صناعتى فلنا غنم نرعاها وننتفع بها ، وأما الذى أعبد فرب العالمين ، وهو الذى خلقنى وخلقك ، وهو إله آبائى وإلهك وإله كل شىء .

قال : وكان فى مجلس الملك فنيامين ، وهو كاهن جليل القدر ، فلما سمع كلام يعقوب ضاق به ذرعا وقال للملك بلفتهم : أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا .

فقال له الملك : فأتى لنا خبره ؟ فقال الكاهن : أرنا إلهك أيها الشيخ . قال :
إلهي أعظم من أن يرى . قال : فإننا نحن نرى آلهتنا . قال : لأن آلهتكم ذهبٌ
وفضة ونحاس وخشب ، وما يعملُه بنو آدم عبيدُ إلهي الذي احتجب عن خلقه
بعرابويته ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . قال له فنيامين : إن لكل شيء دليلاً ،
وكل شيء لا تراه العيون فليس بشيء ، فغضب يعقوب وقال : كذبت يا عدو الله
وطغيت في هذه الدنيا ؛ إن الله سبحانه وتعالى شيء وليس كالأشياء ، وهو خالق كل
شيء لا إله إلا هو . قال : فصصف لنا . قال : إنما يوصف المخلوقون ولا يوصف
الخالق عز وجل ؛ لأنه يرتفع عن الصفات ؛ لأنه واحد قديم مدبر للأشياء في كل
مكان يرى ولا يرى . ثم قام يعقوب مُنْضَباً ، فأجلسه الملك وأمر فنيامين أن يكف
عنه ويكون بين يديه ويأخذ في غير هذا . ثم قال الملك : كم عدّة من دخل معك إلى
مصر ؟ قال ستون رجلاً . قال الكاهن : كذلك نجد في كتبنا ؛ إن خراب مصر يجري
على أيديهم . قال الملك : فهل يكون في أيامنا ؟ قال : لا ، ولا إلى مدة كبيرة . والصواب
أن يقتله الملك ولا يستبق من ذريته أحداً . قال الملك : إن كان الأمر كما تقول فما
يمكننا أن ندفعه ولا نقتل هؤلاء ، وإن لهم إلهاً عظيماً ، وقد قبل قلبي هذا الشيخ ، وما لي
إلى قتله من سبيل ، فخاطبه بالين الكلام ؛ فجرت بينهما بعد ذلك مخاطبات ألان
له فيها القول .

قال : ثم إن يعقوب عليه السلام أحب أن يعرف خبر مصر ومدانها وكيف
بُنيت وخبر طُلُسماتها وعجائبها . فسأله عن ذلك وسأله بحق الملك ألا يكتمه شيئاً من
أمرها فأخبره . قال : وأقام يعقوب عليه السلام مع الريان بن الوليد الملك يعظمه
ويجمله إلى أن حضرته الوفاة ، فأوصى أن يُحْمَل إلى مكانه من الشام ، فحُمِل في تابوت

ونخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه مصر حتى بلغ الى موضعه ورجعوا . وقيل :
إن عيصو منعهم من دفنه هناك لأن إسحاق عليه السلام كان قد وهبه الموضع فأشتراه
يوسف عليه السلام منه . ويقال : إن الريان آمن بيوسف وكنم إيمانه خوفا من
فساد ملكه .

وملك الريان مائة وعشرين سنة . وفي وقته عمل يوسف عليه السلام القيوم
لأبنة الملك ، وكان أهل مصر قد وشوا به وقالوا : قد كبر ونقص نفعه فأخبرته .
فقال له الملك : قد وهبت هذه الناحية لأبنتي ، وكانت مغايض للاء فدبرها .
قال : فقلع أدغالها ، وساق المنهى ، وبني الآلهون ، وجعل الماء فيه مقسوما
موزونا ، وفرغ من ذلك كله في أربعة أشهر ، فعجبوا من حكمة يوسف عليه السلام .
قال : ولما مات الريان بن الوليد ملك بعده آبنه دريموس بن الريان^(٣)
ابن الوليد ويسميه أهل الأثر دارم ، وهو الفرعون الرابع عندهم . قال : ولما ملك خالف
سنة أبية ، وكان يوسف عليه السلام خليفته كما كان مع أبيه ، وذلك بأمر الريان .
وكان يوسف يستدده فرميا قبل منه ور بما خالفه ، وظهر في وقته معدن فضة على
ثلاثة أيام من النيل فأبان^(٤) منه شيئا عظيما ، وعمل منه صنما على أسم القمر ؛ لأن
طالعه كان بالسرطان ، ونصبه على القصر الرخام الذي كان أبوه بناء في شرق النيل ،
ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل لها عيدا في كل
سنة ، وهو إذا نزل القمر السرطان .^(٥)

(١) المنهى : اسم فم النهر الذي احتفزه يوسف الصديق يفضى الى القيوم مأخذه من النيل .

(٢) الآلهون : هو السكر الذي بناه لرد الماء الى القيرم .

(٣) كذا في نسخة «ب» والمقرى . وفي نسخة «أ» ديموش بالثين المعجمة .

(٤) أبان : فصل .

(٥) كذا في نسخة أ . وفي نسخة ب «شهر» .

وكان ينتقل الى مواضع شتى يتزده فيها ، وإذا أراد أن يضرب الناس بشيء منعه يوسف عليه السلام ودفعه عنه الى أن توفي يوسف عليه السلام ، كما تقدم في خبر وفاته ، فاستوزر الملك دارم بمده بلاطس بن مئسا الكاهن ، فكان بلاطس يطبق له ما كان يوسف يمنعه عنه ، وحمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ منهم كل مبلغ . وعمل الوادى المنحوت بين الجبلين في الناحية الغربية وكثر الأموال فلا يؤصل إليها ، وجعل صقالة من الوادى الى باب الخباء ، وجعل له بابا من الحديد يتوصل إليه من تلك الصقالة ، وصمده بجماعة من العفاريت يمنعون من ذلك الخباء ، فمن رآه من الناس سقط في الوادى . وقال آخرون : كثرها في موضع منه يدخل إليه ويُنظر الى الأموال مكشوفة مضروبة ، في كل دينار عشرة مثاقيل عليها صورته ، فإن أخذ الداخل منها شيئا انطبق عليه الباب فلم يقدر على الخروج ، فإذا رده الى موضعه انفتح له الباب . وهو بحاله الى هذا الوقت كما زعموا .

قال : ثم زاد دارم في التجبر الى أن اختلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها ، ولا يسمع بأمرأة حسنة في ناحية من النواحي إلا وجه فحمت إليه . وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله وشق عليهم أمره الى أن شغبوا عليه وعطلوا الصنائع والأعمال والأسواق فعدا على جماعة منهم فقتلهم . وزاد الأمر حتى اجتمعوا على خلعه ، خاف بلاطس الوزير أن يفسد أمر المملكة فدخل على الملك وأشار عليه أن يتوّد الى الناس ويعتذر إليهم ويردّ نساءهم فأبى إلا مخالفتهم ، وهم أن يخرج الى الناس في خاصته ويقتل منهم وقال : إنما هم عبيدى وعبيد آبائى . فلم يزل يرفق به الى أن سكن غضبه ، فأمره أن يعتذر الى الناس عنه ، ففعل الوزير ذلك وذكر عنه جميلا ، فأبى الناس أن يقبلوا منه دون مخاطبتهم الملك فضمن لهم ذلك وخاطبه وأشار به عليه ، فأمره أن ينادى في الناس بالحضور في يوم عينة ،

ثم لبس أرفع ثيابه وأكبر تيجانه وجلس ودخل الناس عليه فذكروا ما حل بهم من أخذ أموالهم ، وعزفوه أنه لم يحضر عليهم من ملكٍ قبله مثل هذا ، فاعتذر إليهم ووعدهم الإقلاع عما شكوا منه وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين .

ثم أمر بعمل قصر من خشب على أساطين خشب ممدودة بأضلاع مسمرة يتزده فيه ، فعمل ودُّهن بالأدهان والأصباغ الملونة المذهبة ، وضُيَّب بالفضة والنحاس المذهب ، وحمل فوقه قبة من الفضة المذهبة مصورة بالزجاج الملون وعلق فيها الحجر المضىء الذى أتى به أبوه من المغرب . فلما فرغ القصر فرش به بأحسن الفرش وجعله طبقتين : طبقة له يجلس فيها مع من يحبّه ، وطبقة لحشمه ، وجعل حول ذلك أروقة ملصقة بالمجلس يجلس فيها من يريد ؛ فكان يركب فيه بمن أحبه من خاصته ونسائه ويصعد فيه في المساء إلى ناحية الصعيد وتنبه المراكب فيها أصحابه وغلماناه بالعدد والسلاح وينحدر إلى أسفل الأرض ، فإذا مرّ بمكان يستحسنه أقام فيه أياما .

وأتفق أنه خرج في بعض الأيام مُصَعِّداً فوثب رجل من الإسرائيليين على رجل من سدنة الهياكل فضربه حتى أدماه وعاب دين الكهنة ، فغضب القبط لذلك وحاطبوا خليفة الملك أن يُخْرِجَهُم من مصر فامتنع دون مشاورة الملك ، وكتب إليه يعزفه ذلك ، فكتب إليه ألا يُحْدِث في القوم حادثة دون موافاته ، فشغبوا وأجمعوا على خلعه وتخليك غيره ، وتعرض بعضهم إلى ذكر الملك فحشد أهل الصعيد وأتخدر إليهم ، فخار به فهلك بينهم خلق كثير . وعاونته امرأة أبيه ، وكانت ساحرة ، فأظهرت من سحرها وتخايلها ودُّخِئها ما أعماهم عن النظر ، وأضعف حواسهم وأسكهم ، فقتل خلقا منهم وصلب خلقا على عبر النيل ، ورجع إلى أكثر مما كان عليه من ابتزاز النساء ونهب الأموال واستخدام الأشراف والوجوه من القبط ومن بنى إسرائيل ؛

فاجمع الكل على ذمه . وكانت الساحرة لا تُحْلِيهِ مِنْ معوتها الى أن ركب في ذلك القصر في بعض الليالي وقد أحرق النيل بالبلد ، وهو من الجبل الى الجبل ، وامتد القمر على الماء ، فأراد أن يعدى من العدو الى العدو الأخرى فلم يتهيا له سَوَقُ القصر بسرعة لعظمه ، فركب مراكبا لطيفا مع ثلاثة من خدمه والساحرة ، فلما توسط البحر هاجت ريح عاصف ففرق هو ومن معه ، وأصبح الناس شاكين في أسرهم لا يعلمون ما نزل به ، الى أن وجدت جثته بِسَطْنُوفٍ ^(١) فَعُرِفَ بجثته ويجوهر كان يتقلد به فحمل الى منف .

وملك بعده آبنه معاد يوس بن دريموس ، ويسميه أهل الأثر معدان آبن دارم ، وهو الفرعون الخامس . وذلك بتدبير الوزير ، فأجلسه على سرير الملك وبايعه الجيش ، وكان صبيا فكروه الناس ثم رَضُوا به ، فأسقط عن الناس الخراج الذي كان أبوه أسقطه ، وزادهم سنة وأحسن إليهم فأطاعوه ، وأستقام له الأمر ورد نساءهم . وكان ينكر على أبيه فعله ولا يرضاه ، فلذلك رَضُوا به .

قال : وفي زمانه كان طوفانٌ أَضْرَبَ بعض البلد فلزم الملك الإقبال على الهياكل والتعبد ، وطلب القاطر ووجوه الكهنة بالحضور معه ، وأنصف بعض الناس بعض . وكثر بنو إسرائيل وعابوا الأصنام وتلبوها . وكان الوزير قد هلك فاستوزر كاهنا يقال له املاده ، فلما رأى ما فعله بنو إسرائيل أنكروه وأمر أن يُمردوا بناحية من البلد لا يختلط بهم أحد غيرهم ، فأقطعهم موزعا في قبلى منف ، واجتمعوا إليه وعملوا لأنفسهم معبدا كانوا يتلون فيه صحف إبراهيم عليه السلام ، وأتفق أن رجلا من أهل بيت الكهنة عشق امرأة من بنى إسرائيل كانت قد جاءت

٢٤
١٣

(١) شطوف : بلدة - مركز أشمون - مديرية المنوفية .

لَتَشْتَكِي أَخَاهَا أَنَّهُ غَضِبَهَا مِيرَاثَهَا ، وَأَرَادَتْ أَنْ يَعْتَنِيَ بِأَمْرِهَا عِنْدَ وَزِيرِ الْمَلِكِ ، فَوَرَّاهَا
أَبْنَهُ فَأَحْبَبَهَا وَمَالَ وَالِدَهُ أَنْ يَزُوجَهُ مِنْهَا ، فَنَظَّمَهَا مِنْ أَهْلِهَا فَأَبَاوَا ذَلِكَ ، فَأَنْكَرَ
النَّاسُ فَعَلَهُمْ وَأَجْتَمَعُوا إِلَى الْوَزِيرِ وَقَالُوا : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَعْيبُونَنَا وَيَرْغَبُونَ عَنَّا ،
وَلَا نَحِبُ أَنْ يَجَاوِرُونَا إِلَّا أَنْ يَدِينُوا بِدِينِنَا . فَقَالَ الْوَزِيرُ : قَدْ عَلِمْتُمْ إِكْرَامَ
الْريَانِ الْمَلِكِ بَلَدَهُمْ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ وَقَفْتُمْ عَلَى بَرَكَتِهِمْ يَوْسُفُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى جَعَلْتُمْ قَبْرَهُ وَسَطَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ جَانِبَا مِصْرَ بِمَكَانِهِ فَلَا تَخَوْضُوا
فِي هَذَا ، فَاْمْسِكُوا .

١٠ قال : وَتَغَلَّبَ أَحَدُ مَلُوكِ الْكِنَعَانِيِّينَ عَلَى الشَّامِ وَامْتَنَعَ أَهْلُهُ أَنْ يَحْمِلُوا الضَّرِيَّةَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ لِمَلِكِ مِصْرَ ، فَأَذْكَرَ أَهْلَ مِصْرَ ذَلِكَ وَأَشْفَقُوا مِنْ غَلْبَةِ صَاحِبِ
الشَّامِ عَلَى بِلَدِهِمْ ، فَخَضَعُوا الْمَلِكَ عَلَى غَزْوِ الشَّامِ فَقَالَ : إِنْ رَامَ أَحَدُ حُدُودِ بِلَدِنَا
غَزْوَنَاهُ ، وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مِنْ حَاجَةٍ ، فَاسْتَنْقَصُوا رَأْيَهُ . وَأَقَامَ عَلَى مَلَازِمَةِ
الْهِيَاكِلِ وَالتَّعَبَّدِ فِيهَا ، فَيَزْعُمُ الْقَبْطُ أَنَّهُ يَبْنِي ذَاتَ يَوْمٍ قَائِمٌ فِي هَيْكَلِ زُحَلٍ حَذَاءَ
صُورَتِهِ ، وَقَدْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي التَّعَبُّدِ ، إِذْ تَغَشَّاهُ النَّوْمُ فَتَجَلَّى لَهُ زُحَلٌ وَخَاطَبَهُ وَقَالَ :
قَدْ جَعَلْتَكِ رَبًّا عَلَى أَهْلِكَ وَأَهْلَ بِلَدِكَ ، وَحَبُوتُكَ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ ، وَسَارَفْتُكَ
إِلَى فَلَا تَحُلْ مِنْ ذِكْرِي ، فَعَظُمَ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَاتَّصَلَ خَبْرُهُ بِأَهْلِ الْبِلَدِ ، وَأَخْبَرَهُمْ
١٥ مَسَدَّةُ الْهِكَلِ أَنَّهُمْ رَأَوْا النُّورَ وَسَمِعُوا الْخُطَابَ ، وَأَعْظَمَ النَّاسُ أَمْرَهُ ، فَتَجَبَّرَ فِي نَفْسِهِ
وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْمُدُوا رَبًّا ، وَتَرَفَّعَ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ ، وَأَحْضَرَ
النَّاسَ وَقَالَ : قَدْ وَقَفْتُمْ عَلَى مَا خُصِّصْتُ بِهِ دُونَ الْمُلُوكِ ، وَهَذِهِ مَوْهَبَةٌ يُلْزَمُنِي
الشُّكْرُ لَوَاهِبَهَا عَلَيَّ ، وَلَسْتُ أَفْتَرِغُ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِكُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَجْعَلَ الْمَلِكَ
إِلَى أَبِي أَكْسَامَسَ ، وَأَكُونَ مِنْ وَرَائِهِ إِلَى أَنْ يَفْجَبَ شَخْصِي عَنْكُمْ كَمَا وَعَدْتُ ، وَقَدْ
٢٠ أَيْدَتُهُ بِالْقَاطِرِينَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ ، وَلَا تَنْظَلُمُوا فَإِنَّكُمْ مَنِي بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ،

فَرَضُوا بِذَلِكَ وَقَالُوا : نَحْنُ عِبِيدُ الْمَلِكِ وَمِنْ رِضْيَتِهِ الْآلَهُ فَحُكْمُ الْخَلْقِ أَنْ يَرْضَوْهُ وَلَا يَخَالِفُوهُ .

- فَمَلَكَ ابْنَهُ أَكْسَامِسَ بْنَ مَعَادِيُوسَ ، وَيَسْمِيهِ أَهْلُ الْأَثْرَكَاسِمِ
 أَبْنُ مَعْدَانَ ، وَهُوَ الْفِرْعَوْنُ السَّادِسُ ، وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ وَتَوَجَّ بِتَاجِ أَبِيهِ
 وَقَامَ الْقَاطِرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَمِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَتْبَةً ، وَرَتَّبَ النَّاسَ مَرَاتِبَ ،
 وَقَسَمَ الْكُورَ وَالْأَعْمَالَ ، وَأَمَرَ بِاسْتِنْبَاطِ الْعِمَارَاتِ وَإِظْهَارِ الصَّنَاعَاتِ ، وَوَسَّعَ عَلَى
 النَّاسِ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَعَلَى حَاشِيَتِهِ وَحَاشِيَةِ أَبِيهِ ، وَأَمَرَ بِتَنْظِيفِ الْمَيَاكِلِ وَتَجْدِيدِ
 لِبَاسِهَا وَأَوَانِيهَا ، وَزَادَ فِي الْقَرَائِنِ ، وَكَلَّمَ أَتَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَخَالِفْهُ الْكَهَنَةُ
 وَقَدَّرُوا أَنْ ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ بِرِضَى الْكَوَاكِبِ ، وَاحْتِجَبَ أَبُوهُ عَنِ النَّاسِ . وَأَقَامَ
 كَادِمَ أَعْلَامَا كَثِيرَةٍ حَوْلَ مَنْفٍ وَجَعَلَ عَلَيْهَا أُسَاطِينَ يُكْرَّمُ عَلَيْهَا مِنْ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ .
 وَعَمِلَ بِرُقُودَةٍ وَصَا وَمِدَائِنَ الصَّعِيدِ وَأَسْفَلَ الْأَرْضِ مَدَنًا كَثِيرَةً وَأَعْلَامًا وَمَنَاطِرَ لِلْوُقُودِ
 وَالظُّلُمَاتِ . وَعَمِلَ كُرَّةً مِنَ الْفِضَّةِ عَلَى عَمَلِ الْبَيْضَةِ الْفَلَاسِيَّةِ وَنَقَشَ عَلَيْهَا صُورَ
 الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ وَدَهْنَهَا بِدُهْنِ الصَّبِينِ وَرَكَّبَهَا عَلَى مَنَارٍ فِي وَسْطِ مَنْفٍ . وَعَمِلَ
 فِي هَيْكَلِ أَبِيهِ رُوحَانِيٌّ زُحَلٌ مِنْ ذَهَبٍ أَسْوَدَ مَدْبُورٍ . وَعَمِلَ فِي وَقْتِهِ الْمِيزَانَ الَّذِي
 يَتَعَبَّرُ بِهِ النَّاسُ ، وَجَعَلَتْ كَيْفَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَعَلَاتِقُهُ مِنْ فِضَّةٍ وَخِيُوطُهُ سِلَاسِلُ ذَهَبٍ ،
 وَكَانَ مَعْلَقًا فِي هَيْكَلِ الشَّمْسِ ، وَكُنِبَ عَلَى إِحْدَى كَيْفَتَيْهِ حَقٌّ ، وَالْأُخْرَى بَاطِلٌ ،
 وَتَحْتَهُ فَصُوصٌ قَدْ نَقَشَ عَلَيْهَا أَسْمَاءُ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْكَوَاكِبِ ، فَيَدْخُلُ الظَّالِمُ
 وَالْمَظْلُومُ وَيَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَصًّا مِنْ تِلْكَ الْفَصُوصِ وَيَسْمَى عَلَيْهَا مَا يَرِيدُ ،
 وَيَجْعَلُ أَحَدُ الْفَصَيْنِ فِي كِفَّةٍ وَالْآخَرُ فِي الْآخَرَى ، فَتَنْثَلُ كِفَةُ الظَّالِمِ وَتَرْتَفِعُ كِفَةُ
 الْمَظْلُومِ . وَكَذَلِكَ مَنْ أَرَادَ سَفَرًا أَخَذَ فَصَيْنَ فَذَكَرَ عَلَى وَاحِدِ أَسْمِ السَّفَرِ ، وَالْآخَرِ
 اسْمَ الْجُلُوسِ ، وَيَجْعَلُ كُلُّ وَاحِدٍ فِي كِفَةٍ ، فَإِنْ لَمْ يَرْتَفِعْ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ جَلَسَ ،

وإن ارتفعاً خرج ، وإن ارتفع أحدهما مكث شهرا . ومن نحو هذا من غائب
ودين وفساد وصلاح . ويقال إن بُحْتَصَّرَ لما ظَفِرَ بمصر جملة في جملة ما حمل
الى بابل وجعله في بيت من بيوت النار .

قال : وطالب كاسم الناس بلزوم الأعمال وإظهار الصنائع ، فَعَمِلَتْ كل
غريبة منها : التنور الذى يَشْوَى من غير نار فيه ، والقذور التى يطبخ فيها من غير
نار ، والسكين التى تُنْصَبُ فإذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها ،
والماء الذى يستحيل نارا ، والزجاج الذى يستحيل هواء ، وأشياء من ذلك .

قال : فأقام في أول ولايته ثلاث سنين بأجل أمر وأصلح حال ، ومات وزير
أبيه الذى كان معه فاستخلف رجلا من أهل بيت الملكة يقال له طلما ، وكان
شجاعا فارسا كاهنا كاتباً حكيماً دجياً متصرفاً في كل فن ، وكانت نفسه تنازعه الملكة
فصلح أمر الملكة بمكانه وأحبه الناس ، فعمل معالم كثيرة وعمر نحراباً وبني مدناً من
الجانين . ورأى في نجومه أنه ستكون شدة فاستعمل ما استعمله نهراوش ، وبني
بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع . وشكا القبط اليه حال الإسرائيليين
فقال : هم عبيد لكم ، فكان القبطى إذا أراد حاجة سخر الإسرائيل ، وكان القبطى
يضرب الإسرائيلى فلا يُنكر عليه أحد ، وإن ضرب الإسرائيلى القبطى قُتل ، فكان
أول من أذى بنى إسرائيل ، ويفعل نساء القبط بنساء بنى إسرائيل ما يفعل الرجال
بالرجال من السَّخَر والضرب .

قال : وفي أيام أكسحاس بُنيت منارة الإسكندرية . وفي زمانه هاج البحر
المالح فغرق كثيرا من القسرى والجنان والمصانع . وحكى أن أكسحاس تغيب عن
الناس مدة . وقيل : مات وكنهوا موته . وكانت مدة ملكه إلى أن غاب إحدى
وثلاثين سنة ، وأقام طلما إحدى عشرة سنة يدبر الملكة ثم اضطرب الناس على

طلما وتغيروا واتصل بهم أنه قتل الملك بسم سقاء إياه فاجتمعوا وقالوا : لا بد لنا من النظر إلى الملك ، فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لاطس فلم يقبلوا ذلك .

فأمر طلما الجيوش فركبت في السلاح وأجلس لاطس بن أكسامس على سرير الملك ولبس التاج . وكان جريثا معجبا فوعد الناس جيلا وقال : أنا مستقيم لكم ما استقمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملت عنكم ، وأمر ونهى وألزم الناس أعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طلما عن خلافة المملكة وأستخلف رجلا يقال له لاهوق من ولد صا الملك ودفع إليه خاتمه ، وأنفذ طلما عاملا على الصعيد وأنفذ معه جماعة من الإسرائيليين ، وعمل الأعلام وأصلح الهياكل وبني قرى كثيرة ، وأثرت في أيامه معادن كثيرة وكنوز في صحراء المشرق ، واستعمل آنية كثيرة من الجواهر الأخضر وأصناف الزجاج . وكان محبا للحكم ثم تجبر وعلا ، وأمر ألا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك من الكهنة وغيرهم ، بل يقومون على أرجلهم إلى أن ينصرفوا ، وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ثم منع الناس قُضُول ما بأيديهم وقصرهم على القوت ، وجمع أموالهم وطلب النساء فانتزع كثيرا منهم ، وفعل في ذلك أكثر من فعل من تقدمه من الملوك ، وقهر الناس بالسطوة واستعبد بنى إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام .

وكان طلما لما صرفه لاطس عن خلافته وجد في نفسه وأضر الغدريه . فلما خرج إلى الصعيد احتجز الأموال فلم يحملها ، وحال بين الملك وبين المعادن ، وأراد أن يقيم ملكا من ولد قبطريم ويجلسه في الملك ، فأشار بعض الكهنة على طلما أن يطلب الملك لنفسه وعرفه أنه سيكون له حال . فلما شجعه الكاهن وجزأه على

٢٦
١٣

(١) أثرت : من الإثارة ، وهى الإثراج من تحت الأرض .

(٢) وجد بالتحريك : غضب .

ذلك دعا إلى نفسه وكاتب وجوه أهل البلد، فقبض أجابه وبعض توقف، ورفع كل واحد من ولد الملوك رأسه وطعم في الملك .

قال : وفي بعض كتبهم أن بعض الروحانيين ظهر له وقال : إني أطيعك إن أعطيتني ، وأقلدك مضر زمانا طويلا ، فأجابه إلى ما سأله وقرب له أشياء ذكرها له ، منها غلام إسرائيلي ؛ فعاونوه حيثذ وكان له رسولا إلى رؤساء مصر ، فكان يُتصوّر بصور بعضهم ويشير بتلكه عليهم إلى أن آستقام له الأمر ، قال : ولما منع طلما لاطس من مال الصعيد كتب بصرفه عن العمل فأبى أن ينصرف ، فوجه إليه قائدا من أهل بيته وقلده مكانه وأمره أن يحمله إليه ، فخاربه وأعانه الروحاني فظفر به طلما وأعتقله ثم خلّاه وقربه وأدخله في جملته ، وأتصل الخبر بلاطس فأنفذ إليه قائدا آخر فهزّمه طلما وسار في أثره بجيش كثيف ، وكاتب جميع القواد وأهل البلد وبذل لهم الأموال ، وخرج إليه لاطس فخاربه طلما وعاونوه الروحاني فظفر به طلما وقتله وسار حتى دخل منف ومات فيها .

وملك طلما بن قومس ؛ ونزل قصر الملكة وجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائهم . قال : وطلما هذا هو ابن قومس ، وهو الذي يذكر القبط أنه فرعون موسى عليه السلام . وأهل الأثر يسمونه الوليد بن مصعب وأنه من العالقة . وذكروا أن الفراعنة سبعة فأولهم : طوطيس بن ماليا ، ثم الوليد بن دومع ، ثم أبنه الريان بن الوليد ، ثم دريموس بن الريان ، ثم معاديوس بن دريموس ، ثم أكسامس بن معاديوس ، ثم طلما .

قال : وكان طلما فيما زعموا قصيرا . قيل : كان طوله أربعة أشبار ، طويل الخلية ، أشبه العينين ، صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة . ويقولون : إنه

كان أعرج . وزعم قوم أنه من القبط . قال : والدليل على ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم ؛ ونسب أهل بيته مشهور عندهم .

وقد اختلف الناس في سبب ملكه وعن تلقى الملك ، فقبل ما ذكرناه ، وقيل ما قدمناه^(١) في قصة موسى بن عمران عليه السلام ، والله تعالى أعلم .

- قال : ولما جلس طلها على سرير الملك اضطرب الناس عليه فبذل الأموال وأرغب من أطاعه ، وقتل من خالقه ، فاعتدل الأمر له . وكان أول ما عمل أن رتب المراتب ، وشيد الأعلام ، وبني المدن ، وخندق الخنادق ، وعمل بناحية العريش حصنا ، وكذلك على حدود مصر ، واستخلف هامان ، وكان يقرب منه في نفسه ونسبه ، فأنار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدن والعمارات ، وحفر خلجانا كثيرة . ويقال : إنه الذي حفر خليج السردوس^(٢) ، وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الحوف حمل إليه أهلها مالا ، فاجتمع له من ذلك شيء كثير ، فأمر برده على أهله^(٣) .

(١) راجع (ج ١٣ ص ١٧٥ من هذه الطبعة) .

- (٢) ذكر ابن دقاق في كتاب الانتصار (ج ٥ ص ٤٧) هذا الخليج أثناء كلامه عن مدينة قلوب فقال : « وبها خليج السردوس وهو أحد نزعات الدنيا وهو خليج يسار فيه بين بساتين مشبكة وأشجار ملتفة وفواكه ذاتية ... الخ » . وورد في صبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٠٤) بعد وصفه لهذا الخليج ما نصه : « قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعرض عنه بجرأى المتجا » .
- (٣) هذا ما رواه ابن وصيف شاه . وذكر المقرئ بعد هذا ما قاله ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو مقيم هذه الرواية ونصه :

- « إن فرعون استعمل هامان على حفر خليج مردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قربتهم ويعطونه مالا . قال : وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم يرده الى أهل قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده الى قرية في الغرب ثم يرده الى أهل قرية في القبلة . يأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك بحمله الى فرعون فساله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره ، فقال له فرعون : ويحك ! إنه يذنى للسيد أن يعطى على عباده ويقبض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم ؟ رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم . فردة كله على أهله » (وراجع أيضا فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ٦ طبع أوروبا) ١٠١ .

وأنهى الخراج في وقته الى سبعة وتسعين ألف دينار ، وكان يُنزل الناس على مراتبهم . وهو أول من عرف العرفاء على الناس ، وكان من صحبه من الإسرائيليين رجل يقال له إمرى ، وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، وهو أخو مزاحم لأبويه ، ومزاحم أبو آسية ، فهي ابنة عم موسى وبنت خالته ، بفعل فرعون عمران حارسا لقصره يتولى حفظه وفتح وإغلاقه . وكان رأى في كهنته أن هلاكه على يد مولود من الإسرائيليين ، فمنعهم المناكة ثلاث سنين ؛ لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها . ثم كان من خبر موسى في حمل أمه به وولادته وغير ذلك من أمره ما قدّمنا ذكره في قصة موسى عليه السلام فلا فائدة في إعادته .

وقد نقل أن موسى عليه السلام لما كبر عند فرعون عظم شأنه ورد فرعون إليه كثيرا من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ؛ ثم وجهه فرعون لغزو الكوثانيين ، وكانوا قد عاثوا في أطراف مصر ، فخرج في جيش كثيف فرزقه الله عز وجل الظفر ، فقتل منهم خلقا وأمر خلفا وأنصرف سالما فُسّر به فرعون وآسية . قال : وأستولى موسى وهو غلام على كثير من أمر فرعون وأراد أن يستخلفه حتى قتل رجلا من أشراف القبط فكان من أمره ما تقدّم ذكره . والله أعلم .

هذا ما أورده إبراهيم في كتابه ؛ ولم يذكر من أخبار ملوك مصر بعد غرق فرعون شيئا ولا ذكر من ملك بعده . وقد أشار المسعودى في مروج الذهب الى نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون نحن نذكرها . وأما سياقة أخباره فيما كان قبل فرعون فهذا الذى ذكرناه أتم منه وأكثر استيعابا .

ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن^(١)

الجوهر : لما أهلك الله تعالى فرعون وقومه بالغرق خشى من بقى بمصر من

الذراري والنساء والعبيد أن يفزوه ملوك الشام والمغرب ، فلكوا عليهم امرأة يقال

لها دُلُوكَة ؛ فبنت على أرض مصر حائطاً يحيط بجميع البلاد من حد أرض رَجَ

الى بركة ، وجعلت الخزاس على مسافة كل ميل منها يصل أخبار بعضهم الى بعض ،

فإذا حدث أمر في أول ملكها ليليل رُفعت النيران في وقت حدوته فعلم في آخر المملكة

بالخبر من ليلته ، وإن كان بالنهار دخن . وهذا الحائط موجود الى حين وضعنا

لهذا الكتاب ويسمى حائط العجوز . وقيل فيه : حائط الحُجُوز . وقيل : إنها بنت

هذا الحائط من خوفها على ولدها .

واتخذت دُلُوكَة بمصر البرابي وصوّرت فيها الصور ، وأحكمت آلات السحر ،

وجعلت في البرابي صُور من يرد في البر ودوابهم إبلا كانت أو خيلاً ، ومن يرد

(١) راجع (ج ١ ص ١٧١ طبع بلاق) .

(٢) ذكر المؤلف فيما سبق (ج ١ ص ٣٩٢ من هذه الطبعة) ما نصه :

«وهذا الحائط من العريش (وهو حد مصر من جهة الشام) الى أسوان (وهي حد مصر من جهة النوبة)

شاملاً للديار المصرية من الجانب الشرق» .

وقد وصف ابن فضل الله العمري جزءاً من هذا السور في كتابه مسالك الأبصار (ج ١ ص ٢٣٩) فقال :

«وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، تمتدّ على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حاجزاً بين الرمل

والمزدرع . على أنه غير عالٍ الذرى .

مشيت معه الى دندرا ، من الصعيد الأعلى ، ورأيت قد دثر غاليه ، ومتقطعه أكثر من متصله ، وهو مبنى

من طوب ، ليس بعريض السمك ولا عالى الجدار وأنه يصل الى ما بين العريش ورغ ، منتهى الحد

القاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسافل أرض مصر» .

في البحر في المراكب من بلاد الغرب وسواحل الشام، وأحكمت جميع ذلك بحركات
فلكية . فكان إذا ورد عليها عدو من نحو الحجاز واليمن غورت تلك الشخوص
التي في البرابي من الإبل وغيرها فيحدث العور في ذلك الجيش وتهلك دوابهم ،
وكذلك كل من يقدم عليها من البر والبحر إذا بلغها خبر مقدمه صنعت في تلك الصور
ما يحدث مثله في ذلك الجيش من الآفات ، فهاها سائر ملوك الأمم . وخبر هذه المرأة
مشهور . وأكثر هذه البرابي باقي الى وقتنا هذا وفيها التصاوير إلا أنها لا فعل لها .
وقد قيل في البرابي : إنها اتخذت مع الأهرام قبل الطوفان . والله تعالى أعلم .

وقيل أيضا : إن مما أنشأته هذه المرأة منارة الإسكندرية ، وقد تقدم ذكر
خبرها في المباني القديمة وهو في السفر الأول من كتابنا هذا بن هذه النسخة .

قال : وملك هذه المرأة نحو من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ولما هلكت دلوكة ملك بعدها دركوس بن بلوطس . ثم ملك بعده بورش .^(٣)

ثم ملك بعده بغاش بن بورش نحو من خمسين سنة . ثم ملك بعده دني^(٤)
ابن بورش نحو من عشرين سنة . ثم ملك بعده بلوطس عشرين سنة . ثم ملك بعده
بلوطس بن متنا كيل^(٦) أربعين سنة . ثم ملك بعده مالس بن بلوطس . ثم ملك^(٧)

(١) راجع (ج ١ ص ٣٩٥ من هذه الطبعة) .

(٢) في المقرئى : « دركون » وفي صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤١٦) : « دركون بن بطلوس ،
ويقال : دروس بن ملوطس » .

(٣) في المقرئى : « بورس » وفي صبح الأعشى : « تودس » .

(٤) في المقرئى : « لقاس » . (٥) في المقرئى : « مريان بن مريئوس » .

(٦) في المقرئى : « منا كيل » وفي صبح الأعشى : « ميا كيل » .

(٧) في المقرئى و صبح الأعشى : « مالوس » .

(١) بعده بوليه بن مننا كيل ؛ وكانت له حروب وسير في الأرض وهو فرعون الأعرج
 (٢) الذي غزا بني إسرائيل وخرب بيت المقدس . ثم ملك بعده وينوس بن مريئوس
 (٣) ثمانين سنة . ثم ملك بعده قومس بن بغاس (٤) عشر سنين . ثم ملك بعده مكايل
 وكانت له حروب مع ملوك الغرب ، وهو الذي غزا بختنصر فقتله وقتل رجاله
 وخرب أرض مصر ، فليل لأنها خربت مدة أربعين سنة . وانقرض ملك الفراعنة .



وملك الروم أرض مصر فنتصر أهلها ؛ ولم تزل بيد ملوك الروم الى أن ملك
 كسرى أنوشروان فارس فغلب جيوشه على الشام وسارت نحو مصر ، فملك
 الفرس أرض مصر ، وغلبوا عليها نحو من عشر سنين . وكانت بين الروم وفارس
 حروب كثيرة ، فصار أهل مصر يؤدون خراجين : للروم وللفرس ، ثم انجلت الفرس
 عن الشام ومصر لأمر حدث في بلادهم ، فغلبت الروم على مصر والشام وأظهروا
 النصرانية ، واستمر ذلك الى أن جاء الله تعالى بالإسلام . وكان المقوقس ينوب
 عن ملك الروم ، وهادى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم تزل الديار المصرية

٢٨
١٣

(١) في المقرئى : « بولة » .

(٢) ورد في المقرئى (ج ٣ ص ٦٢ طبعة فييت) ما نصه : « وقيل له الأعرج لأنه لما غزا
 بيت المقدس ونهبها وسبي ملكها يوشيا بن آمون بن منشا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسى "حى" الله سليمان
 ابن داود وكان بلول لا يمكن أحدا أن يصعد عليه إلا برجله جميعا ففعل رجل واحدة وهى التى فدار
 اللول على ساقه الأخرى فاندقت ، فلم يزل يجمع بها الى أن مات فذلك معنى الأعرج » .

(٣) في المقرئى : « مريئوس بن بولة » ثم ذكر أن الذى استخلف بعده ابنه « فرقودة » ومكث
 ملكه ستين سنة . ثم توفى واستخلف أخاه « نقاس بن مريئوس » . وانهدم البراءة فى زمه فلم يقدر أحد
 على إصلاحه . ثم توفى نقاس واستخلف ابنه « فوميس بن نقاس ... » .

(٤) في المقرئى : « فوميس » .

(٥) في المقرئى : « نقاس » . وفى صبح الأعشى : « بناش » .

والشام بيد ملوك الروم الى أن قُتحت في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ما سنورد ذلك إن شاء الله تعالى في خلافة عمر في الباب الثاني من القسم الخامس من هذا الفن، وهو في السفر السابع عشر من هذه النسخة .

قال المسعودى رحمه الله : والذي اتفقت عليه التواريخ ، مع تباين ما فيها ، في عدد ملوك مصر الى آخر أيام الفراعنة أنهم اثنان وثلاثون ملكا . قال : فمن ملوك بابل الى آخر أيام آبنه ماموم — يشير الى دليقة — أحد عشر ملكا وملكة . ومن العالليق أربعة ملوك . ومن الفراعنة من لدن الوليد بن مصعب فرعون موسى بن عمران عليه السلام ، والى أن خرج بختنصر الفارسى على مكاييل وقتله سبعة عشر ملكا بما في ذلك من مُلك دلوكة ، وهو إنما يشير الى من ملكها بعد الطوفان . وأما من ملكها قبل الطوفان فإنه لم يتعرض الى ذكرهم . قال : وملكها من الروم سبعة ملوك . ومن اليونان عشرة ملوك . قال : وذلك قبل ظهور المسيح عليه السلام . قال : وملكها أناس من الفرس فكانت مدة من ملكها من الفراعنة ومن بعدهم والعالليق والفرس والروم واليونان ألفى سنة وثلاثمائة سنة . والله أعلم بالصواب .

جزوب
معين التاريخ
لأهل التاريخ

الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أخبار ملوك الأهم من الأعاجم ؛ وهم ملوك الفرس الأول، وملوك الطوائف

من الفرس ، والملوك الساسانية واليونان والسرمان والكلوانيين والروم

والصقالبة والتوكريد والإفرنجية والحلالقة وطوائف السودان

ذكر أخبار ملوك الفرس

وهم الفرس الأول

وقد اختلف الناس في الفرس وأسابيهم وكم من دولة كانت لهم . وسندكر

ها هنا مقالاتهم في ذلك واختلافهم . فننص إلى ما زعم أنهم من فارس بن ياسور

ابن سام بن نوح ، وهذا قول هشام بن محمد . ومنهم من زعم أنهم من ولد يوسف

ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم من زعم أنهم من ولد هدرام

ابن أرغشدد بن سام بن نوح ، وأنه ولد له بضعة عشر رجلا كلهم كان فارسا

شجاعا ؛ فسموا الفرس لفروسيتهم ، وفي ذلك يقول حطان بن المعلى الفارسي :

وبنا سمي الفوارس فرسا ... نا ومننا مناجب الفتيان^(١)

وزعم قوم أن الفرس من ولد لوط من أبنائه رشا ورغوشا . وذكر آخرون

أنهم من ولد يوان بن أزان بن الأسود بن سام بن نوح ، ويوان هذا ينسب شعب

يوان وهو أحد متزهات الدنيا . وقد تقدم ذكره في باب الرياض من الفن الرابع .

(١) في مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١١٣ طبع بلاي) (... مناجب الفرسان) وبعد البيت :

وكهول طوام الركب والكـ * ركئل الكرات يوم الطعان

(٢) راجع (ج ١١ ص ٢٥٧ من هذه الطبعة) .

ومن الناس من يرى أن الفرس من ولد إيران بن أفريدون ، ولا خلاف بين الفرس أجمع أنهم من ولد كيومرث^(١) وهو الأشهر ، وإليه يرجع جميع الفرس الأول وملوك الطوائف والملوك الساسانية .

وأما التنازع في دولهم فن الناس من زعم أنهم أربعة أصناف ، وأن الصنف الأول منهم كان من كيومرث إلى أفريدون وهم الجرهمانية ، وقيل الجهمدانية . والصنف الثاني من كان إلى دارا بن دارا وهم الكيكانية . والصنف الثالث ملوك الطوائف . والصنف الرابع الساسانية . ومن الناس من جعلهم صنفين : فجعل الصنف الأول من كيومرث إلى دارا بن دارا . والصنف الثاني من أردشير بن بابك إلى يزيدجرد ابن شهریار المقتول في خلافة عثمان رضي الله عنه . فمدة ملكهم في الدولة الأولى ثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وستة وعشرون سنة . وعدة ملوكهم عشرون ملكاً فيهم امرأة واحدة .

فأقول ملك ملك من الفرس الأول كيومرث وقيل فيه جيومرث .

وقد اختلف في نسبه ، فمن الناس من قال : إنه ولد آدم لصلبه . ومنهم من قال : إنه ولد لادود بن إرم بن سام بن نوح . وقد قيل : إنه أول ملك ملك من بني آدم . وكان السبب في ملكه أنه لما كثرت البغي والظلم في الناس اجتمع أكابر أهل زمانه ورأوا أنه لا يقيم أمرهم إلا ملك يرجعون إليه فيما يأمر وينهى ، فاتوه وقالوا : أنت أكبر أهل زمانك وبقية أبينا ، والناس قد بغى بعضهم على بعض ، وأكل القوى الضعيف ، فضم أمرنا إليك وكنت القائم بصلاحنا . فأخذ عليهم العهود والمواثيق بالسمع والطاعة له وترك الخلاف عليه . فصنعوا له تاجاً ووضعوه على رأسه . وهو أول من وضع التاج على رأسه . فاستوثق له الأمر وقام

(١) كذا في مروج الذهب لتسعودي (ج ١ ص ١٠٥ طبع بلاط) وغير أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتالي (ص ٢) وفي الأصل : « كيومرث » بالثاء المثناة . (٢) وفي غير أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « وزعم علماء الفرس أن كيومرث هو آدم عليه السلام » .

بأمر الناس وحسنت سيرته فيهم . وكانت مدة ملكه عليهم أربعين سنة . وكان يتزل مصطخر من أرض فارس حتى مات . وأختلف في مقدار عمره ، فقيل : إنه عاش ألف سنة ، وقيل غير ذلك . والله تعالى أعلم .

فلما مات قام بالأمر من بعده أوشهنيج ابنه وقيل : أخوه ، وقيل : أوشهنيج

- (١) ابن فيشداد بن كيومرث . وفي الناس من يزعم أنه أول ملك ملك من الفرس ، وهو الذي جمع الأقاليم السبعة ، ورتب الملك ونظم الأعمال ، ولقب بفيشداد ، وتفسيره بالعربية أول سيرة العدل . ويقال : إن أوشهنيج هذا كان بعد الطوفان بمائتي سنة ، وهو أول من قطع الحجر وبني به ، وأستخرج المعادن ، وبني مدينتي بابل والسوس . وكان فاضلا حسن السياسة محمود الأثر . قال : ونزل الهند وتنقل في البلاد وعقد التاج وجلس على السرير . وكان من حسن سياسته أنه فني أهل الفساد والدعارة من البلدان وأجلهم إلى رعوس الجبال وجزائر البحر ، وأستخدم منهم من كان يصلح للخدمة وسماهم الشياطين والعفاريت ، وقرب أهل الخير والصلاح . وكانت مدة ملكه أربعين سنة . ولم مات ملك بعده طهمورث وقيل فيه طهورث بن أنوجهان بن أوشهنيج ، وقيل بل بينهما عدة آباء . قال : ولما ملك سار في الناس سيرة جده أوشهنيج . وكان يتزل نيسابور . وقيل إنه الذي أنشأها ثم جددتها بعد ذلك سابور . وقيل : إنه أول من كتب بالفارسية وفني أهل الدعارة والشر وأستقام له نظام الملك . قيل : وفي أيامه ظهر بوداسف الذي أحدث دين الصابئة . وكان ملكه ثمانين سنة . وقيل ثلاثين سنة .

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « أوشهنيج بن فراك » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « أوشهنيج بن سيامك بن كيومرث » . (٢) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٧٤ من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب للعمري وغرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم . وفي الأصل : « طهمورث » . (٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ١٠٠) : « بالفهلوية » . (٤) كذا في الأصول ، وفي الطبري (ص ١٧٦ من القسم الأول) : « بوداسف » . بالباء الموحدة ؛ وفي مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاط) : « أبوداسف » .

ولما مات ملك بعده أخوه جمشيد^(١)، وتفسير شيد : الشعاع ، سمي بذلك
لوضاء وجهه . قال : ولما ملك سلك سيرة من تقدم وزاد عليها بأن صُفِّ
الناس وطَبَّقهم ورتَّب منازل الكُتَّاب وأمر لكل واحد وظيفة وأمره أن يلزمها .
وعمل أربعة خواتيم : خاتماً للحرب والشرط^(٢) وكتب عليه الأناة ، وخاتماً للخراج
وجباية الأموال وكتب عليه العارة ، وخاتماً للبريد وكتب عليه الوحا ، وخاتماً للظالم
وكتب عليه العدل . فبقيت هذه الرسوم في ملوك الفرس الى أن جاء الإسلام .

٣٠
١٣

وكان ملكه ستمائة سنة . وقيل سبعمائة سنة وستة أشهر . وقيل ألف سنة
إلا عشرين . وفي أيامه أحدث التيروز وجعله عيداً ، وأمر الناس أن يتنعموا
فيه . ثم بَدَّل سيرته بالجرور بعد الإنصاف ، والظلم بعد العدل ، والإساءة بعد
الإحسان ، فثقلت وطأته على الناس . ثم أظهر الكِبَر على وزرائه وكتابه وقواده .
ثم أنهك على لذاته وترك مراعاة كثير من السياسة الملوكية التي جرت عادة الملوك
أن يتولوا بها بنفسه . وقيل : إنه ادَّعى الإلهية فخرج عليه بيوراسب ، وكان من
جملة عماله ، واستجلب الناس وجمعهم عليه وأستصلحهم لنفسه ، وقصد جمشيد بعد
أن كثرت أتباعه وقويت شوكته ، فهرب منه فأتبعه حتى أدركه وظفر به ونشره بمنشار .
وملك بعد جمشيد بيوراسب ، وهو الذي يسميه العرب الضحَّاك . قالوا :
وهو بيوراسب^(٤) بن أرونداسف بن بناداس بن طوخ بن قروال بن ساعل بن فرس
ابن كيومرث ، وهو الدَّهَّاك ، فُزِب اسمه فقيـل الضحَّاك . وقيل : إنه ملك
ألف سنة . وزعم قوم أنه نمروذ . وزعم قوم آخرون أنه كان من عمال بيوراسب
على كثير من أعماله .

١٥

(١) راجع منه فيما تقدم (ج ١ ص ١٨٥ من هذه الطبعة) . (٢) الشرط هنا : أول كنية
تشهد الحرب وتنبأ للوت . (٣) تقدم الكلام عليه في الجزء الأول (ص ١٨٥ من هذه الطبعة) .
(٤) ورد هذا النسب في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٠٧ طبع بلاق) باختلاف في الأسماء .

٢٠

قال : ولما ملك بيوراسب ظهر منه خبث شديد وبخور كثير ، وملك الأرض كلها ، فسار فيها بالجور والعسف وسفك الدماء والصلب ، وهول على الناس ومحا سيرة من تقدمه من الملوك ، وسنّ الأعشار واتخذ الملاهي والغناء . وكان على منيكيه سلعتان يحترقهما إذا شاء كما يحترق يده ، فادعى أنهما حيتان تهويلا على ضعفاء الناس . وقد تقدم ذكره في الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الأول ، وهو في السفر الأول^(١) من نسخة الأصل في أخبار أعياد الفرس ، فلا حاجة إلى إعادة ما قدما ذكره من أمره .

قال : ولما عم الناس جورده كان من سوء عاقبة ذلك أن ظهر بأصبهان رجل يقال له كابي من عوام الناس . ويقال : إنه كان حدادا . وكان الضحاك قتل لكابي أنبين ، فبلغ به الجزع على ولديه مبلغا عظيما ، فقام وأخذ عصا وعلق عليها جرابا . وقيل : بل علق النطع الذي كان يشده على وسطه يتقى به النار إذا صنع الحدادة . وقيل : بل كان جلد أسد . وقيل : بل جلد نمر ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ، فحمل الناس ما كانوا فيه من البلاء إن أتبعوه وأطاعوه ، فاستفحل أمره ، وكثرت أتباعه ، واجتمع عليه أشراف الناس وأكابرهم ، فقصده بيوراسب . فلما أشرف عليه هرب عن منزله ، فجاء أشراف الناس إلى كابي الأصهباني واجتمعوا عليه ليلكوه ، فامتنع من ذلك وقال : إني لست من بيت الملك ، ولكن التمسوا من هو من بيت الملك فنوليّه علينا . وكان أفريدون بن انفيان قد استخفى من الضحاك

(١) سلعتان : متى سلمة بالكسر ، وهي زيادة تحدث في الجسد مثل القدة تمر بين الجسد والظم إذ أضغظت ، وتكون من قدر حصاة إلى بطيخة . (٢) راجع (ج ١ ص ١٨٨ من هذه الطبعة) .

(٣) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٣٢) : « كارة » .

(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٢٥٣١ من القسم الأول) و غرر أخبار الفرس وسيرهم (ص ٣٥١) وخطة المقرئ (ج ٣ ص ١٠٣ طبعة فيث) . وفي الأصل : « أفريدون » بالبدال المهملة .

في بعض النواحي ، فجاه إلى كابي الأصهباني ففرح الناس به واستبشروا بمقدمه ، وكان مرشحاً للملك فلكوه عليهم ، وصار كابي من جملة أعوان أفريزون .

قال : وتفاعل الفرس وتبركوا بذلك العلم الذي كان قد رفعه كابي الأصهباني وعظموه ورصعوه بعد ذلك بالجواهر وسموه الدرفس وجعلوه علمهم الأكبر الذي يتبركون به ، وهو الذي صار إلى المسلمين في وقعة القادسية ^(١) . وكانت الفرس لا ينشرونه إلا في الأمور العظيمة .

قال : ولما هرب بيوراسب ملك بعده أفريزون ، وهو التاسع من ولد جمشيد . قال : فأقول ما بدأ به أن أتبع بيوراسب فأدركه بدنياوند ^(٢) وقتله . وفي يوم قتله أحدث المهرجان على ما قدمناه . قال : ثم رد أفريزون مظالم الناس وأمر بالإنصاف وبسط العدل ، ونظر إلى ما كان بيوراسب قد اغتصبه من أموال الناس وأملأهم وأراضهم ، فرد ذلك على أهله ، وما لم يحمد أهله وقفه على المساكين ومصالح العامة . وكان مؤثراً للعلم وأهله . وكان صاحب طب وفلسفة ونجوم . وزعم بعض الفرس أن بيوراسب الضحاك هو النمرود ، وأن أفريزون هو إبراهيم عليه السلام . قال : ودام ملكه خمسمائة سنة . وقال : هو أول من تسمى بكى ، فكان يقال له : كى أفريزون ، وهي كلمة يراد بها التزيه ؛ أي روحاني متره متصل بالروحانية . وهو أول من ذلل الفيلة وقاقل بها الأعداء . قال : وكان لأفريزون

(١) القادسية : بلدة قرب الكوفة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، وكانت بها وقعة القادسية المعروفة بين المسلمين والفرس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦ من الهجرة . وهذه الوقعة من أعظم وقائع المسلمين خيراً وبركة . (٢) دنياوند : جبل من نواحي الري ، وهو جبل عال مشرف شاقق شامخ لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفاً ، ولا يقدر أحد من الناس يعلو ذروته ولا يقاربها ، ويعرف بجبل البيوراسب يراه الناس من مرج القلعة ومن عقبة همدان ، والناس إليه من الري يظن أنه مشرف عليه ، وأن المسافة بينهما ثلاثة فراسخ أو اثنين ... وهذا الجبل عين كبريتية (راجع معجم البلدان لياقوت) . (٣) راجع الجزء الأول (ص ١٠٨٨ من هذه الطبعة) .

ثلاثة أولاد وهم : سَرم وقيل فيه سلم ، وطوخ ، وإيرج وقيل فيه إيران ؛ نفثى أفريدون ألا يتفقوا بعده وأن ينفى بعضهم على بعض ، وظن أنه إذا قسم الملك بينهم في حياته بقي الأمر بعده على انتظام واتساق قسمه بينهم . فجعل الروم والشام وناحية المغرب لسرم . وجعل الترك والصين لطوخ . وجعل العراق والهند لإيرج ، وهو صاحب التاج والسرير . ففى ذلك يقول شاعرهم :

وقَسَمْنَا مَلِكَنَا فِي دَهْرِنَا * قَسَمَةَ اللّٰهِ عَلَى ظَهْرِ الْوَضْمِ^(٢)
 فجعلنا الرومَ والشَّامَ إلى * مغرب الشمس إلى المَلِكِ سَرمَ
 ولطوخَ جُعِلَ التُّركُ له * فبلادُ الصينِ يحويها ابنُ عِسمَ
 وإيرانَ جعلنا عنوة * فارسَ الملكِ وفِرْزَنَا بالنعمِ

فلما مات أفريدون وثب طُوخ وسَرم بأخيهما إيران فقتلاه وملكا الأرض بينهما ، ولذلك نشأت العداوة بين الترك والروم ، وقامت الحروب ، وطلب بعضهم بعضا بالدماء . فكان من سوء عاقبة غدرهما بأخيهما وتغلبهما على ملكه أن نشأ ابن لإيران بن أفريدون يقال له منوجهر ، وقيل اسمه منواشجر ، وقيل فيه منوشهر ، فغلب على ملك أبيه إيران .

وملك منوجهر بن إيران بلاد فارس ، ثم نشأ ابن لطوخ التركي نفثى منوجهر عن بلاده وجرت بينهما حروب ، ثم ظَفِرَ منوجهر وعاد إلى ملكه ، ونفى ولد طوخ وقوى أمره وظهر اسمه . وكان منوجهر موصوفا بالعدل والإحسان في مملكته . ويقال : إنه أوّل من خندق الخنادق ، وجمع آلة الحروب ، وأوّل من وضع الدهقنة^(٣) ، وجعل لكل قرية دُهقاناً ، وجعل أهلها عبيدا وخولا والبسهم لباس

(١) في تاريخ الطبرى (ص ٢٣٠ من القسم الأوّل) : « طوج » . وفي غرر أخبار ملوك القرس وسيرهم : « توز » . (٢) الوضْم : خشبة الجزار يقطع عليها اللحم .

(٣) الدهقنة : مصدر واسم من دهقن ، والدهقان (بالكسر ويضم) هنا : رئيس الإقليم ، معزب دهقان . (من محيط المحيط للبستاني) مادة دهقن .

المذلة . ولما قوى أمره سار نحو الترك وطلب بدم أبيه فقتل عميه اللذين قتلا أباه ، وأدرك ثاره وأنصرف الى بلاده .

ثم نشأ فراسياب بن ترك من ولد طوخ بن أفريدون وإليه ينسب الترك ، فخارب منوجهر وحاصره بطبرستان^(٢) ، ثم اصطالحا وضربا بينهما حدا لا يجاوزه واحد منهما ، وهو نهر بلخ ، فاقطعت الحرب بين فراسياب ومنوجهر . وكان لمنوجهر هذا خطب تدل على سداد رأيه ، ووفور عقله ، وجودة فهمه ؛ قد ذكرنا بعضها في الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك . قال : وفي أيام منوجهر ظهر موسى بن عمران عليه السلام .

قال : ولما مات منوجهر تغلب فراسياب على إقليم بابل اثنتي عشرة سنة ، وأكثر الفساد ، وخرّب البلاد ، وطعم الأنهار ودفن القتي ، فقحط الناس الى أن ظهر زو بن طهماسب فأخرجه عن بلاد فارس الى تركستان .

وملك زو بن طهماسب وقيل فيه : زاع ، وقيل فيه : زاب ، وقيل : راسب ، وهو من أولاد منوجهر ، وبينه وبين منوجهر عدة آباء . قال : ولما ملك ابتداء في عمارة ما خرّبه فراسياب ، وأمر ببناء ما هدم من الحصون ، وحفر الأنهار والفني ، حتى عادت البلاد إلى أحسن ما كانت عليه ، ووضع عن الناس الخراج

(١) كذا في نسخة (١) ومروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٠٨) . وفي نسخة (ب) وتاريخ الطبري (ص ٤٣٤) من القسم الأول طبع أوربا : « فراسيات » بالاء المثناة .

(٢) طبرستان : ناحية واسعة الأرجاء ببلاد الفرس بين جرجان والديلم ، على بحر قزوين الذي يسمى أيضا باسمها « بحر طبرستان » وأشهر مدنها : آمل ، أو عامل ، والدامغان ، وقومسان (وهي الآن إقليم مازندران) من مملكة إيران ، فتحها سويد بن مقرن في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (راجع معجم الخريطة الإسلامية للرحوم أمين واصف بك) .

(٣) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة) ، وقد راجعنا هذا الباب فلم نجد لتلك الخطب أثرا ، ولعلها سقطت من الأصل .

سبع سنين، فعمرت البلاد في أيامه، ودرت معاش الناس، واحترف بالسواد نهرها^(١) وسماه الزاب، وبنى على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة، وكورها^(٢) كورا، وجعلها ثلاثة طاسيج: الزاب الأعلى، والزاب الأوسط، والزاب الأسفل، ونقل إليها بنور الرياحين، وأصول الأشجار،

٣٢
٣١

وزوهذا أول من اتخذ ألوان الطيخ، وأنواع الأطعمة، وقسم الغنائم على جنوده. وكانت مدة ملكه ثلاث سنين.

ثم ملك بعده كرشاسب بن أسباس، وأمه من سبط يامين بن يعقوب عليه السلام. قال: وكان مسكنه يابل. ومدة ملكه عشرون سنة. وبعض المؤرخين لم يذكره في الملوك. وقال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم: إن كرشاسب كان وزيرا لزق بن طهماسب، وأنه من أولاد طوخ ابن أفرينون. قال: وقد حكى أن زقا وكرشاسب اشتراكا في الملك. قال: والصحيح من أمره أنه كان وزيرا لزق ومعينا له، والذي أثبت كرشاسب في الملوك الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الشامي في كتابه المترجم بكلمة الزهر وصدفة الدرر، وقال: ولم يذكره بعض المؤرخين.

ثم ملك بعده كيقباز بن زق، وقيل فيه: آبن زاب بن تور، وسلك سبيل أبيه فكور الكور، وبين حدودها، وأمر الناس بالعمارات، وأخذ العشر من الغلات لأرزاق الجند. وكان حريصا على العمارة، مانعا لحوزته. والملوك الكية من نسله. وكان بينه وبين الترك حروب كثيرة. وكانت إقامته في الحد^(٣)

(١) يريد بالسواد العراق. (٢) طاسيج: جمع طسوج بالشد، وهي الناحية.

(٣) الكية: الذين يحدون أسماؤهم بلفظ (ك) وهي كلمة يراد بها التزهد.

الذي بين مملكة الفرس والترك بتاحية بلغ . وكان ملكه مائة وعشرين سنة
ثم مات .

وملك بعده كيقابوس بن كينه بن كيقباز الملك . قال : ولما ملك شدد على
أعدائه ، وقتل خلقا كثيرا من عظماء البلاد وسكن بلغ ، وولد له ابن لم ير مثله
في عصره جمالا وتمام خلقه ، وسماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن دستان من
ولد كرشاسب . وكان أصهبذا بسجستان وما يليها من قبل كيقابوس وأمره بتربيته .
فمضى به رستم الى سجستان وتخير له الخواضن والمراضع الى أن عقل ، فجمع له
المعلمين ، ثم علمه الفروسية حتى فاق فيها ، فقدم به على أبيه وهو كامل الصفات
من العقل والأدب والفروسية ، فأمتحنه والده فوجده فوق ما يجب .

قال : وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال يقال إنها بنت فراسياب ملك الترك ،
ويقال : إنها ابنة ملك اليمن ، فهويت سياوخش وهويها ، ويقال : إنها كانت ساحرة
فسحرته ، وآل أمرهما الى أن انكشف لأبيه كيقابوس وأطلع على ما كان من أمر
أبيه وزوجته ، فأشفق سياوخش على نفسه وخشى عاقبة أبيه فلطف في البعد عنه ،
فسأل رستم أن يُشير على أبيه لإرساله لحرب فراسياب ملك الترك ، وكان قد تجددت
بين فراسياب وكيقابوس وحشة ، ففعل رستم ذلك وخاطب كيقابوس فيه واستأذن له
في جند يضمهم إليه ، فأذن له وضم إليه جندا كشيفا وأشخص سياوخش الى بلاد
الترك ، فسار حتى التقي بفراسياب فانتظم الصلح بينهما من غير حرب ، فكتب
سياوخش الى أبيه يخبره بما كان بينه وبين فراسياب من الصلح والانفاق ، فكتب
إليه كيقابوس بإنكار ذلك عليه وأمره بمناقضته ومناجرتة الحرب ، فرأى سياوخش

(١) كذا في نسخة (١) و(ب) . وفي تاريخ الطبري (ص ٦٠٠ من القسم الأول طبع أوربا) :

« كيقابوس بن كينه » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « كيكابوس » ويقال له بالعربية قايابوس .

- أنه إن فعل ما أمره به والده من الحرب وتقص الهدنة من غير سبب وقع يوجب
تقصها، يكون ذلك عارا عليه ومتقصّة، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه وأجمع رأيه على
الحرب منه، فكتب الى فراسياب ملك الترك يطلب منه الأمان لنفسه، وعرفه
أنه أثر اللحاق به فأجابته الى ذلك. وكان السفير بينهما أحد عظماء الترك وأكابرهم
يسمى قيران. فلما استوثق سياوخش من ملك الترك سار نحوه وأنصرف من كان
معه من جند أبيه ورجعوا إليه. قال: ولما وصل سياوخش الى فراسياب ملك
الترك أكرمه وعظمه وزوجه بابنته، وهى أم كيخسرو الذى ملك الفرس. ولم يزل
على إكرامه الى أن ظهر له من أدبه وحسن سياسته وجمل تطفه ما أشفق منه
وخشى على ملكه ليل الناس إليه فقتله. وكانت أبنه الملك قد اشتملت من سياوخش
على حمل، فقصد أن يسقطه وتحيلوا فى ذلك فلم تسقط؛ ثم جاء قيران، وهو الذى كان
السفير فى الصلح بين الترك وسياوخش، وأنكر ما كان من فعل الملك وحذره عاقبة
الغدر والطلب بالنار، وأشار عليه أن يدفع ابنته زوجة سياوخش إليه لتكون عنده
الى أن تضع وقال: اذا أردت بعد ذلك قتل ولدها فاقتله؛ فأجابته الملك الى ذلك
وسلم إليه ابنته، فكانت عنده الى أن وضعت كيخسرو؛ فلما وضعت امتنع قيران
من قتله وسر أمره، فكان عند قيران حتى بلغ، ثم احتال جده كيقابوس الى أن
أخرجه هو وأمه من بلاد الترك.

- قال أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه فى كتابه المترجم بتجارب الأمم: وللفرس
فى أمر كيقابوس خرافات كثيرة منها: أنهم يزعمون أن الشياطين مسخوه، وقوم
منهم يزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام أمرهم بذلك فى خرافات كثيرة
ظاهرة الإحالة: من الصعود الى السماء، وبناء مدينة كئكر بأسوار من ذهب وفضة

وحديد ونحاس وأنهار، وأنها ما بين السماء والأرض؛ وأشياء ذلك مما تُحمله العقول
السليمة؛ لأن ذلك ليس في قدرة البشر.

قال : ولما تم لكيقابوس أكثر ما كان يقصده سار من خراسان ونزل بآبل
وترك ما كان يتولاه بنفسه من السياسات، وأحتجب عن الناس وتعاظم عليهم،
وآثر الخلوة، فكان من عاقبة ذلك أن فسد عليه ملكه وغزته الملوك؛ فكان بعد ذلك
يغزوهم فيظفر بهم مرةً ويُنكّب أخرى، الى أن غزا بلاد اليمن، والملك بها يومئذ
ذوالأذعار بن أبرهة بن ذى المنار . فلما أتاها كيقابوس خرج اليه ذوالأذعار
في جموعه من حمير وولد حِطّان، فظفر به ذوالأذعار وأسرّه وأستباح عسكره وحبسه
في بئر وأطبق عليه طبقا، فخرج رسم الشديد من سجستان في جموع كثيرة من الفرس؛
فالفرس تزعم أنه أوغل في بلاد اليمن واستخرج كيقابوس من محبسه، واليمن تقول غير
ذلك، وأن ملكهم ذوالأذعار لما بلغه إقبال رسم خرج اليه في جموعه وجنود
عظيمة، وخذق كل منهما على نفسه وعسكره، وأنهما أشفقا على جندهما من البوار،
فاتفقا على أن دفع لهم ملك اليمن كيقابوس وانصرف رسم من غير حرب ورجع
بكيقابوس الى بابل، فكتب له كيقابوس كتابا بالعتق وأقطعه سجستان . ونسخة
الكتاب الذى كتبه : من كيقابوس بن كيقباذ الى رسم . إني قد أعتقتك من
العبودية، وملكك بلاد سجستان، وأجلس على سرير من فضة ممّوه بالذهب،
والبس قلنسوة من الحرير منسوجة بالذهب متوجة . قال : ومما يدل على صحة ما نقل
من أمر كيقابوس قول الحسن بن هانئ :

وقاظ قابوس في سلاسلنا * سنين سبعا وثت لحاسنها

٣٤
١٣

ولما مات كيقابوس ملك بعده ولد ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيقابوس . قال : ولما ملك عقد التاج على رأسه وخطب رعيته خطبة بليغة أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سياوخش قبل فراسياب ملك الترك ، وكتب إلى جودرز بأصبهان — وكان أصهبدا على نخراسان — يأمره بالمسير إليه ، وأمره أن يعرض جنده وأن ينتخب ثلاثين ألف راجل ويضمهم إلى طوس ^(١) [بن نوذران] .
وكان فيمن أشخص معه برزافره [بن كيقاوس ^(١)] عم كيخسرو وابن جودرز وجماعة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ، وأمره أن يقصد فراسياب وطراخته وحذره من ناحية بلاد الترك فيها أخ له من أبيه سياوخش يقال له فروذ ، وكان قد رزقه من بعض نساء الأتراك ، كان سياوخش قد تزوجها لما سار إلى فراسياب فولدت له فروذ ، وأقام بموضعه إلى أن شب ، فسار طوس وكان من غلظه الذي فعله أنه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروذ حاربه فقتل فروذ في الواقعة . فلما اتصل الخبر بكيخسرو غضب لذلك وشق عليه ، فكتب إلى عمه برزافره ذلك كتابا غليظا يخبره بما ورد عليه من خبر طوس ومخالفته له ومحاربتة لأخيه فروذ وقتله إياه ، وأمره بإشخاص طوس إليه مقيدا مغلولاً ، وأن يتقدم هو على العسكر ويتوجه . ففعل برزافره ذلك وتولى أمر العسكر ، وسار عبر النهر المعروف بكاشرود ، و انتهى خبره إلى فراسياب فوجه للقائه وحربه جماعة من إخوته وطراخته ، فالتقوا وفيهم قيران وإخوته ، فاقتلوا قتالا شديدا ، وظهر من برزافره عم كيخسرو في ذلك اليوم فشل لما اشتدت الحرب ، فهرب وأنحاز بالعلم إلى رموس الجبال ، واضطرب على ولد جودرز الأمر ، فقتل منهم في تلك الملاحمة في وقعة

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .

(٢) طراخته : الطراخنة جمع طرخان (بالفتح) ، والطرخان : زعيم القوم المعنى من الضرائب

(فارسي) .

واحدة سبعون رجلا، وقتل خلق كثير، وأنصرف برزافره ومن أفلت معه إلى كيخسرو،
 فرميت الكتابة في وجهه وأمنع عن الطعام والشراب أياما، ثم أتاه جودرز وشكا
 إليه عمه برزافره وأنه كان سبب الهزيمة، ولاطفه كيخسرو وقال : إن حقك لازم
 لنا فلتعطينا إيانا، وهذا جندا ونحرائنا مبذولة لك فاطلب ترك^(١) واستعد وتجهز
 للتوجه إلى فراسياب . فنهض جودرز وقبل يده وقال : نحن رعينك وعبيدك
 أيها الملك ، فإن كانت آفة أو نازلة فلتكن بالعبيد دون المملوك ، وأولادى الذين قتلوا
 فداؤك ، ونحن من وراء الانتقام من فراسياب والاستيقاء من الترك^(٢) . فكتب
 كيخسرو إلى وجوه عساكره وأكابر أجناده يأمرهم بموافاته في صحراء تعرف بشاه
 اسطون من كورة بلخ في وقت وقته لهم ، فوافوه في ذلك الوقت ، وشخص كيخسرو
 بأصهبذيته وأصحابهم وفيهم برزافره عمه وجودرز وولده ، فعرض كيخسرو الجند
 بنفسه حتى عرف عدتهم وأطلع على أحوالهم ، ثم أحضر جودرز وثلاثة قهرميه
 من القواد فأعلمهم أنه يريد إدخال العساكر على الترك من أربعة وجوه ليحيطوا بهم
 من جميع جهاتهم ، وقد عد على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جودرز ،
 ودفع إليه يومئذ درقس كاپيان^(٣) ، ولم يكن يدفع قبل ذلك لأحد من القواد ، بل مع
 أولاد المملوك .

قال : وأمر أحد القواد بالدخول مما على الصين وضم إليه ثلاثين ألف رجل ،
 وأمرهم بالدخول من ناحية الخزر من طريق بين جودرز وبين الذي دخل من
 طريق الصين ، ودخل جودرز من ناحية خراسان وبدأ ببقيران والتحمت بينهما

(١) الترة هنا : النار . (٢) في تاريخ الطبرى : « والاشطاء » .

(٣) في تاريخ الطبرى (ص ٦٠٩ من القسم الأول) : « درقس كاپيان » بالشين المعجمة وقال :

إنه العلم الأكبر الذى كانوا يحملونه .

الحرب واشتد القتال ، فقتل جودرز أخا قيران ، ثم قتل قيران مبارزة ، ثم قصد فراسياب وألحمت عليه العساكر من كل جهة ، وأتبع كيخسرو القوم بنفسه وقصد الوجه الذي كان فيه جودرز ، وقد أثنى في القتل وقتل أصهيد فراسياب والمرشح لذلك بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته وأولاده ، وأسر برويز وهو الذي قتل سیاوخش .

قال : ولما جاء كيخسرو وجد جودرز قد أحصى الأسرى والقتلى وما غنم من الكراع^(١) والأموال ، فوجد ما في يده من الأسرى ثلاثين ألفا ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفا وستين ألفا على ما تزعم الفرس ، وحاز من الكراع والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كل واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره ورأس قتيله [عند علمه] لينظر إلى ذلك كيخسرو عند موافاته . فلما وافى كيخسرو موضع الملحمة تلقاه جودرز وعرض عليه الأسرى والقتلى ، فرأى قيران قتيلًا ، وأتى بقاتل أبيه الذي مثل به بعد قتله . فقتله كيخسرو شر قتلة ، قطعه عضوا عضوا ثم ذبحه ، وأحسن صلة جودرز وفوض إليه الوزارة التي يقال لها بزر جفرمذار وجعل إليه مع ذلك أصهبان وجرجان ، وأحسن لكل من أبلى من قواده ورجاله ، ثم أنته أخبار قواده الثلاثة الأنحر أنهم قد أحاطوا بفراسياب ، وبرز فراسياب ومن بقى من ولده وعساكره وتوجه نحو كيخسرو بجيوش عظيمة ، فيقال إن كيخسرو أشفق منه وهابه حتى ظن أنه لا قبل له به ، ودام القتال بين العسكرين أربعة أيام ، فقتل شيده مقدم عسكر فراسياب ، وكانت هذه

(١) الكراع بالضم : اسم يجمع الخيل وال سلاح . (٢) الكلمة من تاريخ الطبرى (ص ٦١٢

من القسم الأول) والمبارزة في الأصل مضطربة . (٣) في تاريخ الطبرى أن اسم هذا القاتل

« بردابن فشيجان » . (٤) كذا في الطبرى وفي نسخة (١) « بزرخ فرمدار » وفي نسخة

(ب) « بزرخ فرمدار » .

الحرب معه ، ثم أقبل فراسياب في جمع عظيم من الأتراك والتقى هو وكيخسرو ونشبت بينهما حروب عظيمة يقال إنه لم ير مثلها قبلها قط على وجه الأرض ، فكانت الدائرة على الترك ، وأنهم فراسياب وكثر القتل في أصحابه وأتبعه كيخسرو حتى أدركه بأذربيجان فظفر به وأستوثق منه بالحديد ووثقه على ما كان منه من قتل سياوخش ، فلم يكن له حجة ، فذبحه ثم أنصرف . وقد غم غنائم عظيمة لا تحصى وأدرك بشاره .

قال : ولما فرغ كيخسرو من أمر الترك ورجع إلى بلاده واستقر بدار ملكه زهد في الملك وتنسك ، وأعلم وجوه أهل بيته وأكابر مملكته أنه قد عزم على التخلي والافتراق وترك الملك ، فجزعوا من ذلك وسألوه ألا يفعل ، فأبى عليهم . فلما أيسوا منه سألوه أن ينصب في الملك من يراه له أهلا ، فأشار بيده إلى لهراسف وأعلمهم أنه خاصته ووصيته ، فقبل لهراسف ذلك وأقبل الناس عليه . وقُدد كيخسرو . فمنهم من يقول : إنه غاب للتنسك ، وبعضهم يقول غير ذلك ، إلا أنه لم تُعلم جهة وفاته . قال : وكان ملكه ستين سنة . قال : وفي أيام ملكه كان سليمان بن داود عليه السلام .

ثم ملك بعده لهراسف^(١) ، وقيل فيه بهراسف بن تنوف بن كيمش وهو ابن أنخى كيقابوس ويلقب بكى لهراسف . قال : ولما ملك اتخذ سريرا من ذهب مكلا بالجوهر للجلوس عليه ، وبنيت له بأرض نراسان مدينة ، سماها بلخ الحسنة . قال : وهو أول من دَوّن الدواوين ، وقوى ملكه بانتخاب الجنود ، وعمر الأرض . وكانت شوكة الأتراك اشتدت في زمانه ، فترل بلخ لمقاتلتهم ، ووجه يختصر

(١) كذا في نسخة (ب) وفي نسخة (أ) « كهراسف » وفي تاريخ الطبري : « كى فراسب »

وفي مرجع الذهب (ج ١ ص ١٠٩ طبع بلان) : « لهراسب » .

أصبهنا ما بين الأهواز إلى أرض الروم، من غربي القرات . وسنذكر أخباره
إذا انتهت أخبار لهراسف .

قال : وكان لهراسف بعيد الهمة ، طويل الفكرة ، شديد التمسك بالملك المحيطة
لإيران شهر . وكانت ملوك الروم والمغرب والهند يؤتوني إليه إطوة معلومة في كل
سنة ، ويُقرّون له أنه ملك الملوك حينئذ له ، واستمر في الملك إلى أن كبرت سنه
وأحس بالضعف فاعتزل الملك ونصب ابنه بنشاسف .^{١١} وكان ملكه فيما ذكر
مائة وعشرين سنة .

ذكر أخبار مختصر

ويقال في اسمه بالفارسية بخترشه ، وكان مرزباناً للهراسف ، ومعنى المرزبان
أنه ملك على ربع من أرباع المملكة . وقد قدما أن الملك لهراسف كان قد
جعله أصبهنا ما بين الأهواز إلى أرض الروم . قال : فسار حتى أتى دمشق
فصالحه أهلها ، ووجه قائدا له فأتى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل ، وهو
رجل من بني داود النبي عليه السلام ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية
وثب بنو إسرائيل على ملكهم قتلوه وقالوا له : إنك هادمت أهل الكفر وخذلنا
واستعدنا للقتال ، فكان عاقبة ذلك أن قائد مختصر — لما بلغه ما كان من بني
إسرائيل — كتب إليه يحبره بقتلهم ملكهم ، فأجابته مختصر أن يقيم بموضعه حتى
يوافقه ، وأمره بضرب أعتاق الرهائن الذين معه . وسار مختصر حتى أتى بيت

(١) هكذا في تاريخ الطبري . وفي غير أخبار ملوك القرس : « بنشاسف » وفي نسخة أ ، ب :

« بنشاسف » .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري : (ص ٦٤٥ من القسم الأول) وغير أخبار القرس وسيرم التالي
(ص ٤٤ طبع باريس) . وفي نسخة (أ) هكذا « تخت رسي » وفي نسخة (ب) « تخت رسي » :

المقدس فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبي الذرية وهرب الباقون إلى مصر،
فكتب بختنصر إلى ملك مصر: «أن عبيدا لي هربوا مني إليك فسرّحهم إلىّ وإلا
غزوتك وأوطأت خيلي بلادك»، فكتب إليه ملك مصر: «إنهم ليسوا عبيدك،
ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار، وأمتنع من إيقادهم اليه، فغزاه بختنصر وقتله وسبي
أهل مصر، ثم سار في أرض المغرب حتى بلغ أقصى نواحيها.

قال صاحب كتاب تجارب الأمم: وقد حكى أهل التوراة وغيرهم في أمر
بختنصر أقوالا مختلفة، فذكروا منها: أن بختنصر لما حرب بيت المقدس أمر
جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسا ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس، فقفذوا
فيه من التراب ما ملأه. قال: ولما أنصرف إلى بابل اجتمع معه سببايا
بيت المقدس من بني إسرائيل وغيرهم، فاختر منهم سبعين ألف صبي، فلما فرق
القنائم على جنوده سألوه أن يقسم فيهم الصبيان، فقسمهم في الملوك منهم، فأصاب
كل رجل منهم أربعة، وكان من أولئك الغلبة الذين سباهم، دانيال النبي وحنين
وميشايل، وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأخذ عشر ألفا من سبط بشر بن
يعقوب. ثم غزا بختنصر العرب، وذلك في زمن معد بن عدنان.

قال: وكانت مدة غلبة بختنصر إلى أن مات أربعين سنة، ثم قام ابن له يقال
له أونمروذ ثم [هلك، وملك مكانه ابن له يقال له] ^(٢) بلتنصر، وذلك في زمن بهمن،
فلم يرض بهمن أمره فعزله وملك مكانه كيرش، وتقدم إليه بهمن أن يرقى بني
إسرائيل ويمكنهم من التزول حيث سألوا، أو الرجوع إلى أرضهم، وأن يولى

(١) في تاريخ الطبري: «أولردوخ».

(٢) الكلمة من تاريخ الطبري. وفي نسخة (١) هكذا: «ثم بن بلتنصر». وفي نسخة (ب):

«ثم ابن يقال له بلتنصر».

عليهم من يختارونه ، فاختروا دانيال فولاه أمرهم . فكانت مدة خراب بيت المقدس سبعين سنة ، وقيل غير ذلك . ولترجع إلى أخبار الفرس .

ولما أعتزل لهراسف الملك كما ذكرناه ، ملك بعده كي بشتاسف ^(١) بن كي لهراسف . قال : ولما ملك بنى مدينة فسا ، وهو أول من بسط دواوين الكتاب لا سيما ديوان الرسائل ، وكان له ديوانان أحدهما : ديوان الخراج ، والآخر ديوان النفقات ، فكل ما يرد إلى ديوان الخراج ، وكل ما يصرف من ديوان النفقات . وكان له كاتب موكل بدار المملكة ، فإن وقع تقصير بأحد في منزلته ، أو حُطَّ من درجته رجع إلى ذلك الكاتب ليبين له حال مرتبته فيجربى على رسمه وعادته .

- ١٠ وفي أيامه ظهر زرادشت [بعد ثلاثين سنة من ملكه فأدعى النبوة ^(٢)] فأراد على قبول دينه فامتنع من ذلك ثم صدقه وقيل دعواه ، وأناه بكتاب يكتب في جلد اثنتي عشرة ألف بقرة حفرا في الجلود وتقسا بالذهب ، فصير بشتاسف ذلك الكتاب بإصطخرو وكل به الهرا بذة ^(٤) ، ومنع من تعليمه العامة . وبني بيلاد الهند بيوتا للنيران ، وتنسك واشتغل بالعبادة ، وهادن كي خراسف بن كي سواسف ^(٥) ابن أنى فراسياب ملك الترك على ضروب من الصلح ، وفي جملة شريطة الصلح ألا يكون

(١) في تاريخ الطبرى : « كي بشتاسب بن كي لهراسب » .

(٢) فسا (بالفتح والقصر) ويقال لها بسا (بالباء) : مدينة بخارس أتره مدينة بها فيا قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهى مدينة واسعة الشوارع تقارب في الكبر شيراز ، وهى أصح هواء منها .

(٣) الكلمة من تاريخ الطبرى (ص ٦٧٦ من القسم الأول طبع أوروبا) .

(٤) الهرا بذة جمع الهربذ (بالكسر) : هم خدام النار . وقيل : حكام المحوس الذين يصلون .

٣٣٠ (راجع المعزب للجوالق ص ٣٥١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٥) في تاريخ الطبرى : « أنى » .

ببلاد خرازسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على أبواب الملوك ، وغير ذلك مما وقعت عليه المهادنة . فأشار زرادشت على بشتاسف بنقض الهدنة ومفاسدة ملك الترك ، فبلغ ملك الترك ذلك ، فغضب وكتب إليه كتابا غليظا من جلته أن يوجه إليه زرادشت ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ودماء أهل بيته ، فأجابه بشتاسف بجواب أغلظ من كتابه وآذنه بالحرب وأعلمه أنه غير ممسك عنه إن أمسك هو . فسار كل منهما الى الآخر ، ومع كل واحد منهما إخوته وأهل بيته ، والتقوا واقتلوا قتالا شديدا ، فكانت الدائرة على الترك ، وقتل اسفنديار بن بشتاسف بيدرفش الساهر مبارزة^(١) ، وقُتِلَ التركُ قتلا ذريعا ، وهرب ملكهم خرازسف ورجع بشتاسف الى بلخ .

قال : فلما مضت لتلك الحرب سنون سعى رجل يقال فروخ بإسفنديار الى بشتاسف ونسبه أنه تطاول لللك ، وزعم أنه أحقُّ به ، فأفسد بذلك قلب بشتاسف عليه ، وصدق مقالة فروخ ، فأخذ في التدبير على إسفنديار وجعل يرسله الى حرب بعد حرب ، وهو يظفر وينجح ويرجع بالغنائم ، ثم أمر بتقيده فقيد ، وصيره في الحبس في حصن من حصونه ، وسار بشتاسف الى جبل يقال له طميسدر لدراسة دينه والتنسك هناك ، وخلف أباه لهراسف في مدينة بلخ ، وقد كبرت سنه وهرم وعجز .

قال : فاتفصل هذا الخبر بخرازسف ملك الترك ، فجمع من الجنود مالا يحصى كثرة ، وشخص من بلاده نحو بلخ حتى [إذا]^(٢) انتهى الى تخوم ملك فارس قدم أمامه

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصول : « بدرفش » بالنون .

(٢) في تاريخ الطبري : « فرزم » .

(٣) زيادة بقضيا السباق .

جوهر من أخيه، وكان مرشحاً لللك، في جماعة كثيرة من المقاتلة، وأمرهم أن يُفقدوا
 السير حتى يتوسطوا المملكة، ثم يوقعوا بأهلها ويُشنوا الغارة على المدن والقرى .
 ففعل جوهر من ذلك وسفك الدماء وأستباح الحرم، وسبي ما لا يحصى، وأتبعه
 خرزاسف ملك الترك حتى انتهى إلى مدينة بلخ، فأحرق الدواوين وقتل لهراسف
 والمهرابذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبي آيتين
 لبشتاسف وأخذ دِرْفَس كابياني، وسار في طلب بشتاسف فتحصن منه في جبل
 طميدر، فعند ذلك ندم بشتاسف على ما كان منه في حق أبنه إسفنديار، فيقال:
 إنه وجه من استخرجه من محبسه، وجاءه به، فلما دخل عليه اعتذر منه ووعد
 عقد التاج على رأسه، وأن يفعل معه كما فعل لهراسف به . وقده أمر عساكره
 ونذبه لحرب ملك الترك . فطابت نفس إسفنديار بكلام أبيه له، وتأهب لوقته،
 وسار بالجنود صبيحة النهار نحو الترك . فلما قُرب منهم تبادروا الحرب، فكان
 ممن خرج إليه منهم جوهر من واندزمان، فالتقوا والتحمت بينهم الحرب، فانقضَّ
 إسفنديار على عساكر الترك بنفسه واختلط بهم، وقاتل حتى نل منهم ثلثة عظيمة،
 وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من محبسه، وأنه هو الذي يقاثلهم، فانهزموا
 لا يلوون على شيء . واسترجع إسفنديار من الترك الدِرْفَس وعاد إلى أبيه، فاستبشر
 وأمره باتباع القوم وقتال خرزاسف وقتله — إن ظفر به — بجده لهراسف، وقتل
 جوهر من واندزمان بمن قُتل من ولده، وأن يهدم حصون الترك ويحرق مدنها
 ويقتل أهلها بمن قتلوا من أهل بلاده، ويستنقذ من سبيوه من بناته . فدخل
 إسفنديار بلاد الترك ورام ما لم يَرْمُه أحد قبله، واعترض العنقاء ورامها على ما يزعم
 الفرس، ودخل مدينة الصفرة عنوة، وقتل ملكها وأخوته ومقاتلته، واستباح

(١) هكذا في نسخة (١) وتاريخ الطبري . وفي نسخة (ب) « جوهر من » بالنون .

أمواله وسي ذراريه ونساءه واستنقذ أخته، وكتب بالفتح الى أبيه. ولم يستقل إسفنديار هذا بالملك .

والذى ملك الفرس بعد بشتاسف أردشير بهمن ^(١) بن إسفنديار بن بشتاسف . وتفسير بهمن بالعربية : الحسن النية .

قال : ولما ملك أردشير انبسط يده وتناول المال ك حتى ملك الأقاليم . وكانت ملوك الأرض تحمل اليه الإتاوة، وأبنتى بالسواد مدينة وهي المعروفة بهمينيا ^(٢)، وهو أبودارا الأكبر، وأبو ساسان . قال : وكان بهمن كريما متواضعا . وكانت تخرج كتبه : من أردشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأمرهم . ويقال : إنه غزى رومية الداخلة في ألف ألف مقاتل . ومن المؤرخين من ذهب الى أن بهمن هذا هو الذى جهز بختنصر لغزو العرب وغيرهم . وكانت مدة ملك أردشير ^(٣) [مائة و] آتتى عشرة سنة .

ولما مات ملكت بعده أخته جماز هرازاد، وهي جماني أم أبنة دارا . قال : وكانت قد حملت منه بدارا الأكبر وسألته أن يعقد التاج للذى فى بطنها ويؤثره بالملك، ففعل أردشير ذلك . وكان أبنة ساسان يتصنع لللك ولا يشك أنه يكون هو الملك بعد أبيه . فلما رأى ما فعل أبوه شق ذلك عليه، فليحق بإصطخر وترهد، وخرج عن حلية الملوك، وأخذ غنيمة وكان يتولاها بنفسه، فاستنقذ الناس ذلك

٣٨
١٣

(١) كذا فى نسخة (ب) وتاريخ الطبرى . وفى نسخة (١) « أردشير » بالزاي المعجمة .
(٢) همينيا ويقال لها همانية : قرية كبيرة كالبلدة بين بغداد والنعمانية فى وسط البرية ليس بقربها شىء من العمارات وهي فى ضفة دجلة . (٣) الذكيلة من تاريخ الطبرى .
(٤) كذا فى نسخة (ب) وفى نسخة (١) « جماني » بالخاء المعجمة . وفى تاريخ الطبرى (ص ٦٨٨ من القسم الأول) : « جماني » بالخاء المعجمة . (٥) استنقذ الناس ذلك : استبقوه واستهجنوه .

من فعله وقالوا : صار ساسان راعيا ، ولم تزل جماني قائمة بأمر الملك ، ضابطة له ، وأغزت الروم جيشا ^(١) [بعد جيش] وأوتيت ظفرا ، فقمعت الأعداء وشغلتهم عن التطرّق الى شيء من بلادها ، ونال رعيّتها بتديرها رفاهية وأمنّ الى أن كبر أبناها .

فملك دارا بن أردشير بهمن . قال : ولما كبر حوّل التاج الى رأسه ونزل

- بابل . وكان ضابطا للملك ، قاهرا لمن حوله من الملوك ، يؤدون اليه الخراج .
وآبى بقارس مدينة وسماها دارا بيجرد . ورتب دواب البريد . وكانت مدة ملكه
أثنى عشرة سنة .

وملك بعده أبوه دارا بن دارا بن أردشير ، وكان دارا هذا حقودا جبارا ،
فلّه قومه . وغزاه الإسكندر بن فيلبس اليوناني ، والتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ،
فقتل دارا بن دارا . وسنذكر خبر مقتله في أخبار الإسكندر .

فهؤلاء ملوك الفرس الأول ، ثم تبدّد ملك الفرس وأنشأ لقتل دارا بن دارا ،
واستقل الإسكندر بالملك . وملك بعده من نذكره من ملوك اليونان ، وتفرّق ملك
الفرس أربعين سنة الى أن عاد الى بني ساسان . وهأنا ذا ذكر خبر ملوك الطوائف
ما بين دارا بن دارا وأردشير بن بابك .

ذكر أخبار ملوك الطوائف

وملوك الطوائف هم الذين ملكوا بلاد فارس ما بين دارا بن دارا وأردشير
ابن بابك الذي جمع ملك الفرس بعد تبدّده ، ونظّمه بعد انتتاره . وكان من خبرهم
أن الإسكندر لما قتل دارا بن دارا وغلب على بلاد الفرس هم بقتل أكابرهم ،
فكتب الى معلمه أرسطاطاليس يستشيريه في ذلك ، فنهاه عن قتلهم وقال : هذا

(١) الزيادة من تاريخ الطبري .

من الفساد في الأرض ، وإذا قتلتهم أنبتت أرض بابل امثالهم ، وأشار عليه أن يفرق المملكة بين أولاد الملوك ، فإنهم يتنافسون الملك فلا يجتمعون على ملك واحد منهم ، فتي خالفك واحد كانت مؤنته عليك خفيفة ؛ ففعل ذلك ، وفرق الملك حتى أمكنه أن يتجاوز أرض فارس الى بلاد الهند والصين . فكانت ملوك الطوائف في إقليم بابل لا يدين بعضهم الى بعض .

فكان من ملوكهم الذين ملكهم الإسكندر : أشك بن دارا الأكبر ، فقوى أشك هذا وعظمته الملوك وقدموه على أنفسهم ، وبدأوا به في كتبهم إليه إجلالا له ، وبدأ في كتبه اليهم بنفسه ، وسوّه ملكا ، وأهدوا اليه من غير أن يُطيعوه أو يستعمل أحدا منهم أو يعزله ، وكثرت جموعه وسار الى أنطيوخس ، وكان مقيا بسواد العراق من قبل الروم ، وتقدم أنطيوخس اليه وألقيا ببلاد الموصل وأقتلا فقتل انطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، وصار في يده من الموصل الى الرى وأصفهان ، ولذلك عظمته ملوك الطوائف .

ثم ملك جودرز بن أشكان . وهو الذي غزا بنى إسرائيل المرة الثانية ؛ وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكرياء عليهما السلام ، فسلطه الله تعالى عليهم فأكثر فيهم القتل فلم يعد لهم جماعة بعد ذلك ، ورفع الله عنهم النبوّة وأنزل بهم الذل .

وكان من سنة الفرس بعد الإسكندر أن يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل ، وهم الأشغانية ؛ فأولهم أشك بن أشكان ، ثم سابور بن أشكان ، وفي أيامه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بأرض فلسطين . ثم ملك جودرز بن أشغان الأكبر . ثم ملك يزن الأشغاني . ثم ملك جودرز الأشغاني . ثم نرسی الأشغاني . ثم هرمز . ثم أردوان الأشغاني . ثم كسرى الأشغاني . ثم بلاش الأشغاني . ثم أردوان الأصغر

الأشغاني . ثم أردشير بن بابك . فكانت مدة هؤلاء ، الى أن وثب أردشير بن بابك على الإردوان فقتله ، مائتين ومئتين سنة .
وفي أيام ملوك الطوائف اصطلمت طسم وجديس . وسند ذكر إن شاء الله خبيرهم .

ذكر أخبار الملوك الساسانية

وهم الفرس الآخر . وأول من ملك منهم أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر . وكان من أعظم ملوك الطوائف وملوك الأشغانية ، فوثب بالإردوان وقتله واستولى على الممالك وقاد الملوك الى طاعته رغبة ورهبة . وكتب الى ملوك الطوائف يدعوهم الى الاجتماع اليه : بسم الله ولي الرحمة . من أردشير المستأثر دونه بحقه ، المغلوب على ثراث آبائه ، الداعى الى قوام دين الله وسنته ، المستنصر بالله ، الذى وعد المحقين الفلاح ، وجعل لهم العواقب ؛ الى من بلغه كتابي هذا من ملوك الطوائف . سلام عليكم بقدر ما تستوجبون بمعرفة الحق ، وإنكار الباطل والجور . ودعاهم الى الطاعة : فمنهم من أقبل به بالطاعة ، ومنهم من تربع حتى قدم عليه ، ومنهم من عصاه فكانت عاقبة أمره الى القتل والهلاك ؛ حتى استوثق له الأمر . فكانت طائفة الأشكانية ممن أمتعت من طاعة أردشير ، فأقسم أنه لا يبقى منهم — إن قدر عليهم — رجلا ولا امرأة . فلما غلب عليهم ما نجا منهم إلا من أخفى اسمه ونسبه . وقد كان أخذ في جملة من أخذ منهم أئنة ملكهم ، وكانت بارعة الجمال ، وافرة العقل . فلما رآها قال لها : أنت من بنات ملوكهم ؟ قالت : بل من خدمهم . فاصطفاها لنفسه ، فحماها منه . فلما علمت بالحمل شهرت نفسها وقالت : أنا أئنة ملكهم .

(١) اصطلمت : أي دبت .

(٢) الفلاح (محركة) : الفوز بما يقتضيه به رفيه صلاح الحال .

فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ شَيْخًا مِنْ رِجَالِهِ الَّذِينَ يَشُقُّ بِهِمْ يُقَالُ لَهُ هَرَجَنْدُ^(١) [بَنِ سَام] بِأَنْ
يُودِعَهَا فِي بَطْنِ الْأَرْضِ إِشَارَةً إِلَى قَتْلِهَا . فَقَالَتْ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ، إِنِّي قَدْ حَمَلْتُ
مِنَ الْمَلِكِ . فَلَا تُبْطِلْ زَرْعَهُ . فَعَمِلَ لَهَا سَرًّا تَحْتَ الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا فِيهِ ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى
مَذَاكِرِهِ بِقُبَّهَا وَوَضَعَهَا فِي حُقٍّ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ : قَدْ أَوْدَعْتُهَا
بَطْنِ الْأَرْضِ ، وَدَفَعْتُ لَهُ الْحَقَّ وَقَالَ : إِنْ فِيهِ وَدِيعَةٌ وَأَحَبُّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْمَلِكِ
إِلَى أَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْهِ ، فَاسْتَوْدَعَهُ الْمَلِكُ ، وَأَقَامَتِ الْجَارِيَةُ فِي السَّرْبِ حَتَّى كَلَمَتْ مَدَّةَ
حَمْلِهَا ، فَوَضَعَتْ غَلَامًا فَسَمَاهُ الشَّيْخُ : شَاهُ بَوْرَ ، أَيْ وَلَدَ الْمَلِكِ ، فَسَمَاهُ النَّاسُ سَابُورَ .
وَبَقِيَ أَرْدَشِيرُ هَذَا دَهْرًا لَا يُؤَلِّدُ لَهُ ، فَرَأَاهُ الشَّيْخُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَقَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ
الْحُزْنُ ، وَكَانَ خَاصًّا بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْحُزْنُ سَرَّكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَعَمَّرَكَ .
فَقَالَ : مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَدٌ يَرِثُ مَلِكِي . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إِنْ لَكَ عِنْدِي وَلَدٌ
طَبِيبًا فَادْعَ بِالْحَقِّ . وَأَمَرَ أَرْدَشِيرُ بِإِحْضَارِهِ فَاحْضَرْ ، فَفَضَّ خَنَمَهُ فَإِذَا فِيهِ مَذَاكِرُ
الشَّيْخِ وَكَتَابٌ فِيهِ : إِنَّهُ لَمَّا أَمَرَنِي الْمَلِكُ بِقَتْلِ الْمَرْأَةِ الْأَشْكَانِيَّةِ الَّتِي عَلَّقَتْ مِنْ مَلِكِ
الْمُلُوكِ أَرْدَشِيرُ لَمْ أَرَأَنَّ أَبْطَلَ زَرْعَ الْمَلِكِ الطَّبِيبِ فَأَوْدَعْتُهَا بَطْنِ الْأَرْضِ كَمَا أَمَرَنِي ،
وَتَبَرَّأْتُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِي لَثَلَا يَجِدُ عَائِبَ إِلَى عِيْبِهَا سَبِيلًا ، فَسَرَّ أَرْدَشِيرُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَ
الشَّيْخَ أَنْ يَجْعَلَ السَّلَامَ بَيْنَ مَائَةِ غَلَامٍ مِنْ أَشْبَاهِهِ فِي الْهَيْئَةِ وَأَقْرَانِهِ فِي السِّنِّ ، ثُمَّ
يُدْخِلُهُمْ عَلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَعَرَفَهُ أَرْدَشِيرُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَبِلَتْهُ نَفْسُهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ
يَلْعَبُوا فِي حِجْرَةِ الْإِبْوَانِ بِالْصَّوَالِجِ ، فَدَخَلَتِ الْأَكْرَةُ الْإِبْوَانَ ، فَاحْجَمَ الْعُلَمَانُ عَنْ
دُخُولِهِمْ وَأَقْدَمَ سَابُورُ ، فَأَمَرَ أَرْدَشِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ بِعَقْدِ التَّاجِ لَهُ .

(١) كَذَا فِي تَارِيخِ الطَّبْرِی (ص ٨٢٣ مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ طَبْعُ أَوْرَبَا) . وَفِي نَسْخَةِ ١ : « جَنْدَان » .

وَفِي نَسْخَةِ ب : « جَنْد » . وَالتَّكْمِلَةُ

(٢) كَذَا فِي الطَّبْرِی ، وَفِي نَسْخَةِ (ب) « بَشْرُك » ، وَفِي نَسْخَةِ (١) « بَشْرُك » .

وكان أردشير من أهل العقل والمعرفة وحسن التدبير، وله وصايا ومكتابات صدرت عنه تدل على حكمة ورجاحة عقل. وقد تقدم إيرادها في الباب الرابع^(١) من القسم الخامس من الفن الثاني في وصايا الملوك. وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وستة أشهر.

٤٠
١٣

ثم ملك بعده ابنه سابور بن أردشير، والعرب تسميه سابور الجنود. وسابور هذا هو الذي حصر الضيّن^(٢)، وملك حصن الحضّر، وهو من مبانى العرب المشهورة. وقد تقدم ذكره في الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول، وهو في السفر الأول. فلا حاجة إلى إعادة ذكره.

وفي أيامه ظهر ماني الزنديق تلميذ قاردون وقال بالاثني، فرجع سابور إلى مذهب ماني والقول بالنور والبراءة من الظلمة، ثم عاد إلى دين المجوسية وترك المانوية، وهو المسمى عندهم بدين الثنوية. وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة. وقيل إحدى وثلاثين سنة ونصف سنة وثمانية عشر يوما.

ثم ملك بعده ابنه هرم بن سابور، وهو الذي يدعى هرمز البطل، ويلقب أيضا بالجرى. وبني مدينة رامهرمز بين كور الأهواز. وكانت مدة ملكه سنة وعشرة أشهر.

ثم ملك بعده ابنه بهرام بن هرم. قال: ولما ملك جاء ماني الزنديق فعرض عليه مذاهب الثنوية فأجابه إلى ذلك احتيالا منه عليه، إلى أن أحضره دعائه للمتفرقين في البلاد الذين يدعون الناس إلى مذاهب الثنوية. فلما أحضرهم إليه قتلهم وقتل ماني وسلخه.

(١) في الأصل « الباب الثالث » وما أثبتناه هو ما ورد في (ج ٦ ص ١٦ من هذه الطبعة).

(٢) هو الضيّن بن معاوية بن العيد من قبيلة قضاة ويلقب بالساطرون.

(٣) راجع (ج ١ ص ٣٨١ من هذه الطبعة).

وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزنادقة الذين أضيفت إليهم الزندقة . وذلك أن الفرس كان لهم كتاب يسمونه السناء ، وكان له شرح يسمى الزند . فكان من أئامهم بزيادة على ما في كتابهم يسمونه زنديا . فلما جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس فعرّبته وقالت زنديق . فالتنوية هم الزنادقة ، فألحق هذا الاسم بسائر من اعتقد القِدَمَ وأبى حدوث العالم وأنكر البعث .

والذي أتى الفرس بهذا الكتاب زرادشت في زمن الفرس الأول . وقد قدّمنا ذكره في أخبار بشتاسف . وهذا زرادشت هو الذي تزعم المجوس أنه نبيا الذي أرسل إليها . وكان زرادشت خادما شيعيا فدعا شيعيا عليه فبرّص . وكان صاحب نيرجات^(١) وسحر . وكان يحجز^(٢) بمض الكوائن قبل أن تقع ، كان قد سمعه من شيعيا وقت خدمته له ، وأدعى النبوة في المجوس وعمل لهم الكتاب الذي قدّمنا ذكره ، وزعم أنه أنزل عليه من السماء ، وجعل كلامه فيه يدور على نيّف وسبعين حرفا ، فلم يقدر أحد منهم على قراءته فأختصره لهم وسمى مختصره الزند .

فلما قام ماني بدين التنوية سمّته المجوس "زندين" وسما أصحابه الزنادقة لأنه زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت ، فقتل بهرام هذا مانيا وصلبه على باب من أبواب مدينة من مدنه بالعراق ؛ فيُدعى ذلك الباب إلى آخر وقت باب ماني . وكانت مدة ملك بهرام ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده أبنة بهرام بن بهرام . قال : ولما ملك أقبل في أول ملكه على اللهو والصيد والنزه ، وترك ملكه لا يفكر فيه ولا في رعيته ؛ فخرّبت البلاد ونقصت

(١) النيرجات : جمع نيرج . والنيرج : أخذ كالسحر وليس بسحر ، إنما هو تشبيه وتليس .
(٢) حرّ الشئ : قدره بالحدس . (٣) في تاريخ الطبري (ص ٨٣٤ من القسم الأول طبع أوروبا) : « فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تينا وتعليقه على باب من أبواب جنديسابور يدعى باب الماني » . (٤) في تاريخ الطبري : « ثلاث سنين » .

بيوت الأموال . فلما كان في بعض الأحيان ركب الى بعض متفرقاته وصيده
 بفتح الليل وهو يسير نحو المدائن ، وكانت ليلة قراء . فدعا بالموبذ لأمر خطر بياله ،
 والموبذ عند المجوس كالتفسير عند النصارى ، فجعل يحادثه فتوسطا في مسيرهم
 بين خرابات كانت من أمهات الضياع فخربت في ملكه ، وإذا يوم يصبح وآخر
 يحاوبه ، فقال الملك : أترى أحدا من الناس أعطى قهم ما يقول هذا الطائر ؟
 فقال الموبذ : أنا أيها الملك ممن خصه الله تعالى بذلك . قال : فما يقول هذا
 الطائر ، وما يقول الآخر ؟ فقال الموبذ : هذا يوم ذكر يخاطب بومة أنثى ويقول :
 متعني من نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله تعالى . فأجابته البومة :
 إن الذي دعوتني اليه هو الحظ الأكبر ، والنصيب الأوفر ، إلا أنني أشرت عليك
 شرائط . فقال : وما هي ؟ فقالت : أن تُقَطِّعَنِي من خرابات أمهات الديار عشرين
 قرية مما تحريت في أيام هذا الملك السعيد . فقال له الملك : فما الذي قال الذكور ؟
 قال الموبذ : كان من قوله لها : إن دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعك منها ألف
 قرية ، فما تصنعين بها ؟ قالت : في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الولد ، فنقطع كل
 واحد من الأولاد ضيعة . فقال الذكر : هذا سهل ما حيي الملك .

٤١
١٣

فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبذ عمِل في نفسه وفكر فيما خوطب به ،
 فنزل من ساعته وخلا بالموبذ وقال له : ما هذا الكلام الذي خاطبتني به ؟ فقد حركت
 مني ما كان ساكنا . فقال : صادفت من الملك وقت سعيد بالعباد والبلاد ، فجعلت
 الكلام مثلا وموقفا على لسان الطائر عند سؤال الملك إياي . فقال له الملك :
 أيها الناصح لللك ، [المنبه على^(١)] ما أغفله من أمور ملكه ، وأضاعه من أمور بلاده
 ورعيته ، اكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه . فقال له : أيها الملك ! إن الملك

(١) الكلمة من مروج الذهب للسعودي (ج ١ ص ١٢١ طبع بلاي) .

لا يَتَمَّ إلا بالشريعة والقيام لله بطاعته ، ولا قِوام للشريعة إلا بالملك ، ولا عزٌّ لللك إلا بالرجال ، ولا قيام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل للمال إلا بالعارة ، ولا سبيل للعارة إلا بالعدل ، والعدل هو الميزان المنصوب بين البرية ، نصبه الرب وجعل له قِيَمًا وهو المَلِك .

قال : أما ما وصفت لحق ، فَأَيُّ لِي عما إليه تقصد ، وأوضح لي في البيان .
قال : نعم أيها الملك ! عمدت إلى الضياع فأقطعتموها الخدم وأهل البطالة فعمدوا إلى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع ، وسومحوا في الخراج لقرهم من الملك ، ووقع الحيف على الرعية وعمَّار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم ، وقلت الأموال ، وهلكت البند والرعية ، وطمَّع في ملك فارس من طمع فيه من الملوك والأئم ، لعلمهم باقطاع المواد التي بها تستقيم دعائم الملك . فلما سمع الملك ذلك أقام في موضعه ثلاثة أيام ، وأحضر الوزراء والكاب وأرباب الدواوين ، فانتزعت الضياع من أيدي الخاصة والحاشية وردَّت إلى أربابها ، وحملوا على رسومهم السالفة ، وأخذوا بالعارة ، وقوى من ضعف منهم ، وعمَّرت البلاد ، وكثرت الأموال ، وقويت الجند ، وانتظم ملكه حتى كانت أيامه تدعى بالأعياد ، لما عم الناس من الخصب ، وشملهم من العدل . وكان ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك أبنة بهرام بن بهرام البطل ، وكان يدعى شكان شاه ، وهو الذي يقال له شاهنشاه . فكان ملكه أربعين سنة وأربعة أشهر .

ثم ملك بعده أخوه نرسی بن بهرام الثاني فكان ملكه تسع سنين . وقيل سبع سنين وخمسة أشهر .

(١) شاهنشاه : معناه ملك الملوك . (٢) في تاريخ الطبری : « أربع سنين » .

ثم ملك بعده ابنه هرم بن نرسى . قال : وكان فظا إلا أنه كان يرفق بالرعية ،
وكان حسن السيرة فيهم . وكان ملكه سبع سنين وخمسة أشهر .

ثم ملك بعده ابنه سابور بن هرم ، وهو الملقب بذى الأكتاف . وكان
هرم قد تركه حملا في بطن أمه ، فعقدوا التاج على بطنها ، وقام الوزراء بتدبير
الأمر مدة حملها ، وفي مدة رضاع سابور وطفولته وصغره حتى كبر ، فكتب إليه
الناس الكتب من الآفاق وأجابهم ، ووجه البريد إلى الآفاق والأطراف ، ورتب
الوزراء والكتّاب وقصر العمال .

قال : وكان قد شاع في الممالك أن ملك الفرس صغير السن ، وأنه يتدبر
برأى وزرائه ، ولا يدرى ما يراد منه ، ولا ما يكون من الأمر ، فطمع في مملكة
الفرس الترك والروم والعرب . وكانت أدنى بلاد الأعداء إلى الفرس بلاد
العرب . وكانت العرب من أحوج الأمم إلى تناول شئ من المعاش لسوء
حالهم ومشظف عيشهم ، فانبسط أيديهم في البلاد وغلبوا أهلها عليها واتسعت
حالهم وكثرت مواشيهم ، وأفسدوا في بلاد فارس ، ومكنوا كذلك حيناً ، وقد آمنوا
جانب الفرس وأطمأنوا من قتالهم لقلة هيبتهم . وكان الذى غلب على سواد العراق
من العرب جمره العرب ولد إباد بن نزار . وكان يقال لها طبق لإطباقها على البلاد ،
وملكها يومئذ الحارث بن الأغصر الإيادى . قال : ولما ترعرع سابور جعل
الوزراء يعرضون عليه أمر الجنود الذين في الثغور ، وأن الأخبار وردت عليهم أن
أكثرهم قد أخل ، وعظموا عليه الأمر وهولوه ، فقال لهم : لا يهولنكم ذلك ، فالخطب
فيه غير جسيم ، والحيلة في ذلك يسيرة . وأمر الكتّاب أن يكتبوا إلى أولئك الجنود
أنه قد انتهى إلى طول مكنتكم في النواحي التي أنتم فيها ، وعظم عنائكم وذبحكم عن
إخوانكم وأوليانكم ، فن أحب منكم الانصراف إلى أهله فليصرف ما دوناه في ذلك ،

ومن أحب أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرفنا له ذلك ؛ وتقدم الى من
اختار الانصراف منهم بلزوم أهله وبلاده الى وقت الحاجة إليه . فلما سمع الوزراء
قوله ورأيه استحسونه وقالوا : لو كان هذا قد أطل تجربة الأمور وسياسة الجنود
مازاد على ماسمعه . ثم نتابت آراؤه في تقويم أصحابه وقع أعدائه ؛ حتى إذا تمت
له ست عشرة سنة جمع أساورته وأمرهم بالاستعداد لقتال العرب . وكانت إباد
تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق . وكان في جيش سابور رجل منهم يقال له لقيط^(١) ،
فكتب الى إباد شعرا ينذرهم وهو :

سلامٌ في الصحيفة من لقيط الى مَنْ بالجزيرة من إباد
بأن الليث آتيكم دليفاً^(٢) فلا يحبسكم سهوُ النقاد
أنا كم منهم سبعون ألفاً^(٣) يزجون الكتاب كالجراد

(١) هو لقيط بن بكر ، شاعر جاهلي قديم مقل ، كما ورد في كتاب الأغاني (ج ٢٠ ص ٢٣ طبع بلاق) .
وفي المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكتابهم للأمدى (ص ١٧٥ طبع مصر) وكتاب الاشتقاق لابن دريد
(ص ١٠٤ طبع أوربا) : « لقيط بن معبد الإبادي » . وفي كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب »
لمحمد بن المبارك المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ أدب ش خمس وورقات
(من ص ٣٥٠ - ٣٥٩) كتب في أولها : « ديوان شعر لقيط بن يعمر الإبادي » ، وتشتمل هذه
الورقات على الأبيات المذكورة هنا وقصيدته العينية المشهورة التي مطلعها :

بادار عمسرة من مغلها الجرما هاجت لي الهم والأحزان والوجعا

(٢) كذا في شرح القاموس مادة « دلف » والمؤلف والمختلف . وفي الأصول : « ياتيكم دليفاً »
وهو تحريف . وورد هذا البيت في الأغاني ومنتهى الطلب هكذا :

بأن الليث كسرى قد أنا كم فلا يشغلكم سهوُ النقاد

وقوله : « آتيكم دليفاً » يريد : يمشي مشى المقيد . والنقاد : الغنم .

(٣) في المؤلف والمختلف ومنتهى الطلب :

* أنا كم منهم سنون ألفا *

فلم يعبثوا بكتابه ، وسراياهم تَكَرَّ نحو العراق وتغير على السواد . فلما تجهَّز القوم نحوهم ظفروهم سابور فعمَّهم بالقتل ، وما أَفَلَّت منهم إلا نفرٌ لحقوا بأرض وبار^(١) ، وخاع سابور أكثاف كثير منهم ، فذلك سُمِّيَ ذا الأكثاف . وكان سابور في مسيره أتى البحرين وفيها بنو تميم فهربوا ، وشيخها يومئذ عمرو بن تميم بن مرة وعمره ثثمائة سنة ، وكان يُعَلَّق في عمود البيت في قُفَّة ، فأرادوا حمله فأبى عليهم إلا أن يتركوه في ديارهم وقال لهم : أنا هالك اليوم أو غدا فتركوه . فلما صبحت خيل سابور الديار لقوها خالية ، فلما سمع عمرو صهيل الخيل جعل يصيح بصوت ضعيف ، فجعل إلى سابور ، فلما نظر إلى دلائل الحرِّم ومزور الأيام عليه قال له : من أنت أيها الفاني ؟ قال : أنا عمرو بن تميم بن مرة ، قد بلغت من الكبر ما ترى ، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، فأثرت الفناء على يديك ليبقى من بقى من قومي ، ولعل الله يُجرى على يديك فرجهم ، وأنا سائلك عن أمر إن أذنت فيه ؛ فقال سابور : قُلْ تَسْمَعُ ؛ فقال : ما الذي حملك على قتل رعيتك من رجال العرب ؟ فقال سابور : أقتلهم لما ارتكبوا في بلادى وأهل مملكتي ؛ فقال عمرو : فعلوا ذلك ولست بقيم عليهم ؛ فلما ملكت وقفوا عما كانوا عليه من الفساد هيبة لك ؛ قال سابور : وأقتلهم لأننا نجد في مخزون علمنا وما سلف من أنباء . أوائلنا أن العرب ستُدال علينا . فقال عمرو : هذا أمر تظنه أم تحقِّقه ؟ قال : بل أتحقِّقه ولا بد أن يكون ؛ فقال عمرو : فلم تَسْأَلْ إليها ؟ والله لئن تَبَقَّ عليها وتحسن إليها ليكافئون قومك عند إدالة الدول إليهم بإحسانك ، وإن أنت طالبت بك المدة كافئوك عند مصير الأمر إليهم إن كان حقاً ، وإن كان باطلاً فلم تستعجل الإثم وتَسِفِك دماء رعيتك ؟ فقال

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٢) . «أرض الروم» ، و «بار» على وزن قطام وحذام : أرض واقعة ما بين الشجر إلى تخوم صنعاء . (انظر معجم البلدان لياقوت) .

سابور : الأمر صحيح والحق ما قلت ، ولقد صدقت في القول ونصحت .
فنادى منادى سابور بأمان الناس ورفع السيف . ويقال : إن عمرا بقي بعد هذا
الوقت ثمانين سنة .

ثم سار سابور إلى أرض الروم ففتح المدن وقتل خلائق من الروم وقال لمن
معه : إني أريد أن أدخل بلاد الروم متكرراً لأتعرف أحوالهم وسيرهم ومسالك^(١)
بلادهم ، فإذا بلغت من ذلك حاجتي انصرفت إلى بلدي فسرت إليهم بالجنود ؛
فخذروه التفرير بنفسه فلم يقبل قولهم . وسار متكرراً إلى أرض القسطنطينية فصادف
وليمة لقيصر اجتمع فيها الخالص والعامة ، فدخل في جملتهم وجلس على بعض
موائدهم ، وقد كان قيصر أمر مصوراً أتى عسكر سابور فصوره وجاء إلى قيصر
بالصورة ، فأمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة ، وأتى
بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس ، فنظر بعض الخدم إلى الصورة
التي على الكأس ، وسابور مقابل له ، فانطبعت مثلاً لصورة سابور ، فقام إلى
الملك فأخبره ، فقتل بين يدي الملك ، فسأله عن خبره فقال : أنا من أساورة
سابور وهربت منه لأمر خفته منه . فلم يقبل ذلك منه ، وقُدِّم إلى السيف فأقر^(٢)
بنفسه ، فجعل في جلد بقرة ، وسار قيصر في جنود حتى توسط العراق ، فافتتح
المدن ، وشن الغارات ، وعقر النخل ، وانهى إلى مدينة نيسابور ، وقد تحصن بها
وجوه فارس ، فترل عليها وحضر عيداً للنصارى فأغفل الموكلون بسابور أمره ،
وأخذ منهم الشراب ، وكان بالقرب من سابور أسارى من الفرس ، فراطنهم بالفارسية
أن يحلّ بعضهم بعضاً ، وأمرهم أن يصبوا عليه زقاق الزيت ففعلوا ، فلان عليه^(٣)

(١) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٤ طبع أوروبا) . وفي الأصل : « ممالك » .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٤ طبع بلاط) . وفي الأصل : « إليه » .

(٣) الزقاق : جمع زق (بالكسر) ، والزق جلد يجز ولا يتف يستعمل للشراب وغيره .

الجلد وتخلص ، وأتى المدينة فراطنهم فرفعوه بالحبال ، ففتح خزان السلاح وخرج على الروم فكبس جيشهم عند ضرب النواقيس ، فانهزم الروم ، وأتى بقيصر أسيرا ، فأتى عليه وضم إليه من أسير من أصحابه ، وأخذهم بغرس الزيتون بالعراق بدلا من النخل التي عقروها ؛ ولم يكن الزيتون بالعراق قبل ذلك . وفي فعل سابور ودخوله الى أرض الروم يقول بعض شعراء الفرس :

وكان سابورُ صفوا في أرومته * اختير منها فاضحى خير مختار
إذ كان بالروم جاسوسا يحول بها * حوم المنيّة من ذى كيد مكار
فاستأسروه ، وكانت كبة عجبا * وزّلة سبقت من غير عثار
وأصبح الملك الرومى مغتربا * أرض العراق على هول وأخطار
فراطن الفرس بالأبواب فافتقوا * كما تجأوبُ أسد الغاب بالغار
بغذ بالسيف أصل الروم فامتحنوا * لله درك من طلاب أوتار
إذ يغرسون من الزيتون ما عَصَدُوا * من التخيّل وما حَفَّوا بمنشار

وسابور هذا هو الذى بنى الإيوان المعروف بإيوان كمرى ، وبنى السوس والكرج ونيسابور . قال صاحب كتاب تجارب الأمم : وبنى بالسواد مدينة نرجس سابور ، وبنى الأنبار . قال : وبنى مدائن أذربايجان وسجستان ، ونقل

(١) كذا فى مروج الذهب . وفى الأصل : « جبل البرية » . (٢) كذا فى مروج الذهب . وفى الأصل : « الفار » . (٣) السوس : مدينة قديمة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي ولها بساتين وورد فى معجم البلدان لياقوت أن أول من بنى كور السوس وحفر أنهرها ردشير بن نهجن . (٤) الكرج : وتسمى قديما إيريا ، وهى بين جبال القيج من الشمال وأرمينية وأزلان من الجنوب ؛ وأشهر مدنها : نغليس وبابكو . واسم الكرج مشتق من نهر الكر الذى يجرى هناك ؛ وهى إقليم القوقاز الآن . (٥) نيسابور : حاضرة خراسان ، واسمها أيضا « نيسار » وكانت قاعدة الدولة الظاهرية (٢٠٥ - ٢٥٩ هـ) . (٦) الأنبار : هى « فيروز سابور » مدينة بالعراق بينها وبين بغداد ١٠ فراسخ على نهر الفرات قرب مخرج نهر عيسى . واختلف المؤرخون فىمن بناها ، فقبيل هوسابور بن هرم (ذو الأكتاف) كما أورده المؤلف هنا . وقال ابن الأثير : بنيت الحيرة والأنبار أيام بختنصر . وفتحت هذه المدينة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سنة ١٢ من الهجرة على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه .

طيبيا من الهند وأسكنه السوس، فورث طِبَّه أهلُ السوس . وهلك سابور بعد
٤
٣ اثنتين وسبعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أردشير بن هرم وهو أخو سابور بن هرم هذا . قال :
ولما ملك ظهر منه شر كثير وقتل من العطاء وذوى الرئاسة خلقا كثيرا ، فاجتمع
الناس على خلعهم فخلعوه بعد أن ملك أربع سنين .

ثم ملكوا عليهم بعده سابور بن سابور . قال : ولما ملك استبشرت الرعية
برجوع ملك أبيه إليه ، فأحسن السيرة ورفق بالرعية . وكانت له حروب كثيرة
مع إياد بن نزار وغيرها [من العرب ^(١)] ، وفيه يقول شاعر إيادى :

على رغم سابور بن سابور أصبحت * قباب إياد حولها الخيل والنعم

وكان ملكه خمس سنين وأربعة أشهر ، وسقط عليه قسطنطين كان ضرب عليه فمات .

وملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف ، وهو الملقب كَرْمَان شاذ ؛
لأن سابور كان ولّاه كَرْمَان . قال : وكان حسن السيرة ، جميل السياسة ، محمود
الأثر ، محبّا للرعية . وكان ملكه عشر سنين . وقيل إحدى عشرة سنة وخمسة
أشهر وثمانية عشر يوما .

وملك بعده ابنه يزدجرد بن بهرام المعروف بالأنيم . قال : وكان فظّا غليظا ،
ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وضعه ما آتاه الله من ذكاء ذهن وحسن
أدب فى غير موضعهما ؛ وذلك أنه كان كثير الروية فى المضار من الأمور ، واستعمل
الذى أوتيه فى الدهاء والخيّل ، واستخف بكل علم كان عند الناس ، واحتقر آدابهم ،
وتعاضم عليهم واستطال بما عنده . وكان مُعجَبًا بنفسه سيء الخلق ، حتى بلغ من
شدته وحدته أنه كان يستعظم صغار الزلاّت ، ولا يرضى فى عقوبتها إلا بما لا يُستطاع .

(١) الزيادة من مروج الذهب .

وكان لا يقدر أحد من بطانته - وإن كان لطيف المزلّة منه - أن يشفع عنده لمن أبتلي به وإن كان ذنب المبتلي به سيرا، ولم يكن يأتمن أحدا على شيء ألبتة، ولا يكافئ على حسن البلاء . وكان يعتد بالخسيس من المعروف إذا أولاه ويستجزل ذلك ، فإن جسر على كلامه أحد في أمر قال له : ما قدر جمالك في هذا الأمر الذي كلفتنا فيه ، وما الذي بُذل لك بسببه ؟ وما أشبه ذلك . فلما اشتدت بليّة الناس به ، وكثرت إهانتة للعطاء ، وأكثر من سفك الدماء ، واستعمل الضعفاء في الأعمال الشاقة ، وحملهم مالا طاقة لهم به ، تضرعوا إلى الله عز وجل وسألوه أن يُنقّصهم منه . فزعم الفرس أنه كان ذات يوم مطلعا من قصره إذ رأى فرسا عاثرا لم ير مثله قط في الخيل من حسن الصورة وتمام الخلقة حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس من ذلك ، فأمر يزجرجد أن يسرج ويلجم ويدخل عليه به ، فحاول السؤاس وأصحاب المراكيب أن يلجموه أو يسرجوه فعيّزوا عن ذلك ، ولا مكنهم الفرس من نفسه ، فخرج يزجرجد بنفسه إلى الفرس وتقدم إليه وأسرجه وألجمه وليّبه وهو لم يتحرك ، فلما استدار ورفع ذنبه ليُثْفِرَه ^(١) رَمَحَ القُرْسُ على فؤاده رَمَحَةً فهلك منها لساعته ، ثم لم يُعَاين الفرس بعد ذلك ، فأكثر القُرْسُ في حديثه فظنّوا الظنون . وكان أحسنهم مذهبا وأمثلهم طريقة مَنْ قال : إنما استجاب الله عز وجل دعاءنا . فكان ملكه إلى أن هلك إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما . وقيل اثنتين وعشرين سنة غير شهرين .

قال : وكان أبنته بهرام جور في جحير النعمان بن المنذر بن ماء السماء أسلمه أبوه إليه ليربّيه بالحيرة لصحبة هوائها . وقد تقدّم خبره في ذكر بناء الخورنق والسدير .

(١) أنفَرَه : وضع الفرس تحت ذنبه . والفَرَسُ (بالتحريك ويسكن) السير الذي يوضع في مؤخر الرجل وتحت ذنب الدابة . (٢) راجع (ج ١ ص ٣٨٥ من هذه الطبعة) .

فعدل الفرس عنه لسوء أثر يزدجرد فيهم وملكوا عليهم كسرى، وهو رجل من عترة
ساسان، فاستعان بهرام جور بالغرب وأرسل إلى الفُرس وأعلمهم إنكاره سيرة أبيه،
ووعدهم بإصلاح مافسد، وأنه إن مضى للملكة سنة ولم يَف لهم بما بذل تبراً من
المُلك طائفاً، قال إليه قوم وبقيت طائفة مع كسرى، فتراضوا أن يوضع تاج الملك
بين أسدين مُشيلين فمن تناوله فهو الملك. وكان بهرام جور شجاعاً بطلاً، فلما وقف
هو وكسرى إلى جانب الأسدين هابهما كسرى، فوثب بهرام جور فإذا هو على ظهر
الأسد وعصر جنبه بفخذه، فلما تمكن منه قبض على أذنيه، ولم يزل يضرب رأس
الأسد برأس الآخر حتى قتلهما. فكان كسرى أول من هتف به وأذعن له.

١٣

فملك بهرام جور بن يزدجرد، فأحسن السيرة، وجلس سبعة أيام متوالية
للجند والرعية، يعلمهم الخير من نفسه ويحضهم على تقوى الله وطاعته. وكان جلوسه
على سرير الملك وهو ابن عشرين سنة، ففبر زماناً وهو يحسن السيرة، ويعمر البلاد،
ويدز الأرزاق، ثم أثر اللهو على ذلك وكثرت خلواته بأصحاب الملاهي حتى كثرت
عليه الملامة من أرباب دولته، وطمع من حوله من الملوك في استباحة بلاده والغلبة
على مُلكه. وكان أول من سبق إلى مغالبتة ومكاثرتة خاقان ملك الترك، وغزاه
في مائتي ألف وخمسين ألفاً من الأتراك، فبلغ الفُرس إقبال الترك في هذه الجموع.
العظيمة فهاهم ذلك، ودخل على بهرام جور جماعة من عظماء الفرس وأهل الرأي
والنجدة وقالوا: أيها الملك، قد أرهقك من باقية عدوك ما يشغلك عما أنت فيه
من اللهو والتلذذ، فتأهب له لئلا يلحقك منه أمر يلزمك فيه مسبة وعار. وكان بهرام
لثقتة بنفسه ورأيه يجيب القوم بأن يقول: الله ربنا قوي ونحن أولياؤه. ثم يقبل
على ما هو عليه من اللهو والصيد.

قال: ثم أظهر بهرام جور التجهز الى أذربيجان ليتسك في بيت نارها، ويتوجه
 منها الى أرمينية ويتصيد في آجامها، وسار في سبعة رهط من عطاء الفرس وأهل
 البيوتات، وثلاثمائة رجل من رباطه ذوى بأس وشدة ونجدة، واستخلف أخاه يقال له
 نرسی على ملكه، فماشك الناس — لما بلغهم ذلك — أنه هرب من خاقان، فتآمر
 الفرس في مراسلة خاقان والانتقاد الى طاعته والإقرار له بالخراج، مخافة منه أن
 يستبيح بلادهم، فانصل هذا الخبر بخاقان فاطمان وترك التحفظ والاستعداد وآثر
 المسالمة. وتعترف بهرام خبر خاقان وحال جنده وماهم عليه من الطمأنينة والفتور
 وعدم الاستعداد، فسار بمن معه وبيت خاقان وقتله بيده. فلما علم الأتراك أن
 ملكهم خاقان قد قتل انهزموا لا يلون على شيء وخلفوا أتقاهم وأموالهم. فاکثر
 بهرام فيهم القتل وأمعن في طلبهم، وحاز غنائم لم يسمع بمثلا، وسي من ذريتهم كثيرا.
 وكان مما غنمه تاج خاقان وإكليله، وغلب على بلاد الترك وانصرف بالظفر والغنائم،
 وكتب الى أهل مملكته يعلمهم بما حصل له من الظفر بخاقان وجموعه بمن كان معه
 من أولئك القوم الذين استصحبهم معه.

وكان بهرام يتكلم بلغات كثيرة، منها اللغة العربية. ومما حُفِظَ من شعره
 يوم ظَفَره بخاقان :

أقول له لما فَضَضْتُ جِوْعَه * كأنك لم تسمع بصولات بهرام
 وَأَتَى حَامِي مُسَلِّكَ فَارَسَ كُلِّهَا * وما خير مُلْكٍ لا يكون له حامى
 ومن شعره أيضا :

لقد علم الأنام بكل أرض * بأنهم قد أضجوا الى عيدا
 ملكك ملوكهم وقهرت منهم * عزيزهم المسود والمسودا

ففلك أسودهم تبغى حذارى * وترهب من مخافتي الورودا
 وكنت إذا تشاوس^(٢) ملك أرض * عبأت له الكتائب والجنودا
 فيعطيني المقادة أو أوافي * به يشكو السلاسل والقيودا

- قال : ولما قُتل خاقان بعث بهرام جور أحد قواده إلى ما وراء النهر ففزا هم
 وأقزوا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية . قال : وأسقط بهرام جور عن رعيته لماثر
 هذا الظفر خراج ثلاث سنين ، وترك ما كان قد بقي من الخراج ولم يُستخرج من
 قسطن تلك السنة ، وكان سبعين ألف ألف درهم ، وقسم في الفقراء مالا عظيما
 وفي أهل البيوتات والأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وتَحَلَّ بيت النار
 بأذر بيمان جميع غنمه من الترك من اليواقيت والجواهر والتاج والإكليل .
 ويقال إن بهرام دخل إلى أرض الهند متنكرا فكث حيناً لا يُعرف حتى بلغه أن
 فيلا قد هاج وقطع السبيل وأهلك الناس ، فسألهم أن يدلوه عليه ، فرفع أمره إلى الملك
 فأرسل معه رسولا ، فلما انتهى إليه أوفى الرسول على شجرة لينظر ما يصنع بهرام مع الفيل ،
 فصرخ بالفيل فخرج إليه ، بفعل يرميه ويثبت الثَّشَاب بين عينيه ، ثم دنا وأخذ يمشفره
 وجذبه جذبة خَرَّ منها الفيل ، ثم أحتر رأسه وأقبل به إلى الملك خبائه وأحسن إليه .
 ثم إن ملكا من أعداء ذلك الملك أقبل لغزوه فجَزَعَ ذلك الملك من كثرة
 جنود الملك الذي أتى نحوه ، فقال له بهرام : لا يهولتك أيها الملك أمره ؛
 فركب بهرام وقال لأساورة الهند : احوا ظهري ، وانظروا إلى عملي ، وكانوا لا يُحْسِنُونَ
 الرمي ، وأكثرهم رجالة ، فحمل عليهم حملة هَدَّهم بها ، ثم جعل يضرب الرجل فيقطعه
 (١) في مروج الذهب للسعدي « تقي » ، والإضاء : أن يلقى ألبته بالأرض . ينصب ساقه
 ٢٠ ويضع يديه على الأرض . (٢) تشاوس إليه ، نظره إليه بمؤخر العين تكبرا .
 (٣) أوفى : أنبرف عليها .

نصفين ، و يأتي الفيل فيضرب مشفره ويكبه و يأخذ من عليه فيقتله ، و يأخذ
 الفارس فيذبجه على قريوس سرجه ، و يتناول الرجلين فيضرب أحدهما بالآخر فيموتان
 جميعا ، ويرى فلا تقع له نسيابة إلا في رجل ، فولوا أمامه منهزمين ، وحمل الذين
 كانوا يحرسون ظهره عليهم فأكثروا القتل فيهم ، فزوجه ملك الهند بنته ونحله
 الديبل^(١) ومكران وما يليهما من أرض السند وأشهد له بذلك ، وأنصرف بهرام جور
 إلى مملكته وضم ذلك إلى بلاده وحمل خراجها إليه ، ثم أغزى بهرام جور أخاه
 نرسی إلى بلاد الروم في أربعين ألفا فدخل القسطنطينية وهادن ملك الروم على
 إتاة و يحملها إلى أخيه . ثم مضى بهرام جور إلى أرض السودان على طريق اليمن
 فأوقع بهم وعاد إلى مملكته وهلك بعد ذلك في ماء . وذلك أنه توجه إلى الصيد
 فشدت على غير وأمعن في طلبه ، فارتطم في ماء في سبخة فغرق فيه ، فسارت أمه إلى
 ذلك الموضع بمال عظيم ونزلت بالقرب منه ، وأمرت بإتفاق تلك الأموال على
 من يخرجها ، فنقلوا طينا عظيما وحماة كثيرة حتى صار من ذلك آكاما عظاما ولم
 يقدروا على [استنقاذ^(٢)] جثته . وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة .

وحكى عنه في صغره ما يدل على نباهته ، وجودة فكره وجميل رأيه . فمن
 ذلك أنه قال للنعمان بن المنذر لما بلغ عمره خمس سنين : أحضر لي مؤذنين ليعلموني
 الكتابة والفقه والرمي والفروسية . فقال له المنذر : إنك بعد صغير السن ، ولم يأن
 لك ذلك بعد . فقال له بهرام : أما تعلم أيها الرجل أني من ولد الملوك ، وأن الملك

(١) الديبل (فتح الدال المشددة وسكون اليااء التنية وضم الباء الموحدة) : بلد صغير شديد الحر
 على شط ماء السند ، وهي من أكبر فرضه وأشهرها ، وبها سمى كثير ، ويجلب إليها الثمر من البصرة ، ويجلب
 منها المتاع الديبل . ومكران (بضم الميم وسكون الكاف) : بلدة من بلاد كرمان ، وهي ناحية واسعة عريضة ،
 والغالب عليها الفاروز والقطط والضيق ١٥ ملخصا من كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء ، طبع باريس .
 (٢) الزيادة عن كتاب غرر ملوك القرس وسيرهم للشمالي (ص ٦٨ طبع أوروبا) .

صائر إلى ، وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح العلم ؛ لأنه زين لهم وركن ، وبه يعرفون . أما تعلم أن كل ما يُتقدم في طلبه ، يُنال في وقته ، وما لم يُتقدم فيه ويطلب في وقته ، يُنال في غير وقته ، وما يُفترط فيه وفي طلبه يفوت ولا يُنال ؟ عَجَّل على بما سألتك . فبعث المنذر من ساعته إلى باب الملك من أتابه برهط من المعلمين الفقهاء والرماة ، وجمع له حكماء الروم وفارس وغيرهم ، وألزمهم إياه ، ووقت أوقانا لكل منهم ؛ فتعلم بهرام من كل عِلْم أحسنه ، وسمع الحكمة ووعى ما سمع منها ، وثقف كل ما علم بأيسر شيء ، وبلغ أربع عشرة سنة ، وقد فاق معلميه ، وحفظ للنعمان حق التربية ، فلُكِّه على العرب لما صار الملك إليه .

ولما هلك بهرام جور ملك بعده أبوه يزدجرد بن بهرام جور ؛ فسار بسيرة أبيه ؛ ولم يزل قامعا لعدوه ، كثير الرفق برعيته . وكان له أبنان أحدهما يسمى هرمز ، والآخرفيروز . ودام ملك يزدجرد تسع عشرة سنة ، وقيل ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما ثم هلك .

$\frac{7}{3}$ فتغلب على الملك بعده ابنه هرمز بن يزدجرد . ولما ملك هرمز هرب منه فيروز ولحق ببلاد الهياطلة^(١) ، وأخبر ملكها بقصته وقصة أخيه هرمز ، وذكر أنه أحق منه بالملك ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل به أخاه ، فأبى عليه ملك الهياطلة وقال : سأعلم خبره ثم أمرت بعد ذلك بما تفعل . وكشف ملك الهياطلة عن خبر هرمز وتعترف أحواله فبأنه أنه غشوم ظَلوم ؛ فقال عند ذلك : إن الجور لا يرضاه الله تعالى ، ولا يصلح عليه الملك ، ولا تقوم به سياسته ؛ وأمد فيروز بالمساكرو دفع له الطالقان^(٢) ؛ فأقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان وطوائف خراسان ، فظفر بأخيه خبيسه .

(١) الهياطلة : الصفد ، وهم بين بخارى وسمرقند .

(٢) طالقان : بلدة بخراسان بين مرور الروز وبلخ بينها وبين مرور الروز ثلاث مراحل وهي أكبر مدينة بطخارستان . عن (معجم البلدان لياقوت) .

وملك فيروز بن يزدجرد . ولما ملك أظهر العدل وحسن السيرة ، وكان يتدين إلا أنه كان مشغولاً على رعيته ، فقحط الناس في زمانه سبع سنين ، فأحسن فيها إلى الناس ، وقسم ما في بيوت الأموال . ويقال : إن الأنهار غارت في مدة القحط ، وكذلك القنى والعيون ، وقلت الأشجار والنباض ، وهلكت الوحوش والطير ، وجاعت الدواب حتى كادت لا تطيق الحموله ، وعم أهل البلاد الجهد والمجاعة ، فبلغ من حسن سياسة فيروز لهذا الأمر أن كتب إلى جميع الرعية : أنه لاخراج عليكم ولا جزية ولا سخرة ، وأنه قد ملكهم أنفسهم ، وأمرهم بالسعى فيما يقوتهم ويصلحهم ، وكتب بإخراج ما في المطامير من الأطعمة وقسمها في الناس ، وترك الاستئثار عنهم وتسأوى بهم ، وأخبر أهل الغنى والشرف ، بكل مدينة وقرية ، أنه إن بلغه أن إنساناً مات جوعاً عاقب أهل تلك المدينة أو الجهة التي يموت بها ، ويُنكَل بهم أشد النكال . فقيل إنه لم يهلك في هذا القحط والمجاعة من رعيته إلا رجل واحد من رُستاق^(١) .

قال : ثم أغاثه الله فأمطرت السماء ، وجرت الأنهار ونبتت العيون ، وصلحت الأشجار ، وسمن المواشى ، فاستوثق له الملك ، وأخذ في غزو أعدائه وقهرهم . وبني مدناً إحداها بين جرجان [و باب صول^(٢)] وأخرى بناحية آذر بيجان . ثم سار بمنحوده نحو خراسان لقصد حرب أخشنوار ملك الهياطلة لأشياء كانت في نفسه ، ولأن الهياطلة كانوا يأتون الذكران ويركبون الفواحش فسار إليهم ، فلما

(١) رستاق (بضم الراء) : مدينة بخارى من ناحية كرمان .

(٢) النكة من الطبرى (ص ٨٧٤ من القسم الأول) .

(٣) كذا في تاريخ الطبرى وتخاب المعارف لابن قتيبة (ص ٣٢٧) . وفي الأصل «أخشنوار» .

بلغ أخشنوار ملك الهياطلة خبره خافه واشتد رعبه منه، وعلم أنه لا طاقة له به، وأن جيشه يضعف عن مقابلة الجيوش التي أقبل بها فيروز فخار في أمره ؛ فقدم إليه رجل كبير السن من أهل بلاده وقال : أنا أفدى الملك وأهل مملكته بنفسى، فليأمر الملك بقطع يدي ورجلي ويؤثر في جسدي آثار العقوبة بضرب السياط، ويلقى في الطريق التي يمر فيروز بها، ويحسنى إلى ولدي وعيالي الذين أخلفهم ؛ ففعل به ذلك وأمر بإلقائه في الطريق . فلما مر به فيروز أنكر حاله، فأخبره أن أخشنوار فعل به ذلك ؛ لأنه أشار عليه بالانقياد إلى طاعة فيروز والإقرار بعبوديته، وأن يحمل إليه من الأموال والتحف ما يرضيه ؛ فرق له الملك فيروز ورجله وأمر بحمله معه، فنهاه أكابر قومه عن تقريبه فلم يرجع إليهم، ثم قال له ذلك الأقطع كالتنصيح له : أنا أدل الملك على طريق مختصر تدخل منه في مفازة إلى بلاد أخشنوار، فتصادف غمرته ؛ وسأله أن يشتفى له منه . فاغتر فيروز بذلك ؛ وأخذ الأقطع بفيروز ومن معه وعدل بهم عن الطريق الجادة وشرع يقطع بهم مفازة بعد مفازة . فلما شكوا العطش متاهم بقرب الماء وقطع المفازة . ولم يزل يتقدم بهم حتى بلغ بهم موضعا علم أنهم لا يقدرون فيه على التقدم ولا الرجوع، فتبين لهم أمره، فعندها سقط في أيدي القوم وقالوا لفيروز : ألم تنهك عن هذا الرجل فلم تنته؟ فهلك أكثر أصحابه من العطش، ومضى على وجهه بمن نجا معه ؛ فوافى أخشنوار وقومه ؛ وهو ومن نجا معه على أسوأ حال، وقد أجهدهم العطش، فدعوا أخشنوار إلى الصباح على أن يُحلي سبيلهم وينصرفوا إلى بلادهم، وعاهدوه على ألا يغزوهم أبدا، فرضى أخشنوار بذلك وحصل اتفاقهما على أن يجعلا بينهما حدا لا يتجاوزهما واحد منهما، ووضع عند الحد حجر، وحلقه أخشنوار أنه لا يتجاوز ذلك الحجر،

حلف له وأخذ عليه المهود والمواثيق وأطلقه أخشنوار ، فساد فيروز إلى بلاده .

- فلما سار إلى مملكته داخلته الحمية وحلته الأنفة على محاربة أخشنوار والغدر به ،
 فنهاه أهل مملكته عن ذلك وقبحوا عليه نقض المهود والمواثيق ، فلم يرجع إلى أقوالهم
 وأبى إلا غزوه . وسار بجيوشه حتى أتى الحد الذي بينهما والحجر الذي حلف أنه
 لا يتجاوزه إلى بلاد الهياطلة ، فأمر فيروز بالحجر أن يصمد فيه خمسون فيلا وثلاثمائة
 رجل ، فجده أمامه وأمر العسكر ألا يتجاوز ذلك الحجر ولا يتقدم الفيلة ، وزعم أنه
 يكون قد وفى بيمينه ولم يتجاوز ما عاهد عليه . فلما بلغ أخشنوار ذلك أرسل إليه
 يقول : إن الله عز وجل لا يُخادع ولا يُماكر ، ونهاه عن الغدر وقبحه عليه ، وهو
 لا يكثر بقوله ، وأحجم أخشنوار عن محاربة فيروز وكرهها ، ثم أعمل الفكرة وأخذ
 يفكر في وجوه المكاييد والمكر والخداع ، فحفر حول معسكره خندقاً عرضه عشرة
 أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغطاه بخشب ضعيف وألقى عليه التراب ، ثم ارتحل
 بمن معه ومضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحيل أخشنوار فيجده من معسكره ، فمأشك
 أنه انهزم منه ، فركب في طلبه وأغذ السير فيجوده — وكان مسلحهم على الخندق —
 فلما مروا عليه تردى فيروز وعامة جنوده فيه فهلكوا عن آخرهم وعطف عليهم
 أخشنوار وأحتوى على كل شيء ، كان في معسكر فيروز ، وأسر موبدان موبدان
 وجماعة من نساء فيروز منهن دخت أبنه فيروز ، فكان هذا عاقبة مكره . وكان
 ملكه سبعا وعشرين سنة .

- ولما هلك تنازع الملك بعده أبناء قباذ وبلاش ، فلك بلاش بن فيروز
 ابن يزدجرد . وكان حسن السيرة حريصاً على العماره ، وبلغ من حسن نظره أنه كان
 لا يبلغه أن يتأخر بوجلا عنه أهله إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك

البيت على تركهم إناش أهله وسد فاقتم حتى لا يضطرون إلى الجلاء عن
أوطانهم . ثم هلك بعد أربع سنين .

وطك بعده أخوه قباد بن فيروز . قال : وكان قباد لما ملك أخوه بلاش
سار إلى خاقان يستنصره على أخيه ويذكر أنه أحق منه بالملك ؛ فقطله بذلك
أربع سنين ثم جهزه بجيش ، فلما عاد وبلغ نيسابور بلغه وفاة أخيه بلاش . وكان
قباد في مسيره إلى خاقان مر على نيسابور متذكرا وتزوج بها بأبنة رجل من الأساورة
وواقعها ، فحملت منه بأنوشروان وتركها بنيسابور ، فلما عاد في هذا الوقت سأل
عن الحارية فأتي بها وأبنة منها أنوشروان ، فتبرك بهما وفرح بابنه ، ثم عاد إلى بلاد
فارس وبني مدينة أرجان وحلوان وعدة مدن أخر .

قل : وكان لقباد خال يقال له سوحرا وقيل فيه : ساخورا ، وكان يحلف فيروز
والد قباد على مدينة الملك بالمدائن ، فجمع جموعا كثيرة من الفرس وقصد أخشنوار
ملك الهياطلة وحاربه وأنتقم منه واستنقذ جميع من كان أسره من الفرس ومن
سباه من نساء فيروز ، وأكثر ما كان قد آحتوى عليه أخشنوار من خرائن فيروز ؛
فغظم قدره عند الفرس ، وحسن فيهم أثره ، وكبرت منزلته عند بلاش وقباد إلى
أن لم يبق بينه وبين الملك إلا مرتبة واحدة ، وتولى سياسة الأمر بحنكة وتجربة ؛
ومال إليه الناس وأطاعوه ، واستخفوا بقباد ولم يعاوا بأمره ، وهان عندهم فما
حملت نفسه هذه الإهانة والذل ، فأخذ في التدبير على ساخورا وكتب إلى سابور
الرازي ، وهو الذي يقال له الليب ، وهو أصهب بلد البلاد ، في القدوم عليه بمن قبله
من الجند ، فقدم بهم سابور نخطبه قباد في أمر خاله ، فوافقه سابور عليه ، فأمره

(١) كذا في نسخة أ . وتاريخ الطبري . وفي نسخة ب « سوحرا وقيل فيه ساجورا »

قباد بالتلطف في هذا الأمر وكتابه ، وإعمال الحيلة وحسن التدبير فيه ، فغدا
سابور على قباد فوجد خاله ساخورا عنده ، فتقدم سابور إليه وهو آمن ، فألقى
وَهَقًا في عنقه وأجثذبه وأوثقه بالحديد ثم أودعه السجن ، وقتله قباد وخافته
الفرس بعده .

- وفي أيام قباد ظهر مَرْدَق — ويقال فيه : مَرْدَك ، وتفسيره : حديد الملك ؛
وإليه تضاف المزدقية ، ويقال لهم العدلية — وقال : إن الله تعالى إنما جعل الأرزاق
في الأرض مبسطة ليقسمها عباده بينهم بالسوية ، ولكن الناس يظلمون ؛ واستأثر
بعضهم على بعض ، فانضم إليه جماعة وقالوا : نحن نقسم بين الناس بالسوية ونرد
على الفقراء حقوقهم من الأغنياء ، ومن عنده فضل من المال والقوت والنساء
والمناخ وغير ذلك فليس هو له ولا أولى به من غيره ؛ فافترس السفلة ذلك واغتنموه
وأتبعوا مَرْدَك وأصحابه ، فقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره
فيغلبونه على ما فيها من ماله ونسائه ولا يستطيع أن يردم عنه ولا يدافعهم . ورأى
الملك قباد رأى مَرْدَك وأصحابه وتابعهم فازداد قوة ، فلم يلبث الناس إلا قليلا حتى
صار الأب لا يعرف ولده ، ولا الولد يعرف والده ، ولا يملك أحد شيئا ، وصيرت
العدلية قباد في مكان لا يصل إليه غيرهم ، فاجتمعت الفرس على خلع قباد من
الملك ففعلوا ذلك .

وملكوا عليهم عند ذلك جاماسف بن فيروز . وهو أخو قباد . وقيل :
إن المزدكية هم الذين أجلسوه . قال : ولما ملك جاماسف قبض على أخيه قباد
وحبسه فاحتالت أخت قباد في خلاصه . وذلك أنها أتت إلى الحبس الذي هو

(١) الوهن (بغيرك الما . وتكيتها) : الحيل في طريقه أنشودة يطرح في عتق الدابة والإنسان

فيه وحاولت الدخول الى أخيها ، فتمها الموكل به من الدخول اليه ، وطمّح أنه يفضحها ، وأعلمها أنه لا يمكنها من العبور إليه إلا إن وافقته على قصده ، فأطمعته في نفسها وقالت : إني لا أخالفك في شيء مما تهواه مني ، فمكنها من الدخول الى السجن والاجتماع بأخيها قباد ، فدخلت اليه وأقامت عنده أياما ، ثم لفته في بساط أمرت بعض الغلمان أن يحمله فحمله على عاتقه ، فلما مر الغلام بالموكل بالحبس سأله عن حمله فاضطرب الغلام فلحقته وقالت : إنه فراش كنت أفرشه تحتي وعزمت فيه ، وأنها خرجت لتطهر وتعود ، فصديقها ولم يمس البساط ولم يدن منه استفذارا له على مذهبه في ذلك ، فضى الغلام به وخرجت أخته في أثره ، وهرب قباد فلحق بأرض الهياطة يستمد ملكها ليمده بجيش بحار ، من خالفه ، ويقال : إن زواجه بأم كسرى أنو شروان كان في هذه السفرة لا في تلك ، وأنه تزوجها بأبرشهر ، وهي ابنة رجل من عظمائها ، وأنه رجع به وبأمه عند عوده من بلاد الهياطة . قال : وسار قباد الى ملك الهياطة فأقام عنده عدة سنين ، ثم عاد الى بلاده بأمداده ، فغلب على أخيه ونزعه من الملك بعد أن ملك ست سنين .

ثم عاد قباد الى الملك ثانيا ، ولما عاد الى الملك وجد ابن ساخورا قد وثب في جماعة من أصحابه على مريدك فقتله ، فسعى به الى قباد فقتله بمزدك . قال : ثم غزا الروم وافتتح آمد ، ثم أدبر ملكه لسوء عقيدته . وهلك قباد إثر ذلك .

وكان سبب هلاكه أن الحارث بن عمرو الكندي قتل النعمان بن المنذر ابن أمري القيس ، وملك العرب وما كان ملكه النعمان ، فبعث قباد بن فيروز

(١) عركت المرأة : حاضت .

(٢) كذا في تاريخ الطبري ومعجم البلدان لياقوت وذكر أن شهرا بالفارسية هو البلد ، وأبر : النجم ، وخرأهم أرادوا إلا خصبه . وأبرشهر هي نيسابور . وفي الأصل : « أبرشهر » .

- الى الحارث بن عمرو يقول : إنه كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهدٌ، وإني أحب لقاءك ؛ وخرج للقائه في عدد وعدة، وجاءه الحارث والتقى بمكان، فأمر قباد بطبق من تمر فترع نواه ويطبق آخر على حاله، فوضعا بين أيديهما، وجعل المزرع بين يدي قباد ، والذي هو بنواه بين يدي الحارث ، فجعل الحارث يأكل التمر ويلقي النوى، وقباد يأكل التمر ولا يحتاج الى إلقاء شيء . فقال للحارث : مالك لا تأكل كما أكل ؟ فقال الحارث : إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا، وعلم أن قباد يهزأ به . ثم أفترقا على الصبح على ألا يجاوز الحارث وأصحابه الفرات، إلا أن الحارث استضعف قباد وطمع فيه ، فأمر أصحابه أن يعبروا الفرات ويغيروا على قري السواد ففعلوا ذلك، فجاء الصريح الى قباد وهو بالمدائن، فكتب الى الحارث بن عمرو أن لصوصا من العرب قد أغاروا على السواد، وأنه يحب لقاءه فلقبه ، فقال قباد كالعاب له : قد صنعت صديعا ما صنعه أحد قبلك ، فطمع الحارث فيه من لين كلامه وقال : ما علمت بذلك ولا شعرت به، وإني لا أستطيع ضبط لصوص العرب ، وما أكل العرب تحت طاعتي ، ولا أتمكن منهم إلا بالمال والجنود . فقال له قباد : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تعطيني من السواد ما أتخذ به سلاحا ، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ؛ وهو ستة طساسيج ؛ فعند ذلك زاد طمع العرب فيه ، وأرسل الحارث بن عمرو الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ، فأجمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء ؛ لأن الملك عليهم لا يأكل اللحم ولا يستحل هراقة الدماء ، وله دين يمنعه من ضبط الملك ؛ فبادر إليه بجندك وعدتك، وأطعمه في الفرس . فجمع تبع جنوده وسار حتى نزل الحيرة، وقرب من الفرات ، فأذاه البقي، فأمر الحارث بن عمرو أن يُسقى له نهر الحيرة فتزل عليه ، ووجه ابن أخته

شِيراً ذا الجناح إلى قُبَاذ فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله .

وملك بعده أبنة كسرى أنوشروان بن قباد بن فيروز . ولما ملك استقبل الأمر بجِدِّ وسياسة وحزم . وكان جِدِّ الرأى ، كثير النظر ، صائب التدبير ، طويل الفكر ، جتد سيرة أردشير وعمل بها ، ونظر في عهده وأخذ نفسه به ، وأدب رعيته وبطانته ، وبحث عن سياسات الأمم فاستصلح لنفسه منها ما رضىه ، ونظر في تدابير أسلافه المستحسنة فاقتدى بها . وكان أوّل ما بدأ به أن أبطل مِلَّةَ زرادشت الثانى الذى كان من أهل فسّاء ، وأبطل ملة المزدكية وقتل على ذلك خلقا كثير ، وسفك من الدماء بسبب إبطال هذين المذهبين مالا يحصى كثرة ، وقتل قوما من المانوية ، وثبت ملة المجوسية القديمة ، وكتب فى ذلك كتابا بليغة الى أصحاب الولايات والأصبهين ، وقوى مُلك الفرس بعد ضعفه بإدامة النظر وهجر الملاذ وترك اللهو ، وقوى جنوده بالأساحة والأمنعة والكراع ^(١) ، وعمر البلاد وحفظ الأموال وثمرها ، وسد الثغور وأستعاد كثيرا من الأطراف التى غلب عليها الأمم .

قال : وأما تديره فى أمر المزدكية وإبطال ما فعلوه فإنه ضرب أعناق رؤسائهم ، وقسم أموالهم فى أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن عَرَف من الذين كانوا يدخلون على الناس فى بيوتهم ، ويشاركونهم فى أموالهم وأهاليهم ، وردّ الأموال الى أربابها . وأمر بكل مولود آخِئلف فيه أن يلحق بمن هو فى سميائه ، وأمر بكل امرأة غلب عليها أن يؤخذ الغالب عليها حتى يغرّم لها مهر مثلها ، ثم تُخير المرأة بين الإقامة عنده وبين تزويج غيره ؛ إلا أن يكون لها زوج أوّل فتردّ اليه . وأمر بكل من أضّرّ رجلا فى ماله أو ظلمه أن يؤخذ منه الحق ، ويعاقب الظالم

(١) الكراع (بالضم) : اسم جمع الخيل والسلاح .

بعد ذلك بقدر جرمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قِسمهم فُكِّتوا له فأنكح بناتهم للأكفاء وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح بنهم من بيوتات الأشراف وأغنيائهم . وأمرهم بملازمة بابه ليستعين بهم فى أعماله ، وخير نساء والده أن يقمن مع نسائه فيواسين ويصيرن فى الأحرار ، ويتننى لمن الأكفاء من البعول ، ثم أمر بكبرى الأنهار وحفر القنى . وأمر بإعادة كل جسر قطع ، أو قنطرة خربت أن ترد إلى أحسن ما كانت عليه ، وتحجير الحكام والعمال وأمرهم أن يسيروا بسيرة أردشير ووصاياه .

فلما أنتظمت له هذه الأمور وأستوثق له الملك ووثق يمينه سار نحو أنطاكية فافتتحها ، وأمر أن تصوّر له المدينة على هيئتها وذرعها وطرقها وعدة منازلها ، وأن تُبنى له مدينة على صفقتها إلى جانب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية ، ثم نقل أهل أنطاكية إليها . فلما دخلوا باب المدينة مضى كل أهل بيت إلى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكية . وفتح مدينة هرقل ثم الإسكندرية ، ثم أخذ نحو الحزر ، ثم إلى الهياطلة فقتل ملكهم بفيروز ، وصاهر خاقان ملك الترك ، وتجاوز بلخ وأزل جنوده قرغانة ، وبنى باب الأبواب . وقد ذكرناه فى المبانى القديمة .

ولما بنى هذا السور هابته الملوك وراسلته وهادنته ، فورد عليه رسول ملك الروم بهدايا فنظر إلى إيوانه فرأى فى ميزانه أعوجاجا ، فقال : ما هذا الأعوجاج ؟ فقيل له : إن عجوزا لها منزل فى جانب هذا الأعوجاج فأرادها الملك على بيعه وأرغبا فى الثمن فابت ، فلم يُكرِّهها وبقى الأعوجاج على ما ترى . فقال الرومى : هذا الأعوجاج أحسن من هذا الاستواء . وكتب إليه ملك الصين : من تقفور ملك

(١) راجع (ج ١ ص ٣٧٩ من هذه الطبعة)

(٢) كذا فى الأصل : وفى مروج الذهب (ج ١ ص ١٢٨ طبع بلاط) : « يبور »

الصين ، صاحب قصر الدرّ والجوهر ، الذى يخرج من قصره نهران يسقيان العود
والكانفور ، والذى توجد رائحته على فرسخين ، والذى يخدمه بنات ألف ملك ،
والذى فى مَرَبطه ألف فيل أبيض ، الى أخيه كسرى أنوشروان . وأهدى إليه
هدايا عظيمة . وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق ،
وصاحب قصر الذهب ، وأبواب الياقوت والدرّ ، الى أخيه كسرى أنوشروان ملك
فارس ، صاحب الساج والراية . وأهدى إليه هدايا ، منها ألف من ^(١) من العود
يذوب على النار كالشمع ، ويختم عليه كما يختم على الشمع . وجاء من الياقوت الأحمر
فتحته شبر مملوء درّا ، وعشرة أمتان كافور كالفسق ، وجارية طولها سبعة أذرع
تضرب أشفار عينيها خديها ، وكان بين أحفائها لمعان البرق مع إلتقان شكلها ،
مقرونة الحاجبين ، لها ضفائر تجرها ، وفراش من جلود الحيات ألين من الحرير
وأحسن من الوشى . وكان كتابه فى لحا الشجر المعروف بالكاذى مكتوبا بالذهب .
وكتب إليه ملك التبت : من ملك التبت ومشارك الأرض المتاخمة للصين والهند ،
الى أخيه كسرى المحمود السيرة والقدر ، ملك المملكة المتوسطة فى الأقاليم السبعة ،
أنوشروان . وأهدى إليه أنواعا مما عمل من عجائب أرض تبت ، منها مائة جوشن
ومائة ترس تبتية مذهبة ، وأربعة آلاف من المسك من نواحي غزلاية .
وآستغاث به أبن ذى يزن يستصرخه على الحبشة فبعث معه قائدا من قواده .
وسنورد ذلك إن شاء الله فى خبر سيف بن ذى يزن .

(١) المَنّ : لغة فى المنا الذى يوزن به وهو رطلان . وجمعهما أمتان ، وأماء .

(٢) اللحاء : ما على العصا من قشرها ، يمد ويقصر . والكاذى : نوع من النبات عجيب ، لحاؤه
أرق من الورق الصينى تكتأب فيه ملوك الصين والهند . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين . (راجع
مروج الذهب للسعودى (ج ١ ص ١٢٩ طبع بلاق) .

- ولما استتب له الأمر ووظف الوظائف على الترك والخزر والهند والروم وغيرهم ، نظر في الخراج وأبواب المال . وكانت رسوم الناس جارية على الثلث من البقاع ، ومن بعضها الربع والخمس والسدس على حسب العهدة . وكان قباذ أبوه قد مسح الأرض وهلك قبل أن يستحكم له أمر تلك المساحة ، فجمع أنوشروان أهل الرأي فانفقوا على أن جعلوا على كل جريب من الحنطة والشعير درهما ، وعلى الجريب من الكرم ثمانية دراهم ، وعلى الرطاب تسعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهما ، وعلى كل ست نخلات ^(١) دقل مثل ذلك ، وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ، ولم يضعوا إلا على نخل في حديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا فيما سوى ذلك من الغلات السبع ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعطاء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ، ومن كان في خدمة الملك ، وصيروها على طبقات : اثني عشر درهما ، وثمانية دراهم ، وستة دراهم ، وأربعة دراهم ، على قدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يلزموا الجزية من كان أقر له من السنين دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا هذه الوضائع إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضاها وجباية مبلغها في ثلاثة أنجم في كل سنة ، وسماها أبراسيار . ومعنى ذلك الأمر المتراضي به .
- ١٥ وكان أنوشروان — لما أراد أن يضع هذه الوضائع — أمر بإتمام المساحة التي بدأ بها قباذ ، وأحصى النخل والزيتون وغير ذلك ، والجماجم ، ثم أمر الكتاب فأخرجوا جمل ذلك غير تفصيله ، وأذن للناس إذنا عاقا ، وأمر كاتب خواجه أن يقرأ عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون والجماجم ، فقرأ ذلك عليهم . ثم قال كسرى : إنا قد رأينا أن نضع على ما أخصي من جربان ^(٢)

(١) نخلات دقل : الدقل (بالحرريك) أردأ الخمر .

(٢) جربان : جمع جريب ، والجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع . وقيل : عشرة آلاف ذراع .

هذه المساحة وضائع ، ونأمر بإنجامها في السنة ثلاثة أنجم ، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أنانا عن نفر من الثغور أو طَرف من الأطراف فتق^(١) أو ما نكرهه واحتجنا الى تداركه أو حسمه بذلنا الأموال التي عندنا ولم نحتاج الى استئناف جبايتها ، فما الذي ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟ فلم يُشر عليه أحد منهم بمشورة ، ولا نطق بكلمة . فكرر كسرى عليهم القول ثلاثا ، فقام رجل من عُرضهم وقال : أتضع أيها الملك - عمرك الله - خالدا من هذا على الفاني ؟ من كرم يموت ، وزرع يهيج ، ونهر يفيض ، وعين أو قناة ينقطع مأوها . فقال له كسرى : يا إذا الكلفة المشثوم ، من أي طبقات الناس أنت ؟ فقال : من الكتاب . فقال كسرى : اضربوه بالدوي حتى يموت ، فضربه الكتاب خاصة تبرؤا منهم الى كسرى من رأيه ، وما صدر من مقاتله حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون بما ألزمتنا أيها الملك به من خراج . ثم اجتمعت الآراء على وضع ما ذكرناه من الوضائع ، فاستقرت على ذلك إلى أن جاء الإسلام ، وبها أخذ عمر رضى الله عنه لما فتحت بلاد فارس .

ذكر قطعة من سير كسرى أنو شروان وسياسته

قال الشيخ أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم : إنه قرأ فيما كتبه أنو شروان من سيرة نفسه في كتاب عمله في سيرته وما ساس به مملكته : قال كسرى : كنت يوما جالسا بالدسكرة وأنا سائر الى همدان لتصيف هناك ، وقد أعد الطعام للرسل الذين بالباب من قبيل خاقان والهياطلة والصين وقيصر وتقفور ، ودخل رجل من الأمورة مختطبا سيفه حتى وصل الى الستر في ثلاثة أماكن ، وأراد الدخول حيث نحن والوثوب علينا ، فأشار على بعض خدعي

(١) فتق بين القوم : شق عصاهم فرجعت الحرب بينهم .

أن أخرج إليه سيفي ، فعلمت أنه إن كان إنما هو رجل واحد فسوف يحال بيننا وبينه ، وإن كانوا جماعة فلا سيفي لا يغني شيئاً ؛ فلم أخف ولم أتحرك من مكاني ؛ وأخذ بعض الحرس فإذا هو رجل رازي من حشمتنا وخاصتنا ، فلم يشكوا أن على رأيه كثيراً من الناس ، فسألوني ألا أجلس ولا أحضر للشرب حتى يستبين الأمر ، فلم أجبهم إلى ذلك لئلا ترى الرسل مني شيئاً ، فخرجت ليشربي ، فلما فرغنا هددت الرازي بالعقوبة وقطع اليمين ، وسألته أن يصدقني عن الذي حملة على ذلك ، وأنه إن صدقني لم تسله عقوبة بعد ذلك ؛ فذكر أن قوما وضعوا من قبل أنفسهم كتباً وكلاماً ، وذكروا أنه من عند الله ، أشاروا عليه بذلك وأخبروه أني إن قتله وإن قتلتني أدخل الجنة . فلما لحضت عن ذلك وجدته حقاً ؛ فأمرت بتخلية الرازي وبرء ما أخذ منه ، وتقدمت بضرب رقاب أولئك الذين أشاروا عليه حتى لم ادع منهم أحدا .

٥٣
١٣

وقال أنوشروان : إني لما أحضرت القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه ، بلغ من جرأتهم وخبثهم وقوة شياطينهم أن لم يبالوا بالقتل والموت في إظهار دينهم الخبيث ، حتى إني سألت أفضلهم رجلاً على رؤوس الناس عن استحلاله قتل ، فقال : نعم ، استحل قتلك وقتل من لا يطاوعنا على ديننا ! فلم آمر بقتله حتى إذا حضر وقت الغداء أمرت أن يُحبس الغداء وأرسلت إليه بطرف الطعام ، وأمرت الرسول أن يبلغه عني أن بقائي له أنفع مما ذكر ؛ فأجاب الرسول إن ذلك حق ، ولكن سألني الملك أن أصدقني عن ذات نفسي ولا أكتمه شيئاً مما أدين به ، وإنما أدين بما أخذه من مؤدبي .

قال أنوشروان: لما غدر بي قيصر وغزوته فذلّ وطلب الصلح وأنفذ إلى بéal وأفر بالخراج والفدية، تصدّقت على مساكين الروم وضعفائهم وضعفاء مزارعهم مما بعث به قيصر بعشرة آلاف دينار، وذلك فيما وطّئته من أرض الروم دون غيرها.

وقال: لما أمرت بتصفح أمر الرعية بنفسى ورفع البلاء والظلم عنهم، وما ينوبهم من ثقل الخراج؛ فإن فيه مع الأجر تزيين [أهل^(١)] المملكة وغناهم وقدره الوالى على أن يستخرج منهم إن هو أحتاج الى ذلك - وقد كان فى آبائنا من يرى أن وضع الخراج عنهم السنة والسنتين والتخفيف أحيانا مما يقوّمهم على عمارة أرضهم - جمعت العمال ومن يؤدّى الخراج فرأيت من تخليطهم ما لم أر له حيلة إلا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة، وكورة كورة، ورُستاق رُستاق، وقرية قرية، ورجل رجل؛ فاستعملت عليهم أهل الثقة والأمانة فى نفسى، وجعلت فى كل بلد مع كل عامل أمناء يحفظون عليه، ووليت قاضى القضاة بكل كورة النظر فى أهل كورته، وأمرت أهل الخراج أن يرفعوا ما يحتاجون الى رفعه إلينا الى القاضى الذى وليته أمر كورهم حتى لا يقدر العامل أن يزيد شيئا، وأن يؤدّوا الخراج بمشهد من القاضى، وأن تعطى به البراءة، وأن يرفع خراج من هلك منهم - ولا يزداد الخراج ممن لم يُدرِك من الأحداث، وأن يرفع القاضى وكاتب الكورة وكاتب أهل الكورة وكاتب أهل البلد والعامل محاسبتهم الى ديواننا وقت الكتّاب بذلك.

وقال: رفع إلينا موبدان موبد أن قوما ستمهم من أهل الشرف، بعضهم بالباب كان شاهدا وبعضهم ببلاد أخر، دينهم مخالف لما رويناه عن نبينا وعلمائنا، وأنهم يتكلمون بدينهم سرا ويدعون اليه الناس، وأن ذلك مفسدة للكل، وحيث

لا تقوم الرعية [إلا] ^(١) على هوى واحد، فيحزمون جميعا ما يحزّم الملك، ويستحلّون ما يستحلّ الملك في دينه؛ فإن ذلك إذا اجتمع للكل قوى يجنده لأجل الموافقة بينهم وبين الملك، فاستظهر على قتال الأعداء؛ فأحضرت أولئك المختلفين في الأهواء، وأمرت أن يخاضموا حتى يقفوا على الحقّ ويقضوا به، وأمرت أن يقصّبوا عن مدبّتي وعن بلادى ومملكتى، ويتبع كل من هو على هواهم فيفعل به ذلك .

وقال : إن الترك الذين في ناحية الشمال كتبوا إلينا بما أصابهم من الحاجة ، وأنهم لا يمجّدون بدا — إن لم نعظم شيئا — من أن يغزونا ، وسألو خصالا إحداها أن نتخذهم في جندنا ، ونجرى عليهم ما يعيشون به ، وأن نُعطِيهم من أرض الكرج ^(٢) وبلنجر وتلك الناحية ما يعيشون به ، فأريت أن أسير في ذلك الطريق إلى باب صول ^(٣) ، وأحببت أن يعرف من قبلنا من الملوك هناك نشاطنا للأسفار وقوّتنا عليها متى هممتنا ، وأن يروا ما رأوا من هبة الملوك وكثرة الجنود وتمام العُدّة وكال السلاح ما يقوون به على أعدائهم ، ويعرفون به قوّة من خلفهم إن هم احتاجوا إليه ، وأحببتنا بمسيرنا أن تُجرى لهم على أيدينا الجوائز والحلّان ^(٤) ، والقرب من المجلس واللفظ في الكلام ليزيدهم ذلك مودة لنا ورغبة فينا ، وحرصا على قتال أعدائنا ، وأحببت أيضا التعهّد لحصونهم ، وأن أسأل أهل الخراج عن أمرهم في مسيرنا .

فسرت في طريق همدان وأذربيجان . فلما بلغت إلى باب الصول ومدينة فيروز خسرو يمتت تلك المدائن العتيقة ، وتلك الحدود ، وأمرت ببناء حصون أخرى . فلما بلغ

(١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) الكرج : مدينة بين همدان وأصبهان في نصف الطريق والى همدان أقرب . (٣) بلنجر : وراء مدينة بلاد الخزر خلف باب الأبواب ، فتحها

عبد الرحمن بن ربيعة وقال البلاذري : سلمان بن ربيعة الباهلي .

(٤) صول : مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهو الدربند .

(٥) الحلان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

خافانَ الحَزَرَ نزولنا هناك تخوف أن نغزوه، فكتب أنه لم يزل - منذ ملكْتُ - يحب موادَعَتِي، وأنه يرى الدخول في طاعتي؛ ورأى بعضُ قواده - لما شاهد حاله - تركه وأنا نافي ألفين من أصحابه؛ فقبلناه وأنزلناه في تلك الناحية، وأجريت عليه وعلى أصحابه الرزق، وأمرت لهم بمحصن هناك، وأمرت بمصلى لأهل ديننا، وجعلت فيه موبدًا وقومًا نسًاكا، وأمرتهم أن يُعلموا من دخل من الترك في طاعتنا ما في طاعة الولاة من المنفعة العاجلة في الدنيا، والثواب الآجل في الأخرى، وأن يحثوهم على المودة والصحبة والعدل والنصيحة ومجاهدة العدو، وأن يُعلموا أحداثهم رأينا ومذهبنا، وأقت لهم في تلك التخوم الأسواق، وأصلحت طرقهم وقومت السكك. ونظرنا فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فإذا هو بحيث لو كان بوسط فارس لكان منزلنا بها فاضلا.

وقال: فلما أتى لملكنا ثمان وعشرون سنة جددت النظر في أمر المملكة والعدل على الرعية، والنظر في أمرهم، وإحصاء مظالمهم، وإنصافهم. وأمرت موبد كل ثغر ومدينة وبلد وجند بإنهاء ذلك إلى. وأمرت بعرض الجند، من كان منهم بالبواب بمشهد مني، ومن غاب في الثغور والأطراف بمشهد من القائد وبادوستان والقاضي وأمين من قبلنا. وأمرت بجمع أهل كور الخراج في كل ناحية من مملكتي إلى مضرها مع القائد وقاضي البلد والكاظم والأمين. وسرحت من

(١) في الأصل: « الصحة » والياق يقتضى ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: « طروسم » وهو تحريف، والياق يقتضى ما أثبتناه.

(٣) كذا في الأصول. ولعلها « باداستان » وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين ياد (بالباء الفارسية).

ومعناها الكورة وتخفف بحذف الألف، يريد حاكم الجهة (راجع القاموس الفارسي الإنجليزي لاستيفاس ومقدمة قاموس الأمانة والباق للرحوم على بهجت بك).

(٤) كذا في الأصول.

قَبِلَ مَنْ عَرَفَتْ صَحْبَتَهُ وَأَمَانَتَهُ وَتُسَكَّهَ وَعِلْمَهُ ، وَمَنْ جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى كُلِّ مِصْرٍ وَمَدِينَةٍ حَيْثُ أُولَئِكَ الْعَالُ وَالْعِلْمَانُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ لِيَجْمَعُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ أَرْضِهِمْ وَبَيْنَ وَضِيعِهِمْ وَشَرِيفِهِمْ ، وَأَنْ يُرْفَعَ الْأَمْرُ كُلُّهُ عَلَى حَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، فَمَا نَفِذَ لَهُمْ فِيهِ أَمْرٌ أَوْ صَحَّ فِيهِ الْقَضَاءُ فَرَضَى بِهِ أَهْلُهُ فَرَعَوْا مِنْهُ هُنَاكَ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ رَفَعُوهُ إِلَى .

وَبَلَغَ اهْتِمَامِي بِتَفْقُهِ ذَلِكَ مَا لَوْلَا الَّذِي أُدَارِي مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْغُفُورِ لَبَاشَرْتُ أَمْرَ الْخُرَاجِ وَالرَّعِيَةَ بِنَفْسِي قَرْيَةً قَرْيَةً حَتَّى أَتَعَاهِدَهَا وَأَكَلِمَ رَجُلًا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي ؛ غَيْرَ أَنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ يَضِيعَ بِذَلِكَ السَّبَبِ أَمْرٌ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُغْنِي فِيهِ أَحَدٌ غِنَايَ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْكَامِهِ غَيْرِي ، وَلَا يَكْفِيْنِيهِ كَافٍ ، مَعَ الَّذِي فِي الشَّخْصِ إِلَى قَرْيَةٍ قَرْيَةً مِنَ الْمُتُونَةِ عَلَى الرَّعِيَةِ مِنْ جَنْدِنَا ، وَمَنْ لَا نَجِدُ بَدَأَ مِنْ إِخْرَاجِهِ مَعَنَا . وَكَرِهْنَا أَيْضًا إِشْتَخَاصَهُمَ إِلَيْنَا مَعَ تَخَوُّفِنَا أَنْ يَشْتَغَلَ أَهْلُ الْخُرَاجِ عَنْ عِمَارَةِ أَرْضِهِمْ ، أَوْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مُتُونَةٍ فِي تَكْلُفِ السَّيْرِ إِلَى بَابِنَا ، وَقَدْ ضَمَّ قُرَاهُ وَأَنْهَارُهُ وَمَا لَا يَجِدُ بَدَأَ مِنْ تَعَاهِدِهِ فِي السَّنَةِ كُلِّهَا فِي أَوْقَاتِ الْعِمَارَةِ ، فَفَعَلْنَا ذَلِكَ بِهِمْ وَوَكَّلْنَا مُوَبِّدَانَ مُوَبِّدَ ذَلِكَ ، وَكَتَبْنَا بِهِ الْكُتُبَ وَسَرَّحْنَا مَنْ وَثِقْنَا بِهِ ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَجْرِيَ مَجْرَانَا وَأَشْتَخَصْنَاهُ وَقَلَّدْنَاهُ ذَلِكَ .

قَالَ : وَلَمَّا أَتَمَّنَ اللَّهُ جَمِيعَ أَهْلِ مَمْلَكَتِنَا مِنَ الْأَعْدَاءِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِي رَجُلٍ مِنَ الدَّيْلَمِ الَّذِينَ عَسَّرَ افْتِتَاحُ حَصُونِهِمْ لَصُعُوبَةَ الْجِبَالِ عَلَيْهَا ، لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَنْفَعَ لِمَمْلَكَتِنَا مِنْ أَنْ نَفْحَصَ عَنْ الرَّعِيَةِ ، وَأُولَئِكَ الْأَمْنَاءُ الَّذِينَ وَصَّيْنَاهُمْ بِالْإِنصَافِ أَهْلُ الْخُرَاجِ . وَكَانَ بَلَّغْنَا أَنْ أُولَئِكَ الْأَمْنَاءُ لَمْ يَبَالِغُوا عَلَى قَدَرِ رَأْيِنَا فِي ذَلِكَ ،

(١) مُوَبِّدَانِ مُوَبِّدٌ : فَاضِي الْقَضَاءِ فِي دَوْلَةِ الْفَرَسِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وَقَدْ بَقِيََتْ وَظِيفَةُ الْمُوَبِّدِ (الْقَاضِي) إِلَى أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، لِلْقِيَامِ بِأُمُورِ الْمَجُوسِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الدِّمَةِ .

فأمرت بالكتيب الى قاضي كورة كورة أن يجمع أهل الكورة بغير علم عاملهم وأولى أمرهم فيسألهم عن مظالمهم وما استخرج منهم ، ويفحص عن ذلك بجهود رأيه ويبلغ فيه ، ويكتب حال رجل رجل منهم ويختص عليه بخاتمه وخاتم الرضا من أهل تلك الكورة ، ويبحث به الى ويسرح ممن يجتمع رأى أهل الكورة عليه بالرضا نفرا ، وإن أحبوا أن يكون فيمن يُشخص بعض سفلتهم أيضا فعل ذلك .

فلما حضروا جلست للناس وأذنت لهم بمشهد من عطاء أرضنا وملوكهم وقضاتهم وأحرارهم وأشرفهم ، ونظرت في تلك الكتب والمظالم ، فأية مظلمة كانت من العمال ومن وكلائنا ، أو من وكلاء أولادنا ونسائنا وأهل بيتنا حططناها عنهم بغير بينة ؛ لعلمنا بضعف أهل الخراج منهم ، وظلم أهل القوة من السلطان لهم ، وأية مظلمة كانت لبعضهم من بعض ووصحت لنا ، أمرت بإنصافهم قبل البراح ، وما أشكل وأوجب الفحص عنه شهود البلد وقاضيا سرحت معه أمينا من الكتاب ، وأمينا من فقهاء ديننا وأمينا ممن وثقنا به من خدمنا وحاشيتنا ، فأحكمت ذلك إحكاما وثيقا . ولم يجعل الله لذوى قرابتنا ورحمتنا وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق والعدل ؛ فإن من شأن قرابة الملك وحاشيته أن يستطيلا بقرنته وقوته ، فإذا أهل السلطان أمرهم هلك من جاوره إلا أن يكون فيهم متأدب بأدب ملكه ، محافظ على دينه ، شفيق على رعيته ، وأولئك قليل ؛ فدعانا الذي أطلعنا عليه من ظلم أولئك ألا نطلب البيئة عليهم فيما ادعى قبلهم . ولم نزل نرد المظالم ، ولم نرد أيضا ظلم أحد ممن كان عزيزا بنا ، منيعا بمكانه ومنزله عندنا ، فإن الحق واسع للضعفاء والأقوياء والفقراء والأغنياء ؛ ولكلنا أشكلت الأمور في ذلك علينا كان الحمل على خواصنا وخدمنا أحب إلينا من أن نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم ، وأهل الفاقة والحاجة منهم . وعلمنا أن أولئك الضعفاء لا يقدر على ظلم من حولنا . وعلمنا مع ذلك

أَنْ الَّذِينَ أَعْدَيْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ خَاصَّتِنَا يَرْجِعُونَ مِنْ نِعْمَتِنَا وَكَرَامَتِنَا إِلَى مَا لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ
أَوْلَئِكَ . وَلَعُمْرِي إِنْ خَوَّصْنَا الْبِنَاءَ ، وَأَثَرُ خَدِمَتِنَا فِي أَنْفُسِنَا الَّذِينَ يَحْفَظُونَ سِيرَتَنَا
فِي الرِّعْيَةِ ، وَيَرْحَمُونَ أَهْلَ الْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَيَنْصِفُونَهُمْ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ظَلَمْنَا مَنْ ظَلَمَهُمْ ،
وَجَارَ عَلَيْنَا مَنْ جَارَ عَلَيْهِمْ ، وَأَرَادَ تَعْطِيلَ ذِمَّتِنَا الَّتِي هِيَ حَرْزُهُمْ وَمُلْجَأُهُمْ .

- قال : ثُمَّ كَتَبَ الْبِنَاءُ عَلَى رَأْسِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِنَا ، أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ مِنَ
التَّرِكِ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَزَرِ ، وَلِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ مُلْكٌ ، يَذْكُرُونَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَاجَةِ ،
وَمَا لَهُمْ مِنَ الْحَظِّ فِي عِبُودِيَّتِنَا ، وَسَالُوا أَنْ نَأْذِنَ لَهُمْ فِي الْقُسُودِ بِأَصْحَابِهِمْ لِحَدِمَتِنَا ،
وَالْعَمَلِ لِمَا نَأْمُرُهُمْ بِهِ ، وَالْأَنْحِقِدِ عَلَيْهِمْ مَا سَلَفَ مِنْهُمْ قَبْلَ مُلْكِنَا ، وَأَنْ تُزَيِّمَهُمْ
مُتَزَلَّةً سَائِرَ عِبِيدِنَا ، فَإِنَّا سَنَرَى فِي كُلِّ مَا نَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ قِتَالٍ وَغَيْرِهِ كَأَفْضَلِ مَا نَرَى
مِنْ أَهْلِ نَصِيحَتِنَا ، فَرَأَيْتُ فِي قَبُولِي إِيَّاهُمْ عِدَّةَ مَنَافِعَ ، مِنْهَا : جَلْدُهُمْ وَأَبْأُسُهُمْ ،
وَمِنْهَا : أَنِّي تَخَوَّفْتُ أَنْ تَحْمِلَهُمُ الْحَاجَةُ عَلَى إِيْتِيَانِ قَيْصَرٍ أَوْ بَعْضِ الْمُلُوكِ فَيَقْوُوا بِهِمْ
عَلَيْنَا ، وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَلَفَ يَسْتَأْجِرُ مِنْهُمْ قَيْصَرٌ لِقِتَالِ مُلُوكِ نَاحِيَّتِنَا بِأَعْلَى الْأَجْرَةِ .
وَكَانَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْقِتَالِ بَعْضُ الشُّوْكَةِ بِسَبَبِ أَوْلَئِكَ الْإِتْرَاكِ ؛ لِأَنَّ التَّرِكَ لَيْسَ
عِنْدَهُمْ لَذَّةُ الْحَيَاةِ ، فَهُوَ الَّذِي يَجْرِيهِمْ مَعَ شَقَاءِ مَعَايِشِهِمْ عَلَى الْمَوْتِ ؛ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ إِنَّا
نَقْبَلُ مَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِنَا ، وَلَا نَخْشَلُ عَلَى أَحَدٍ بِمَا عِنْدَنَا ، وَكَتَبْتُ إِلَى مَرْزُبَانَ
الْبَابِ أَمْرَهُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ أَوَّلًا أَوَّلًا ، فَكَتَبَ إِلَيَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَاهُ مِنْهُمْ خَمْسُونَ أَلْفًا
بَنَسَائِهِمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَعِيَالَهُمْ . وَلَمَّا بَلَغَنِي ذَلِكَ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقْرِبَهُمْ إِلَيَّ لِيَعْرِفُوا
إِحْسَانِي إِلَيْهِمْ ، وَأَعْظَمَهُمْ لِيُطْمَئِنُّوا إِلَى قَوَادِنَا ، حَتَّى إِذَا أَرَدْنَا تَسْرِيحَهُمْ مَعَ بَعْضِ
قَوَادِنَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ بِصَاحِبِهِ وَاتِّقَاءً ، فَشَخَّصْنَا إِلَى أَذْرَ بِيحَانَ ، فَلَمَّا نَزَلَتْهَا أَذْنَتْ

(١) أَعْدَيْنَا عَلَيْهِمْ : ظَلَمْنَاهُمْ .

(٢) الْمَرْزُبَانُ : الرَّئِيسُ مِنَ الْفَرَسِ .

لهم في القدوم، وأتاني عند ذلك طرائف من هدايا قيصر، وأتاني رسول خاقان الأكبر، ورسول صاحب الروم، ورسول صاحب خوارزم، ورسول ملك الهند، والداور،^(١) وكابل شاه،^(٢) وصاحب سرّنديب^(٣)، وصاحب كله،^(٤) وكثير من الرسل، وتسعة وعشرون ملكا في يوم واحد، وانتهت الى أولئك الأتراك الثلاثة والخمسين ألفا فأمرت أن يُصَفَّقُوا هناك وركبت لذلك، فكان يومئذ من أصحابي ومن قدم عليّ ومن دخل في طاعتي وعبوديتي من لم يسمعهم مَرَجَّ كان طوله عشرة فراسخ، فحمدت الله كثيرا وأمرت أن يُصَفَّ أولئك الأتراك في أهل بيوتاتهم على سبع مراتب، ورأست عليهم منهم، وأقطعهم وكسوت أصحابهم، وأجريت عليهم الأرزاق، وأمرت لهم بالمياه والأرضين، وأسكنت بعضهم مع قائد لي بالان^(٥)، وقسمتهم في كل ما احتجنا اليه من الثغور، وضممتهم الى المرزبان؛ فلم أزل أرى من مناصحتهم واجتهادهم فيما نوجههم له ما يسرنا في جميع البلدان والثغور وغيرها .

(١) الداور : وأهل تلك الناحية يسمونها زمنداور، ومغناه أرض الداور، وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبست والغور . قال الاصطخري : الداور : اسم إقليم خصيب، وهو ثغر الغور من ناحية سجستان . ومدينة الداور، تل، ودرغور، وهما على نهر هندمند (راجع معجم البلدان لياقوت) .
(٢) كابل وملكتها يقال له الشاه : ولاية ذات مروج كثيرة بين هند وغزنة، وقيل : هي من ثغور طخارستان . ولها من المدن : واذان، وخواش، وخشك، وغير، وبها القود والتارجيل والزعفران والأطيلج لأنها متاخمة للهند (راجع معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبي الفدا) .

(٣) سرنديب : هي جزيرة سيلان الآن .

(٤) كله : فرضة بالهند وهي في منتصف الطريق بين عمان والصين، يسكنها المسلمون والهند والفرس، تربها معادن للرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا ومعجم البلدان لياقوت) .
(٥) الان : بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخر، والعامه يغلطون فيهم فيقولون علان، وهم نصارى تجلب منهم عيد أجداد . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

قال : وكتب الى خاقان الأكبر يعتذر الى من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز ؛ وذكر في كتابه ورسالته أن الذي حمّله على عداوتي وغزو أرضي من لم يُنظر له ، وناشدني الله أن أتجاوز عنه ، وتوثّق لي بما أطمئن اليه . وذكر أن قيصر قد أرسل اليه وزعم أنه يستأذني في قبول رسله ، وأنه لا يعمل في قبول رسل أحد إلا بما أمره ، ولا يجاوز أمري ، ولا يرغب في الأموال ولا في المودات لأحد إلا برضائي ، وكان دسيس^(١) لي في الترك يكاتبني بندم خاقان وندم أصحابه على غدره وعداوته إياي ، فأجبتّه : إني لعمرى ما أبالي إن طبيعة نفسك وغريزتك غدرت بنا أم أظمت غيرة في ذلك ، وما ذنبك في طاعة من أظمت في ذلك إلا كذبتك فيما فعلته برأى نفسك ، وإني قد استحققت أشد العقوبة . وكتبت أني لا أظن شيئاً من الوثيقة نفى لكم إلا وقد كنت ضيعته ، ولا أظن شيئاً وثقت لنا به من قبل اليوم ثم غدرتم ، فكيف نطمئن اليك ونثق بقولك ؟ ولستأ نأمنك على مثل ما فعلت من الغدر وتقض العهد والكذب في اليمين . وذكرت أن رسل قيصر عندك ، ووقفنا على استئذانك إيانا فيهم ؛ وإني لست أنهارك عن مودة أحد . وكرهت أن يرى أني أنخوف مصادفته وأهاب ذلك منه . وأحببت أن أعلمه أني لا أبالي بشيء مما جرى بينهما . ثم سرحت لمزمة المدائن والحصون التي بخراسان وجمع الأطمعة والأعلاف اليها ما يحتاج اليه الجند ، وأمرت أن يكونوا على استعداد وحذر ، ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الأولى وهم على حال الصلح .

قال : وكان شكرى لله تعالى لما وهب لي وأعطاني متصلاً بنعمه الأول التي وهبها لي في أول خلقه إياي ؛ فإنما الشكر والتعميد كفتي الميزان أيهما رج بصاحبه احتاج الأخف الى أن يزداد فيه حتى يعادل صاحبه ، فإذا كانت النعم

(١) الدسيس : من تدسه لئانيك بالأخبار (الخاسوس) .

كثيرة والشكر قليلا انتقطع الجمل وهلك ظهر الحامل ، وإذا كان ذلك مستويا
استمر الحامل . وكثيرُ النعم يحتاج صاحبها الى كثير الشكر ، وكثيرُ الشكر يحلب كثير
النعم . ولما وجدت الشكر بعضه بالقول ، وبعضه بالعمل ، ونظرت في أحب
الأعمال الى الله وجدته الشيء الذي أقام به السموات والأرض ، وأرسى به الجبال ،
وأجرى به الأنهار وبرأ به البرية . وذلك الحق والعدل فلزمتهما . ورأيت ثمرة الحق
والعدل عمارة البلدان التي بها معاش الناس والدواب والطير وسكان الأرض .

ولما نظرت في ذلك وجدت المقاتلة أجراء أهل العمارة ، ووجدت أهل العمارة
أجراء المقاتلة ، فإنهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم
عنهم ، ومجاهدتهم من ورائهم ، فحق على أهل العمارة أن يرفعوا أجورهم ؛ فإن
عمارتهم تتم بهم ، وإن أبطأوا عليهم بذلك أو هتروهم فقوى عدوهم ؛ فرأيت من
الحق على أهل الخراج ألا يكون لهم من عمارتهم إلا ما أقام معاشهم ، وعمرروا
به بلدانهم ، ورأيت ألا أجتاحتهم وأستفرغ ذات أيديهم للخرائن والمقاتلة ، فإني
إذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم أهل الخراج ؛ وذلك أنه إذا فسد العامر
فسد المعمور ، وكذلك أهل الأرض والأرض ، فإنه إذا لم يكن لأهل الخراج
ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلكت المقاتلة الذين قوتهم بعمارة الأرض ؛ فلا عمارة
للأرض إلا بفضل ما في يد أهل الخراج ؛ فمن الإحسان الى المقاتلة والإكرام لهم
أن أرفق بأهل الخراج وأعمر بلادهم ، وأدع لهم فضلا في معاشهم ؛ فأهل الأرض
وذوو الخراج أيدي المقاتلة والخذ وقوتهم ، والمقاتلة أيضا أيدي أهل الخراج وقوتهم .
ولقد ميزت ذلك بجهدي وطاقتي ، وفكرت فيه فما رأيت أن أفضل هؤلاء

على هؤلاء إذ وجدتهما كاليدين المتعاضتين والرجلين المترادفتين .

(١) في الأصل : فسد ، والسياق يقتضئ ما أثبتناه .

ولعمري ما أعنى أهل الخراج من الظلم من أضرب بالمقاتلة، ولا كف الظلم عن المقاتلة من تعدى على أهل الخراج . ولولا سفهاء الأساورة لأبقوا على أهل الخراج والبلاد إبقاء الرجل على ضيعته التي منها معيشته وحياته وقوته، ولولا جهال أهل الخراج لكفوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش إشارا للمقاتلة على أنفسهم .

٥٧
١٣

قال : ولما فرغنا من إصلاح العامة والخاصة بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتلة كان ذلك ثمرة العدل والحق الذي دبر الله العظيم خلافة به ، وشكرت الله على نعمته والمقاتلة في أداء حقه على مواهبه ، وأحكمنا أمر المقاتلة وأهل الخراج ببسط العدل ، وأقبلنا بعد ذلك على السير والسّنن ، ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم من أمورنا ، والأكبر فالأكبر عائداً على جندنا ورعيّتنا ، ونظرنا في سير آبائنا من لدنّ يستأسف إلى ملك قبّاد أقرب آبائنا . ثم لم تترك إصلاحاً في شيء من ذلك إلا أخذناه ، ولا فساد إلا أعرضنا عنه ، ولم يدعنا حبّ الآباء إلى قبول ما لا خير فيه من السنن ، ولكنّا أثّرنا حبّ الله وشكره وطاعته .

ولما فرغنا من النظر في سير آبائنا وبدأنا بهم ، وكانوا أحقّ بذلك ، فلم ندع حقاً إلا أثّرناه ، ووجدنا الحق أقرب القرابة . نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا محمودها ، وجعلنا عيار ذلك عقولنا ، وميزانه بأحلامنا ، فأخذنا من جميع ذلك ما زين سلطاننا ، وجعلناه سنة وعادة ، ولم تنازعنا أنفسنا إلى ما تميل به أهواؤنا ، وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به ، وكتبنا إليهم بما كرهنا لهم من السير ونهيناهم عنه وتقّدهنا إليهم فيه ؛ غير أنّنا لم نكره أحداً على غير دينه وملة ، ولا نحسدهم ما قبلنا ، ولا منع ذلك أنقباض بعلم ما عندهم ، فإن الإقرار بمعرفة الحق

(١) عيار : العيار والميار ما جعل نظاماً للشيء يقاس به ويسوى .

والعلم والاتباع له من أعظم ما تزينت به الملوك . ومن أعظم المضرة على الملوك
الإنفة من العلم والحمة من طلبه ، ولا يكون عالما من لا يتعلم .

ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة ، ووضحت
بين مكارم أسلافى ، وما أحدثته بالرأى ، وأخذت به نفسى ، وقبلته عن الملوك الذين
لم يكونوا منا ، وثبت على الأمر الذى نلت به الظفر والخير ، ورفضت سائر الأمم
لأنى لم أجد عندهم رأيا ولا عقولا ولا أحلاما ، ووجدتهم أصحاب بغي وحسد
وكلب وحرص وشخ وسوء تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافأة . وهذه أمور
لا تصالح عليها ولاية ، ولا تنم لها نعمة .

قال ابن مسكويه : وقرأت مع هذه السير فى آخر هذا الكتاب الذى كتبه
أنوشروان فى سيرة نفسه أن أنوشروان لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع
إليه الأساورة مع القواد والعطاء والمرابذة والنساک والموابذة وأماثل الناس معهم
نخطبهم فقال :

ذكر خطبة أنوشروان

قال : أيها الناس ، أخصرونى فهمكم ، وأرعونى أسماعكم ، وناصحونى أنفسكم ،
فإنى لم أزل واضعا سيفى على عنقى منذ ولئت عليكم غرضا للسيف والأسنة ،
وكل ذلك للدافعة عنكم ، والإبقاء عليكم ، وإصلاح بلادكم مرة بأقصى الشرق ، وتارة
فى آخر المغرب ، وأخرى فى نهاية الجنوب ، ومثلها فى جانب الشمال ، ونقلت الذين
اتهمهم إلى غير بلادهم ، ووضعت الوضائع فى بلدان الترك ، وأقمت بيوت النيران
بقسطنطينية ، ولم أزل أصعد جبلا شامخا وأنزل عنه ، وأطأ حزنه بعد سهوله ،
وأصبر على الخمصة والخافة ، وأكابد البرد والحر ، وأركب هول البحر وخطر المفازة ؛

إرادة هذا الأمر الذى قد آتمه الله لكم : من الإثخان فى الأعداء ، والتمكن فى البلاد ،
 والسعة فى المعاش ، ودرك العز ، وبلوغ ما نلتم ؛ فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته على
 الشرف الأعلى من النعمة ، والفضل الأكبر من الكرامة والأمن ، وقد هزم الله
 أعداءكم وقتلهم ؛ فهم بين مقتول هالك ، وحي مطيع لكم سامع ؛ وقد بقى لكم عدو
 عددهم قليل ، وبأسهم شديد ، وشوكتهم عظيمة ؛ وهؤلاء الذين بقوا أخوف عندى
 عليكم ، وأحرى أن يهزموكم ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم ، وأصحاب
 السيوف والرماح والخيول ؛ وإن أتم أيها الناس غلبتم عدوكم هذا الباقى ، غلبتكم
 لعدوكم الذين قاتلتم وحاصرتم ، فقد تم الظفر والنصر ، وتمت فيكم القوة ، وتم بكم
 العز ، وتمت عليكم النعمة ، وتم لكم الفضل ، وتم لكم الاجتماع والألفة والصحة
 والسلامة ؛ وإن أتم قصرتم ووهنتم ، وظفر هذا العدو بكم فأين الظفر الذى كان
 منكم ، فاطلبوا أن تقتلوا من هذا العدو الباقى مثل ما قتلتم من ذلك العدو الماضى ؛
 وليكن جدكم فى هذا واجتهادكم واحتشادكم أكبر وأجل وأحرز وأعزم وأصح وأشد ،
 فإن أحق الأعداء بالاستعداد له أعظمهم مكيده ، وأشدهم شوكة ، وليس الذى كنتم
 تخافون من عدوكم الذى قاتلتم بقريب من هؤلاء الذين أمركم بقتالهم الآن ؛ فاطلبوه
 وصلوا ظفرا بظفر ، ونصرا بنصر ، وقوة بقوة ، وتأيدا بتأييد ، وعزما بعزم
 وعزم ، وجهادا بجهاد ؛ فإن بذلك اجتماع إصلاحكم ، وتمام النعمة عليكم ، والزيادة
 فى الكرامة من الله لكم ، والفوز برضوانه فى الآخرة .

ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم لم يكونوا يبلغوا منكم
 — إن ظهروا عليكم وغلبوكم — مثل الذى يبلغ هذا العدو منكم إن غلبكم وظهر
 عليكم ؛ فإن بأس هذا العدو أشد ، وكيدته أكبر ، وأمره أخوف من ذلك العدو .

يأيها الناس، إني قد نصبت^(١) لكم كما رأيتم، ولقيت ما قد علمتم بالسيف والرمح والمفاوز والبحار والسهولة والجبال؛ أقارع عدوؤا عدوؤا، وأكالب جنودا جنودا، وأكابد ملكا ملكا، لم أتضرع إليكم هذا التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك، ولم أسألكم هذه المسألة في طلب الحذ منكم، والاجتماع والاحتفال والاحتشاد، وإنما فعلت هذا لعظم خطره، وشدة شوكته، وخافة صولته بكم. وإن أنا أيها الناس لم أغلب هذا العدو وأنته عنكم، فقد أبقيت فيكم أكبر الأعداء، ونفيت عنكم أضعفها، فأعينوني على نفي هذا العدو المخوف عليكم، القريب الدار منكم؛ فأنيشدكم الله أيها الناس لما أعتمقوا عليه حتى أنفيسه عنكم، وأخرجته من بين أظهركم فيتم بلائى عندكم، وبلاء الله فيكم عندي، وتم النعمة على وعليكم، والكرامة من الله لى ولكم، ويتم هذا العز والنصر، وهذا الشرف والتمكين، وهذه الثروة والمستزلة.

يأيها الناس، إني تفكرت بعد فراغى من كتابى هذا، وما وصفت من نعمة الله علينا فى الأمر الذى لما غلب دارا الملوك والأمم وقهرها، واستولى على بلادها، ولما تحكم أمر هذا العدو، هلك وهلكت جنوده بعد السلامة والظفر والنصر والغلبة؛ وذلك أنه لم يرض بالأمر الذى تم له به الملك، واشتد به السلطان، وقوى به على الأعداء، وتمت عليه به النعمة، وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها الكرامة، حتى آحتال له بوجوه النعمة والبنى؛ فدعا البنى الحسد^(٢) فتقوى به وتمكن، ودعا الحسد بغض أهل الفقر لأهل الغنى، وأهل الخمول لأهل الشرف؛ ثم أتاهاهم الإسكندر وهم على ذلك من تفرق الأهواء، واختلاف الأمور، وظهور بغضاء

(١) نصبت : يقال نصب الرجل (بكسر الصاد) نصبا بفتحها : أعيا ونصب .

(٢) فى الأصول : فدعا البنى والحسد، ولعل هذه الوار مقحمة من الناصح .

وقوة العداوة فيما بينهم والفساد منهم . ثم ارتفع ذلك إلى أن قتله صاحب حرسه وأمينه على دمه ، للذى شمل قلوب العامة من الشر والضعيفة ، ونبت فيها من العداوة والفرقة ، وكفى الإسكندر مؤنة نفسه ؛ وقد اتعظت بذلك اليوم وذكرته .

يا أيها الناس ، فلا أسمعن في هذه النعمة تفرقا ولا بقيا ولا حسدا ظاهرا ، ولا وشاية ولا سعاية ، فإن الله قد طهر من ذلك أخلاقنا وملئنا ، وأكرم عنه ولايتنا ، وما نلت ما نلت بنعمة ربنا وحمده بشيء من الأمور الخبيثة التي نفتها العلماء ، وعاقبتنا الحكما ؛ ولكن نلت هذه الرتبة بالصحة والسلامة ، والحب للرعية ، والوفاء والعدل والاستقامة والتؤدة . وإنما تركنا أن نأخذ عن هذه الأمم التي سبناها ، أعنى من الترك والبربر والزنج والجبال وغيرهم ، مثل ما أخذنا عن الهند والروم لظهور هذه الأخلاق فيهم وغلبيتها عليهم . ولا تصلح أمة قط وملئها على ظهور هذه الأخلاق التي هي أعدى أعدائكم .

يا أيها الناس ، إن فيما بسط الله علينا بالسلامة والعافية والاستصلاح غنى لنا عما نطلب بهذه الأخلاق الرديئة المشثومة ؛ فأكفوني في ذلك أنفسكم ، فإن قهر هذه الأعداء أحب إلى وخير لكم من قهر أعدائكم من الترك والروم . فاما أنا أيها الناس فقد طبئت نفسي بترك هذه الأمور ومحققها وقمعها ونفيها عنكم .

٥٩
١٣

يا أيها الناس ، إني قد أحبيت أن أنفي عدوكم الظاهر والباطن ؛ فاما الظاهر منهما فإننا بحمد الله ونعمته قد نسيناه وأعاننا الله عليه وحصد لنا شوكته ، وأحسستم فيه وأجلمتم وآسيتم وأجهدتم ، فأفعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو ، وأعملوا فيه كالذى عملتم في ذلك ، وأحفظوا عني ما أوصيكم به فإني شفيق عليكم ناصح لكم . أيها الناس ، من أخيا هذه الأمور فينا فقد أفسد بلاءه عندنا بقتاله من كان يقاتلنا من أعدائنا ، فإن هذه أكثر مضرة ، وأشد شوكة ، وأعظم بلية ، وأضر تيمة .

وأعلموا أن خيركم يأبى الناس من جمع إلى بلائه السالف عندنا المعونة لنا على نفسه
 في هذا الغابر . وأعلموا أن من غلبه هذا غلبه ذاك ، ومن غلب هذا فقد قهر ذاك ؛
 وذلك أن بالسلامة والألفة والمودة والاجتماع والتناصر منكم يكون العز والقدرة والسلطان ،
 ومع التحاسد والبغى والنميمة والسب يكون ذهاب العز ، وانقطاع القوة وهلاك
 الدنيا والآخرة ؛ فعليكم بما أمرناكم به ، وأحذروا ما نهيناكم عنه ، ولا حول ولا قوة
 إلا بالله . عليكم بمواساة أهل الفاقة ، وضيافة السابلة^(١) ، وأكرموا جوار من جاوركم ،
 وأحسنوا صحبة من دخل فيكم من الأمم ، فإنهم في ذمتي ، ولا تجبّوهم ولا نظلموهم ،
 ولا تسلّطوا عليهم ، ولا تحرجوهم ، فإن الإحراج يدعو إلى المعصية ، ولكن اصبروا
 لهم على بعض الأذى ، واحفظوا أمانتكم وعهدكم ، واحفظوا ما عهدت إليكم من
 هذه الأخلاق ، فلا تصلّحوا إلا معها ، وبالله تعالى نفقتا في الأمور كلها . ثم هلك
 أنوشروان بعد ثمان وأربعين سنة من ملكه .

ثم ملك بعده أبنيه هرمز بن كسرى أنوشروان . وأمه قاقم بنة خاقان
 ملك الترك . وقيل : بل ابنة ملك من ملوك الخزر . قال : وكان كثير
 الأدب ، حسن السياسة ، جميل النية ، وافر الإحسان إلى الضعفاء والمساكين .

وكان من سيرته المرتضاة أنه يُجرى الخير والعدل على الرعية ، ويشدد على العطاء
 المتسلطين على الضعفاء . وبلغ من عدله أنه كان يسير إلى المياه ليصيف هناك ، فأمر
 فنودي في مسيره أن يُحمى مواضع الحروث ، ولا يسير فيها الراكب لئلا يضروا
 بأحد ، ووكل بتعهد ما يجري في عسكره ، ومعاقبة من تعذّى أمره وتغريمه لصاحب

(١) السابلة هنا : المارون على الطريق المسلول .

الحرث عوضا عما أفسده له . وكان ابنه كسرى أبرويز في عسكره فغار مركب^١ من مراكبه ووقع في حرث كان على الطريق ، فأفسد ما مر عليه ، فأخذ ودفع إلى الرجل الموكل من جهة هرمز بمعاينة من أفسد هو أو دوابه شيئا من الحرث ، فلم يحسر الرجل الموكل من جهة هرمز أن ينقذ أمر هرمز في ابنه أبرويز ، فرفع الأمر إلى هرمز فأمره أن يجدد أذنيه ، ويترذبه ، ويقزم كسرى أبرويز .

لصاحب الحرث ؛ فخرج الرجل لإنفاذ الأمر ، فسدس له كسرى رهطا من العطاء يسألونه التثبت في الأمر ، فكلموه فلم يجب إلى ذلك . فسألوه تأخير إنفاذ الأمر في المركب حتى يكلموا هرمز ، ففعل ، ولقي أولئك الرهط^٢ هرمزا وأعلموه أن ذلك المركب الذي غار إنما غار زعارة^(١) ، وأنه أخذ لوقته . وسألوه أن يأمر بالكف عن جدعه وبتره ، لما في ذلك من سوء الطيرة فلم يجبهم إلى ما سألوه ، وأمر بالمركب بخدعت أذناه وبتردبه ، وغرم كسرى كما يغرم غيره من الجند ثم ارتحل .

قال : وركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم يريد ساباط المدائن^(٢) ، وكان ممزعه على بساتين وكروم ، فنظر بعض الأساورة إلى كرم فرأى حضيما ، فأصاب منه عناقيده ودفعها إلى غلامه وقال : اذهب بها إلى المتلة وأطبخها بلحم وأصنع منها مرققة فإنها نافعة في هذا الإبان ، فأتاه حافظ ذلك الكرم فلزمه وصاح به ، فبلغ إشفاق^{١٥} الأسوار من عقوبة هرمز أن دفع إلى حافظ الكرم منقطة محلاة بالذهب كانت في وسطه ، وسأله أن يأخذها عوضا عما أخذه من الحصرم ، ولا يرفع الأمر إلى الملك .

(١) زعارة : شرابة وسوء خلق .

(٢) ساباط المدائن : مدينة في جانب دجلة الغربي (راجع تقويم البلدان لأبي الفداء) .

فهذه كانت سيرته في العدل ، وهذا كان خوف جنده وأساورته منه . وكان مظفراً منصوراً ، وكان أدبياً داهياً ، إلا أنه كان مُقَصِّياً للأشراف وأهل البيوتات والعلماء . وقيل : إنه قتل ثلاثة عشر ألف رجل وستمئة رجل منهم ، ولم يكن له رأى إلا في تألف السفلة وأسقاط الناس واستصلاحهم . وحبس خلقاً كثيراً من العظماء ، وحط مراتب جماعة كبيرة ، وقصر بالأساورة ففسدت عليه نيات أكابر جنده وعظماء مملكته ، فكان عاقبة سوء هذا التدبير أن خرج عليه جماعة من الملوك منهم شابه ^(١) [شاه] ملك الترك في ثلثة ألف مقاتل ، وسار إلى بادغيس ^(٢) ، وذلك بعد مضي إحدى عشرة سنة من ملكه ، وخرج عليه ملك الروم في ثمانين ألف مقاتل ، وخرج عليه ملك الخزر حتى سار إلى باب الأبواب ، وخرج عليه من العرب خلق كثير ، فقتلوا في شاطئ الفرات وشتوا الغارات على أهل السواد ، فاجتروا عليه أعداؤه وغزوا بلاده .

فأما شابه ^(١) [شاه] ملك الترك فإنه أرسل إلى هرمز وإلى عظماء مملكته من الفرس يؤذنههم بإقباله في جيوشه زُمرًا زُمرًا ، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم ، ويسلك إليهم من بلادهم ، وأمرهم أن يفتدوا له قناطر على كل نهر يمر عليه في بلادهم من الأنهار التي لا قناطر عليها ، وكذلك في الأودية ، وأن يسهلوا له الطرق والمسالك وقال : فإنني قد أجمعت على المسير إلى بلاد الروم من بلادكم ، فاستفزع هرمز ما ورد عليه من ذلك ، وجمع أكابر مملكته وعرض ذلك عليهم ، وشاورهم فيما يفعله ، فاجتمعت الآراء على قصد ملك الترك وحربه ، فندب إليه رجلاً من أهل الرأى والنجدة يقال له بهرام جوبين ، فاختر بهرام من العسكر اثني عشر ألفاً

(١) النكلة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للتعلي (ص ٦٤٢) .

(٢) بادغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرور الروذ .

من الكهول دون الشباب، وسار بهم حتى انتهى إلى هَـرَـاةَ^(١) وبادغيس، ولم يشعر شابه
 [شاه]^(٢) ملك الترك بهرام حتى وافاه ونزل بالقرب من معسكره، فكانت بينهما حروب
 كثيرة آخرها أن بهرام جوين قتل شابه برمية رماه^(٣) [بها] فاستباح عسكره، وأقام
 بهرام موضعه، فوافاه برمودة^(٤) بن شابه وكان يعدل بأبيه، فخاربه فهزمه بهرام
 جوين وحصره في بعض الحصون، ثم ألح عليه حتى استسلم له، فوجهه أسيرا
 إلى هرمز، وغنم كنوزا عظيمة، فيقال إنه حمل إلى هرمز من الأموال والجواهر
 والأواني وسائر الأمتعة وقرمائي ألف وخمسين ألف بعير في مدة تلك الأيام،
 فشكره هرمز على ذلك، وأمره أن يتقدم بمن معه إلى بلاد الترك فلم يره بهرام صوابا،
 ثم خاف سطوة هرمز.

- وَحِكِيَّ لَهُ أَنَّ الْمَلِكَ يَسْتَقِلُّ مَاحِلَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْغَنَائِمِ فِي جَنْبِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا،
 وَأَنَّهُ يَقُولُ فِي مَجَالِسِهِ قَدْ تَرَفَّعَ بِهَرَامٍ وَاسْتَطَابَ الدَّعَاةُ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْجُنْدُ خُفَافُوا مِثْلَ
 خَوْفِهِ. فَيَقَالُ إِنَّ بِهَرَامٍ جَمَعَ ذَاتَ يَوْمٍ وَجُوهَ عَسْكَرِهِ وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ثُمَّ خَرَجَ
 عَلَيْهِمْ فِي زِيَّ النِّسَاءِ وَبِيَدِهِ مِغْزَلٌ وَقَطَنَ حَتَّى جَلَسَ فِي مَوْضِعِهِ؛ وَحَمَلَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْ أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ مِغْزَلَ وَقَطَنَ وَوَضَعَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَامْتَعْضُوا مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرُوهُ
 وَقَالُوا: مَا هَذَا الزِّيَّ! فَقَالَ بِهَرَامٌ: إِنَّ كِتَابَ الْمَلِكِ وَرَدَ عَلَيَّ بِذَلِكَ وَلَا بَدَّ مِنْ
 امْتِثَالِ أَمْرِهِ إِنْ كُنْتُمْ طَائِعِينَ لَهُ، فَأَظْهَرُوا أَنْفَهُ وَحِمِيَّةَ وَأَجْمَعُوا كُلَّهُمْ عَلَى خَلْعِ

(١) هَـرَـاةَ : مدينة عظيمة مشهورة بخراسان خربها التتر، وكانت فتحت في أيام عثمان رضي الله عنه.

(راجع تقويم البلدان لأبي الفداء).

(٢) التكملة من غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للعالبي (ص ٢٠٤).

(٣) زيادة يقتضها السياق.

(٤) كذا في تاريخ الطبري (ص ٩٩٣ من القسم الأول طبعة أوربا). وفي تاريخ ابن الأثير

(ج ١ ص ٣٤٢ طبعة أوربا): « برمودة بن شابه » وفي الأصول: « رمودة ».

هرمز ، فخلعوه وأظهروا أن آبنه كسرى أبروز أصلح لللك منه ، وساعدهم على ذلك خلق كثير من كان بحضرة هرمز .

ولما اتصل ذلك بهرمز أنفذ جيشا كثيفا مع بعض قواده لمحاربة بهرام جوين ، فأشفق أبروز من الحديث وخاف سطوة أبيه بهرام ، فهرب إلى أذربيجان ، فاجتمع إليه هناك عدة من المرازبة ومن الأصهبذين ، فأعطوه بيعتهم ولم يُظهر أبروز شيئا ، وأقام بمكانه إلى أن بلغه قتل القائد الذي كان قد بعثه هرمز لمحاربة بهرام جوين ، وهو أذبيحشيش ، وهزيمة الجيش الذي كان معه واضطراب أمر هرمز أبيه ، وكتبت أخت أذبيحشيش إلى كسرى أبروز تخبره بضعف أبيه هرمز ، وأعلمته أن العطاء والوجوه قد أجمعوا على خلعه ، وأن بهرام جوين إن سبقه إلى المدائن احتوى على الملك . قال : ولم يلبث العطاء أن وثبت على هرمز وفيهم بندويه وبسطام خلاا أبروز وخلعوه وسملوا عينيه ، وتركوه تحزجا من قتله . فكان ملكه إلى أن خلع وسُمل اثنتي عشرة سنة .



ثم ملك بعده آبنه كسرى أبروز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . قال : ولما ملك بادر بن معه إلى المدائن وسبق إليها بهرام جوين وتزوج وجمع إليه الوجوه والأشراف ، وجلس على السرير ومناهم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فاستبشر الناس به ودعوا له وأجابوه ودخلوا تحت طاعته . فلما كان في اليوم الثاني أتى إلى أبيه فسجد له ، واعتذر وقال : إنك تعلم أيها الملك إنني برىء مما جناه إليك هؤلاء القوم الذين فعلوا بك ما فعلوا ، وإنما هربتُ خوفا منك وإشفاقا على نفسي ، فصدقه هرمز وقال : يا بني ! إن لي إليك حاجتين فأسعفني بهما ، إحداهما : أن

(١) في تاريخ الطبري (ص ٢١٦٩ من القسم الأول طبعة أوربا) في كلامه على السفاطية بكسر :

« أبنا خال كسرى بندويه ويزويه أبنا بسطام » .

تنتقم لي ممن عاون على خلعي وسَمَل عيني ولا تأخذك بهم رافة ، والأخرى تُؤنسني كل يوم بثلاثة نفر من لهم أصالة رأي ، وتأذن لهم بالدخول إلى ؛ فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيها الملك ، إن المارق بهرام قد أطلنا^(١) ومعه أهل الشجاعة والنجدة ، ولسنا نقدر أن نمد يدا إلى من أتى إليك ما أتى ؛ فإنهم وجوه أصحابك ؛ ولكن إن أمكنني الله من المنافق فأنا خليفتك وطوع أمرك .

قال : وأما بهرام جوين فإنه ورد إلى النهر وان ، فخرج كسرى أبرويز إليه وواقفه بها وجعل النهر بينه وبينه ، ودار بينهما كلام كثير . كل ذلك في استصلاح بهرام ورجوعه إلى الطاعة ، وهو لا يُجيب إلى ذلك ولا يرد إلا ما يسوء أبرويز حتى يئس منه وأجمع على حربه والتقوا واقتتلوا . وكان بينهما أخبار كثيرة وأحاديث طويلة آخرها أن أبرويز ضَعَف عنه بعد أن قتل بيده ثلاثة نفر من الأتراك ، وكانوا من أشدهم وأعظمهم شجاعة ووسامة ، وكانوا قد التزموا لبهرام بقتل أبرويز ، وضمن لهم بهرام على ذلك أموالا عظيمة .

قال : ثم رأى أبرويز من أصحابه فتورا فسار إلى أبيه وشاوره فرأى المسير إلى الروم ، وأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة فيهم يندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ؛ لأنه كان معاديا لأخيه ، شديد الطاعة والنصيحة لأبرويز . فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام ، وأشفقوا أن يرد هرمز إلى الملك ، ويكتب ملك الروم عن هرمز في ردهم فيتلفوا ؛ فذكروا ذلك لأبرويز واستأذنه في إتلاف هرمز فلم يُجِر جوابا ، فانصرف يندويه وبسطام وطائفة معهما إلى هرمز فحقوه ثم رجعوا إلى كسرى فقالوا : سر على خير طالع ، وأمين طائر ؛ فقتلوا دوابهم وساروا إلى الفرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له : خرشيدان

(١) أطلنا : أشرف علينا .

وساروا الى بعض الديارات التي في أطراف العبارة ، فلما أوطئوه للراحة لحقتهم خيل بهرام جويين ، فلما نذروا بهم أنبه بندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل لنفسك فإن القوم قد طلبوك . فقال كسرى : ما عندي حيلة . فقال بندويه : إني سأحتال لك بأن أبذل نفسي دونك ؛ قال : وكيف ذلك ؟ قال : تدفع لي ثوبك وزينتك لأخلو الدير وتجو أنت ومن معك من وراء الدير ، فإن القوم إذا وصلوا ورأوا هيتك على اشتغلوا بي عن غيري ، وطاولتهم حتى تفوتهم ، ففعل ذلك . وخرج أبرويز ومن معه ، ثم وافق خيل بهرام الدير وعليهم قائد لهم يقال له بهرام ابن سياوش فاطلع عليهم بندويه من فوق الدير وعليه زينة أبرويز وثيابه ، وأوهمهم أنه هو ، وسأله أن ينظره الى غد ليصير في يده سليما ريسا به الى بهرام جويين ، فأمسك عنه وحفظ الدير ليلة كاملة بالحرس . فلما أصبح اطلع عليه في بزته وحليته وقال : إن علي وعلى أصحابي بقية شغل من استعداد وصلوات وعبادات فأمهلنا . ولم يزل يدافعه حتى مضى عامة النهار وأمعن أبرويز ، وعلم بندويه أنه قد فاتهم ، ففتح الباب حينئذ وأعلم بهرام سياوش بأمره ، فانصرف به الى بهرام جويين فخبسه . وأما بهرام جويين فإنه دخل المسدائن وجلس على سرير الملك ، وجمع العظماء فخطبهم وذم أبرويز ودار بينهم كلام ، فكان كلهم منصرفا عنه إلا أن بهرام تتوج وانقاد له الناس خوفا ، ثم إن بهرام بن سياوش واطأ بندويه على الفتك بهرام جويين ، فظهر بهرام على ذلك ، فقتل سياوش وأفلت بندويه ولحق بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية فكتب ملك الروم منها ، وراسله بجميع من كان معه وسأله نصرته ، فأجابه الى ذلك وزوجه ابنته مريم وحملها إليه ، وأمدته بثيادوس أخيه ومعه ستون ألفا من المقاتلة ، عليهم رجل يقال له سرجس ، يتولى تدبير

(١) في تاريخ الطبري (ص ٩٩٨ من القسم الأول طبع أوربا) : « أطلوك » .

أمرهم ، ورجل آخر من أبطال الروم ، كان يعدّ بينهم بألف رجل ، وسأله ترك
الأتاوة التي كان أبوه ومن قبله من ملوك الفرس يستأدونها من ملوك الروم إذا هو
ملك ، فأجابه الى ذلك ، وفرح بالجيش الذي أمته به ملك الروم ، واغبط بهم
وأراحهم خمسة أيام ، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء وسار بهم حتى نزل من
أذربيجان في صحراء تدعى الدنق ^(١) فوافاه هناك بندويه ورجل من أصهبندى الناحية
يقال له موسيل في أربعين ألف مقاتل ، فانضموا إليه ، ووافاه الناس بالخيول من
أصبهان وفارس ، وانتهى الى بهرام جويين مكانه بصحراء الدنق ، فشخص نحوه
من المدائن ، بغرت بينهما حروب شديدة قتل فيها الكي الرومي بضربة ضربه بها
بعض الفرس على رأسه فقد رأسه وبدنه ، وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي الى المعركة .

- ١٠ فلما رآه أبرويز استضحك ، فعظم ذلك على الروم وعاتبوا أبرويز وقالوا له : هذا
جزاؤنا منك ! يقتل كيتا وواحد عصره في طاعتك وبين يديك ونصحك ونصرتك
وأنت تضحك لقتله ! فاعتذر بأن قال : إني والله ما ضحكتم لتكروهن . ولقد شقّ عليّ
أن فقدت مثله أكثر مما شقّ عليكم ، ولكني رأيتم تستصغرون شأن جويين وتكرون
هزبي منه ، فذكرت ذلك من قولكم الآن وعلمت أنكم برؤيتكم هذه الضربة
تعيدروني وتعلمون يقينا أن هزبي إنما كان من أمثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ
١٥ نكايتهم في الأبطال . ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفردا عن العسكر بأربعة عشر
رجلا منهم كردى أخو جويين وبندويه وبسطام حربا شديدا وصل فيها بعضهم
الى بعض ، وآخر الأمر أن أبرويز استظهر استظهارا يئس منه بهرام جويين ، وعلم

(١) كذا في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٠ من القسم الأول طبع أوروبا) وفي الأصل وردت هكذا

٢٠ « الرق » بأهمال الحرف الذي قبل القاف . وفيه مصحح الطبري بالهامش بأنها وردت في بعض النسخ
هكذا : « الرق ، الرق ، الدق ، الرق » .

أنه لا حيلة له فيه ولا قدرة عليه ، فانحاز عنه نحو خراسان ، ثم سار الى الترك ، وسار أبرويز الى المدائن بعد أن فرق في الجنود من الروم أموالا عظيمة وصرفهم الى ملك الروم .

قال : ولبت بهرام جوبين في الترك مكروما عند الملك حتى احتال عليه كسرى أبرويز بتوجيهه رجلا يقال له هرمن الى الترك بجوهر نفيس وغيره من الهدايا الى امرأة ملك الترك حتى دسّت لبهرام من قتله ؛ فاعتمّ خاقان لموته وأرسل الى أخته كردية وأمراة يعلمهما بلوغ الحوادث ببهرام ، وسأل كردية أخت بهرام أن يتزوجها وفارق أمراة خاتون بهذا السبب ، فأجابته كردية جوابا ليئا ، ثم ضمت إليها من كان مع أخيها بهرام من المقاومة ، وخرجت بهم من بلاد الترك الى حدود مملكة فارس ، فأتبعها ملك الترك أخاه نظراً^(١) في آتني عشر ألف فارس . فيقال إن كردية قاتلت وقتلت نظرا بيسدها ، ومضت لوجهها حتى بلغت حدود أرض فارس ، وكتبت الى أخيها كردى فأخذ لها أمانا من أبرويز ، فلما قدمت عليه اغتبط بها وتزوج بها أبرويز .

قال : ولم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذي نصره وأمدّه ويهاديه الى أن وثبت الروم عليه في شيء أنكره منه فقتلوه وملّكوا غيره ، فبلغ ذلك أبرويز فآلم له وأوى الى أبرويز ابن الملك المقتول ، فتوجه أبرويز وملّكه على الروم ، ووجه معه جنودا كثيفة مع شهر ياز فدوخ بهم البلاد . وملك صاحب كسرى بيت المقدس وأخذ خشبة الصلب وبعث بها الى كسرى ، وذلك في أربع وعشرين سنة من ملكه ، ثم احتوى على مصر والاسكندرية وبلاد النوبة ، وبعث مفاتيح ثغر الإسكندرية الى كسرى في سنة ثمان وعشرين من ملكه ، وقصد قسطنطينية فأناخ

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « بطرا » .

على ضفة الخليج الذى هو بالقرب منها وخيم هنالك ، فأمره كسرى نغزب بلاد
الروم غضبا على أهلها لما اتهموا من ملكهم وانتقاما له ، ومع ذلك لم يخضعوا
لأبن ملكهم المقتول ولا منحوه الطاعة ، ولا مال إليه واحد منهم ؛ غير أنهم قتلوا
الملك الذى ملكوه عليهم بعد أبيه المسمى قوقا لما ظهر لهم من بخوره وسوء تدبيره ؛
وملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل . فلما رأى هرقل عظم ما فيه أهل بلاد الروم
من تحريب جنود فارس بلادهم ، وقتلهم مقاتلتهم ، وسبيهم ذراريتهم ، واستباحيتهم
أموالهم تضرع إلى الله وأكثر الدعاء وابتهل . فيقال إنه رأى فى منامه رجلا ضخم
الجنة رفيع المجلس قد دخل عليه ، فدخل عليهما داخل فالتقى ذلك الرجل عن مجلسه
وقال لهرقل : إني قد أسلمته فى يدك ، فلم يقصص رؤياه تلك فى يقظته على أحد
حتى توات عليه أمثاله ، فرأى فى بعض لياليه كأن رجلا دخل عليهما وبينده
سلسلة طويلة فالتقاها فى عنق صاحبه ، أعنى صاحب المجلس الرفيع ، ثم دفعه إليه
وقال له : ها قد دفعت إليك كسرى برقبته .

فلما تابعت هذه الأحلام قصصها على عظماء الروم وذوى العلم منهم ، فأشاروا
عليه أن يغزوه ، فاستعد هرقل واستخلف أبنه على مدينة قسطنطينية ، وأخذ عن
الطريق الذى فيه شهر ياز صاحب كسرى وعدل إلى غيرها ، وسار حتى أوغل فى بلاد
أرمينية ونزل نصيين سنة ^(١) ، وكان صاحب ذلك الثغر من قبل كسرى استدعى
لمواعدة كانت من كسرى عليه . وأما شهر ياز فقد كانت كتب كسرى ترد عليه
فى الجثوم على الموضع الذى هو به وترك البراح ، ثم بلغه أن هرقل قد أقام بجنوده

(١) فى تاريخ الطبرى (ص ١٠٢ من القسم الأول) : « شهر ياز » وأشار مصححه بالهامش

إلى أنه ورد فى بعض المراجع : « شرسريان » و « شريزار » .

بنصيبين ، فوجه كسرى لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له : راهزار ^(١) في آثنى عشر ألف رجل من الأتجاد ، وأمره أن يقيم بيننوى - وهى الموصل - على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يجزوها . وكان كسرى بلغه خبر هرقل ، وهو يومذاك بدسكرة ^(٢) الملك ، فنفذ الجيش لمنعه من جواز دجلة ، فعسكروا حيث أمرهم كسرى ، فقطع هرقل دجلة من موضع آخر الى الناحية التى فيها جنود فارس ، فأذكى راهزار العيون عليه ، فأخبروه أن هرقل فى سبعين ألف مقاتل ، فأيقن راهزار ومن معه من الجند أنهم عاجزون عن مناهضته ، فكتب الى كسرى غير مرة أن هرقل قد دهمه بما لا طاقة له به ولا قبل من الجنود الكثيرة . كل ذلك يحميه كسرى بأنه إن عجز عن الروم فلن يعجز عن استقبالهم ، وبذل دماء الفرس فى طاعه .

فلما تابعت على راهزار أجوبة كسرى بذلك عبا جنده وناهض الروم بهم ، فقتلت الروم راهزار وستة آلاف رجل من الفرس ، وانهمز بقيتهم وهربوا على وجوههم لايملون على شىء ، وبلغ كسرى ذلك فانهاز من دسكرة الملك الى المدائن ، وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل ، وسار هرقل يبيوش الروم حتى كان قريبا من المدائن ، فاستعد كسرى لقتاله ، فلما بلغه ذلك أنصرف الى أرض الروم ، وكتب كسرى الى قواد الجند الذين انهزموا يأمرهم أن يدلّوه على كل رجل انهزم منهم ، ومن قُبل فى تلك الحرب ، ولم يربط مركزه ، وأمر يعقوبتهم بحسب ما استوجبوا ، فأحوجهم بهذا الكتاب الى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب الى شهر ياز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ويصف ما نال هرقل منه ومن بلاده .

(١) كذا فى تاريخ الطبرى ، وكتب مصححه بهامشه : « راهزاذ » ، وفى الأصل : « زامراد » .

(٢) الدسكرة : بناء شبه قصر حوله بيوت يكون للوك (المعرب للجوالق) .

وقد حكى أن كسرى عرّف أن له امرأة في فارس لا تلد إلا الملوك والأبطال فدعاها وقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك فاشيرى عليّ أيّهم أستعمل ، فوصفت له أولادها فقالت : هذا فرخان أهد من سنان ، وهذا شهر ياز ^(١) أحكم من كذا ، وهذا فلان أروع من كذا ، فاستعمل شهر ياز ، فسار إلى الروم فظهر عليهم وهزمهم وخرب مدائنهم .

٦٤
١٣

فلما ظهرت فارس على الروم جلس في بعض الأيام فرخان يشرب ، فقال فرخان لأصحابه : لقد رأيت أني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كلمته كسرى ، فكتب إلى شهر ياز : إذا أتاك كتابي هذا فأبعث إلى برأس فرخان ، فكتب إليه : أيها الملك ، إنك لن تجد مثل فرخان ، وإن له نكايّة في العدو وصيتاً فلا تفعل ، فكتب إليه : إن في رجال فارس خلفاً منه ، فعجل إلى برأسه ، فراجعته فغضب كسرى ولم يجبه ، وبعث برّيدا إلى أهل فارس : إني قد نزلت عنكم شهر ياز وأستعملت فرخان ، فألقاه شهر ياز وقال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره وجلس عليه فرخان ، ثم دفع البريد صحيفة صغيرة إلى فرخان كان كسرى قد أعطاها له وقال له : إذا ألقاه شهر ياز إلى طاعة فرخان فأعط فرخان هذه الصحيفة ، فلما قرأها فرخان قال : على شهر ياز ! فأتي به فقدم ليضرب عنقه فقال : لا تعجل عليّ حتى أكتب وصيتي ، ثم دعا بسفّط وأخرج منه ثلاث صحائف ، وهي التي كان كسرى أمر شهر ياز فيها بقتل فرخان وقال له : كل هذه راجعت كسرى فيها عنك ، وأنت تريد أن تقتلني بكتاب واحد ؟ فردّ الملك ^(٢) إلى أخيه واعتذر

(١) في تاريخ الطبري (ص ١٠٠٧ من القسم الأول طبع أوربا) : « شهر ياز » وقد ورد فيه

هذا الخبر .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « عل » .

منه ، فكتب شهر ياز الى هرقل ملك الروم : إن لى إليك حاجة لا تحملها البرد ، ولا تبلفها الصُحف ، فألفني ولا تأتيني إلا فى خمسين رومياً ، فأتى أيضاً ألكاك فى خمسين فارسياً ، فأقبل هرقل فى خمسمائة ^(١) [ألف] رومى ، وجعل يضع العيون بين يديه فى الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، فأنته عيونه أنه ليس مع شهر ياز إلا خمسين رجلاً .

قال : ثم ألقياً وقد بسط لهما فى قبة من الديباج ضربت لهما ، فأجتمعا ومع كل واحد منهما مسكين ، ودعوا ترجمانا يترجم لكل منهما عن قول الآخر ؛ فقال شهر ياز لهرقل : إن الذين خربوا مدينتك وبلغوا منك ومن جُندك ما بلغوا أنا وأنى بشجاعتنا وكبدنا ، وإن كسرى حسدنا وأراد قتل أنى وكتب إلى بقتله فأبيت ، ثم أمر أنى أن يقتلنى وقد خلعتاه جميعاً ونحن تقاتله معك . قال : قد أصبتما ووفقتما ، ثم أشار أحدهما الى صاحبه : إن السر إنما يكون بين اثنين فإذا جاوز اثنين فشا ، قال الآخر : نعم ، فقاما جميعاً الى الترجمان بسكينيهما فقتلاه ، وأتفقا على قتل كسرى أبرويز .

وما أتفق فى أيامه من الحوادث يوم ذى قار ، وسنذكره - إن شاء الله تعالى - فى أيام العرب ووقائعها ، ولم نذكر فى هذا الموضع يوم ذى قار على سبيل الإيراد له بل على سبيل التنبيه عليه .

ذكر حيلة لأبرويز على ملك الروم

قال : كان أبرويز وجه رجلاً من جلة ^(٢) أصحابه فى جيش جرار الى بلاد الروم ، فنكأ ^(٣) فيهم ، وبلغ منهم ، وفتح الشام ، وبلغ الدرب فى آثار الروم ، فعظم أمره حتى خافه

(١) الكلمة من تاريخ الطبرى .

(٢) الجلة (بالكسر) : العظام السادة ذور الأخطار .

(٣) نكأ فى العدو : قتل فيهم وجرح وأخذ .

أبرويز، فكانت به بكائين ، يأمره في أحدهما أن يستخلف على جيشه من يشق به ، ويُقبل إليه ، ويأمره في الكتاب الآخر أن يُقيم بمكانه ، وأنه لما تدبر أمره ، وأجال الرأي لم يرَ مَنْ يُسَدُّ مَسَدَهُ ، ولم يأمن الخلل إن غاب عن موضعه ، وأرسل بالكائين رسولا من ثقافته وقال له : أعطه الكتاب الأول بالأمر بالقدوم ، فإن أجاب الى ذلك فهو ما أردت ، وإن كرهه وتناقل عن الطاعة فأسكت عليه أياما وأعلمه أن الكتاب الثاني ورد عليك وأوصله اليه ليقيم بموضعه . فخرج رسول كسرى حتى أتى صاحب الجيش ببلاد الشام فأوصل اليه الكتاب ، فلما قرأه قال : إنما أن يكون كسرى قد تغير لي وكره موضعي ، أو يكون قد أخلط عقله بصرف مثلي وأنا في تحر العدو ، فدعا أصحابه وقرأ عليهم الكتاب فأنكروه . فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل اليه الكتاب الثاني بالمقام وأوممه أن رسولا ورد به . فلما قرأه قال : هذا تخليط ولم يقع منه موقعا ، ودس الى ملك الروم من باطنه في إيقاع الصلح بينهما على أن يُجلى الطريق لملك الروم حتى يدخل الى بلاد العراق على غيرة من كسرى ، وعلى أن لملك الروم ما يقلب عليه من دون العراق ، وللفارسي ما وراء ذلك من بلاد فارس ، فأجابه ملك الروم الى ذلك وتحتجى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة ، وأخذ أفواه الطريق ، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا ^(١) ، وكسرى على غير استعداد ، وجنده متفرقون في أعماله . فلما أتاه الخبر وثب عن سريره وقال : هذا وقت حيلة ومكيدة ، لا وقت شدة ، وجعل ينكت الأرض مليا ، ثم دعا برق فكتب فيه كتابا صغيرا بخط دقيق الى صاحبه بالجزيرة يقول فيه : قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم وأطاعهم في نفسك ، وتخليصة الطريق حتى اذا تولى بلادنا أخذته من أمامه ، وأخذته ومن نديناه معك من خلفه فيكون في ذلك

٦٥
١٣

(١) قرقيسيا : مدينة بالجزيرة مصب نهر الحابور بالفرات .

بواره، وقد تمّ في هذا الوقت ما دبرناه، وميعادك في الإيقاع به يوم كذا وكذا، ثم دعا راهبا في دير بجوار مدينته وقال له: أيّ جار كنت لك، قال: أفضل جار، فقال: قد بدت لنا إليك حاجة، فقال الراهب: الملك أجل من أن يكون له إلى حاجة، ولكن عندى بذل نفسى، فما الذى يأمر به الملك؟ قال كسرى: تحمل لى كتابا الى فلان صاحبي، قال نعم، قال كسرى: ستم بأصحابك النصارى فأخفه، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى: أعلمت ما فى الكتاب؟ قال لا، قال: فلا تحمله حتى تعلم ما فيه. فلما قرأه أدخله فى جيبه ثم مضى. فلما صار فى عسكر الروم ونظر إلى الصّلبان والقسيسين وصحّيجهم بالتقديس والصلوات آحترق قلب الراهب وأشفق عليهم وقال فى نفسه: أنا شر الناس إن حملت بىدى حتف النصرانية، وهلاك هؤلاء الخلق، فصاح الراهب: أنا لم يحملنى الملك كسرى رسالة ولا معى كتاب، فأخذوه فوجدوا الكتاب معه، وقد كان كسرى أيضا وجه رسولا قبل ذلك وأمره أن يتر بعسكر الروم كأنه رسول الى كسرى من صاحبه الذى وافق ملك الروم معه كتاب فيه: إن الملك كان قد أمرنى بمقاربة ملك الروم، وأن أخدعه وأخلى له الطريق، فإخذه الملك من أمامه وأخذه أنا من خلفه، وقد فعلت ذلك، فرأى الملك فى إعلامى وقت خروجه اليه. فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ الكتاب وقال: قد عجبت من أن يكون هذا الفارسى معى على كسرى، ووافاه كسرى أبرويزمين أمكنته من جنده، فوجد ملك الروم قد ولى هارباً فاتبعه يقتل ويأسر من أدرك، وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم فأحب أن يحمل نفسه ويستتر ذنبه. فلما فاتته ما دبر خرج خلف ملك الروم يقتل فيهم ويأسر، فلم يسلم منهم إلا القليل.

ذكر سبب هلاك أبرويز وقتله

قال : وكان سبب ذلك تجبره وأحقاره للعلماء وعُتُوهُ ، وذلك أنه استخف بما لا يستخف به الملك الحازم ، وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه أحد من الملوك ، وبلغت خيله الى قسطنطينية وأفريقية ، وكانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا فيل واحد ، وخمسون ألف دابة ، ومن الجواهر والأواني والآلات ما يليق بذلك ، وأمر أن يُحصى ما جِي من بلاده وسائر أبواب المال سنة ثمانى عشرة من مُلكه ، فرفع إليه أن الذى جِي في تلك السنة من الخراج وسائر الأبواب كان ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر أن يُحوّل إلى بيت مال بُني بمدينة طيسفون من ضَرْب قيروز بن يزدجرد وقباد بن قيروز اثنتى عشرة ألف بَذرة من أنواع الجواهر وغير ذلك .

قال : فعتا وتجبر وآستهان بالناس والأحرار ، وبلغ من جرأته أنه رأى رجلا كان على حرس باب الحاصّة ، يقال له : زاذان قروخ ، فأمره أن يقتل كل مقيد في سجن من سجنونه ، فأحصوا من بالسجون من المقيدى فبلغوا ستة وثلاثين ألفا ، فلم يقدر زاذان قروخ على قتلهم ، وتوقف عن إمضاء أمر كسرى وأعد عِلا له فيما أمره به فيهم ، فكان هذا أحد الأسباب التى كسب بها كسرى عداوة أهل مملكته مع وجود أحقاره إياهم ، واستخفافه بهم ، وأطراحه لعظماهم . ومن ذلك أنه سلط عِجا ، يقال له : فرخان زاذ ، على الخراج فاستخرج بقاياهم منهم بئف وعذاب . ومن ذلك أنه أجمع على قتل الفل الذين أنصرفوا إليه من

(١) كذا في معجم البلدان لباقوت . وهى مدينة كسرى التى فيها الإبروان ، بينها وبين بغداد ثلاثة

فراخ . روى الأصل : « بطيسون » وتاريخ الطبرى : « طيسون » .

(٢) الفل (بالفتح) : الجماعة .

قَبْلَ هِرَقْلَ ، فَأَكَّدَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ بَغْضَهُ ، وَاسْتَطَالَ النَّاسُ مَذْتَهُ ، فَكَانَ نَتِيجَةُ ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعِظَاءِ أَنْصَرَفُوا إِلَى عَقْرِبَابِلَ ، وَفِيهِ شِيرَى بْنُ أِبْرُويزَمَعَ إِخْوَتَهُ ، وَقَدْ كَانَ كَسْرَى أِبْرُويزَمَعَ وَكُلِّ بِهِمْ مُؤَدِّينَ وَأَسَاوِرَ ، يُحْمَلُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يَجْتَمِعُ بِهِمْ مِنَ النَّاسِ ، وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنَ الْبَرَاخِ ، فَأَخَذَهُ الْعِظَاءُ وَأَقْبَلُوا بِهِ إِلَى مَدِينَةِ بَهْرَسِيرَ وَدَخَلُوهَا لَيْلًا ، نَفَى عَمَّنْ كَانَ فِي سِجُونِهَا وَأَخْرَجَهُمْ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفُلَّ الَّذِينَ كَانُوا غَلِبُوا وَفَزُوا مِنْ هِرَقْلَ وَأَمَرَ كَسْرَى بِقَتْلِهِمْ ، فَتَادُوا : قُبَادَ شَاهَنْشَادَ ، وَصَارُوا كُلَّهُمْ عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى رَحْبَةِ كَسْرَى ، فَهَرَبَ الْحَرَمُ ، وَأَنْحَازَ كَسْرَى بِنَفْسِهِ إِلَى بَاغِ لَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ قَصْرِهِ ، يَعْرِفُ بَاغَ الْهِنْدُوَانِ ، فَأَرَأَ مَرَعُوبًا ، فَأَخَذَ وَحُسَّ بِمَكَانٍ غَيْرِ دَارِ الْمَلِكَةِ ، فِي دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ : مَارَا سَقَنْدَ ، إِلَى أَنَّ قُتِلَ بَعْدَ حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَمُرَاسَلَاتٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ شِيرَى بِمَوَاطَاةِ الْعِظَاءِ ، بَعْدَ تَقْرِيعٍ عَظِيمٍ ، وَتَوْبِيخٍ كَثِيرٍ ، عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَمِنْ سُوءِ تَدْبِيرِهِ ، وَقُبْحِ فَعَالِهِ ، وَهُوَ يَجْبِيهِمْ بِأَجُوبَةٍ إِقْنَاعِيَّةٍ ، وَلَهُ مَرَاسِلَاتٌ وَوَصَايَا كَتَبَهَا إِلَى ابْنِهِ مِنَ السَّجْنِ ، قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ . وَكَانَ هَالِكَهُ بَعْدَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . وَبِمَضَى آثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مُلْكِهِ ، كَانَتْ هِجْرَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

معين التارخ لأهل التارخ

(١) عَقْرِبَابِلَ : مَوْضِعٌ قَرِيبُ كَرْبَلَاءَ مِنَ الْكُوفَةِ .

(٢) هَكَذَا يُسَمِّيهِ الْعَرَبُ فِي كَتَبِهِمْ ، وَالْفَرَسُ يُسَمُّوهُ : « شِيرُوبَه » .

(٣) بَهْرَسِيرَ : مِنْ نَوَاحِي سَوَادِ بِلَادِ قَرِيبِ الْمَدَائِنِ . وَقِيلَ : هِيَ إِحْدَى الْمَدَائِنِ السَّبعِ الَّتِي حَمِلَتْ بِهَا الْمَدَائِنُ .

(٤) وَرَدَّ فِي هَاشِمِ نَسْخَةِ حَاشِيَةِ نَصْبِ : « الْبَاغُ : الْبَيْتَانِ » .

(٥) كَذَا فِي تَارِيخِ الطُّبْرِيِّ . وَفِي الْأَصْلِ : « بَاغُ الْهِنْدُوَانِ » .

قال : ولما قُبِضَ على كَسْرَى خَلَفَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مِنَ الْوَرِقِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ
بَدْرَةِ سَوَى الْكَنْزِ وَالذَّخَائِرِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْآلَاتِ .

وكان وزيره والقائمُ بتدبير دولته بُزْرَجِمِهْرُ الْحَكِيمِ . وَلِبَزْرَجِمِهْرٍ هَذَا قَضَايَا
وَحِكْمٌ وَمَوَاعِظٌ فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَيُقَالُ : إِنَّ بُزْرَجِمِهْرَ هَذَا إِنَّمَا كَانَ وَزِيرًا لِكَسْرَى
أَنُوشِروَانَ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ . وَذَلِكَ أَنَّ بُزْرَجِمِهْرَ تَرَكَ الْمَجُوسِيَّةَ وَرَجَعَ إِلَى دِينِ
عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانَ بِهِ ، فَقَتَلَهُ كَسْرَى لِذَلِكَ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ وَجَدَ
فِي مَنْطَقَتِهِ لِمَا قُتِلَ كَتَّابٌ فِيهِ : إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْخُرُصُ بَاطِلٌ ، وَإِذَا كَانَ
الْقَدَرُ فِي النَّاسِ طَبَاعًا فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ نَازِلًا فَالطَّمَأِينَةُ إِلَى
الدُّنْيَا حَقٌّ .

- ١٠ قالوا : ولما بَلَغَ بُزْرَجِمِهْرٌ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً دَخَلَ عَلَى كَسْرَى ،
وَقَدْ جَلَسَتْ الْوُزَرَاءُ عَلَى كُرَاسِيهَا وَالْمَرَازِبَةِ فِي مَجَالِسِهَا . فَوَقَفَ وَحَيَّا الْمَلِكَ بِحَيَّةِ
الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَأْمُونِ نِعْمَهُ ، الْمَرْهُوبِ نِقْمَهُ ، الدَّالِّ عَلَيْهِ ، بِالرَّغْبَةِ
إِلَيْهِ ، الْمُؤَيَّدِ الْمُلْكِ ، بِسَعُودِهِ فِي الْقُلُوكِ ، حَتَّى رَفَعَ شَأْنَهُ ، وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ ، وَأَنَارَ
بِهِ الْبِلَادَ ، وَأَنَعَشَ بِهِ الْعِبَادَ ، وَقَسَمَ بِهِ فِي التَّقْدِيرِ ، وَجَوَدَ التَّنْدِيرِ ، فَرَعَى رِعْيَتَهُ
بِفَضْلِ نِعْمَتِهِ ، وَحَمَّاهَا الْمَوَالِيَتِ ، وَأَوْرَدَهَا الْمُعْشِبَاتِ ، وَزَادَ عَنْهَا الْأَكَالِينَ ،
وَأَلْفَهَا بِالرَّفَقِ وَاللِّينِ ، إِنْعَامًا مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَتَثْنِيًا لِمَا فِي يَدَيْهِ . وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَبَارِكَ
لَهُ فِيمَا آتَاهُ ، وَيُخَيِّرَ لَهُ فِيمَا أَسْتَرْعَاهُ ، وَيَرْفَعَ قَدْرَهُ فِي السَّمَاءِ ، وَيَسِيرَ ذِكْرَهُ عَلَى وَجْهِ
الْمَاءِ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ بَيْنَهُمَا مَنَآوَى ، وَلَا يُوجَدَ لَهُ مَسَاوَى . وَأَسْتَوْهَبُ اللَّهَ لَهُ

(١) الورق : الدراهم المضروبة من الفضة .

(٢) المرازبة : رؤساء الفرس .

(٣) الأمل : « ودادها » والسياق يقتضى ما أشتبه .

حياة لا يتنقص فيها ، وقُدرة لا يبيد أحدٌ عنها ، ومُلْك لا بُؤس فيه ، وعافية تُديم له البقاء ، وتُكثر له النماء ، وعزاً يؤمنه من انقلاب وعيته ، أو هجوم بليته ، فإنه مؤتي الخير ، ودافع الشر .

فلما سمعه كسرى أمر فُحْشِيَّ فنه بثنقيس الجواهر ، ولم تمنعه حدائثُ سنه أن استوزره ، وفلذة خيره وشره ؛ فكان أول داخل ، وآخر خارج . وكان أبوه حامل القدر ، وضيع الحال ، سفيه المنطق ، اسمه البختكان .

قال : ولما قُبِضَ على أبرويز ملك بعده ابنه : قُبِاذ بن أبرويز ويعرف قُبِاذ بشيروه . وقُبِاذ هذا هو القابض على أبيه والقاتل له ، وقتل سبعة عشر أخاه ، وقيل ثمانية عشر ، ذوى آداب وشجاعة ؛ فكان عاقبة ذلك أن الله عز وجل ابتلاه بالأسقام ، فانتقض عليه بدنه ، ولم يلد بشئ من ملاذ الدنيا ، وجرع بعد قتل إخوته جرعا شديدا ؛ وكان يبكي حتى يرمى التاج عن رأسه ، وعاش ما عاش مهموما حزينا مدنفا . وفي أيامه فشا الطاعون فأهلك أكثر الفرس . وكان ملكه ثمانية أشهر ، وقيل أكثر من ذلك .

وملك بعد وفاته ابنه أَرْدَشِير بن شِيرويه وهو ابن سبع سنين ولم يوجد من يبت الملك غيره .

قال : ولما ملكته الفرس عليها حبضه رجل يقال له : مهادر حشيس^(١) ، فأحسن سياسة الملك . وكان شهر براز المقيم بشفروم في جند ضمهم إليه كسرى أبرويز^(٢)

(١) كذا في تاريخ الطبري ، وفي الأصول : « مهادر حشيس » بالميم ، وفي موضع آخر : « بهادر حشيس » بالباء .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وهو ماه إسفندار . وفي الأصل : « شهر بران » .

وأبنة شيرويه ، وكافا يكتبان اليه ويستشيرانه في الأمر الذي يهمهما ويعملان
 برأيه . فلما مات شيرويه ومَلَكَتُ الفُرس عليها أبنة أردشير - مع حداثة سنه - لم
 يشاوره عظماء الفرس في ذلك ، فعظم عليه أفرادهم عنه ، وجعل تلك ذنباً لهم ،
 وبسط يده وطمع في المُلْك ، وأستهان بعظماء الفرس ، ودعا الناس لنفسه ، وأقبل
 بجُنْدِه نحو المدائن ، فعمد مهاذِر جُشنَس الى مدينة طَيْسَبُون ، فخصنها وحول أردشير
 ومن بقي من نَسْلِ الملوك ونسائهم والأموال والخزائن والكِرَاع^(١) وغير ذلك إليها ،
 فورد شهر برآز الى مدينة طَيْسَبُون وحاصرها ونصب عليها المجانيق ، فمَجَزَ عنها
 لحصاتها ، فأخذ في أعمال المكاييد والحيل ، فلم يزل يتلطف برجل يقال له : نيوخسرو
 ويراسله هو وغيره ، حتى فتحوا له باب المدينة فدخلها ، وقتل جماعة من الرؤساء
 وأستصفى أموالهم وقتل أردشير بن شيرويه . وكان مُلْكُه سنة ونصفاً ، وقيل :
 إنما ملك نصف سنة ، وقيل : خمسة أشهر .

وملك بعده شهر برآز ، وقيل فيه : قَهْرِيَار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة .
 قال : ولما جلس على سرير المُلْك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه
 أنه لم يقدر على إتيان الخلاء ، فدعا بالطست ، فوضع أمام ذلك السرير ، ومد أمامه
 ما يستربه ، وبقي يتبرز في ذلك الطست .

قال : ثم أمتصَّ رجلٌ يقال له : فُسْفُورُخ^(٢) [بن مائرشيدان^(٣)] وأخوان له من
 قتل شهر برآز أردشير بن شيرويه وغلبته على المُلْك ، فتحالفوا على قتله . وكان
 من السنة إذا ركب الملك أن يحفَّ له حرسه سمّاطين عليهم الدروع والبيض ،

(١) الكراع (بالضم) : يطلق على الخيل والبغال والخيول .

(٢) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصل : « اسفروج » .

(٣) الحكمة من تاريخ الطبري .

وبأيديهم السيوف والتّراس والرمّاح؛ فإذا حاذاهم الملك وضع كلّ واحدٍ منهم تُرسه على قَرَبُوسٍ مَرَّجِه، ثم يضع جبهته عليه كهيئة السجود .

قال : وأنفق ركوب شَهْرَ بَرّاز في بعض الأيام فوقف فُسْفَرُوخ وأخواه وهم بالقرب من بعضهم بعضاً، فلما حازاهم شهربراز طعنه فُسْفَرُوخ، ثم طعنه أخواه فسقط عن دابّته، فشذوا رجلاه بحبل وجرّوه إقبالاً وإدباراً ساعةً، وساعدهم العظاء^(٢) على ذلك، وقتلوا جماعةً من كان قد ساعد شَهْرَ بَرّاز على قتل أردشير . فكان مُلكه أربعين يوماً، وقيل عشرين يوماً .

وملكت بعده بُوران بنت كسرى أبرويز ويقال لها : بوران دخت . قال : فأحسنَت السيرة وبسطت العدل، وأمرت برم القناطر والجسور، وإعادة ما تشعث من العمارات، ووضعت بقايا الخراج، وكتبت الى الناس عاقمة كتباً تعلمهم ما هي عليه من الإحسان، وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهية والاستقامة بمكانها، ومن العدل وحفظ الثغور ما يعلمون أنه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد، ولا بياسهم كُستَباح العساكر، ولا بمكائدهم ينال الظفر وتُطْفَأ النواثر؛ ولكن ذلك بالله عز وجل، وحسن النية واستقامة التدبير . وأمرت بالمناححة وحسن الطاعة، وردّت خشبة الصليب على ملك الروم . وكان مُلكها سنةً وأربعة أشهر .

ثم ملك رجلٌ يقال له : جُشْنَسَده وهو ابن عم أبرويز، وكان مُلكه أقل من شهر، وقيل : إن الذي ملك يَزْدَجَرْد بن كسرى وهو طفل .

(١) التراس (بالكسر) : جمع ترس، وهو صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .
(٢) في تاريخ الطبري (ص ١٠٦٣ من القسم الأول طبع أوربا) : « وساعدهم على قتله رجل من العظاء يقال له : زاذان فتزوج بن شهرداران، ورجل يقال : له ماهاي ، كان مؤدب الأساورة، وكثير من العظاء... الخ » .

ثم ملكت بعده آزر مِيدُخْت بنت كسرى أبرويز، وكانت من أجمل نساء
دهرها، وكان عظيم فارس يومئذ قَرُخْ هَرْمَزْ أَصْبَهَنْد خراسان؛ فأرسل إليها يسألها
أن تزوجه نفسها، فأرسلت إليه : التزويج للملكة غير جائز، وقد علمتُ أن أريك
فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك مني، فصر إلى ليلة كذا وكذا، ففعل وركب إليها
في تلك الليلة، وتقدمت إلى صاحب حرمها أن يرصده في الليلة التي توعدا للاكتفاء
فيها، فإذا رآه يقتله، فرصده صاحب الحرس؛ فلما جاء قتله وجرّ برجله وطرحه
في رجة دار الملك .

فلما أصبح الناس ورأوه علموا أنه لم يُقتل إلا لأمر عظيم، ثم أمرت بتغيب
جثته فغيبت . وكان رُسَمَ بن قَرُخْ هَرْمَزْ هذا — وهو رُسَمَ صاحب القادسية —
عظيم البأس، قويا في نفسه، فلما بلغه ما صنع بأبيه أقبل في جُند عظيم حتى نزل
المدائن؛ فقبض على آزر مِيدُخْت وسمّل عينها وقتلها بعد ذلك. فكانت مدة ملكها
سنة أشهر .

واختلف فيمن ملك بعد آزر مِيدُخْت، فقيل رجل من عقب أردشير بن بابك
كان ينزل الأهواز يقال له : كِسْرَى [بن] مِهْر جُشْنَسْ، فلبس التاج وقتل بعد
أيام . ويقال : بل كان رجل يسكن ميسان يقال له فيروز، فملكوه كُرْها . وكان
ضخم الرأس، فلما تَوَجَّح قال : ما أضيق هذا التاج ! فتطير العلماء من افتتاح الأمر
بالضيق وقتلوه . ثم أتى برجل من أولاد كسرى كان قد لجأ إلى موضع من الغرب
بالقرب من نصيبين، يقال له : « حصن الحجارة » حين قتل شيرويه بن كسرى أبرويز
إخوته، وهو قَرُخْ زاباذ خُسْرَوِ بن كِسْرَى أبرويز، فأنقذ الناس له طوعا زمانا

(١) كذا في تاريخ الطبري . وفي الأصول : « كسرى هرخشيش » .

(٢) كذا في تاريخ الطبري وغير أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ٧٣٧ طبع أوروبا) .

وفي الأصول : « قَرُخْ باذ » .

يسيراً ثم استعصموا عليه وخالفوه . وكان مُلكه ستة أشهر . وكان أهل اصطخر قد ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن أبرويز بأصطخر ، وكان قد هرب إليها حين قتل شيرويه إخوته . فلما بلغ عطاء أهل اصطخر أن من بالمدائن خالفوا الملك فرخ زاد خسرو أتوا بيزدجرد بيت نار أردشير ، فتوجوه هناك وملكوه ، وكان حدثاً ، ثم أقبلوا به إلى المدائن وقتلوا فرخ زاد خسرو بحيل احتالوها عليه .

وملك بيزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشير بن بهرام بن بيزدجرد بن سابور بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ، فلما كان العطاء والوزراء يدبرون الملك لحدائنه سنة ، وهو آخر الملوك الساسانية وعليه أقرضت دولتهم ، فلم تقم لهم قائمة ، وتردد إلى بلاد خراسان وإلى بلاد الترك ، وعاد فقتل بمرو من بلاد خراسان في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة لسبع سنين خلت من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وكانت مدة ملك بيزدجرد منذ ملك وإلى أن قتل عشرين سنة ، إلا أن فيها مدة لا يعد فيها مع الملوك ، لأنه كان مشرداً طريداً على ما نذكر أخباره مفصلة ، وكيف فتحت بلاده ومُدنه بلداً بلداً ، ومدينةً مدينةً في خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما .

فعدة ملوك الفرس الأول والساسانية على هذا المساق الذي ذكرناه أثنان وخمسون ملكاً منهم ثلاث نسوة . فالفرس الأول عشرون ملكاً منهم امرأة واحدة . والملوك الساسانية أثنان وثلاثون ملكاً فيهم امرأتان . وذكر بعض المؤرخين أن ملوك الفرس ستون ملكاً ، وأن مدة ملكهم أربعة آلاف سنة وسبعون سنة وشهوراً . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك اليونان وأنسابهم

قد تنازع الناس في اليونانيين، فذهبت طائفة منهم أنهم ينتمون إلى الروم
ويضافون إلى ولد إسحاق، وقالت طائفة: إن يونان هو ابن يافث بن نوح. وقال
آخرون: إنه يافث بن الأصغر. وذهب قوم إلى أنهم من ولد أوراش بن ماذان^(١)
ابن سام بن نوح. وذهب آخرون إلى أنهم من قبيل متقدم في الزمن الأول.

وقال المسعودي: وقد ذكر أن يونان أخو قحطان، وأنه من ولد عابر بن
شالخ، وأن أمره في الانفصال عن دار أخيه كان سبب الشك في الشركة في النسب،
وأنه خرج من أرض اليمن. وكان يونان جباراً عظيماً، وسيماً جسيماً. وكان جزل
الرأى، كبير الهممة، عظيم القدر. وهكذا ذكر يعقوب بن إسحاق الكندي
في نسب يونان أنه أخ لقحطان، ورد عليه أبو العباس [عبد الله بن محمد] الناشي
في قصيدته حيث قال:

أبا يوسف إني نظرت فلم أجِدْ على الفحص رأياً صحتك ولا عقداً
وصرت حكيماً عند قوم إذا أمرؤُ بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عهداً
أَتَقَرُّنُ الحاداً بدين محمد لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إذا
وتخلط قحطاناً بيونان ضلّةً لعمري لقد باعدت بينهما جدّاً

قيل: ولما كثر ولد يونان خرج يطلب موضعاً يسكنه، فأتى إلى موضع من
الغرب، فأقام به هو ومن معه من ولده، وكثر نسله إلى أن أدركه الموت، فجعل

(١) في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٢٧ طبع بلاق): «أوراش بن ياوران».

(٢) هذه عبارة المسعودي في مروج الذهب (ج ١ ص ١٢٧ طبع بلاق) وبصورة الأصل: «وإن

أمره كان في الاتصال عن ديار أخيه قحطان وأنه... الخ».

(٣) التكلة من المسعودي.

وصيته إلى الأكبر من ولده وأسمه جريبوش ، وأوصاه بأولاده وتسله ، ومات
وبقي أبنته على مكانه ، وكثر نسلهم فغلبوا على بلاد الغرب من الفريجية والنوكرية
والصقالية وغيرهم .

وذكر بطليموس في كتابه : أن أول ملك ملك من ملوك اليونانيين فيلبس
وتفسيره محب الفرس ، وقيل اسمه نفيلص ، وقيل فيلفوس ، وكانت مدة ملكه
سبع سنين .

ثم ملك بعده أبنته الإسكندر ذو القرنين وليس هو صاحب الحضرة
الله عنه . والإسكندر هذا هو الذي قتل دارا بن دارا ملك الفرس ، وثرعقد مملكة
فارس ، وقسّر ملوك الطوائف فيما ذكرناه .

وكان سبب قتله لدارا أن سائر الملوك كانت تؤدي الإتاوة إلى ملوك الفرس
منذ دقح بختنصر البلاد ، وذلك لهم الملوك على ما ذكرناه آنفاً في أخبار الفرس ،
ولا حاجة إلى إعادته .

قالوا : وكان فيلبس أبو الإسكندر قد صالح دارا على إتاوة يؤديها إليه في كل
سنة . فلما ولي الإسكندر وظهر أمره ، وكان بعيد الهمة ، فأمنع أن يؤدي إلى دارا
الخراج الذي كان يحمله أبوه إليه ، فأخط دارا ذلك ، فكتب إليه يؤنبه بسوء صنيعه
بتركه حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج وقال في كتابه : إنما دعاك إلى حبس ذلك
الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولجان وكرّة ويقف من السمسم . فيعلم بذلك أنه

إنما ينبغي لك أن تلعب مع الصبيان بالصولجان ولا تتفقد الملك ولا تلبث به ،
ويعلم أنه إن لم يقتصر على ما أمره به وتماطى الملك بعد أن أمره باعتزاله بعث
إليه بمن يأتيه به في وثاق . وأن عتة جنوده الذين يبعث بهم إليه كمدة حب السمسم
الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب ذلك : أنه قد فهم ما كتب به ، ونظر الى ما أرسله إليه من الصولجان والكزة وتبين به لإلقاء الملقى الكزة الى الصولجان وإحرازه إياها ، وأنه شبه الأرض بالكزة ، وتفاعل بملكه إياها وأحتوائه عليها ، وأنه يجترئ ملك دارا الى ملكه ، وبلاذه الى حيزه ، وأنه نظر الى السمسم الذي بعث به كنظره الى الصولجان والكزة لدسمه ، وبُعده عن المראה والحرافة ، وبعث الى دارا مع كتابه بصره من تحردل ، وأعلمه في الجواب أن ما بعث به إليه قليل ، غير أن ذلك مثل الذي بعث به في القوة والحرافة والمرارة ، وأن جنوده فيما وصف به منه .

فلما وصل الى دارا جواب كتاب الإسكندر . جمع جنوده وتأهب لحربه وسار نحو بلاده ، وتأهب الإسكندر أيضا للقاءه وسار نحو دارا ، فالتقيا جميعا بأرض الجزيرة وأقتلا سنة ، وقد كان دارا مله قومه وأحبوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجود الفرس بالإسكندر وأطلعوه على عورة دارا وقوّوه عليه ، ثم وثب على دارا حاجباه فقتلاه وتقربا برأسه إلى الإسكندر ، فلما أتوه بها أمر بقتلهما وقال : هذا جزاء من تجرأ على ملكه .

وقد ذكرنا أنه سبق إليه أسير غدر به صاحب شرطته ، فقال له الإسكندر : بما أجترأ عليك صاحب شرطتك ؟ قال : بتركى ترهيبه وقت إساءته ، وإعطائي إياه وقت الإحسان باليسير من فعله نهاية رغبته ، فقال الإسكندر : نعم العون على إصلاح القلوب الموعرة الترغيب بالأموال ، وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة ، ثم أمر الإسكندر بقتله .

(١) الحرافة : طعم يحرق اللسان والفم .

(٢) المراد بأرض الجزيرة : بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد . وقد سميت الواقعة التي اتحم فيها الجيشان (سنة ٣٣١ ق م) وقعة إربل لقرب ميدان الحرب من تلك المدينة (راجع تاريخ اليونان لرحوم محمود فهمى ص ٢٤٣ طبع مصر) .

وقد قيل : إنه لما هزمه الإسكندر فز جريحا فخرج في طلبه في ستة آلاف حتى أدركه ، ثم لم يلبث دارا أن هلك ، فظهر الإسكندر عليه الحزن ودقنه في مقابر الملوك .

وقيل : إن الإسكندر كان قد نادى ألا يقتل دارا وأن يؤسر . فلما علم الإسكندر بما تم على دارا سار حتى وقف عنده [فراه يحمود بنفسه] فزل [الإسكندر]^(٢) عن دابته وجلس عند رأسه ، وأخبره أنه ما أمر بقتله ، وأن الذي أصابه لم يكن عن رأيه . وقال : سألني ما بدا لك فإني أسعفك به ، فقال له دارا : لي اليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لي من الرجلين اللذين قتلتاني وسأهما له ، والأخرى أن تزوج أيتي روشك ، فأجابه الى ذلك ، وأمر بصلب الرجلين اللذين فتكا بدارا . ويقال : إن الرجلين اللذين قتلاه إنما فعلا ذلك عن رأى الإسكندر ، وأنه كان شرط لهما شرطا على قتله ، فلما طعناه دفع اليهما ما كان شرطه لهما ثم قال : قد وقيت لكما بالشرط ولم تكونا شرطيا لأنفسكما وأنا فأتلكما لا محالة ، فإنه ليس ينبغي لقتلة الملك أن يُستبقوا إلا بذمة لا تُخفَر ، فقتلها وصلبها .

(١) المعروف في كتب التاريخ أنه بعد انتصار الاسكندر واحتلاله مدينة بابل قرر الاسكندر متاعه الزحف جهة الشمال للقبض على دارا والقضاء على دولته ، فخرج دارا من قلب مملكته طريدا شريدا هائما على وجهه طالبا النجاة بنفسه والاسكندر لم يغمض عينا ولم يهدأ بالا مادام لم يقبض عليه . ذلك لعله بأنه قادر على المقاومة إما في الشمال من هضبة إيران ، وإما فيما وراء جبال باراميسا في سهول التركستان الفسيحة لأن سكان تلك الأقاليم الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة آرال وبين نهري سيحون وجيحون يعرفون الملك الفرس بالسيادة عليهم .

وبينا الاسكندر يفتنى أثره ، ويتبع خطاه اذ علم بأن المربان فسوس قبض عليه وقتله بالقرب من هيكاتيل لحزن لذلك حزنا شديدا ، واحتفل بتشييع جنازته احتفالا مهيبا ، وتبع القاتل حتى أدركه فلما بين النهرين وسله الى آل دارا قتلوه شر قتلة . (راجع تاريخ اليونان ص ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٢) التكة من تاريخ الطبري (ص ٦٩٦ من القسم الأول طبع أودبا) .

ويقال : إن الإسكندر في الأيام التي نازل فيها دارا كان يسير إليه بنفسه على أنه رسولٌ فيتوسط العسكر ويعرف كثيرا مما يحتاج إليه ، فكان دارا يستحسن سمته ، ويحسن صلته ومجازاته ، ثم آتاه ، وأحسن الإسكندر بذلك فما عاد إليه بعدها .

ذكر شيء من مكاييد الإسكندر وحيله في حروبه

- من ذلك أنه لما آتق بدارا يوم الحرب أمر مناديه فنادى : يا معشر الفرس ، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات ، فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل عن العسكر وله منا الوفاء بما ضمنناه ، فأتهمت الفرس بعضها بعضا ، وكان ذلك أول اضطراب حدث فيهم .

(١)

- ومن ذلك أنه لما شَخَص عن فارس الى أرض الهند تلقاه ملكها قور في جمع عظيم من الهنود ومعه ألف فيل عليها المقاتلة بالسلاح وفي خراطيمها السيوف والعمد ، فلم تقف لها دواب الإسكندر وفزت فكانت الهزيمة عليه ، فلما بلغ الإسكندر مأمته أمر بأخذ فيلة من نخاس مجوفة وربط خيله بين تلك التماثيل حتى ألفتها ، ثم أمر فُلِّتَ نَظْطَا وكبريتا ، وألبسها الدروع وجرت على العجل ، وعاود حرب الهند ، وجعل بين كل تماثيل جماعة من أصحابه . فلما نشبت الحرب أمر بإشعال النيران في أجواف تلك التماثيل وأنكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند ، فخرجت

٧٠
١٣

(١) كما ورد في هذا الكتاب (ج ١٤ ص ٣٢١ من هذه الطبعة) ومروج الذهب للسعودي

(ج ١ ص ٣٩ طبع بلاق) . وورد في هذا الموضع في نسخة (١) باسم : « ذر » . وفي نسخة (ب) باسم : « فوز » . وفي غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي (ص ٤١٦ طبع باريس سنة ١٩٠٠) : « فوز » .

(٢) في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « ففقد بصنة تماثيل مجوفة من النحاس والحديد تحكي

صور الرجال » .

البيزان من خراطيم التماثيل فوأت الفيلة مُديرة ورجعت على أصحابها ، فكانت الدائرة على الهند وقتل ملكهم قور .

ومما يُحكى عنه أنه نزل على مدينة حصينة فتحصن فيها أهلها ، فتعرف خبرها فقبل له : إن فيها من الميرة ما يكفيهم زمنا طويلا ، وإن بها من العيون والأنهار ما لا يقدر على قطعه ، فارتحل عنها ودس جماعة من التجار متنكرين ، فدخلوها وأمدتهم بالأموال الكثيرة ، وأمرهم أن يبتاعوا الأقوات ويغالوا في أثمانها ، ففعلوا ذلك حتى حازوا أكثر ما فيها . فلما علم الإسكندر بذلك كتب اليهم يأمرهم بإحراق ما حصلوه من الأقوات وأن يهربوا ، ففعلوا كما أمرهم ، وعاد الى المدينة وحاصرها وزحف عليها فأعطوه الطاعة وملك المدينة . وكان إذا أراد أن يحاصر مدينة شرد من حولها من أهل القرى وتهدهم بالسبي فيلجأوا الى المدينة ويعتصموا بها ، فلا يزال كذلك حتى يعلم أنه قد دخلها أضعاف أهلها وأسرعوا في الميرة فيحاصروهم حيثئذ فيفتح المدينة .

ومما يُحكى عنه أنه كتب الى معلمه أرسطاطاليس^(١) ، وكان الإسكندر يشاوره في كثير من أموره ، ويقتدى بآرائه ، ويعمل بما يشير به عليه ولا يعدل عنه . وأرسطاطاليس هذا هو تلميذ أفلاطون ، وأفلاطون صاحب الفراسة تلميذ سقراط .

(١) هو أعظم الحكماء الأقدمين ورأس الفلاسفة المصروفين بالمشائين لأنه كان من عادة إلقاء الدروس على تلاميذه في بستان وهو جنسى ، ومن هنا سمي مشاء ، وصمى أتباعه بالمشائين . ويعرف بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية ، وقد اختاره فيليس أستاذا لأبيه الاسكندر وأرسل اليه خطابا يقول فيه : « إننى لأهني نفسي بولادة أبني بمقدار ما أهنتها بولادته في أيامك » . وكان الاسكندر في السنة الثالثة عشرة من عمره . فعله وهذبه . وكان له منزلة وتقود عند فيليس وأبنته وأقام على ذلك سنين عديدة (راجع تاريخ اليونان لفرحوم محمود فهمى)

وَيُحَكِّى عَنْ أَفْلَاطُونِ أَنَّهُ كَانَ يَصَوِّرُ لَهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ لَمْ يَرِهِ قَطُّ وَلَا عَرَفَهُ فَيَقُولُ :
صَاحِبُ هَذِهِ الصُّورَةِ مِنْ أَخْلَاقِهِ كَذَا ، وَمِنْ هَيْئَتِهِ كَذَا ، فَيَكُونُ الرَّجُلُ كَمَا أَخْبَرَ
عَنْهُ ، فَيَقَالُ : إِنَّهُ صَوَّرَ لَهُ صُورَةَ نَفْسِهِ ، فَلَمَّا عَايَنَهَا قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مَحَبٌّ فِي الزَّانَةِ
فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهَا صُورَتُكَ ، فَقَالَ : نَعَمْ أَنَا كَذَلِكَ ، وَلَوْلَا أَنِّى أَمْلِكُ نَفْسِى لَفَعَلْتُ
وَأَنِى لَمَحَبٌّ فِيهِ .

نَرْجِعُ إِلَى أَخْبَارِ الإسْكَندَرِ فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ وَمَا أَجَابَهُ بِهِ قَالُوا : إِنَّهُ
كَتَبَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ أَنَّ فِي عَسْكَرِهِ مِنَ الرُّومِ جَمَاعَةً مِنْ خَاصَّتِهِ لَا يَأْمَنُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ لَمَّا يَرَى مِنْ
بُعْدِهِمْ فِي شَجَاعَتِهِمْ وَكَثْرَةِ آثَمِهِمْ ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى لَهُمْ عَقُولًا تَنفِي بَتْلِكَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَمْنَعُهُمْ
مِنَ الْإِقْدَامِ وَالْجُرْأَةِ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ بِجُرْدِ الظَّنِّ مَعَ وَجُوبِ
الْحُرْمَةِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَرِسْطَاطَالِيسَ : قَدْ فَهَمْتُ كِتَابَكَ ، وَمَا وَصَفْتَ بِهِ أَصْحَابَكَ .
أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بُعْدِهِمْ فِي الْوَفَاءِ مِنْ بُعْدِ الْهَمَّةِ . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ شَجَاعَتِهِمْ
وَتَقْصِصِ عَقُولِهِمْ عَنْهَا ، فَفَنَ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَرْفَهُ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَخْصَصُهُ بِحَسَنِ
النِّسَاءِ ، فَإِنَّ رِفَاقِيَةَ الْعَيْشِ تُؤْهِنُ الْعَزْمَ ، وَتَحْبِبُ السَّلَامَةَ ، وَتَبَاعِدُ مِنْ رُكُوبِ
الْخَطَرِ وَالْفَرَرِ ، وَلَيْكِنْ خُلُقُكَ حَسَنًا تَخْلُصُ إِلَيْكَ النِّيَّاتِ ، وَلَا تَتَنَاوَلُ مِنْ لَذِيذِ
الْعَيْشِ مَا لَا يُمْكِنُ أَوْسَاطُ إِخْوَتِكَ مِثْلَهُ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي مَعَ الْإِسْتِنَارَةِ مَحَبَّةٌ ، وَلَا نَمِيعُ
الْمَوَاسِطِ بَغْضَةٌ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ إِذَا اشْتَرَى لَمْ يَسْأَلْ عَنْ مَالِ مَوْلَاةٍ ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ
عَنْ خُلُقِهِ .

فكتب إليه الإسكندر يعلمه أنه شاهد بإيران شهر رجلا ذوى أصالة فى الرأى ،
وجمال فى الوجوه ، ولهم مع ذلك صرامة وشجاعة ، وأنه رأى لهم هيات وخلفا
لو كان عرف حقيقتها لما غزاها ، وأنه إنما ملكهم بحسن الاتفاق واليخت ،
وأنه لا يأمن إذا ظعن عنهم ونوبهم ولا تسكن نفسه إلا بيوارهم .

فكتب إليه أرسطاطاليس : فهمت كتابك فى رجال فارس ، فأما قتلهم فهو
من الفساد فى الأرض ، ولو قتلهم لانبثت أرض فارس أمثالهم ، لأن إقليم بابل
يولد أمثال هؤلاء الرجال من أهل العقيل ، والساداد فى الرأى ، والاعتدال
فى التركيب ، فصاروا أعداءك وأعداء عبيك بالطبع ، لأنك تكون قد وترت القوم
وكثرت الأحقاد على أرض الروم منهم وممن بعدهم ، وإخراجك إياهم فى عسكرك
مخاطرة بنفسك وأصحابك ، ولكنى أشير عليك برأى هو أبلغ لك فى كل ما تريد من
القتل وغيره ، وهو أن تستدعى أولاد الملوك منهم ومن يستصلح للملك ويترشح له ،
فتقلدهم البلدان وتوليهم الولايات ليصير كل واحد منهم ملكا برأسه ، فتفترق
كلمتهم ، ويجمعوا على الطاعة لك ، ولا يؤدى بعضهم إلى بعض طاعة ، ولا يتفقوا
على أمر واحد ، ولا تجتمع كلمتهم . ففعل الإسكندر ذلك ، فتم أمره وأمكنه أن
يتجاوز أرض فارس إلى أرض الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة .
ثم صار إلى أرض الصين وطاف مما إلى القطب الشمالى ورجع إلى العراق فمات
فى طريقه بشهر زور ، ويقال : بل فى قرية من قرى بابل . وكان عمره ستا وثلاثين

٧١
١٣

(١) إيران شهر : هى بلاد العراق وفارس والخيال وترسان يجمعا كلها هذا الاسم (راجع معجم
البلدان لياقوت) .

(٢) شهر زور : بلدة بين الموصل وبين همدان ، بناها زور بن الضحاك فقبل شهر زور ، ومعناه
مدينة الضحاك (تقويم البلدان لأبى القدا) .

سنة . وفي بعض النسخ ثلاثا وثلاثين سنة . وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وشهورا .
وقيل : سبعة عشر سنة . وقُتل دارا في السنة الثالثة من ملكه .

قال : وبني الإسكندر أثنى عشرة مدينة وسماها كلها الإسكندرية منها : مدينة
بجى بأصبهان ، وثلاث مدُن بخراسان وهي : هَرَاة ومرو وسمرقند . وبني بارض^(١)
بابل مدينة لروشنك . وبني بارض يونان سبع مدُن .^(٢)^(٣)

ومن عجيب ما قيل في نسب الإسكندر : أنه من ولد دارا الأكبر ، وأنه
أخو دارا الأصغر ، وذلك أن دارا الأكبر بن أردشير تزوج بنت ملك الزنج هَلَاي ،
فلما حملت منه استجبت رِيحها ، فأمر أن تحتال لذلك ، فكانت تغسل بماء السندروس^(٤)
فأذهب ذلك كثيرا من دفرها ، ثم عاقها وردّها [إلى أهلها]^(٥) وقد علقت منه
بالإسكندر فقيل له الإسكندروس . هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم^(٦)

(١) بجى (بالفتح ثم التشديد) : اسم مدينة ناحية أصفهان القديم ، وهي الآن كالخراب مفردة ،
وتسمى الآن عند العجم : شهر ستان وعند المحدثين المدينة . وفيها مشهد الراشد بن المسترشد معروف يزارة
وهي على شاطئ نهر زندرود (راجع معجم البلدان لياقوت) وورد في تاريخ الطبرى (ص ٧٠٢ من
القسم الأول طبع أوربا) أنها بنيت على مثال الجنة .

(٢) هَرَاة : كانت مدينة عظيمة مشهورة بخراسان خربها التتر ، فندحت في زمان عثمان رضى الله
عنه . (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا) .

(٣) هي مرو الشامجان ، ومناه روح الملك . وهي مدينة عظيمة مشهورة بالقواكه . وبينها وبين
كل واحد من نيسابور ، وهَرَاة ، وبلخ وبخارا ، مسيرة اثني عشر يوما (راجع تقويم البلدان) .
(٤) هي روشنك بنت دارا .

(٥) في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٥ طبع أوربا) : « حملت اليه » .
(٦) للسندروس : صنع أصفر يشبه الكهرياء في قوته إلا أنه أرنس منه وفيه شيء من مرارة ، وله
عدة فوائد شرحها ابن البيطار في مفرداته (راجع ج ٣ ص ٣٨) .

(٧) الدفر (يسكون الفاء وفتحها) : خبث الرائحة .
(٨) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون .

بكلمة الزهر وصدفة الدر، قال : وأختلف في مدته فذكر الخوارزمي في تاريخه
أنه [كان] قبل الهجرة بتسعمائة سنة ، وثلاث وثلاثين سنة . وذكر أبو محمد
ابن قتيبة في كتاب المعارف : أن بينه وبين الهجرة أربعمائة سنة . والله أعلم
بالصواب .

ذكر شيء من أخبار الإسكندر وما اتفق له مع ملكي الهند والصين

فأما خبره مع ملك الهند قال عبد الملك بن عبدون : إن الإسكندر لما دَخَلَ
البلاد وقهر الملوك سار نحو الهند وقتل ملكها الأعظم فوراً صاحب مدينة المانكير .
فلما دانت له ملوك الهند بلغه أن بأقاصي ديارها ملكاً من ملوكها ذا حكمة وسياسة
وإنصاف لرعيته ، وأنه ليس في بلاد الهند من فلاسفتهم وحكائهم مثله يقال له

(١) ويسمى هذا الكتاب أيضاً : « كلمة الزهر وفريدة الدهر » ويسمى أيضاً : « شرح البسامة
بأطواق الحمامة » وهو شرح العلامة أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن بدرون الحضرمي السبتي من
أبناء النصف الثاني من القرن السادس الهجري ، على القصيدة الرائية المسماة بالبسامة بأطواق الحمامة
المنسوبة للوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري ، وزير بني مسleme ، المعروفين ببني الأفطس
بالأندلس ، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ التي رقى بها ملوك بني الأفطس ، وذكر فيها من أباداه الجدثان من
ملوك كل زمان ، وضئها حكماً ومواعظ وأخلاقاً أدبية . وأول القصيدة :

الدهر يضعج بعد العين بالآثر فما البكا على الأشباح والصور

وقد طبع هذا الكتاب بمدينة لندن سنة ١٨٤٦ م وعنى بتصحيحه المسبور رينجرت ديزي . ويعرف
بشرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) التكملة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٣) في كتاب المعارف لأبن قتيبة (ص ٢٨ طبع أوروبا) مانصه : « وكان بين الاسكندروس وبين
نينا محمد صلى الله عليه وسلم نحو من تسعمائة سنة » وهو يخالف ما ذكره المؤلف .

(٤) هذه المدينة يقال لها بلهر باسم ملك من ملوك الهند يقال له بلهر وكان يقيم فيها (راجع معجم
البلدان لياقوت ج ٣ ص ٤٤٤ طبع أوروبا) .

كند كان، وأنه قاهر لنفسه مانع [لها] من الشهوة الغضبية، فكتب إليه الإسكندر كتابا يقول فيه : أما بعنة ، فإذا أتاك كتابي هذا فإن كنت قائما فلا تقعد ، وإن كنت ماشيا فلا تلتفت حتى تدخل في طاعتي ، وإلا مرقت منك والحقتك بمن مضى من ملوك الهند من قبلك .

فلما ورد عليه الكتاب أجاب بأحسن جواب ، وخاطبه بملك الملوك ، وأعلمه أنه قد اجتمع عنده أشياء لم تجتمع عند غيره مثلها : فمن ذلك أبنة له لم تطلع الشمس على أحسن منها ؛ وفيلسوف يحرك بمرادك قبل أن تسأله لحدة مزاجه وحسن قريحته ، واعتداله في بنيته ، وآتساعه في علمه ؛ وطبيب لا يُخشى عليه داء ولا شيء من العوارض إلا ما يطرأ من الفناء والدثور الواقع بهذه البنية ، وحل العقدة التي عقدها المبدع لها المخترع لهذا الجسم الحسي ، وإذا كانت بنية الإنسان وهيكله قد نُصبا في هذا العالم غرضا للآفات والختوف والبلايا ؛ وقدح إذا ملأته شرب منه عسكرك بجمعه ولا ينقص منه شيء ، وإني منفذ جميع ذلك إلى الملك وصائر إليه .

فلما قرأ الإسكندر كتابه قال : كون هذه الأشياء عندي ونجاة هذا الحكيم من صَوْلتي أحب إلي من ألا تكون عندي ويهلك . فأنفذ إليه الإسكندر جماعة من الحكماء اليونانيين والروم في عدة من الرجال وتقدم إليهم أنه إن كان قد صدق فيما كتب به إلى فأحملوا ذلك إلى عندي وأتركوه في موضعه، وإن تبينتم الأمر على خلاف ذلك ، وأنه أخبر عن الشيء على خلاف ما هو به فقد خرج عن حد الحكمة فأشخصوه إلى . فلما انتهوا إلى مملكة الملك خرج إليهم وتلقاهم بأحسن لقاء ، وأزلهم بأحسن منزل . فلما كان في اليوم الثالث جلس لهم مجلسا خاصا للحكماء دون من كان معهم من المقاتلة . فقال بعضهم لبعض : إن صدقنا في الأول صدقنا فيما بعد ذلك مما ذكر .

فلما أخذت الحكماء مراتبها واستقرت بها مجالسها أقبل عليهم مباحثا في أصول العلوم الفلسفية وفروعها، وعلى كم فنّ يحتوى العلم الفلسفى في أصوله، وإلى كم يتفرع.

قال عبد الملك بن عبد الله بن عبدون - رحمه الله - : وقد ذكر أن العلم الفلسفى ينقسم على أربعة أنواع : أحدها الرياضيات ، والثانى المنطقيات ، والثالث الطبيعيات ، والرابع الإلهيات . قال :

فأما الرياضيات فأربعة أنواع : الواحد علم الحساب ، والثانى علم الهندسة ، والأصل فيه النقطة ، وهى فيه كالواحد فى علم الحساب ، والثالث علم النجوم ، والرابع علم الموسيقى . وهو علم تأليف الألحان .

وأما العلوم المنطقيات فخمسة أنواع : الواحد معرفة صناعة الشعر ، وأنواع البديع كالكافؤ والتفريع والحشو والتتبع والتسميط والترصيع والالتفاتة والإشارة والمقابلة والاستعارة والتبليغ والتلويح والتصدير والتوشيح والتجنيس والتضاد والترديد والاستطراد والتقسيم والتسيم والإحالة والتتميم . والثانى معرفة صناعة الخطابة . والثالث صناعة الجدل . والرابع صناعة البرهان . والخامس صناعة المغالطين فى المناظرة وجدل .

وأما العلوم الطبيعيات فسبعة أنواع : الواحد علم الميادى الجسمانية ، وهى خمسة أشياء : الهوىل والصورة والزمان والمكان والحركة . والثانى علم السماء والأرض ، وهو معرفة ماهية جواهر الأفلاك والكواكب وكيفية تركيبها وعلة دورانها ، وهل تقبل الكون والفساد كما تقبل الأركان الأربعة التى دون فلك القمر أولا ، وما علة حركات الكواكب واختلافها فى السرعة والإبطاء ، وما علة سكون الأرض فى وسط الفلك فى المركز ، وهل خارج العالم جسم آخر أم لا . وهل

- في الكون والفساد موضع فارغ لا شيء فيه . وما شا كل هذه المباحث . والثالث علم الكون والفساد وهو علم معرفة جواهر الأركان [الأربعة ^(١)] التي هي النار والهواء والماء والأرض . والرابع علم حدوث الجواهر بتغيرات الهواء وتأثيرات الكواكب بحركاتها ومطارح شعاعاتها على الأركان الأربعة وآنفعالاتها بعضها ببعض بقدرة الله تعالى . والخامس علم المعادن التي تنعقد من البخارات المختنقة في بطن الأرض .
 ٥ . والعصارات المتحللة من الهواء . والسادس علم النبات على اختلاف أنواعه في هيأته وأشكاله واختلاف صموغه وطعومه وخواصه وروائحهم ومنافعه ومضاره . السابع علم الحيوان ، وهو معرفة كل جسم يقتذى ويحس ويعيش ويتحرك على اختلاف أنواعه ، وما شا كل ذلك مما ينسب الى علم الطبيعيات كعلم الطب والبيطرة
 ١٠ . وسياسة الدواب والسباع والطيور والحرث والنسل وعلم الصنائع أجمع داخل في علم الطبيعيات .

- وأما العلوم الإلهيات فخمسة أنواع ؛ أولها : معرفة البارئ سبحانه وتعالى بجميع صفاته ، وأنه أول كل شيء وآخر كل شيء ، والخالق لكل شيء ، والعالم بكل شيء ، وأنه ليس كمثله شيء . والثاني علم الروحانيات من الجواهر البسيطة العقلية ، وهي الصورة المجردة من الهوى المستعملة للأجسام المطهرة ، ومعرفة ارتباط
 ١٥ . بعضها ببعض ، وقبض بعضها عن بعض ، وهي أفلاك روحانية تحيط بأفلاك جسمانية . والثالث علم النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الأرض . والرابع علم السياسة وهي خمسة أنواع ؛ أولها : السياسة النبوية ، والسياسة الملوكية ، والسياسة العامة والسياسة الخاصة والسياسة الذاتية . فأما السياسة النبوية فالله تبارك وتعالى يختص بها من يشاء من
 ٢٠ .

(١) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٨ طبع أوروبا) .

عباده ويهدى لأتباعهم مَنْ يشاء لا معقَّب لحكمه، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .
 وأما السياسة الملوكية فهي حفظ الشريعة على الأمة وإحياء السنة والأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر . وأما السياسة العاقبة فهي الرياسات على الجماعات كرياسة
 الأمراء على البلدان وقادة الجيوش وترتيب أحوالهم على ما يجب وينبغي من الأمور
 وإتقان التدبير . وأما السياسة الخاصة فهي معرفة كلِّ إنسان بنفسه ، وتديره
 أمر غلمان وأولاده ، ومن يلبهم من أتباعه وقضاء حقوق الإخوان . وأما السياسة
 الذاتية فهي أن يتفقد الإنسان أفعاله وأحواله وأخلاقه وشهوته فيزقيها بزمام عقله ،
 وغضبه فيردهه وما شا كل ذلك . والخامس من العلوم الإلهيات علم المعاد وكيفية
 آتبعات الأرواح وقيام الأجساد وحشرها للحساب يوم الدين ، ومعرفة حقيقة جزاء
 المحسنين وعقاب المسيئين .



نرجع إلى خبر الملك الهندي مع أصحاب الإسكندر، قال: ولما تكلم مع الحكماء
 اليونانيين في العلوم الفلسفية وطال الخطب في مناظرتهم أخرج الجارية اليهم، فلما
 ظهرت لأبصارهم لم يقع طرف كل واحد منهم على عضو من أعضائها فتعدى
 ببصره إلى غير ذلك العضو اشتغالا بحسنه عما سواه حتى خاف القوم على عقولهم،
 ثم رجعوا إلى أنفسهم وقهروا سلطان هواهم، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد
 به وحُرفهم، وبعث بالفيلسوف والطبيب والجارية والقدح^(١) معهم .

فلما وردوا على الإسكندر أمر بإزالة الفيلسوف والطبيب، ونظر إلى الجارية
 فحار عند مشاهدتها، فأمر قيِّمة الجوارى بالقيام عليها، ثم صرف همته إلى الفيلسوف
 والطبيب وإلى علم ما عندهما، وقص عليه الحكماء ما جرى لهم مع الملك الهندي من

(١) التكلة من شرح قصيدة آين عبدون (ص ٢٠) .

المباحث في العلوم الفلسفية ، فأعجبه ذلك وتأمل أغراض القوم ومقاصدهم ، وأقبل ينظر في مطاردة الهند يعالها في معلولاتها ، وما يصفه اليونانيون أيضا من عللها في معلولاتها على حسب ما قدمت من أوضاعها ، ثم أراد محنة الفيلسوف على حسب ما خبر عنه ، فأجال فكره فيما يختبره به ، فدعا بقدر فلاه سمنا ولم يجعل للزيادة عليه موضعا ، ودفعه لرسول وقال : احمل هذا إلى الفيلسوف ولا تكلمه بشيء ، فلما دفعه إليه دعا الفيلسوف بألف إبرة فغرزها في السمن وصرفه إليه ، فأمر الإسكندر بضرب تلك الإبركة متساوية الأجزاء وردّها إليه ، فأمر الفيلسوف ببسطها وجلائها حتى صارت جسما ترّد صورة مقابلها لصفائها وردّها إلى الإسكندر ، فدعا بطست وجعل تلك المرأة فيه. وصب عليها الماء حتى غمرها وردّها إليه ، فأخذها الفيلسوف وعمل منها طرجهارة طافية على الماء وصرفها إليه ، فلأها الإسكندر ترابا وردّها إليه ، فلما نظر الفيلسوف إلى التراب تغير لونه وبكى ثم ردّها إلى الإسكندر ولم يضع فيها شيئا .

فلما كان في اليوم الثاني جلس الإسكندر جلوسا خاصا ودعا بالفيلسوف ، ولم يكن رآه قبل ذلك اليوم ، فلما أقبل نظر الإسكندر [من الفيلسوف] إلى رجل طويل الجسم رخب الجبين معتدل البنية فقال في نفسه : هذه بنية تضاد الحكمة ، فإذا اجتمع له حسن الصورة والفهم كان أوحّد زمانه ، فأدار الفيلسوف إصبعه حول وجهه ثم وضعه على أرنبة أنفه وأسرع نحو الإسكندر وحيّاه بحية الملك ، فأشار إليه بالجلوس وقال : لم أدرك إصبعك حول وجهك ووضعتها على أرنبة

(١) طرجهارة ويقال لها : طنجهارة من كلمة تركهار الفارسية : نوع من الصفحات أو الصحون

يقطع عليها اللبن المتجمد (راجع قاموس دوزي)

(٢) الكلمة من شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٢١)

أنفك؟ قال : علمتُ أنك تقول في نفسك، إذا نظرت إلى حُسن صورتي وإتقان
بُنْيَتِي قَلَمًا تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْحِلَقَةُ مَعَ الْحِكْمَةِ، وَإِذَا كَانَ عَلَى هَذَا كَانَ صَاحِبَهَا أَوْحَدًا
زَمَانَهُ، فَأَرَيْتُكَ مَصْدَاقًا لِمَا سَنَحُ لَكَ أَنَّهُ كَمَا لَيْسَ لَكَ فِي الْوَجْهِ إِلَّا أَنْفٌ وَاحِدٌ
فَكَذَلِكَ لَيْسَ فِي دِيَارِ الْهِنْدِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَحَدٌ غَيْرِي .

٧٤

١٣

فَقَالَ الْإِسْكَندَرُ : حَسَنٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ ! فَمَا بِاللَّهِ حِينَ بَعَثْتَ إِلَيْكَ بِالْقَدَحِ السَّمَنِ
غَرَزْتَ فِيهِ الْإِبْرَ وَرَدَدْتَهُ؟ قَالَ الْفِيلَسُوفُ : عَلِمْتُ أَنَّكَ تَقُولُ إِنَّ قَلْبِي قَدْ أَمْتَلَا
عِلْمًا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مُسْتَرَادٌ، فَأَعْلَمْتُكَ أَنَّ عِلْمِي سَيَزِيدُ فِيهِ كَمَا زَادَتْ هَذِهِ الْإِبْرُ
فِي هَذَا السَّمَنِ . قَالَ : فَمَا بِاللَّهِ حِينَ عَمِلْتُ لَكَ الْإِبْرَ كَرَّةً صَنَعْتَ مِنْهَا مَرَّةً صَقِيلَةً
وَصَرَفْتَهَا إِلَيَّ؟ قَالَ الْفِيلَسُوفُ : عَلِمْتُ أَنَّكَ تَقُولُ إِنَّ قَلْبِي قَدْ قَسَا مِنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ
وَأَشْتَغَلَ بِهَذَا الْعَالَمِ فَلَا يَقْبَلُ الْعِلْمَ وَلَا يَرْغَبُ فِيهِ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنِّي سَاعَمِلُ الْحِيلَةَ فِي ذَلِكَ،
كَمَا جَعَلْتُ مِنَ الْكُرَّةِ مَرَّةً مُورِيَةً لِلْأَجْسَامِ . قَالَ : فَمَا بِاللَّهِ حِينَ جَعَلْتَهَا لَكَ
فِي الطُّسْتِ وَصَبَيْتُ عَلَيْهَا الْمَاءَ جَعَلْتَهَا طَرَجَهَارَةً طَافِيَةً عَلَى الْمَاءِ؟ قَالَ الْفِيلَسُوفُ :
عَلِمْتُ أَنَّكَ تَقُولُ إِنَّ الْأَيَّامَ قَدْ قُصُرَتْ وَالْأَجَلُ قَرِيبٌ، وَلَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ الْكَثِيرُ
فِي الْمَهْلِ الْقَلِيلِ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنِّي سَاعَمِلُ الْحِيلَةَ فِيهِ فِي غَيْرِ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ، كَمَا جَعَلْتُ
هَذِهِ الْمَرَّةَ الرَّاسِبَةَ طَافِيَةً فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ . قَالَ : فَمَا بِاللَّهِ حِينَ مَلَأْتُ ذَلِكَ الْإِنَاءَ
تَرَابًا رَدَدْتَهُ إِلَيَّ وَلَمْ تُحَدِّثْ فِيهِ شَيْئًا؟ قَالَ : عَلِمْتُ أَنَّكَ تَقُولُ : ثُمَّ الْمَوْتُ، وَأَنَّهُ لَا بَدَ
مِنْهُ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّ لِي حِيلَةً فِي ذَلِكَ . قَالَ الْإِسْكَندَرُ : فَبِدَ أَجَبْتَنِي عَلَى مُرَادِي
فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَلَأُحْسِنَنَّ إِلَى الْهِنْدِ مِنْ أَجْلِكَ، وَأَمْرُ لَهُ بِجَوَائِزٍ كَثِيرَةٍ . فَقَالَ لَهُ
الْفِيلَسُوفُ : لَوْ أَحْبَبْتُ الْمَالَ لَمَّا كُنْتُ عَالِمًا، وَلَسْتُ أَدْخُلُ عَلَى عِلْمِي
مَابِضَاةً، فَإِنَّ الْفَنِيَّةَ تُوجِبُ الْخِدْمَةَ، وَقَدْ مَلَكَتْ أَيُّهَا الْمَلِكُ الرَّحِيمُ بَسِيفُكَ أَجْسَامَ
رَعِيَّتِكَ فَأَمْلِكْ قُلُوبَهُمْ بِأَحْسَانِكَ فَهُوَ خِرَانَةُ سُلْطَانِكَ، وَأَحْذَرِ الْعَانَةَ فَإِنَّهَا إِذَا قَدَّرَتْ

٥

١٠

١٥

٢٠

أَنْ تَقُولَ قَدَرْتُ أَنْ تَفْعَلَ فَأَحْتَرِزُ مِنْ أَنْ تَقُولَ تَأْمَنُ أَنْ تَفْعَلَ ، فَالْمَلِكُ السَّعِيدُ مِنْ
مَلِكِ الرِّعْيَةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَشْبَهُ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَعْمَالِ النَّاسِ بِأَعْمَالِ بَارِئِهِمُ الْإِحْسَانُ ،
خَفِيرُهُ الْإِسْكَانْدَرُ فِي الْمَقَامِ مَعَهُ ، أَوَّالًا نَصْرَافَ إِلَى بِلَادِهِ ، فَاخْتَارَ الرَّجُوعَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

وَأَمَّا الْقَدْحُ فَلَهُ مَاءٌ ثُمَّ أورد عليه النَّاسَ فَلَمْ يَنْقُصْ شَرِبَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا ، فَيُقَالُ

- ٥ . إِنَّهُ كَانَ مَعْمُولًا مِنْ خَوَاصِّ الْهِنْدِ الرُّوحَانِيَّةِ مِمَّا تَدْعِيهِ الْهِنْدُ ، وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَدَمَ
أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَبَارَكٌ لَهُ فِيهِ حِينَ كَانَ بِأَرْضِ سَرَنْدِيبَ ، فَوُورِثَ عَنْهُ
إِلَى أَنْ أَتَاهِيَ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ الْهِنْدِيِّ .

وَأَمَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ مَعَهُ مَنْظَرَاتٌ دَلَّتْ عَلَى ثُبُوتِ قَدَمِهِ فِي عِلْمِهِ ، وَأَنَّهُ

كَمَا وَصَفَ صَاحِبُهُ أَوْ كَادَ . هَذَا خَبَرُهُ مَعَ مَلِكِ الْهِنْدِ .

١٠ .

وَأَمَّا خَبَرُهُ مَعَ مَلِكِ الصِّينِ ، قَالَ أَبُو عَلِيٍّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَسْكُويَةٍ

فِي كِتَابِهِ الْمُرْتَجَمِ بِتَجَارِبِ الْأُمَمِ : وَفِي الرِّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ الْإِسْكَانْدَرَ لَمَّا أَتَاهُ إِلَى
بِلَادِ الصِّينِ أَتَاهُ حَاجِبُهُ وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ فَقَالَ : هَذَا رَسُولُ مَلِكِ الصِّينِ
بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنُ فِي الدَّخُولِ عَلَيْكَ ، قَالَ : أَدْخُلْهُ ، فَأَدْخَلَهُ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ الْإِسْكَانْدَرَ

- ١٥ . وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : إِنْ رَأَى الْمَلِكُ أَنَّ يَسْتَخْلِنِي فَعَلْ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَانْدَرُ مَنْ بِحَضْرَتِهِ أَنْ

يَنْصَرِفُوا ، فَانْصَرَفُوا كُلَّهُمْ عَنْهُ وَبَقِيَ حَاجِبُهُ فَقَالَ : إِنَّ الَّذِي جِئْتُ لَهُ لَا يَحْتَمِلُ
أَنْ يَسْمَعَ غَيْرَكَ ، فَأَمَرَ الْإِسْكَانْدَرُ أَنْ يُقْفَسَ فَقْفَسٌ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُ سِلَاحًا ، فَوَضَعَ
بَيْنَ يَدَيْهِ سِيفًا مَسْلُولًا وَقَالَ لَهُ : قِفْ مَكَانَكَ وَقُلْ مَا شِئْتَ . وَأَخْرَجَ الْحَاجِبَ
وَمَنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا خَلَا الْمَجْلِسُ قَالَ لَهُ : أَنَا مَلِكُ الصِّينِ لَا رَسُولُهُ ،

- ٢٠ . جِئْتُ لِأَسْأَلَكَ عَمَّا تَرِيدُ ، فَإِنْ كَانَ عَمَّا يُمْكِنُ عَمَلُهُ وَلَوْ عَلَى أَصْعَابِ الْوُجُوهِ عَمَلْتُهُ

وأعجبك عن الحرب ، فقال له الإسكندر : وما الذى آمَنَك مَنى ؟ قال : على
بأنك عاقلٌ حكيمٌ ، ولم تك بيننا عداوةً ولا مطالبةً بدخُلٍ (١) ، وأنت تعلم أنك إن
قتلتني لم يكن ذلك سبباً لتسليم أهل الصين إليك مُلْكهم ، ولم يمنعهم قتلى من أن
ينصبوا لأنفسهم ملكاً غيرى ثم تنسب [أنت] إلى غير الجميل وضد الحزم . فأطرق
الإسكندر وعلم أنه رجلٌ عاقلٌ ، ثم قال له : إن الذى أريد منك ارتفاع مملكتك
ثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاع مملكتك لكل سنة . قال : هل غير هذا ؟
قال لا ، قال : قد أجبتك ، ولكن سألنى كيف تكون حالك ، قال : كيف تكون ؟
قال : أكون أوّل قتيلٍ محارب ، وأوّل أكيلةٍ مفترس . قال : فإن قُنتُ منك
بارتفاع سنتين . قال : أكون أصلح قليلاً وأفسح مدة . قال : فإن قُنتُ بارتفاع
سنة . قال : يكون فى ذلك بقاءٌ مُلْكى ، وذهابٌ لجميع لذتى . قال : فإن قُنتُ منك
بثلث الارتفاع كيف تكون حالك ؟ قال : يكون السدس للفقراء ومصالح العباد ،
ويكون الباقي لجيشى ولسائر أسباب الملك . قال الإسكندر : قد اقتصرتُ منك
على هذا ، فشكره وأنصرف .

فلما طلعت الشمس أقبل جيش الصين وقد طبق الأرض وأحاط بجيش
الإسكندر حتى خافوا الهلاك ، وتوالت أصحابه فركبوا الخيل واستعدوا للحرب بعد

(١) الذحل : النار . (٢) التكلة عن كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧) .

(٣) عبارة كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٧ — ٤٣٨) « إن الذى أريد منك
ارتفاع مملكتك فى خمس سنين فقال : هل تريد شيئاً غير ذلك ؟ قال : لا : قال : قد أجبتك إليه ؛
قال : فكيف تكون حالك حينئذ ؟ قال : أكون قتيل أوّل محارب ، وأكيل أوّل مفترس ؛ قال : فإن قُنتُ
منك بارتفاع ثلاث سنين كيف تكون حالك ؟ قال : تكون أصلح من ذلك وأفسح ؛ قال : فإن قُنتُ
منك بارتفاع سنة واحدة ؛ قال : يكون ذلك سداداً لأمر ملكى ، ومذهباً لجميع لذاتى ... الخ » .

(٤) فى كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم : « لحاشيتى » .

- الأمن والطمانينة إلى السلم . فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وهو راكب وعليه التاج ، فلما تراءى الجمعان نظر الإسكندر إلى ملك الصين فظن أنه حضر للغرب ، فصاح به : أغدرت ؟ فترجل ملك الصين وقال : لا والله ، قال : فأذن متى فداننا منه ، فقال له الإسكندر : ما هذا الجيش الكثير ؟ فقال : إني أردت أن أريك أني لم أطعك من قلة وضعف ، ولكني رأيت العالم العلوي مقبلا عليك ممككا لك .
 ممن هو أقوى منك وأكثر عددا ، ومن حارب العالم العلوي غلب ، فأردت طاعته بطاعتك ، والتذلل له بالتذلل لك ، فقال الإسكندر له : ليس مثلك من يسأم الذل ، ولا من يؤدي الجزية ، فما رأيت بيني وبين الملوك من يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك ، وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك . فقال ملك الصين : ولست تخسر [إذا]^(١) ثم أنصرف عنه الإسكندر . فبعث إليه ملك الصين بضعة ما قتر معه وأنصرف عن الصين .^(٢)

كلام الحكماء عند وفاة الإسكندر

- قال : لما توفي الإسكندر جعل في تابوت من الذهب ، واجتمع الحكماء فتقدم الأول فقال : قد كان الإسكندر نجبا الذهب ، وقد أصبح الآن نجبؤه الذهب . وتقدم الثاني إليه والناس يهجون ويحزعون فقال : حركا بسكونه . وتقدم

(١) التكلفة من كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وغيرهم (ص ٤٣٩) .

(٢) ورد في غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (ص ٤٣٩) الأشياء التي بعث بها ملك الصين إلى

الإسكندر وهي : « ألف حريرة وألف فرند وألف دياجة وألف من فضة ومن كل من جلود السمور والفك والقائم والسنباج والخز ألف جلدة وألف منقال عنبرا وألف نابضة مسكا وألف رطل حودا :

وألف طاس ذهب وفضة ومائة سيف هندية محلاة بالذهب والجواهر ومائة سرج ومائة بلسم صينية مذهبة ومائة درع سافرة والزم الضريبة كل سنة فأخذها الإسكندر كلها وارتحل بها » .

(٣) هو ديوجانس الفيلسوف . (٤) هو أفلاطون الفيلسوف .

(١) الثالث اليه فقال : قد كان يعظنا في حياته ، وهو اليوم أوعظ منه أمس . وتقدم اليه الرابع فقال : قد جاب الأرضين وسلكتها ، ثم حصل منها في أربعة قوائم . ووقف عليه الخامس فقال : انظروا إلى حلم النائم كيف آنقضى ، وإلى ظل الغمام كيف آنجلي . ووقف عليه السادس فقال : قد أمات هذا الميت كثيرا من الناس لثلاث يموت ، وقد مات الآن . ووقف عليه السابع فقال : مالك لا تقل عضوا من أعضائك ، وقد كنت تستقل بملك العباد . وقال الثامن : مالك لا ترغب بنفسك عن المكان الضيق ، وقد كنت ترغب بها عن رحب البلاد . وقال التاسع : كان لا يُقدر عنده على الكلام ، واليوم لا يُقدر عنده على الصمت . وقال العاشر : قد كان غالبا فصار مغلوبا ، وآكلا فصار مأكولا . وقال الحادي عشر : ما كان أقيح إفراطك في التجبر أمس مع شدة خضوعك اليوم ! . وقالت بنت دارا : ما كنت أحسب أن غالب أبي يغلب . وقال رئيس الطباخين : قد نصدت النضائد ، وألقيت الوسائد ، ونصبت الموائد ، ولست أرى عميد القوم .

قال : ولما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه من بعده فإياه واختار العبادة والنسك .

١٥ فملك بعد الإسكندر على اليونانيين بطليموس ، وهذه التسمية لكل من ملك اليونان ككسرى للأكاسرة من الفرس ، وقيصصر للروم ، وخاقان للترك ، وطرخان للخرز ، والنجاشي للحبشة .

قال : وكان بطليموس هذا شابا مدبرا حكيما عالما . وكان ملكه أربعين سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل إنه أول من أفتى البراة وضراها ولعب بها .

٢٠ (١) هو سقراط الحكيم . (٢) هو بطليموس الفيلسوف . (٣) هو بليثاس الفيلسوف . (٤) هو ديمقراطيس الفيلسوف . (٥) هو طرويقا الفيلسوف .

ثم ملك بعده بطليموس الثانى ، وهو الذى يقال له : محب الأخ ، وأسمه
هيفلوس ، وكان ملكه ستاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأب ، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس ، وهو صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطى .

فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس محب الأم . فكان ملكه خمساً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الصائع . فكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الإسكندراني . فكان ملكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الحديدى . فكانت مدة ملكه ثمانين سنة .

ثم ملك بعده بطليموس الجوال . فكان ملكه أيضاً ثمانين سنة ، وقيل أقل
من ذلك .

ثم ملك بعده بطليموس الحرب . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملكت بعده أباته قلوبطرة ، وكانت حكيمة من فلسفة معظمة للحكام ، ولها

كتب مصنفة فى الطب والزينة وغير ذلك ، مترجمة بأسمها ومنسوبة إليها ، وكان

زوجها بطليموس ويسمى أنطونيوس مشاركا لها فى ملك مقدونية وهى مصر .

فلما أراد الله تعالى ذهاب ملك اليونانيين أيد عليهم ملك رومية وهو أغسطس ،

فسار إليها ، وكان له مع الملكة قلوبطرة وزوجها حروب كثيرة ، فقتل زوج قلوبطرة ،

فأراد ملك الروم أن يزوجها لعله يحكمتها وليتعلم منها ، فراسلها فعلمت مراده منها ،

فطلبت حية تكون بالحجاز ومصر والشام ، وهى نوع من الحيات تراعى الإنسان

حتى إذا نظرت الى عضو من أعضائه قفزت أذرعاً نحوه فلم تخطئ ذلك العضو بعينه

حتى تشغل عليه سماً فيموت لوقته ولا يعلم ما خبره ، فيتوهم الناس أنه مات بجأه
 خفف أنه . فأحتملت لها . فلما كان في اليوم الذي علمت فيه أن أغسطس يدخل
 في قصرها أمرت بأنواع الرياحين والزهور أن تبسط في مجلسها وأمام سريرها ،
 وجلست على سرير ملكها والتاج على رأسها وقرقت حشمها وقربت يدها من الإناء
 الذي فيه تلك الحية فضربتها فماتت لوقتها ، وأنساب الحية في تلك الرياحين ودخل
 أغسطس حتى انتهى إلى المجلس ، فنظر إليها جالسة وهو يظن أنها باقية ، فدنا منها
 فبين له أنها قد ماتت ، فنظر إلى تلك الرياحين فقفرز عليه تلك الحية فرمته بسمها
 وقد خف ، فبطل شقه الذي ضربته من جهته ، ولولا أن سمها كان قد نقص لمات ،
 فعجب من قتلها لنفسها وما كادته به من إلقاء الحية . وكانت قلوبطة هذه آخر
 من ملك من اليونانيين . والله أعلم .

ذكر أخبار ملوك السريان

قال أبو الحسن علي بن عبد الله المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب :
 ذكر ذوو العناية بأخبار ملوك العالم أن أول الملوك بعد الطوفان ملوك اليونان ، قال :
 وقد تنوزع فيهم وفي النبط ، فمن الناس من رأى أن السريانيين هم النبط ، ومنهم
 من رأى أنهم إخوة لولد ماس بن نبط ، ومنهم من رأى غير ذلك على حسب تباين
 الناس في الأجيال الماضية والقرون الحالية .

قال : فكان أول من ملك منهم رجلاً يقال له سوشان ، وهو أول من وضع
 التاج على رأسه في تاريخ السريانيين . قال : وأتقاده ملوك الأرض ، فكان
 ملكه ست عشرة سنة باغيا في الأرض ، ومفسداً في البلاد ، وسفاكاً للدماء .

(١) راجع (ج ١ ص ١٠٠ طبع بلاق) .

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي . وفي الأصول : « نودبانين » وهو تحريف .

(١١)

ثم ملك بعده يريز، وكان ملكه إلى أن هلك عشرين سنة .

ثم ملك بعده سماسير بن أبو با . فكان ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أهريمون تخط الخطط، وكور الكور، وجد في أمره، وأتقن

ملكه، وعمر أرضه . فلما استقامت له الأحوال وأتظمت ملكه بلغ بعض ملوك

الهند وهو رُتَيْسَل، وهو آسم لمن يملك هذه الجهة من الهند، ما تقوم عليه من

القوة، وما بلادهم عليه من العمار، وأنهم يحاولون الممالك، وقد كان هذا الملك

الهندي غلب على من حوله من ممالك الهند وأقادت إلى أحكامه، وذلك أن ملكه

كان مما يلي بلاد الهند والسند، فسار نحو بلاد بست وغزني ونغرو وبلاد الداور

على النهر المعروف بالهند مند، وهو نهر ببلاد سيجستان ويصرف بنهر بست تجزي

فيه السفن منها إلى سيجستان .

قال : وكان بين ملك الهند وملك السريانيين حروب كثيرة نحواً من سنة

ثم أجلت الحرب عن قتل السرياني وأحتوى الهندي على الصقع وملكه . فكان

ملك أهريمون عشرين سنين .

٧٧
١٣

(١) في مروج الذهب للسعودي : « يندس » .

(٢) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة بين سيجستان وغزني وهراة . وهي من البلاد
الحارة المزاج، وهي كبيرة، ويقال للاحيتها اليوم كرم سير، معناه النواحي الحارة المزاج، وهي كثيرة
الأنهار والبساتين . وفي نسخة أ « قسط » . وفي نسخة ب « بسط » وما بحرفان .

(٣) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحدة
بين خراسان والهند . وفي نسخة أ « غرين » . وفي نسخة ب « غرين » وما بحرفان .

(٤) كذا في معجم البلدان لياقوت . وهي مدينة ببلاد السند، بين وبين غزني ستة أيام، تعد
في أعمال السند . وفي الأصول « نغين » وهو تحريف .

(٥) بلاد الداور : هي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية رنج وبست والنور . وأهل
تلك الناحية يسمونها زمين داور، ومعناه أرض الداور .

قال : وبقي ذلك الصُّقع بيد الملك الهندي حتى سار إلى بعض الملوك فأتى عليه وملك العراق ورد السريانيين .

فلكوا عليهم تسبوا بن سماسير . فكان مُلكه إلى أن هلك ثمانى سنين .^(١)
ثم ملك بعده أهريمون . فكانت مدة مُلكه اثنتى عشرة سنة .

ثم ملك بعده أبنه هوريا فزاد في العماره وأحسن للرعايا وعرّس الأشجار .
فكان ملكه اثنتين وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ماروت وأستولى على المُلك .^(٢) فكان مُلكه خمس عشرة سنة .
وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده أزور وساحاس ، ويقال إنهما كانا أخوين . قال : فأحسنا السيرة ، وتعاضداً على تدبير المُلك . ويقال : إن أحد هذين المليكين كان جالساً ذات يوم في أعلا قصره فنظر إلى طائر قد فزع هنالك ، وهو يصيح ويضرب بجناحه ، فنظر إلى حية تنساب إلى الوكر لتأكل الفراخ التي للطائر ، فدعا بقوس وسهم ورمى الحية فقتلها ، وسلمت الفراخ ، وغاب الطائر وعاد إلى الملك بعد هنيئة وفي متقاره حبة وفي مخايبه حبتان ، وطار حتى وازى الملك ، وألقى الحب بين يديه فتناولهُ الملك وقال : ما ألقى هذا الطائر هذا الحب إلا لأمر قصد به مكافأتنا على ما فعلناه من خلاص فراخه ، ولم يعرف ما هو ذلك الحب ، وأستدعى الحكماء وأراهم فما عرفوه ، فقال له حكيم : ينبغي أن يُزرع هذا الحب ببطن الأرض لينظر ما يكون منه ، فأحضر الأكرة وأمرهم بزرعه فزرعوه ، والملك

(١) كذا في الأصول . وفي مروج الذهب للسعودى (ج ١ ص ١٠٢ طبع بلاط) : « سير » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « ماروب » بالياء الموحدة . وفي مروج الذهب : « مارث » .

(٣) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « حلعاس » وفي مروج الذهب « خلجاس » .

يراعيه حتى طلع وأزهر وحصرم وأعنب ، وهم لا يقرُّونه خشية أن يكون مُتلفاً ، فأمر الملك أن يُعصر ماؤه ويُودَع الآنية وأُخرج الحب منه وترك بعضه على حاله . فلما صار في الآنية غلا وقذف بالزبد وفاحت له روائح عِيقَة ، فقال الملك : على بشيخ كبير ، فأُتي به ، فسقاه من هذا العصير . فلما شرب منه ثلاثاً صال وتكلَّم وصفق بيديه وحرك رأسه ووقع برجليه على الأرض ، فظهر عليه الطرب والفرح وتغنى . فقال الملك : هذا شرابٌ مذهبٌ للعقل ، وأخلق به أن يكون قتالا ، ألا ترون إلى هذا الشيخ كيف عاد إلى حال الصبا وقوة الشباب ، ثم أمر الملك بالشيخ فرقد ، فسكن ونام . فقال الملك : هَلَك ، ثم أفاق الشيخ وطلب الزيادة من الشراب وقال : لقد شربته فكشف عني الهموم والغوم ، وأزال عني الأحران . فقال الملك : هذا أشرفُ شراب الرجل ، فأكثر من غرس الكروم ، واختص به دون غيره من الناس ، وأستعمله بقية أيامه ، ثم نما بعد ذلك وكثر في أيدي الناس . وهذا آخر ما أورده المسعودي من أخبار السريان .

ذكر أخبار الملوك الكلوانيين

وهم ملوك النبط ملوك بابل

- ١٥ قال المسعودي ^(١) ، ذهب جماعة من أهل البحث والعناية بأخبار ملوك العالم أنهم ملوك العالم الذين مهّدوا الأرض بالعارة ، وأن الفرس الأول إنما أخذوا الملك من هؤلاء . كآخذ الروم الملك من اليونان . فكان أول من ملك منهم ثَمْرُود الجبار . فكان مُلكه نحواً من ستين سنة . وقد قدّمنا أخبار ثَمْرُود في قصة إبراهيم عليه السلام ^(٢) .

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٠٣ طبع بلاط) . (٢) في مروج الذهب : «ذكر» .

(٣) راجع (ج ١٣ ص ٩٦ - ١٠٠ و ١١٣ - ١١٤ من هذه الطبعة) .

قال : ويُمرّوذ هذا هو الذي احتضر أنهارا بالعراق آخذة من الفرات ، فيقال :
إن من ذلك نهر كُوفى^(١) على طريق الكوفة ، وهو بين قصر ابن هُبيرة^(٢) وبغداد .
ثم ملك بعده أبولس ، وكان عظيم البطش جبّارا في الأرض . وكان مُلكه نحو
من سبعين سنة .

ثم ملك بعده فيزمنوس . وكان باغيا في الأرض ، ملك نحو من مائة سنة .
ثم ملك بعده سوسوس . فكان مُلكه نحو من تسعين سنة .
ثم ملك بعده كورس . فكان ملكه نحو من خمسين سنة .
ثم ملك بعده اذفرنجوا^(٣) . فكان ملكه نحو من عشر سنين .
ثم ملك بعده سيهزم . فكان ملكه نحو من أربعين سنة ، وقيل أكثر .
ثم ملك بعده قوسيس . فكان ملكه نحو من سبعين سنة .
ثم ملك بعده أنبوش^(٤) . فكان ملكه نحو من ثلاثين سنة .
ثم ملك بعده إيلاوس . فكان ملكه نحو من خمس عشرة سنة .
ثم ملك بعده الجلولس . وكان مُلكه نحو من أربعين سنة .

(١) نهر كوفى : هو أوّل نهـرٍ أخرج بالعراق من الفرات ، وسمى بكوفى من بنى أرغشدين سام
ابن نوح عليه السلام ، وهو الذى كراه فَنسب اليه ، وهو جد إبراهيم عليه السلام أبو أمه يونا بنت كزينا
(راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٢) قصر ابن هُبيرة : ينسب الى يزيد بن عمر بن هُبيرة ، بناء بالقرب من جسر سورالمساوى بالعراق
من قبل مروان بن عبد . فلما ملك السفاح نزل وأستمرّ تسقيف مقاصير فيه وزاد فى بناءه وسماه الهاشمية
وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن هُبيرة على العادة الأولى (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) فى مروج الذهب : « أئمر » .

(٤) كذا فى نسخة أ وفى نسخة ب « أنبوس » . وفى مروج الذهب : « أنبوس » .

ثم ملك بعده أونوبس^(١) . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده بئتكولوس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين شهرًا .

ثم ملك بعده سفيرين^(٢) . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة ، وقيل أقل .

ثم ملك بعده مارنوس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده رسطاليم^(٣) . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .

ثم ملك بعده أسطوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .

ثم ملك بعده تاولوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .

ثم ملك بعده العداس . فكان ملكه نحوًا من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أطيروس . فكان ملكه نحوًا من ستين سنة .

ثم ملك بعده ساوساس . فكان ملكه نحوًا من عشرين سنة .

ثم ملك بعده فارينوس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة ، وقيل خمسًا

وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أدرموس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة . وغزاه ملك

من ملوك فارس في عُقر داره .

ثم ملك بعده مسروس . فكان ملكه نحوًا من خمسين سنة .

ثم ملك بعده أفروس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .

ثم ملك بعده طاطاوس . فكان ملكه نحوًا من أربعين سنة .

(١) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « أونوبس » وفي مروج الذهب : « أونونوس » .

(٢) كذا في نسخة أ وفي نسخة ب « سفيرين » . وفي مروج الذهب : « سفروس » .

(٣) في مروج الذهب : « رسطالين » . وقد وزد فيه أيضًا خلاف في بعض أسماء الملوك الذين

ذكرنا هنا فاكثفينا بما ورد في الأصول عوضًا عن التنبه في كل آسم .

ثم ملك بعده لاوسيس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل خمسا وأربعين سنة .

ثم ملك بعده قريطوس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده قروطاوس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قراقريس . فكان ملكه نحواً من خمسين سنة ، وقيل أثنين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده بوليس قنطروس . فكان ملكه نحواً من عشرين سنة .

ثم ملك بعده قولاً قسماً . [فكان ملكه ^(١) نحواً من ستين سنة .

ثم ملك بعده هيقلس . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة . وقيل خمسين سنة .

وكانت له حروب مع ملوك الصقالية .

ثم ملك بعده سموجد . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده مردوج . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده سنحاريب . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة . وهو الذي أبلى

بيت المقدس .

ثم ملك بعده منوشا . فكان ملكه نحواً من ثلاثين سنة ، وقيل أقل من ذلك .

ثم ملك بعده بُخْتَنَصْر الجبار . فكان ملكه نحواً من أربعين سنة ، وقد تقدم

أن بُخْتَنَصْر لم يكن ملكاً وإنما كان مَرْزُبَاناً للملوك الفرس الأول ، إلا أن يكون هذا

غير ذلك . والله أعلم .

ثم ملك بعده بيطسقر . فكانت مدة ملكه نحواً من ستين سنة ، وقيل أقل

من ذلك .

(١) زيادة يقتضها السياق مراعاة لما ورد قبله وجاء بعده .

(٢) راجع (ج ١٤ ص ١٥٣ من هذه الطبعة) .

ثم ملك بعده دارنوس . فكان ملكه إحدى وثلاثين سنة ، وقيل أكثر من ذلك .

ثم ملك بعده كشرخوش [فكان ملكه] عشرين سنة .

ثم ملك بعده قرطياسة تسعة أشهر .

ثم ملك بعده فيجسمنه . فكان ملكه إحدى وأربعين سنة .

ثم ملك بعده أبرست . فكان ملكه ثلاثا وستين سنة .

ثم ملك بعده شعيا . فكان ملكه ثلاثين سنة ^(١) ، وقيل تسعة أشهر .

ثم ملك بعده داريوس . فكان ملكه عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة سنة .

ثم بعده أنطجست . فكان ملكه تسعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده اليسع . فكان ملكه خمس عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة .

- قال المسعودي : فهؤلاء الملوك الذين أتينا على أسمائهم ، وذكرنا مدة ملكهم ،
 هم الذين شيدوا البنيان ، ومدنوا المدن ، وكثروا الكور ، وحفروا الأنهار ، وغرسوا
 الأشجار ، واستنبطوا المياه ، وأثاروا الأرض ، وآسخرجوا المعادن من الحديد
 والنحاس والرصاص وغير ذلك ، وطبعوا السيوف ، وأخذوا عدة الحرب ، ونصبوا
 قوانين الحروب ، ورتبوا الميمنة والميسرة والأجنحة ، وجعلوا ذلك مثالا
 لأجزاء أعضاء الإنسان ، ورتبوا الأعلام ؛ فجعلوا أعلام القلب على صورة الفيلة
 والنسور وما عظم من أجناس الحيوان ؛ وجعلوا أعلام الميمنة والميسرة على صورة
 السباع ؛ وجعلوا في الأجنحة أعلاما لطف منها كالنمر والذئب ؛ وجعلوا في الطلائع
 كصور الحيات وما خفى فعله من هوام الأرض ؛ وتغلغل القوم في هذه المعاني .
 قال : والذي ذكرناه من أخبارهم هو المشهور . والله تعالى أعلم .

(١) في مروج الذهب : « سنة وقيل تسعة أشهر » ولعل كلمة ثلاثين مقحمة من الناسخ .

ذكر أخبار ملوك الروم وأنسابهم

قال المسعودي^(١) : قد تنازع الناس في الروم ولائ علة سُموا بهذا الاسم ، ف قيل لإضافتهم لمدينة رومية وأسمها بالرومية روماس ، فُعُرب هذا الاسم فسُمي مَنْ كان بها روما ، والروم لا يسمون أنفسهم في لغتهم إلا رومس . ومنهم مَنْ رأى أن هذا الاسم اسم الأب الأول ، وهو روم بن شماخين بن هوبان بن علفا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . ومنهم مَنْ رأى أنهم سُموا باسم جدّهم رومس ابن لبطى بن نويفل بن رومي بن الأصغر بن النفر بن العيص ، وقيل غير ذلك . وقد ذكرنا في الأنساب شيئا من ذلك .

قال المسعودي : وغلبت الروم على ملك اليونانيين ، فكان أول مَنْ ملك منهم طوخاس وهو جانيوس الأصغر بن روم بن شماخين ، فكان مُلكه اثنتين وعشرين سنة .

وقيل إن أول مَنْ ملك من ملوك الروم قيصر ، واسمه غالوس أوليوس . فكان مُلكه ثمانى عشرة سنة .

وقيل أول مَنْ ملك منهم بعد ملوك اليونانيين برومية بوليس . فكان مُلكه سبع سنين ونصفا . قال : ورومية بنيت قبل الروم بأربعمائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه أغسطس قيصر . وكان مُلكه ستا وخمسين سنة ، وهو أول مَنْ سُمي بقيصر ، وإنما سُمي بذلك لأن أمه ماتت وهي حامل به فسُقَّ بطنها عنه ، ومعنى قيصر بقر ، وكان يفخر بأن النساء لم تلده ، وحقيقة هذه اللفظة بالعجمية

(١) راجع مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٨ طبع بولاق) .

(٢) في مروج الذهب : « رميس » .

جَيْشَر، قيل إنَّما سُمِّيَ جيشرَ لِأَنَّهُ وَلِدَ بِشَعر يَبْلُغُ عَيْنَهُ ، وَأَسَمَ الشَّعرَ بِالْجَمْعِيَّةِ حَسَارِيهِ وَقِيلَ جَشَايَرُ ، فَعَرَّبَ فَقِيلَ قَيْصَرُ ، وَهُوَ صَاحِبُ قُلُوبَطْرَةَ مَلِكَةِ الْيُونَانِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . وَآخَتَوَى هَذَا الْمَلِكُ عَلَى مَقْدُونِيَّةٍ وَهِيَ مِصْرُ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَحَازَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْخِزَانَتَيْنِ ، وَكَانَتْ لَهُ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ ، وَكَانَ يَجْسِدُ الْإِوثَانَ . وَبَنَى بِأَرْضِ الرُّومِ مَدِينًا تُسَمَّى إِلِيَّةَ ، وَكَوْزَكُورًا . فَمِنْ مَدِينَةِ قَيْسَارِيَّةَ . وَلَا ثَمْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً خَلَّتْ مِنْ مُلْكِهِ وَلِدَ الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَعَاشَ هَذَا الْمَلِكُ بَقِيَّةَ عَمْرِهِ وَقَدْ بَطَلَ شَقُّهُ لَمَّا نَفَلَتْ عَلَيْهِ الْحَيَّةُ عَلَى مَا قَدَّمَاهُ فِي أَخْبَارِ قُلُوبَطْرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ طَبَارِيسُ . فَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعِينَ وَعَشْرِينَ سَنَةً . قَالَ : وَلَثَلَاثَ سَنِينَ بَقِيَتْ مِنْ مُلْكِهِ رُفِعَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ : وَلَمَّا هَلَكَ هَذَا الْمَلِكُ بَرْمُويَّةَ اخْتَلَفَتِ الرُّومُ وَتَحَزَّبَتْ وَأَقَامُوا عَلَى اخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ وَالتَّنَازُعِ مِائَتَيْ سَنَةٍ وَثَمَانِيَا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً لَا نِظَامَ لَهُمْ وَلَا مَلِكَ يَجْمَعُهُمْ .

ثُمَّ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ طَبَارِيسُ عَابَسَ بِمَدِينَةِ رُومِيَّةَ . فَكَانَتْ مَدَّةَ مُلْكِهِ أَرْبَعَ سَنِينَ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ قَلُورُسُ بَرْمُويَّةَ . فَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهُوَ أَوَّلُ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ شَرَعَ فِي قَتْلِ النَّصَارَى وَاتَّبَاعِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا ، وَكَانَتِ الرُّومُ تَعْبُدُ التَّمَاثِيلَ .

وَلَمَّا هَلَكَ هَذَا الْمَلِكُ بَعْدَهُ نِيرُونُ . قَالَ : وَأَسْتَقَامَ مُلْكُهُ وَرَغِبَ فِي عِبَادَةِ التَّمَاثِيلِ وَالْأَصْنَامِ ، وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرًا .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ طَطُسُ وَاسْبَابُوسُ مُشْتَرِكَيْنِ فِي الْمُلْكِ . فَكَانَتْ مُلْكُهُمَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَاسْنَةُ مِنْ مُلْكِهِمَا سَارَا إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَتْ لَهَا حُرُوبٌ عَظِيمَةٌ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلَ فِيهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ثَلَاثِمِائَةَ أَلْفٍ وَخَرَّبَا بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَأَزَالَا رُسْمَهُ ، وَكَانَ يَعْبُدَانِ الْأَصْنَامَ .

قال المسعودي : وذكر في بعض التواريخ أن الله تعالى عاقب الروم من ذلك اليوم الذي حاربوا فيه بيت المقدس أن يُسبي منهم في كل يوم سبيٌّ فلا يومٌ إلا والسبي واقعٌ فيهم قل ذلك أو كثر.

ثم ملك بعدهما ذو مطيانس . فكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده تيرنوس . فكانت مدة ملكه سنة واحدة .

ثم ملك من بعده طومانوس . فكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أذربالس . فكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة ، وحرب سائر ما بقي بالشام لبني إسرائيل .

ثم ملك بعده أبطونيس . فكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة . قال : وبني بيت المقدس وسماء إيلياء .

ثم ملك بعده فرمودس . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده سيريس . فكانت مدة ملكه ثمانى عشرة سنة .

ثم ملك بعده ولده أنطويس . فكانت مدة ملكه تسع سنين .

ثم ملك بعده أنطويس الثانى . فكانت مدة ملكه أربع سنين ، وفي آخر ملكه مات جالينوس الطبيب .

ثم ملك بعده الإسكندر مامياس ، وتفسير مامياس العاجز . فكانت مدة ملكه ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده عردياس . فكانت مدة ملكه ست سنين .

ثم ملك بعده دقيوس وقيل فيه دقيوس . فكانت مدة ملكه ستين سنة .

قال : فأمن في قتل النصارى ، ومن هذا الملك هرب أصحاب الكهف .

ذكر خير أصحاب الكهف

قال الشيخ عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسين الأنطاقي في كتاب
المبتدأ يرفعه الى وهب بن منبه : إن أصحاب الكهف كانوا فتية من الروم ، وهم
الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ الآيات التي في سورة الكهف . قال :
وكان في إيمانهم عبرة وتفكر منهم في عظم الله وجلاله وملئكه وسلطانه وأصناف
خلقه ، لم يأتهم بذلك ونحو ولم يقرءوا كتابا ، ولم يدركوا زمان نبوة ، وكانوا في زمن
فترة قبل أن يبعث الله عز وجل عيسى بن مريم عليه السلام ، وهذا القول
مخالف لما ذكرناه آنفا ، فإن المساق الذي قدمناه من أخبار ملوك الروم يقتضي
أن بين رفع عيسى عليه السلام وبين ملك دقيوس ما يزيد على مائتي سنة . والله
عز وجل أعلم .

قال : وكانوا شبانا متقاربين في السن قلما يتفاوتون ، وكانوا من فصيلة واحدة
يجمعهم النسب ، وكانوا في حَسَبٍ عظيم من أحساب الروم ، من ولد عظامتهم وملوكهم
وأشرافهم ، وكان للروم فيهم هوى وصباية شديدة ، وكان ملك الروم الأول
في آباء أولئك الفتية ويُتَقَلُّ في فصيلتهم التي كانوا منها أكثر من أربع مائة عام حتى
انقرضت تلك الفصيلة وزال الملك عنهم . فكان أولئك الفتية عقب أولئك الملوك
وبقيتهم ، وكان الروم يمتنون بملكهم ويمدون اليهم أعناقهم لما قد بلغهم ما كان
الناس فيه في زمن أسلافهم من الخفض والدعة والعافية والبسط والأمن والسعة ،
فكانوا يؤملونهم ويرجونهم ، وكانت ملوك الروم قد جفّوهم وحرّموا وأقصوا
وأضرّوا بهم مخافة منهم على ملكهم لما يعلمون من رأى الروم فيهم ، وكانوا مع

ذلك يكفون عنهم أذا هم ، ويعرفون أنهم مَفْرَعُ الروم إن اختلفوا ومَعَوْلم عليهم ، فلم تزل تلك حالهم فيما بينهم وبين ملوكهم وقومهم حتى أراد الله تعالى بهم ما أراد من هُداهم والإيمان الذي توره الله في قلوبهم .

٨١

١٣

قال قائلٌ منهم : إني قد رأيتُ رأياً وقع في قلبي وأمرًا ثبت فيه ، فلستُ أبصرُ غيره ، وليس يُخْرِجُهُ من قلبي شيء ، اسمعوا أَعْرِضْ عليكم ، إني فُكِّرْتُ في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم والسحاب والمطر ، والأحياء والأموات ، والنبات ، والصغار والكبار ، والبقاء والفساد ، والشدة والرخاء ، وتقلب الدنيا بأهلها ، والأطباق التي تنصرف عليها الخلق طبقاً بعد طبق ، وقوماً عن قوم : من مَوْتٍ وحياة ، ونقص وزيادة ، وخفيض ورفيع ، وغنى وفقير ، وطول وعمر ونقص آخر ، وموت صغير وهرم كبير ، وأشياء لذلك كثيرة ، وهي أكثر من أن تُعَدَّ وتوصَف أو تحصى ؛ فلما نظرتُ فيها وأعملتُ الرأي والنظر أجمع رأيي على أن لها خالقاً بديعاً أبدعها ؛ ورباً يملكها ويُدبرها ، ويخلقها ويرزقها ، ويُغنيها ويُفقرها ، ويرفعها ويخفضها ، ويُحييها ويُميتُها ويُغنيها ، تنقلب في قبضته وتعيش برزقه ؛ فلما تمَّ لي الرأي نظرتُ في عظمة هذا الرب الذي أبدع هذا الخلق وضبطه ، ودبره وأحكم أمره ، فإذا قدرته تأتي من وراء ذلك كله ، ليس من هذا الخلق شيء يُفوتها ولا يخرج منها ، وإذا هي محيطةٌ بكل شيء ومن وراء كل شيء ، ثم نظرتُ في عظمة الرب هل أصفها كما وصفتها القُدرة ، وهل أعلم كُنْهَها ؟ فتدبرْتُ فيها ، وعجز عنها الحلم والعلم ، وحسرتُ عنها العقل والنظر ، وما بَقِيَ مما لم أذكره لكم معرفة القلب ولا يَصِفُهُ إلا أنه قد ألهم بمعرفته وأسرَّها أكثر وأعظم وأعجب مما وصفتُ وشرحتُ لكم ، فاذا تقولون ، وماذا تعرفون ، وماذا تفعلون ؟

قالوا : قد قُلْتَ قولاً عظيماً ووصفتَ أمراً عجيباً ، وما نحسبك إلا قد أصهتَ فيه الرأيَ والنظرَ ، وقد صدقتك وتابعتك ورأينا رأيك وواقعَ قلوبنا منه ومن معرفته مثلَ الذي عَرَفْتَ وواقعَ قلبك ، وإن كنا لَنرى مثلَ الذي رأيتَ من أعاجيبِ هذا الخَلْقِ وعظمة هذا الخالقِ ، وإن كان ليكثرُ أن يخطرَ على قلوبنا منه مثلُ ما خطرَ على قلبك ، ولكنَّا لم نشرحْ منه ما شرحتَ ولم نصفْ منه ما وصفتَ ، ولم نعملَ الرأيَ والنظرَ في معرفته مثلَ ما أعملتَ وعَرَفْتَ ، ولكنَّ اللهَ أرادَ هُناك وتفضيلَكَ وإكرامَكَ بما سبقتَ إليه من هذا القولِ وهذا العلمِ وهذه المعرفة ، ولكنَّ حَدَّثنا عما نسألك عنه ، وإنما نظرنا فيه بعدَ ما سمعنا قولَكَ ؛ هل ينبغي لهذا الربِّ الذي وَصَفْتَهُ بما وَصَفْتَهُ من العظمة أن يكونَ له شريكٌ في مُلكِهِ ، أو حاجةٌ إلى شيءٍ من خَلْقِهِ ، أو هل يَغلبُهُ شيءٌ يَسْتَعِينُ عليه بغيرِهِ ؟

قال لهم : لو كانَ له شريكٌ في شيءٍ من أمرِهِ لضَبَطَ ما ضَبَطَ ، ولو كانتَ به حاجةٌ إلى أحدٍ من خَلْقِهِ لكانَ مثْلَهُمْ ، ولو كانَ يَسْتَعِينُ على شيءٍ يَغلبُهُ بغيرِهِ إِذَا ما بَلَغَتْ قُدْرَتُهُ ما بَلَغَتْ ، ولا أَحاطَتْ بما أَحاطَتْ به ، ولا وَسِعَ ما أَتَسَعَ له من أمرِ خَلْقِهِ ، وتدير ما خَلَقَ ورَزَقَ وأَمَاتَ وأَحْيَا .

قالوا له : صدقتَ وعَرَفْنَا ما تقولُ وثَبَّتَ في قلوبنا ، ولكنَّ حَدَّثنا ما بَالُ خَلْقِهِ يَشْرَكُونَ به وهم يعرفونه حقَّ معرفته . قال : لأنَّه خَلَقَ فيهِم الأَهْواءَ وطَبَعَ فيهِم الشهواتَ ، وجَبَّلَهُم على الضَّعْفِ ، وثَبَّتَ معهم الشَّيْطَانَ ، فَن قِيلَ هذا عَدَلُوا به وهم يعرفون أنَّ الذين يدعون من دونه لا يُحْيُونَهُمْ ولا يُمَيِّتُونَهُمْ ، ولا يَخْلُقُونَهُمْ ولا يَرْزُقُونَهُمْ ، ولا يَضْرِبُونَهُمْ ولا يَنْفَعُونَهُمْ ، إِذَا مَسَّهُمُ الضَّرُّ فَيَأْتِيهِمْ يَدْعُونَ وإِلَيْهِ يَجْأَرُونَ ؛ فَمَعْد ذلك أَجْتَمَعَ رأيهم على أن يَأْوُوا إلى الكَهْفِ ، وأن يَعتَرِلُوا قومَهُمْ

وما يعبدون من دون الله ، فعندها قالوا : ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ قال : فلما أعتزلوهم وما يعبدون من دون الله آوؤا إلى الكهف رجاء أن ينشرهم ربهم من رحمته ويهيئ لهم من أمرهم مرققا . قال : وأرادوا أن يكونوا في عزلة من قومهم وشركهم حتى يفرق لهم رأيهم ، فالتقى الله عليهم السببات .

قال : وهم من مدينة من مدائن الروم يقال لها أفسوس ، ومليك الروم يومئذ دقيوس ، ويقال — والله أعلم — إن عدتهم سبعة ، كان عبد الله بن عباس يسميهم بأسمائهم ويقول : ما يعلمهم إلا قليل وأنا من أولئك القليل ، منهم مرطالوس ، ونونوس ، ودانيوس ، وسراقيون ، واسطاسالوس ، ومكسميس ، وتمليخا ، وهو الذي بعثوه يورقهم إلى المدينة ليرتاد لهم . هذا قول ابن عباس ، قال : وكانوا قوما يطلبون الصيد لئلا مسهم من الضر والحاجة ليس لهم كبير معيشة غيره ، فقالوا قولهم هذا ونظروا ما نظروا ، وهم يومئذ في الجبل الذي فيه كهفهم يطلبون الصيد ومعهم كلابهم وبزائهم وقسيهم ونبلهم . فلما أجمع رأيهم أن يآوؤا إلى الكهف لياتمروا فيه ، هل يقيمون مع قومهم على شركهم ، أم يفارقونهم فينتجعون ناحية من الأرض يحلّون فيها ويوحّدون فيها ربهم . فبينما هم على ذلك ألقى الله عليهم السببات وأخفى على جميع خلقه مكانهم ، وصرف عنهم الأبصار والعقول ، فليس يبصرهم أحد ولا يظن بمكانهم ، فلبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ، حتى انقرضت الأئمة التي كانوا فيها والمالك الذي كان عليهم ، وظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وآمن به الناس وآتبعوا ملته ورفع الله إليه وذهب زمانه وزمان أهل ملته وهم في كهفهم .

(١) أفسوس : مدينة في جزيرة باسمها في البحر الأبيض على مقربة من ساحل آسيا الصغرى .

قال : وقد كان عيسى بن مريم عليه السلام قبل أن يرفعه الله يحدث عنهم وعن إيمانهم وبصيرتهم ، وكيف تفكروا في عظمة ألهمهم ، وكيف ألقى الله عليهم السببات في كهفهم ، وكيف أخفى مكانهم عن الناس ، ولا ينبغي لأحد أن يبتدى إليهم ولا يعرف مكانهم ، وكان يخبر أن الله سيرد إليهم أرواحهم ويدل على كهفهم ليكونوا عبرة لمن خلفهم إن أراد أن يعتبر بهم .

قال : فرد الله إليهم أرواحهم بعد أن ليثوا في كهفهم العدة التي ذكرها الله عز وجل في القرآن ولزمهم كلهم ، فلبث سنيهم كلها ، كما أخبر الله تعالى : ﴿ وَكَلِّمُهم بِأَمْطٍ ذِرَاعِهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ . والوصيد : فناء الكهف الذي فيه موضع الباب ، وكان الكلب من كلاب صيدهم ولم يطعم ولم يشرب ليجمعه الله آية من آياته .

قال : فلما رد الله عليهم أرواحهم ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ وهم حينئذ يظنون أن قومهم أحياء ، وأنهم على ما يعهدون من حالهم وشركهم وعتق مملكتهم ، فأنطلق رجل منهم يقال له تليخا ، وكان أشدهم وأنجدهم ، فتوجه حتى إذا خالط ربح المدينة أنكره وأنكر ما وجد به من الناس والدواب والبنيان وغير ذلك ، ووجد الناس على حال لم يكن يعهدا وسنة لم يكن يعرفها ، ووجدهم يتناعون بوريق لا يشبه الورق الذي معه ، فتحير وأنكر وأقبل وأدبر ، وأبطأ على أصحابه حتى خافوا عليه ، وظنوا أنه فطن به وقدر عليه . فلما طال عليه ذلك دخل المدينة من ناحية أخرى من نواحيها خفية فوجد حال أهل المدينة على حال أهل الرّيح في كل شيء ، فلما شك وأرتاب وألبس عليه رأيه عمدا إلى مشيخة من أهل المدينة توسم فيه الخير ليتجسس ويسمع قولهم ، فوجد معهم الإنجيل يقرءونه ، فسمع ما فيه من توحيد الله وعظمته وعذابه وسنته وشرائعه وحلاله وحرامه ، فعرف ذلك وأذعن إليه وأنصت بسمع حتى إذا

فَرَعُوا مِنْ قِرَاءَتِهِمْ سَأَلَهُمْ عَنْ كِتَابِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا كِتَابُ اللَّهِ الْإِنْجِيلُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبِيَّهُ . قَالَ : وَأَيْنَ عِيسَى ؟ قَالُوا : قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ . قَالَ : وَكَمْ لَبِثَ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . قَالَ : وَهَلْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَمُوتُونَ وَأَدْرَكْتُمْ زَمَانَهُ ؟ قَالُوا : لَا ، كَانَ قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ ، وَوَجَدْنَا كِتَابَهُ فِي أَيْدِي آبَائِنَا . قَالَ : أَفَكُلُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ تُؤْمِنُ بِهَذَا النَّبِيِّ وَبِهَذَا الْكِتَابِ وَتَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، إِلَّا مُسْتَحَقًّا بِذَنْبٍ أَوْ ظَالِمًا لِنَفْسِهِ . قَالَ : فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَلِكِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ دَقْيُوسُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : فَكَمْ لَهُ مِنْذُ هَلَكَ ؟ قَالُوا : أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ : فَهَلْ بَقِيَ لَهُ عَقِبٌ ، أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ بِهِ ؟ قَالُوا : نَقْتُلُهُ أَوْ نَخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا .

فَلَمَّا آمَنَهُمْ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِمْ وَرَأَى سَمْتَ الْإِسْلَامِ وَهَدْيَهُ عَلَيْهِمْ وَفَقَهُ اللَّهَ وَهَدَاهُ لِمَسْأَلَةِ سَأَلَهُمْ عَنْهَا . قَالَ : أَخْبِرُونِي ، هَلْ كَانَ نَبِيَّكُمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُخَبِّرُكُمْ عَنْ سَبْعَةِ رَهْطٍ خَرَجُوا مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي زَمَنِ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ بِأَنْفُسِهِمْ وَدِينِهِمْ فَرَارًا مِنْ دَقْيُوسَ وَقَوْمِهِ ، وَمَا كَانُوا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَتَّى آوَوْا إِلَى الْكَهْفِ فِي هَذِهِ الْجِبَالِ فَاسْتَخْفَوْا فِيهَا . فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذَا أَوْجَسُوا فِي أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، قَالُوا : نَعَمْ ، قَدْ كَانَ يُخَبِّرُنَا عَنْهُمْ فَلَعَلَّكَ مِنْهُمْ فَإِنَّا نَسْكُرُ حَالَكَ كُلَّهُ . قَالَ : فَهَلْ كَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا بَلَّغْتُمْ سَمِّيَ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَسَمُّوهُمْ لِي بِأَسْمَائِهِمْ ، فَسَمَّوْهُمْ حَتَّى إِذَا ذَكَرُوا أَسْمَهُ تَمْلِيخًا قَالَ : فَأَنَا تَمْلِيخًا وَأَنَا أَحَدُهُمْ ، نَحْرُوهُ سَجْدًا كَمَا صَنَعَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ يَوْسُفَ يَوْمَ دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ تَحِيَّتُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمُ السَّجُودَ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ أَدْخَلُوهُ مَسْجِدَهُمْ وَعَظَّمُوهُ وَوَقَرُوهُ وَأَكْرَمُوهُ وَرَفَعُوهُ وَجَعَلُوهُ أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ وَقَرَاءَهُمْ وَفَقَّهَهُمْ ، فَتَبَرَّكُوا بِهِ ، وَجَعَلُوهُ عِيدًا

عظيما، وأقام أياما بين أظهرهم ثم قال لهم : إن أصحابي الذين يحدثكم عنهم عيسى عليه السلام لا أراهم إلا وقد خافوا على وساء ظنهم وهم يظنون أن دقيوس حتى ؛ وأن الزمان زمانه ، وأن الدين دينه ، فانطلقوا بنا نعلمهم كيف أهلكه الله وقومَه وطهر الأرض منهم ، وكيف استبدل الله به وبأهل ملته أمة يوحّدونه ويعرفونه ويهدون بالحق وبه يعدلون . فانطلقوا معه حتى آتَوْا إلى الكهف فوجدوا كلَّهم باسطا ذراعَيْه بالوصيد فقالوا حين رأوه : وهذا الكلب أيضا من علامتكم التي كان يحدثنا عنها عيسى عليه السلام ، وقد كان يحدث أن أصحاب الكهف لا ينظر إليهم أحدٌ من خلق الله من يوم يدخلون الكهف إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام إلا رجلٌ واحدٌ منهم ، وهو الذي يدلّ عليهم وعلى مكانهم ، وأنت هو ؛ فدخل على أصحابه فأخبرهم بما رأى وما لقي ، ثم كان آخر العهد بهم . قال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَلِكَ أَتَيْنَاهُم لِيُعَلِّمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَئَاهُمْ أَعْلَمُ بِهِمُ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۖ ﴾ . قال : فبنوه حول الكهف وجعلوا الكهف في وسطه وكتبوا القصة على حيطانه .

قال وهب : فبلغني — والله أعلم — أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن نزول أخي عيسى بن مريم عليه السلام علمٌ للساعة ، وإن الله يبشّرهم عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، وإنه يحجّ في سبعين ألفا فيهم أصحاب الكهف لأنهم لم يموتوا ، ثم تُقبل ريحٌ صفراءُ يمانية ، ألين من الحرير ، وريحها ريح المسك فتقبض روح عيسى عليه السلام وأرواح من معه . انتهى خبر أصحاب الكهف ، فلنرجع إلى ما تكأ فيه من أخبار ملوك الروم .

قال : ثم ملك بعد دقيوس جالش . فكانت مدة ملكه ثلاث سنين . ثم ملك بعده قيطانس . فكانت مدة ملكه عشر سنين ، ثم كانت بعده ملوك الروم المنتصرة .

ذكر أخبار ملوك الروم المنتصرة

وهم ملوك القسطنطينية

(١) قال المسعودي: لما هلك قليطانس ملك بعده قسطنطين برومية، وهو أول من انتقل من ملوك الروم عن رومية إلى بيزنطيا، وهي القسطنطينية، فبناها هذا الملك وسماها بهذا الاسم. قال: وكان خروجه من رومية ودخوله في دين النصرانية لست خلت من ملكه، وذلك أن أمه هلانا خرجت إلى أرض الشام وبنت الكائس وسارت إلى بيت المقدس وطلبت الخشبة التي تزعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها، فلما ظفرت بها حملتها بالذهب والفضة واتخذت يوم وجودها عيدا، وهو عيد الصليب، لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول. وهي التي أبنت كنيسة يخصص على أربعة أركان، وأستخرجت الدفائن بمصر والشام، وصرفت ذلك في بناء الكائس وتشييد دين النصرانية، فكل كنيسة بالشام ومصر من بناء هذه الملكة هلانا.

قال: ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين أجمع ثمانية وعشرين أسقفا بمدينة نيقية بأرض الروم فأقاموا دين النصرانية. وهذا الاجتماع أول

(١) (راجع ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق).

(٢) كذا في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ١٥٢ طبع بلاق)، وفي نسخة أوب «هلاي».

وهو تحريف.

(٣) قال ابن الهروي: مدينة نيقية من أعمال أمطبول على البر الشرق وهي المدينة التي أجمع بها آباء الملة المسيحية، وكانوا ثمانية عشر أباً يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا الجمع: وهو أول الجامع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم وصورة كراسيم هذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم، وفي الطريق من هذه المدينة إلى بلاد الروم الشمالية قبر أبي محمد البطال على رأس تل عال في حد تخوم البلاد (راجع معجم البلدان لياقوت في كلامه على نيقية).

الاجتماعات الستة التي تذكرها الروم في كلامهم وتسميها القوانين ، ومعنى هذه الاجتماعات السنودسات وأحدها سنودس . فالأول بيقية وكان الاجتماع فيه على أرنوس ، وهذا اتفاق من سائر أهل دين النصرانية . والسنودس الثاني بقسطنطينية على مقدونس ، وعدة المجتمعين فيه من الأساقفة مائة وخمسون رجلا . والثالث بأقسيس وعدة من آجتمع فيه من الأساقفة مائة رجل . والرابع بخلقدونية وعددهم ستمائة وستون رجلا . والخامس بقسطنطينية وعددهم مائة وستة وأربعون رجلا . والسادس كان في [ملكة ^(٢)] المدن ، وعدتهم مائتان وثمانون رجلا .

قال : وكان السبب في دخول قسطنطين في دين النصرانية أنه خرج في بعض حروب أبرجان أو غيرهم من الأمم ، فكانت الحرب بينهم سجالات نحو من سنة ، ثم كانت عليه في بعض الأيام قُتِل من أصحابه خلق كثير وخاف البوار فرأى في نومه ^(٣) كأن رماحا نزلت من السماء فيها عَذَب وأعلام على رأسها صُلبان من الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الجواهر والخشب ، وقيل له : خذ هذه الرماح وقاتل بها عدوك تنتصر ، فجعل يحارب في النوم فرأى عدوه قد أنهزم : فاستيقظ من نومه ودعا بالرماح وركب عليها الصُلبان مثل ما رأى ، ورفعها في عسكره وزحف إلى عدوه فكسرهم وأخذهم السيف ، فزجع إلى مدينة بيقية وسأل عن تلك الصُلبان وهل يعرفون ذلك في شيء من الآراء والنحل ؟ فقليل له : إن بيت المقدس من أرض الشام يجمع هذا المذهب ، وأخبروه بما فعله من قبله من الملوك من قتل

(١) هكذا في مروج الذهب للسعودي ، وفي نسخة أ ، ب « بخلقدونية » .

(٢) الكلمة من مروج الذهب للسعودي .

(٣) هكذا في مروج الذهب . وفي الأصول : « فإرى » .

(٤) عذب : جمع عذبة ، وعذبة الرمح نرقة تشد على رأسه .

النصارى ، فبعث إلى الشام وبيت المقدس وحشر له ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا فأتوه ببقية فقص عليهم أمره فشرعوا له دين النصرانية ؛ فهذا هو السنودس الأول .

وقيل : إن أمه كانت قد تنصرت وأخفت ذلك عنه قبل هذه الرؤيا . وكان ملكه إلى أن هلك إحدى وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وعشرين .

ثم ملك بعده قسطنطين بن قسطنطين . فكانت مدة ملكه أربعا وعشرين سنة . وأبنتى كائس كثيرة وشيد دين النصرانية .

ثم ملك بعده ابن عمه بوليانس المعروف بالحنيفي ويسمى الرباط . قال : ولما ملك رجع عن دين النصرانية وغير رسومها وغزا العراق في ملك سابور بن أردشير فاتاه منهم غريب فذبحه . ولما هلك جزع من كان معه من الملوك والبطارقة ففرعوا إلى بطريق كان معظما عندهم يقال له يونياس ، وقيل : إنه كان كاتباً للملك الماضي ، فأبى عليهم إلا أن يرجعوا إلى دين النصرانية ، فأجابوه إلى ذلك فلما عليهم يونياس المذكور .

قال : ولما ملك كان له مراسلات مع سابور ومهادنة واجتماع ، ثم أنصرف بجيوش النصرانية موادعا لسابور وأخلف عليه ما أئلف الملك الماضي من أرضه بأموال حملها إليه وهدايا من ألقاف الروم ، وشيد النصرانية وأعاد معالمها ، ومنع من عبادة الأصنام والتماثيل ، وقتل من كان على عبادتها . فكان ملكه سنة .

(١) كذا في مروج الذهب للعمودي ، وفي نسخة أ « بقراس » وفي نسخة ب « لقيناس » .

(٢) سهم غرب ، بالإضافة وعلى الوصف ، : أي لا يدري رايه .

(٣) في مروج الذهب للعمودي : « مرياس » .

ثم ملك بعده أوالس قال : ولما ملك كان على دين النصرانية ثم رجع عنه ،
وهلك في بعض حروبه ، فكان مُلكه الى أن هلك أربع عشرة سنة . وقيل :
إن في أيامه استيقظ أهل الكهف .

ثم ملك بعده غراطيانس ^(١) . فكانت مدة مُلكه خمس عشرة سنة ، ولستة من
مُلكه كان آجتماع النصرانية ، وهو آخر الاجتماعات ، فأتوا القول في روح القدس ،
وهو السُّنودس الثاني .

ثم ملك بعده بدرسيس الأكبر ، وتفسير هذا الأسم عطية الله . قال :
ولما ملك قام بدين النصرانية وعظم أمرها وأبقت الكنائس ، ولم يكن من
أهل بيت المقدس ولا من الروم ؛ بل كان أصله من الأشبان ، وهم بعض الأمم
السالفة . قال : وقد كانت ممن ملكت الشام ومصر والمغرب والأندلس . وقد
تنازع الناس فيهم ، فذكر الواقدي في كتاب فتوح الأمصار أن بدءهم من أهل
أصهبان ، وأنهم ناقلة من هنالك ، وهذا يُوجب أنهم من قبل ملوك فارس .
قال : وذكر عبيد الله بن خرداذبة نحو ذلك ، وساعدهما على ذلك جماعة من
أهل السير والأخبار .

قال المسعودي : والأشهر من أمرهم أنهم من ولد يافت بن نوح ، وهم
الذارقة ملوك الأندلس واحدهم لذريق ، وقد تُنوزع في دياناتهم ، فمنهم من رأى
أنهم على دين المجوس ، ومنهم من رأى أنهم على مذهب الصابئة وغيرهم من عبدة
الأصنام . قال : وكان مُلك بدرسيس الى أن هلك تسع عشرة سنة .

ثم ملك بعده أوقاديس ^(٢) . فكان مُلكه أربع عشرة سنة [وكان ^(٣) على دين النصرانية .

(١) في مروج الذهب : (ج ١ ص ١٥٥ طبع بلاق) : « غراطيانس » .

(٢) في مروج الذهب : (أوباديس) . (٣) التكلة من مروج الذهب .

ثم ملك بعده بدرسيس الأصغر ، وذلك بمدينة أفسس ، وجمع مائتي أسقف وهو الاجتماع الثالث من الأسنودسات ، ولعن فيه نسطورس البطرك ، وإليه تنسب النسطورية من النصارى . وكان مُلك هذا الملك إلى أن هلك اثنتين وأربعين سنة .

ثم ملك بعده مرقياقس ^(١) وزوجته بلجاريًا . فكانت ملكة معه . وكان مُلكهما سبع سنين ، وفي أيامهما كان خبر اليعاقبة ووقوع الخلاف بينهم في الثالث . قال : وأكثر اليعاقبة من النصارى بالعراق وتكريت والموصل والجزيرة ومصر وأقباطها إلا اليسير فإنهم مائكية ، والنوبة والأرمن يعاقبة ، ومطران اليعاقبة بين الموصل وبغداد وتكريت ، وكان لهم بالقرب من رأس عين ^(٢) واحد فمات ، وانتقل مطرانها إلى بلاد حلب وقنّسرين والعواصم .

قال المسعودى : وكسرى اليعاقبة [رسمه ^(٣)] أن يكون بمدينة أنطاكية ، وكذلك لهم كسرى بمصر .

ثم ملكا بعدهما ليون الأصغر بن ليون . فكان ملكه ست عشرة سنة ، وفي أيامه أكرم مسعدة البعقوبى بطرك الإسكندرية ، واجتمع له من الأساقفة ستمائة وثلاثون أسقفًا . وفي تاريخ الروم أن عدة المجتمعة ستمائة وستون رجلًا ، وذلك بخلفدونية ، وهذا الاجتماع هو السنودس الرابع عند الملكية . واليعاقبة لا تعتد بهذا السنودس .

(١) في مروج الذهب : (مرقيانوس) .

(٢) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخًا ، وقرب من ذلك بينها وبين حران وهي إلى ديسر أقرب بينهما نحو عشرة فراسخ (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٣) الكلمة من مروج الذهب للمسعودى .

(٤) كذا في مروج الذهب ، وفي الأصول (أنرج لسفره ...) وهو تحريف .

قال : واليعاقبة أضيفت الى يعقوب البرذعى وبه عُرِفَتْ ، وكان من أهل
أنطاكية ، وكان يعمل البراذع بها .

ثم ملك بعده ابن له على دين الملكية . فكانت مدّة مُلْكِهِ الى أن هلك سنة .
ثم ملك بعده يير وهو من بلاد الأرمنان ، وكان ملكه سبع عشرة سنة ، وكان
يُمِيل الى رأى اليعاقبة ، وكان له حروب مع خوارج خرجوا عليه فى دار مُلْكِهِ
فقطّروا بهم .

ثم ملك بعده نسطاس ، وكان يذهب الى مذهب اليعاقبة ، وهو الذى بنى مدينة
عمورية ، وأصاب كنوزا ودقائق عظيمة . وكان ملكه تسعا وعشرين سنة .
ثم ملك بعده نوسطيانس تسع سنين .

ثم ملك بعده سطيانس . فكان ملكه تسعا وثلاثين سنة ، وبني كنائس كثيرة ،
وشيّد دين النصرانية وأظهر مذاهب الملكية ، وبني كنيسة الرها . وهى إحدى
عجائب مباني العالم .

قال : وقد كان فى هذه الكنيسة منديل يعظّمه أهل دين النصرانية ، وهو
أن يسوع الناصرى حين أخرج من ماء المعمودية تُشِف به ، فلم يزل هذا المنديل
يُنَادى الى أن قُتِل على كنيسة الرها ، فلما اشتد أمر الروم على المسلمين وحاصروا
الرها فى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة أعطى هذا المنديل للروم فوقعت الهدنة عليه ،
وفرّح الروم به فرحا عظيما .

ولما هلك هذا الملك ملك بعده قوسطيس وهو ابن أخيه ، وكان ملكه الى
أن هلك ثلاث عشرة سنة .

ثم ملك بعده طباريس . فكان ملكه أربع سنين ، وأظهر في مدة ملكه أنواعا من اللباس والآلات وآنية الذهب والفضة وغير ذلك من آلات الملوك .

ثم ملك بعده مورقيس ، وقيل فيه موريقس . فكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وهو الذي نصر كسرى أبريز على بهرام جوين على ما قدمناه ، ثم قُتل وانتصر أبريز لولده وبعث بجيوش الفرس ، وكانت له حروب ذكرناها .

ثم ملك بعده قرقاس^(١) . فكان ملكه الى أن قُتل أيضا ثمانى سنين .

ثم ملك بعده هرقل وكان بطريقا في بعض الجزائر قبل ذلك . قال : ولما ملك عمر بيت المقدس وذلك بعد أن كشف الفرس عن الشام ، وبني الكائس . ولسبع سنين خلت من ملكه كانت هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام

قال المسعودي : وجدت في كتب التواريخ تنازعا في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عصر من كان من ملوك الروم ؛ فمنهم من ذهب الى ما قدمناه ، ومنهم من رأى أن مولده صلى الله عليه وسلم كان في ملك نوسطينوس . وكان ملكه سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده نوسطينوس الثاني ، وكان ملكه عشرين سنة .

ثم ملك بعده هرقل بن نوسطينوس ، وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهيرقالية . وكان ملكه خمس عشرة سنة .

ثم ملك بعده أبنة مورك بن هرقل ، وهو الذي كتب الرِّبَجات في النجوم ، وعليه يعمل أهل الحساب . وفي تواريخ ملوك الروم فيمن سلف وخلف أن الملك

(١) في مروج الذهب : (قرماس) بالميم .

للروم كان في وقت ظهور الإسلام وخلافة أبي بكر وعمر هِرَقْلُ . وليس هذا الترتيب فيما عداها من كتب تواريخ أهل السَّير . وفي تواريخ أصحاب السَّير إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر وملك الروم قيصر بن فوق .

ثم ملك بعده قيصر بن قيصر ، وذلك في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ثم ملك بعده هرقل بن قيصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو الذي حاربه أمراء الإسلام الذين فتحوا الشام على ما نذكره إن شاء الله تعالى في خلافة عمر رضي الله عنه .

ثم ملك بعده مورك بن هِرَقْل في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ثم ملك بعده فوق بن مورك في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأيام

معاوية بن أبي سفيان .

ثم ملك بعده فلقط بن مورك بقیة أيام معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بينهما مراسلات ومُهادنات ، وكان مُلكه في آخر أيام معاوية وأيام يزيد أبنه ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم وصَدْرًا من أيام عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده لاوی بن فلقط في بقیة أيام عبد الملك بن مروان .

ثم ملك بعده جيرون بن لاوی في أيام الوليد بن عبد الملك وسليان بن عبد الملك أخيه وعمر بن عبد العزيز ، ثم اضطرب مُلك الروم لما كان من أمر مسَلَمَة بن عبد الملك بن مروان وغزو المسلمين لهم في البر والبحر ، فلكوا عليهم رجلا من غير

(١) في مروج الذهب : (فلقط) بالقاف .

(٢) في مروج الذهب : (لاون) .

أهل بيت الملك من أهل مَرْعَش^(١) يقال له جرجس^(٢). فكان مُلكه تسع عشرة سنة. ولم يزل مُلك الروم في اضطراب الى أن ملك عليهم قسطنطين بن اليون، وذلك في خلافة أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور.

ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين، وكانت أمه أرسى ملكة معه ومشاركة له في المُلك لصغر سنه. وملك في أيام المهدي والهادي.

ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون بن قسطنطين، وكانت أمه مشاركة له وسميت عيناها بعد موته.

ثم ملك بعده نقفور بن استبراق، وكان لهذا الملك مراسلات وحروب مع الرشيد، وغزاه الرشيد فأعطى القود من نفسه من بعد بغي كان منه في بعض مراسلاته، فأنصرف الرشيد عنه ثم غدر ونقض ما كان أعطاه من الانقياد، فكتم الرشيد أمره لعارض علة كان وجدها بالرقّة^(٣)، ثم تجهز وغزاه فنزل على هِرَقْلَة^(٤)، وذلك في سنة سبعين ومائة، فحاصرها سبعة عشر يوما فأصيب خلق من المسلمين وفيت الأرواد والعلوفات، ثم فتحها عنوة. وقيل: إنهم بادروا لما فتحها بطلب الأمان فأمنوا. والأشهر أنه فتحها عنوة.

ثم ملك بعده استبراق بن نقفور بن استبراق. وكان مُلكه في أيام الأمين، ولم يزل ملكا حتى غلب على المُلك قسطنطين بن فلقط، وكان مُلكه في خلافة المأمون.

(١) مرعش: بلدة من الشام. (٢) في مروج الذهب: «جرجيس».

(٣) الرقة: مدينة على القرات من ديار مصر، ويقال لها: «الرافقة».

(٤) هرقلّة: هي في شرق نهر يزل من جبل العلایا الى آخر سنوب، وهي عليه في قرب البحر، وفي شرقها جبل الكهف عند الروم.

١١ ثم ملك بعده توقيل وذلك في خلافة المعتمد ، وهو الذي فتح زبطرة وغزاه المعتمد بعد فتح عمورية .

ثم ملك بعده ميخائيل بن توقيل ، وذلك في خلافة الواثق والمتوكل والمتنصر والمستعين ، ثم كان بين الروم تنازع في الملك ، فلذكوا عليهم توقيل بن ميخائيل ابن توقيل .

١٢ ثم غلب على الملك بسيل الصقابي ولم يكن من أهل بيت الملك . وكان ملكه في أيام المعتز والمهتدي وبعض أيام المعتمد .

٨٧
١٣

ثم ملك بعده اليون بن بسيل . فكان ملكه بقية أيام المعتمد وصذرا من أيام المعتضد الى أن هلك .

١٠ ثم ملك بعده الإسكندروس فلم تحم الروم أمره فخلعوه .
وذكوا عليهم أخاه لاوى بن اليون بن بسيل الصقابي . فكان ملكه بقية أيام المعتضد وأيام المكتفى وصذرا من أيام المقتدر .

(١) زبطرة : ضبطها ياقوت بكسر الزاي ، وضبطها صاحب تقويم البلدان بفتحها وفتح الباء . وسكون الطاء . قال ابن حوقل : وأما زبطرة فإنها حصن من أقرب القوز الى بلد الروم ، تحربها الروم . وقال صاحب تقويم البلدان : وزبطرة اليوم خراب خالية من الزرع والسكان ولم يبق منها غير رمم سورها وليس بالكثير ، وهي في أرض مستوية والجبال تحيط بها والشجرة من جميع جهاتها على القرب منها وهي في الجنوب عن مطبة على نحو مرحلتين ، وهي في جهة الغرب عن حصن منصور على مرحلتين أيضا وبينها وبين حصن منصور الجبل والدرند ، ولقد اجتزت بها في عام فتحنا ملطية في المحرم سنة خمس عشرة وسبعمائة وكان في شهر نيسان واصطدنا من أرض زبطرة بين شجر البسلوط صيدا كثيرة وهي أراب كجار الى الغاية لا يوجد في الشام أراب تقاربين في القدر . (راجع تقويم البلدان ص ٢٣٤ طبع أوروبا) .

٢٠

(٢) كذا في الطبري (ص ١٨٥٨ ، ١٨٥٩) من القسم الثالث طبع أوروبا) ومروج الذهب للمسعودي .
وفي الأصول : « الصقل » .

ثم هلك وخلف ولدا صغيرا يقال له قسطنطين فلك وغلب على مشاركته في الملك
أرمينوس بطريق البحر صاحب حرب . قال : فزوج قسطنطين الصبي بأخته ،
وذلك في بقية أيام المقتدر وأيام القاهر والراضي والمتقى ، وذلك في سنة اثنين
وثلاثين وثلاثمائة .

قال المسعودي : فملوك الروم في هذا الوقت ثلاثة ، فالأكبر منهم والمدير
للأموار أرمينوس المتغلب على الملك ، ثم قسطنطين بن لاوى بن اليون بن بسيل ،
والثالث ابن لأرمينوس يُحاطب بالملك اسمه اسطفانس وجعل أرمينوس أبنا له آخر
صاحب الكرسي بالقسطنطينية ، وهو البطريك الأكبر الذي يأخذون عنه دينهم ،
وقد كان خصاه قبل ذلك أبوه وقربه الى الكنيسة . وهذا آخر من ذكره المسعودي
من ملوك الروم ولم نجد من ضبط أمرهم بعده على آتساق فذكره .

قال : فعدة ملوك الروم المنتصرة من قسطنطين بن هلاى الذى أظهر^(١) دين
النصرانية بالروم الى هذا الوقت أحد وأربعون ملكا ، ولم يعد [ابن] أرمينوس
وسنهم خمسمائة سنة وسبع سنين .

وقال في ملوك رومية : والذي وجدت في أكثر كتب التواريخ مما انفقوا
عليه أن عدة ملوك الروم الذين ملكوا مدينة رومية ، وهم الذين ذكرهم في كتابه
وذكرناهم نحن في كتابنا هذا ، تسعة وأربعون ملكا ، وجميع عدد سني ملكهم ، من أول
من ملكهم على حسب ما ذكرناه من الخلاف في صدر هذا الفصل إلى قسطنطين
ابن هلاى ، أربعمائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر وستة أيام . والله أعلم .

(١) التكلة من المسعودي .

(٢) في المسعودي : (اثان وأربعون) .

ذكر أخبار ملوك الصَّقَالِيَّة والنُّوْكِرْد

قال المسعودي : الصَّقَالِيَّة من ولد ماراي بن يافث بن نوح ، وإليه يرجع سائر أجناس الصَّقَالِيَّة وبه يُلْحَقُونَ في أنسابهم . ومنهم من ينقاد إلى دين النصرانية العاقبة ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلى شريعة . وهم أجناس : فمنهم جنس كان المثلَّك فيهم قديما في صدر الزمان ، وكان ملكهم يدعى ماجك ، وهذا الجنس يدعى لبنانا ، وكان يتلو هذا الجنس قديما في صدر الزمان سائر أجناس الصَّقَالِيَّة وهم اصطبرانة ، وملكهم يدعى بصقلاخ . وكنس يقال له ناجين ، وملكهم يدعى عرابة ، وهذا الجنس أشجع الصَّقَالِيَّة ، وكنس يدعى مناي ، وملكهم رتبيل ، ثم جنس يقال له سرتين ، وهو جنس مهيب عندهم ، ثم جنس يقال له مراوة ، ثم جروانيق وصاصين وخشانيين ورانجايين .

قال : والجنس الذي يدعى سرتين يحرقون أنفسهم بالنار ، وإذا مات لهم ملك أو رئيس يحرقونه ويحرقون دوابه ، ولهم أفعال كأفعال الهند .

قال : ومن الصَّقَالِيَّة جنس التحق بالخزر والروس . قال : والأول من ملوك الصَّقَالِيَّة ملك الدير ، وله مدن واسعة وعمائر كثيرة ، وهو يحارب الروم والفرنج والنوكردي وغيرهم من الأمم ، والحرب بينهم سجال : ثم يلي هذا الملك من بلاد الصَّقَالِيَّة ملوك الترك . قال : والصَّقَالِيَّة أجناس كثيرة ، ثم اختلفت الكلمة بين أجناسهم فزال نظامهم وملك كل جنس منهم عليهم ملكا .

هذا ما أورده المسعودي من أخبار الصَّقَالِيَّة . والله أعلم .

(١) في المسعود : (ج ٣ ص ٦٢ طبع أدربا) « ولبنانا » .

(٢) في المسعودي طبع أدربا : « عزنة » .

(٣) في المسعودي : « مناي » .

وأما التوكبرد فقال المسعودي^(١) فيهم : منهم أيضا من ولد يافث وبلادهم متصلة ببلاد المغرب ، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس . وهم ذو بأس شديد ومنعة ، ولهم مدن كثيرة ويجمعهم بلد واحد .

قال : وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أريكس ، والمدينة العظمى من مدنها ودار مملكتهم تبت^(٢) وهي مدينة عظيمة يخترقها نهر عظيم من أعظم الأنهار أسماء سايط والمدينة على جانبيه .

قال : ومن مدنها التي كان المسلمون ببلاد الأندلس قد غلبوهم عليها وسلبوها منهم وسكنوها ثم استعادها التوكبرد بعد ذلك من المسلمين مدينة تارة ومدينة طارينو ومدينة سيرينة ، ولم يذكروا من أمرهم خلاف ذلك فذكره .

ذكر خبر ملوك الإفرنجية والجلالقة

قال المسعودي^(٢) : لا خلاف أن الإفرنجية والجلالقة والصقالبة والتوكبرد والأسبان والترك والخزر وبرجان واللان وباجوج وماجوج وغير من ذكرنا ممن سكن بلاد الشمال من ولد يافث بن نوح .

قال : والإفرنجية أشد هؤلاء الأجناس بأسا ، وأمنعهم وأكثرهم عتة ، وأوسعهم ملكا ، وأحسنهم نظاما ، وأتقيادا للوكلهم ، وأكثرهم طاعة .

قال : والجلالقة أشد من الإفرنجية وأعظم منهم نكاية . والرجل الواحد من الجلالقة يقاوم عتة من الإفرنجية . ثم قال : وكلمة الإفرنجية متفقة على ملك واحد

(١) كذا في المسعودي (ج ١ ص ١٩٧ طبع بلاق) ووردت في الأصول هكذا : «تبت» .

(٢) راجع (ج ١ ص ١٩٦ طبع بلاق) .

لا تنازع بينهم في ذلك ، ومُذْنَهْم تَريد على مائة وخمسين مدينة غير الكُور .
وكانت أوائل بلادهم قبل ظهور الإسلام في البحر في جزيرة رودس وجزيرة
إقريطش ، ثم ملكوا بلاد الغرب وأستولوا عليها .

قال : وأول ملوك الإفرنجة قلويا وكان مجوسياً فنصرتَه أمرأته عرضلة ^(١) .

ثم ملك بعده أبْنَه لذريق .

ثم ملك بعده أبْنَه دفسوت ^(٢) .

ثم ملك بعده أبْنَه قادله .

ثم ملك بعده أبْنَه بيبق .

ثم ملك بعده قادله . وكانت ولايته ستاً وعشرين سنة ، وذلك في أيام الحَكَم

صاحب الأندلس ، وتَدافَع أولادُه بعده ووقع الاختلاف بينهم حتى تفانت ^{١٠}
الإفرنجة بسببهم .

وسار لذريق بن قادله فملك ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر ، وهو الذي

أقبل إلى طرطوشة فحاصرها .

ثم ملك بعده قادله بن لذريق تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر .

ثم ملك بعده أبْنَه لذريق ستّة أعوام ، ثم خرج عليه قائدُ الإفرنجة يسمّى يُوْسَة ^{١٥}

فلك الإفرنجة وأقام في الملك ثمانى سنين . وهو الذى صالح المجوس على بلده سبع

سنين بستائة رطل ذهباً وستمائة رطل فضة يؤذيها صاحب الإفرنجة إليهم .

(١) في المسعودى طبع أوربا : « قلودية » .

(٢) في المسعودى طبع أوربا : « دقثرت » .

ثم ولي بعده قادله وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر .
 ثم ولي بعده لذريق بن قادله واستمر في الملك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .
 هذا ما أورده المسعودي من أخبارهم في كتابه المسترجم بمروج الذهب
 ومعادن الجوهر .

ثم أتت بعد ذلك ممالكهم وأنبسط أيديهم وأستولوا على أكثر بلاد
 الغرب وغيرها .

ذكر طوائف السودان وشيء من أخبارهم ونسبهم
 قال المسعودي : لما تفرق ولد نوح في الأرض سار ولد كوش بن كنعان
 نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر . ثم أفرقوا فسارت طائفة منهم مقيم في المشرق ،
 وهم النوبة والحباشة والزنج . وسار فريق منهم نحو المغرب ، وهم أنواع كثيرة :
 الزغاوة والكانم ومرك (٢) وكوكو والحمي (٣) وغانة وغير ذلك من أنواع الأحابش والدامم ،
 ثم أفرق الذين يسموا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكين والمسكون ودبرا
 وغيرهم من أنواع الزنج .

قال : ومن مدنها بربرا وهي مدينة على خليج من البحر الحبشي يسمى الخليج
 البربري ، طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل .

(١) الذي في مروج الذهب للمسعودي يخالف ما هنا في بعض المواضع فراجع .

(٢) كذا في المسعودي (طبع أوربا) وفيه (طبع بلاق) « القانو » وفي الأصول « القانو » .

(٣) كذا في المسعودي (طبع بلاق) وفي الأصول « الكي » .

(٤) كذا بالأصل ، والذي في مروج الذهب (طبع أوربا) « المكبر والمسكر » ، وفيه (طبع بلاق)

« المكين والمسكون وبربرا » .

قال : وليست هذه برّآ هي التي تُنسب إليها البرابرة الذين بالمغرب من أرض
انريقية . قال : ولباس هؤلاء الزنج جلود النمورة ، وهي جلود كبيرة تُحمَل من أرضهم
الى بلاد الإسلام . قال : وأقاصى بلاد الزنج بلاد سفالة وأقاصيه بلاد الواق واق ،
وهي أرض كثيرة الذهب كثيرة العجائب والخصب ، حارة . وأخذ بها الزنج دار مملكة
وملكوا عليهم ملكا اسمه « وقليبي » وهي نسبة لسائر ملوكهم في سائر الأعصار .

قال : ويركب وقليبي وهو ملك من ملوك الزنج في ثلثمائة ألف راكب ،
ودوابهم البقر ، وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا إبل ولا يعرفونها ، وإنما
يركبون البقر بالسروج والظُلم ، ويقاتلون عليها وهي تعدو بهم كالخيل .

٨٩
١٣

قال المسعودي : رأيت بالرى نوعا من هذه البقر تبرك كما تبرك الجمل
وتحمل وتثور بأحمالها ، وتحمل عليها المينة من الخيل والإبل وغيرها فتنهض بحملها .
والغالب على هذا النوع من البقر حمرة الحدق وسائر البقر تنفر منها . قال : ولا يقع
البرد في بلاد الزنج . قال : ومنهم ناس مُحدّدو الأسنان يأكل بعضهم بعضا . قال :
ومساكن الزنج من حد الخليج المشعب من أعلى النيل الى بلاد سفالة والواق واق ،
ومقدار مسافة مساكينهم واتصالها في الطول والعرض سبعمائة فرسخ : برّ وأودية
وجبال ورمال .

قال المسعودي : ومعنى تسمية ملك الزنج « وقليبي » أى ابن الرب الكبير ؛
لأنه اختارهم للملكهم والعدل فيهم ، فمضى جارا للملك عليهم في حكمه أو حاد عن الحق قتلوه
وحرّموا عقبه الملك . وزعموا أنه إذا فعل ذلك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذى
هو ملك السماء والأرض ، ويسمّون الخالق عز وجل (مكليجو) وتفسيره
الرب الكبير .

قال: وَالزُّنْجُ أُولُو فَصَاحِيَةٍ فِي أَسْتَمْتُمْ وَفِيهِمْ خُطْبَاءٌ بَلَّغْتُمْ؛ يَقِفُ الرَّجُلُ الزَّاهِدُ مِنْهُمْ فَيُخَاطَبُ عَلَى الْخَلْقِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَرْغَبُهُمْ فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَتَعَشَّيْهِمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيُرْهِبُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ، وَيَذَكِّرُهُمْ قَتْلَ سَلَفٍ مِنْ مُلُوكِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ، وَلَيْسَ لَهُمْ شَرِيعَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا بِلِ رِسْمٍ لِمُلُوكِهِمْ، وَأَنْوَاعٌ مِنَ السِّيَاسَاتِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا وَيُسَوِّسُونَ بِهَا رَعِيَّتَهُمْ، وَأَكْثَرُ أَكْلِهِمُ الْمَتَّوْزُ، وَهُوَ كَثِيرٌ بِلَدِهِمْ، وَغَالِبُ أَقْوَاتِهِمُ الدُّرَّةُ وَتَبَتْ يَقَالُ لَهُ الْكَلَارِيُّ يُقْتَلَعُ مِنَ الْأَرْضِ كَالْحِجَاةِ وَالرَّاسِنِ، وَيَأْكُلُونَ الْعَسَلَ وَالْحَلِيمَ.

قال: وَمَنْ هَوَى مِنْهُمْ شَيْئًا مِنْ نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ جَمَادٍ عَبْدَهُ . . وَجَزَائِرُهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً وَفِيهَا النَّارُ جِيلٌ .

وَأَمَّا النُّوبَةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا فَأَقْتَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ فِي شَرْقِ النِّيلِ وَغَرْبِيَّهِ وَأَنَاخَتْ عَلَى شَطْبِهِ وَأَتَّصَلَتْ دِيَارُهَا بِدِيَارِ مِصْرَ، وَأَسْمَتْ مَسَاكِنُهَا عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ مُصْعَدَةً . وَمَدْيَتُهُمْ دُنُقُلُهُ . وَالْفَرِيقُ الْآخَرُ مِنَ النُّوبَةِ يَقَالُ لَهُ غَلْوَةٌ وَيَنْزِلُ مَدِينَةَ الْمَلِكِ وَأَسْمَاهَا سُرْنَةُ .

وَأَمَّا الْبُجَّةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بَيْنَ بَحْرِ الْقُلْزُومِ وَنِيلِ مِصْرَ وَتَشَعَّبُوا فِرْقًا وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ مُلُوكًا، وَفِي أَرْضِهِمْ مَعَادِنُ الذَّهَبِ . قَالَ: وَأَنْضَافٌ إِلَى الْبُجَّةِ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ رِبْعَةِ بْنِ نَزَارٍ بْنِ مَعْدَنَ بْنِ عَدْنَانَ وَتَرْوَجُوا مِنَ الْبُجَّةِ .

وَأَمَّا الْحَبَشَةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا فَإِنَّ دَارَ مُلْكِهِمْ كَعْبُرٌ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ دَارُ مَمْلَكَةِ النَّجَاشِيِّ . وَلِلْحَبَشَةِ مَدُنٌ كَثِيرَةٌ وَعِمَارٌ وَاسِعَةٌ، وَيَتَّصِلُ مُلْكُ النَّجَاشِيِّ بِالْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ، وَلَهُ سَاحِلٌ فِيهِ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ، وَهُوَ مُقَابِلٌ لِبِلَادِ الْيَمَنِ . فَمِنْ مَدُنِ الْحَبَشَةِ

(١) فِي الْمَسْعُودِي: « وَيُشَبَّهُ هَذَا الْكَلَارِيُّ الْفُلْفُلَ الَّذِي يَكُونُ بِالشَّامِ وَمِصْرَ » .

على الساحل : الزَيْلَعُ والدَّهْلَكُ ونَاصِصٌ ، وفي هذه المَدُن جماعةٌ من المسلمين إلا أنهم في ذمة الحبشة .

قال : وبين ساحل الحبشة ومدينة غَلافة ، وهي ساحل زبيد من أرض اليمن ، ثلاثة أيام عرض البحر . قال : ومنه عبّرت الحبشة الى اليمن حين ملكته في أيام ذي نَواَس ، وهذا الموضع هو أقل هذا البحر عرضا .

قال : وهنالك جزائر بين الساحلين منها : جزيرة العقل فيها ماء يُشرب فيفعل في القراشع والذكاء فعلا جميلا ، وبها جزيرة أسقطرة . وأما غير هؤلاء من الحبشة فمنهم من أمعن في المغرب مثل : الزَّغَاوَة والكَوَكُورُ والقراقرو ومديدة ومريس والمبرس والملانة والقوماطين ودُوَيْلَة والقرمة . قال : ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف وغيرهم ملكٌ يرجعون إليه .

الباب الرابع

من القسم الرابع من الفرق الخامس

في أخبار ملوك العرب ويتصل بهذا الباب خبر سبيل العرم

ذكر أخبار ملوك حِطَّان

قال المؤرخون : لم يكن للعرب مُلْكٌ حَقِيقٌ ، وإنما كان من مَلِكٍ حَمِيرٍ في بلاد اليمن سُمِّيَ مَلِكًا . وقد كانوا في بعض الأوقات يخرجون من بلادهم وَيَسِيحُونَ في الأرض حَتَّى بَلَّغُوا أَقْصَى الْمَغْرِبِ ، وَبَلَّغُوا مِنْ حُدُودِ الْمَشْرِقِ سَمَرْقَنْدَ ، وَبَلَّغُوا بَابَ الْأَبْوَابِ ، وَدَخَلُوا بِلَادَ الْهِنْدِ وَلَمْ يَسْتَقَرُّوا فِي غَيْرِ بِلَادِهِمْ ، فَلَا يَبْدُ ذَلِكَ مُلْكًا ، وَإِنَّمَا هُوَ غَارَةٌ .

فَأَوَّلُ مُلُوكِ حِطَّانَ عَبْدُ شَمْسٍ ، وَهُوَ سَبَأُ بْنُ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ حِطَّانَ ابْنِ عَابِرِ بْنِ شَاخِ بْنِ أَرْخَشْدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ سَبَأً لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ بِلَادَ الْيَمَنِ السَّبْيَ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ دُونَ فِي كِتَابِهِ الْمُرْجَمُ بِكَلِمَةِ الزَّهْرِ وَصَدْفَةِ الدَّرِّ : إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ هَذَا مُلْكٌ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ وَأَرْبَعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً . قَالَ : وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ مَنْ مُلْكَ مِنْهُمْ ، فَقِيلَ يَعْرُبُ بْنُ حِطَّانَ . قَالَ : وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِحُجَّةِ الْمَلِكِ : أَيْتُ اللَّعْنِ ، وَأَنْعِمَ صَبَاحًا . وَالْأَشْهُرُ أَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ سَبَأُ هُوَ أَوَّلُ مُلُوكِهِمْ . وَانْهَ اعْلَمْ .

ثُمَّ مُلْكُ بَعْدَهُ آبَنَةُ حَمِيرَ بْنِ سَبَأٍ ، قَالَ : وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ ، وَأَفْرَسَهُمْ وَأَجْلَهُمْ . وَقِيلَ : إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ حَمِيرًا لِكثَرَةِ لِبَاسِهِ الْأَحْمَرِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ يَلْقَبُ

بالعَرَجَج ، وهو أول مَنْ وضع تاج الذهب على رأسه من ملوك اليمن . وكان مُلكه خمسين سنة ، وذلك في عصر قَيْدَار بن إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم عليهما السلام .

ثم ملك بعده أخوه كَهْلَان بن سبأ . فكان مُلكه إلى أن هلك ثلثمائة سنة .

وَأُخْتَلَفَ فِيمَنْ مَلَكَ بَعْدَهُ ، فَقِيلَ : ملك بعده أَبُو مَالِك بن عَسْكَر بن سبأ . فكان

ملكه ثلثمائة سنة . وقيل ملك بعد كَهْلَان الرَّائِش وهو الحارث بن شَذَاد ، وكان

الحارث أول مَنْ غزاهم ، وَأَصَابَ الْغَنَائِمَ ، وَأَدْخَلَهَا الْيَمَنَ ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ خَيْرِ

خَمْسَةِ عَشْرَ أْبَاءً ، وَسُمِّيَ الرَّائِشُ لِأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلِ الْغَنَائِمَ وَالْأَمْوَالَ وَالسَّيِّئِ بِلَادَ

الْيَمَنِ فَرَأَسَ النَّاسَ [فِي أَيَّامِهِ] . وَفِي عَصْرِهِ مَاتَ لَقِيَانُ النَّسُور . قَالَ : وَذَكَرَ

الرَّائِشُ هَذَا نَبِيًّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَعْرِهِ ، فَقَالَ مِنْ قَصِيدَتِهِ :

وَيْمَلِكُ بَعْدَهُمْ رَجُلٌ عَظِيمٌ نَبِيٌّ لَا يُرَخَّصُ فِي الْحَرَامِ
يَسْمَى أَحْمَدًا يَا لَيْتَ أَنِّي أَعْمَّرَ بَعْدَ مَخْرَجِهِ بَعَامِ

قَالَ : وَكَانَ مُلْكُهُ مِائَةً وَخَمْسًا وَعَشْرِينَ سَنَةً . هَكَذَا نَقَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ

وَذَكَرَ الْخُلَافَ فِي أَبِي مَالِكٍ وَالرَّائِشَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . وَأَمَّا غَيْرُهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَذَكَرْ كَهْلَانَ

ابْنَ سَبَأٍ وَلَا أَبَا مَالِكٍ ، بَلْ قَالَ : إِنَّ خَيْرَ عَهْدٍ إِلَى ابْنِ ابْنِهِ الْمُنْطَاطِ بْنِ عَمْرِو بْنِ

حَمِير . قَالَ : وَفِي أَيَّامِهِ أَقْرَضَ مُلْكُ صَحَارٍ وَجَاسِمِ ابْنَيْ دَارِمٍ وَبَادُوا .

قَالُوا : ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَهْبَنُ أَبْرَهَةَ وَيُقَالُ لَهُ ذُو الْمَنَارِ . قَالُوا : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ

أَوَّلُ مَنْ أَقَامَ الْمَنَارَ فِي مَغَايِزِهِ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ

وَالسُّودَانِ ، وَاتَّخَذَهَا لِيَهْتَدَى بِذَلِكَ فِي قُفُولِهِ . وَكَانَ مُلْكُهُ مِائَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً ،

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي شَرْحِ قَصِيدَةِ ابْنِ عَبْدِ الدَّيْنِ الَّذِي يُنْقَلُ عَنْهُ الْمُؤَلَّفُ « سَدَر » وَفِي تَارِيخِ

الطَّبَرِيِّ (ص ٤٤٠ من القسم الأول طبع أورد يا) « ابْنُ أَبِي سَدَدٍ » .

(٢) التَّكْلُفَةُ مِنْ شَرْحِ قَصِيدَةِ ابْنِ عَبْدِ الدَّيْنِ .

وقيل مائة وثلاثا وثمانين سنة . هكذا ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن الذي ملك أبرهة . وقال المسعودي : إن الذي ملك بعد الرأس جبار بن غالب بن زيد ابن كهلان وقال : إن ملكه كان مائة وعشرين سنة . والله أعلم .

ثم ملك بعد أبرهة على ما ذكر ابن حمدون في تذكرة ابنه إفريقش ، وهو ذوا الأذعار . قال : سُمي بذلك لأنه خرج نحو بلاد المغرب وأوقع بقوم لهم خَلْقٌ منكراً فذعر الناس منهم وفرقوا . قال ابن عبدون : وغزا إفريقش بلاد المغرب حتى أتى طَنْجَةَ ونقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم ببلاد المغرب . وكان البربر بقية من قتل يوشع بن نون . قال : وإفريقش هو الذي بنى إفريقية وبه سُميت .

ثم ملك بعده ابنه العبد ويلقب ذا الشناتر ، وهي الأصابع في لغة حمير . قال : وخرج نحو العراق فأحتضر في طريقه . هكذا ذكر ابن حمدون . وقال عبد الملك : إن الذي ملك بعد إفريقش أخوه العبد بن أبرهة . قال : وهو ذوا الأذعار ، سُمي بذلك لأنه كان فيما ذكر أهل الأخبار غزا بلاد النساس فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ورجع إلى اليمن من سببهم يقوم وجوههم في صدورهم فذعر الناس منهم فسُمي بذى الأذعار . وكان ملكه خمسا وعشرين سنة . وقد قدمنا أن ذوا الأذعار هو إفريقش . والله أعلم .

ثم ملك بعده الهدهاد بن عمرو بن شرحبيل . هكذا قال ابن حمدون والمسعودي ، إلا أن المسعودي لم يذكر عمرا وقال الهدهاد بن شرحبيل . وسماه ابن قتيبة هذاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرأس ، وهو أبو بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وقيل سبعة ، وقيل ستة . وقد قدمنا

خبر بلقيس وأنها آبنة ذى أشرح ، وأن والدها لم يكن ملكا وإنما كان وزيرا للملك حير وهو شراحي الحميري . والله تعالى أعلم .

وَأَخْتَلَفَ فِيمَنْ مَلَكَ بَعْدَ الْهَدَهَادِ ، قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : تَبَعَ الْأَوَّلَ . وَكَانَ مُلْكُهُ أَرْبَعًا سَنَةً . وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَلَكَ بَعْدَ الْهَدَهَادِ ابْنَتُهُ بَلْقَيْسُ وَهِيَ صَاحِبَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . وَكَانَ مُلْكُهَا مِائَةً وَعَشْرِينَ سَنَةً .^(١) وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى أَخْبَارِهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ثم ملك بعدها ياسر بن عمرو بن شرحبيل وهو نَاشِرُ النَّعَمِ ، قالوا : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِإِنْعَامِهِ عَلَى الْعَرَبِ ، وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ ، وَسَارَ غَازِيَا وَأَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ حَتَّى بَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَهُوَ رَمْلٌ جَارٍ ، وَلَمْ يَجِدْ وَرَاءَ ذَلِكَ مَجَازًا لِكثَرَةِ الرَّمْلِ وَجَرَّيَانِهِ ، فَبَيْنَمَا هُوَ مُقِيمٌ إِذْ أَنْكَشَفَ الرَّمْلُ فَأَمَرَ بَعْضَ أَهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يَعْبرُوهُ وَأَصْحَابُهُ فَعَبَرُوا فَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ وَهَلَكُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، فَأَمَرَ بِضَمِّهِ مِنْ نَحَاسٍ فَنُصِبَ عَلَى صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ عَلَى صَدْرِهِ بِقَلَمِ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِنَاشِرِ النَّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ وَلَا يَتَكَلَّفَنَّ أَحَدٌ ذَلِكَ^(٢) فَيُعْطَبَ ، وَرَجَعَ مِنْ هُنَاكَ . وَكَانَ مُلْكُهُ نَحْصًا وَثَمَانِينَ سَنَةً عَلَى زَوَايَا ابْنِ قَتِيْبَةَ . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : نَحْصًا وَثَلَاثِينَ .

ثم ملك بعده أبوكرب شمر بن إفريقش ، وَيُسَمَّى رِعْشَ لَأَرْتَعَاشِ كَانَ بِهِ . قَالَ : وَخَرَجَ نَحْوَ الْعِرَاقِ فِي زَمَنِ بَسْتَاسَفِ أَحَدِ مُلُوكِ الْفَرَسِ فَأَعْطَاهُ بَسْتَاسَفُ الطَّاعَةَ ، وَسَارَ نَحْوَ الصَّيْنِ حَتَّى نَزَلَ فِي طَرِيقِهِ بِلَادَ الصَّبْغَدِ ، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ

(١) راجع (ج ١٤ ص ١١١ - ١٢٤) من هذه الطبعة .

(٢) المراد بالمسند : الخط الحميري .

الأرض بمدينة سمرقند فأحاط بهم شمر وأفتحها عنوة وأسرف في القتل ونحرب المدينة وهدمها فسميت شمر كند، وعُربت بعد ذلك فقالوا : سمرقند . ومعنى شمر كند ، أى نحربها شمر . وفيه يقول دُعبل بن عليّ يفتخر باليمن من قصيدة :

هموا كتبوا الكتاب بباب مَرٍو وباب الشاش ^(١) كانوا كاتيناً
وهم سَمُوا بشمر سمرقنداً وهم غرسُوا هناك التَّينين

قال : ولما فرغ من بلاد الصفد سار نحو الصين فأيقن ملكها بالبوار ، فأحاط وزير له بأن جدع أنفه وأتى الى شمر ، وهو بمفازة بينها وبين الصين عشر مراحل ، ومث إليه بأن ملك الصين فعل به ذلك لأنه نصحه ألا يحارب شمر وخالف رأيه ، فسأله شمر عن الطريق والماء ، فقال له : بينك وبين الماء ثلاث مراحل ، فتروّد لثلاثة أيام ، فلما قطعها أعوزه الماء وكشف له الرجل أمره فمات هو وأصحابه عطشا .

قال ابن قتيبة : وكانت مدة ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة . وقال المسعودي : ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده أبوه أبو مالك بن شمر ، قال : وتأهب للأخذ بثار أبيه فبلغه أن بالمغرب واديا من الزبرجد ، فعمله الشره على طلبه وترك ما عزم عليه فمات في طريقه . ثم ملك بعده أبوه تبع الأقون بن أبي مالك بن شمر . قال : وطلب ثار جده وأتى سمرقند فعمرها وجدد بناءها ، ثم أتى الصين وأحرب مدينتها وأبقي هناك

(١) الشاش : مدينة جبلية من عمل سمرقند ، وهي في أرض سهلة وعامة دورها يجري فيها الماء ، وهي من أنزه بلاد ما وراء النهر . وفي معجم البلدان لياقوت أثناء كلامه على سمرقند روى اليعنن هكذا :

هموا كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتيناً
وهم نخبوا سمرقنداً بشمر وهم غرسوا هنا التينين

مدينة أسكن فيها ثلاثين ألف رجل . قال الحمدوني في كتابه المترجم بالتذكرة :
هم إلى اليوم هناك في زى العرب ، ولهم بأس وشدة — يعنى يوم صنف كتابه
وهو في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أو نحو ذلك — قال : وفي أوانه كان بواراً
طسم وجديس على ما ذكره في وقائع العرب .

قال : وفي أوانه أيضاً كان سبيل العريم وتفرق سباً . وسأقضى ذكر ذلك في موضعه
إن شاء الله تعالى .

قال ابن قتيبة : وكان مُلْكُ تَيْعِ الْأَقْرَنِ ثلاثاً وخمسين سنة . قال المسعودي : إن
ملكه كان مائة وثلاثاً وستين سنة . ولم يذكر المَلِكُ الذي كان قبله ، ونسباً هذا
المَلِكُ أنه ابن شَمِير .

- ثم ملك بعده على مارواه ابن حمدون — وهو إن شاء الله أشبه بالصواب — أسعد
ابن عمرو . قال : وملك والمُلْكُ متشّت فاستقرّ قومه فنهضوا معه في ملوك اليمن
حتى قتلهم مَلِكاً مَلِكاً ، وانتظم له مُلْكُ اليمن ، فوجه بآبن عم له يقال له القِيطُون
إلى الحجاز فبني وظلم فقتله اليهود . ولما بلغ أسعد ذلك غضب وحلف ليقتلن كل
يهودي في الأرض ، وتجهّز في مائة ألف حتى ورد يَثْرِبَ ، فأجتمع الأوس والخزرج
وأخبروه بقصة ابن عمه وبجره وظلمه فمعا عن اليهود وقال : لست أرضى بالظلم
ولو علمت ذلك منه لقتلته ، وأناه بنو هذيل بن مدركة فرغبوه في الكعبة وما فيها
من الذهب والجوهر ، فقدم مكة لذلك ، فأجتمع إليه أجبار اليهود وقالوا : إن هذا
البيت العتيق الذي ليس لله عز وجل بيت في الأرض غيره وقد رام إفساده كثير
من الملوك فأبادهم الله . وفي هذه البلدة يكون مولد نبي آخر الزمان اسمه محمد وأحمد
من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو خاتم الرسل ، وإنما أراد من ذلك على

ذلك هلاكك ، ف ضرب أعناق المُتدليين وأقام بمكة ستة شهور يتحرفى كل يوم ألف ناقة ، وكسا البيت وعلق عليه بابا من الذهب .

ولما هلك ملك بعده ابن عمه مرثد بن عبد كلال بن تبع الأقون المعروف بذي الأعواد . قال : وكان ملكه أربعين سنة . ولما هلك ملك بعده أولاده وكانوا أربعة مشتركين فى الملك على كل واحد منهم تاج . قال : وخرجوا إلى مكة ليقلعوا الحجر الأسود ويتبنوا بيتا بصنعاء يكون حج الناس إليه ، فاجتمعت كنانة وقتلوا أمرهم فهر بن مالك والتقوا فقتل ثلاثة من الملوك وأسر الرابع .

ولما أسر هؤلاء ملكيت بعدهم أبطعة أبنه ذى الأعواد . قال : وكانت فاجرة قتلها قومها .

ثم ملك بعد أولاد ذى الأعواد ملكي كرب بن عمرو بن سعد بن عمرو ، وكانت مدة ملكه عشرين سنة ، وتخرج عن سفك الدماء فلم يغزو ولم يخرج من اليمن .

ثم ملك بعده تبع أسعد بن ملكي كرب . قال : ولما ملك غزا بنى معد بهامة فى ثلثمائة ألف طالبا لدماء الملوك الأربعة ، واجتمع بنو معد وعقدوا الرئاسة لأمية

ابن عوف الكافى المعروف بالعنسى ، ثم نفست ربيعة أن تكون الرئاسة فى مضر فقعدت عنهم ، فضعت مضر عن تبع وسأله الصلح على أن يؤدوا إليه عقل الملوك

الأربعة ، عن كل ملك ألف ناقة . وكذلك كانت دية الملوك فى الجاهلية . وديات من قتل معهم من الجنود لكل رجل مائة ناقة ، فقبل تبع ما بذلوه وأنصرف إلى

أرضه ووقع الشر بين الحيتين : ربيعة ومضر ، فأرسلت ربيعة إلى تبع رسلا فعقد بينهم حلفا وعقدا ، وهو الحلف الباقى بين ربيعة واليمن إلى أن جاء الإسلام . وأقام

تبع هذا بأرض الشام ما شاء الله ، ثم سار إلى الهند فى البحر وأشر الحرب بنفسه فبرز

إليه ملك الهند ، وهو ابنُ فوز الذي قتل الإسكندر أباه فقتله تبع بيده ، وتحصنت اليهود بمدينتهم وحاصروهم تبع شهرا حتى سألوه الأمان فأمنهم وقتل إلى بلاده .

ثم ملك بعده ابنه حسان بن تبع . قال : فغزا العراق في ثلثمائة ألف وأتى في طريقه مكة ، وقد عادت إليها خُرَاعة عند وفاة فِهْر بن مالك ، فأعطاه بنو زرار الطاعة . وروى عنه شعربخبر فيه ببعثة نبينا صلى الله عليه وسلم :

٩٣
١٣

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدَ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ بَارِئُ النَّسَمِ
فَلَوْ مَدَّ عُصْرِي إِلَى عُصْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَأَبْنَى عَمِّ

قال : ولما ورد العراق وجد الفرس وسلطانهم واه وقد مات هُرْمُزُ وولدت أمرأته غلاما ، وهو سابور ذو الأكتاف ، ومربيته أحدُ عطاء الفرس ، فلم يقم بضبط الملك ، فاستقبلوه بالطاعة وأقروا له بالخراج ، فأقام بالعراق حولا وعزم على غزو الصين فساء ذلك خبير وقالوا : نغيب عن أولادنا وعيالنا ولا ندرى ما يحدث بهم ، فمشوا إلى عمرو أخى حسان الملك وبعثوه على قتل أخيه على أن يملكوه عليهم ويعود بهم إلى بلادهم ، وأعطوه العهد والمواثيق إلا رجل يُقال له ذورعين ، فقال لهم : إنكم إن قتلتم ملككم ظلما خرج الأمر منكم فلم يحفلوا به ، فأقبل بصحيفة مختومة وقال لعمرو بن تبع : لكن هذه الصحيفة ودیعة لي عندك إلى وقت حاجتي إليها ، وأقبل عمرو ليلا إلى أخيه حسان وهونائم في فراشه فقتله وأنصرفت خبيرا إلى بلادها . هكذا قتل ابن حمدون في تذكرته .

وقال أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه في كتابه المترجم بتجارب الأمم في أخبار الفرس : إن ملك الفرس يوم ذاك هو قُبَاذ بن فيروز وهو أبو كِسْرَى أنوشروان ، وإن الملك الذي غزاه من ملوك حمير هو تبع والد حسان ، وكان معه لما غزا

الفرس أبنة حسان وابن أخيه شمر . قال : فسار شمر حتى نزل الحيرة ووجه ابن أخيه شمر ذا الجناح الى قبأذ فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله .

قال : ثم إن تبعا أمضى شمر ذا الجناح وابنه حسان الى الصغد وقال : أينما سبق الى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما فى جيش عظيم يقال إنهما ستمائة ألف وأربعون ألفا ، وبعث ابن أخيه — وأسمه يعفر — الى الروم .

قال : فأما يعفر فإنه سار حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة . والأناوة ومضى الى رومية فحاصرها ، ثم أصابهم جوع ووقع فيهم الطاعون فتفرقوا ، وعلم الروم بذلك فوثبوا عليهم فلم يفلت منهم أحد .

وأما شمر ذو الجناح فإنه سار حتى انتهى الى سمرقند فحاصرها فلم يظفر منها بشئ ، فلما رأى ذلك طاف بالحرس حتى أخذ رجلا من أهلها فاستمال قلبه ثم سأله عن المدينة ومليكها فقال : أما ملكها فأحق الناس ليس له هم إلا الأكل والشرب والجوع ، ولكن له بنت هى التى تقضى أمر الناس ، فثناه ووعدته حتى طابت نفسه ، ثم بعث معه هدية إليها وقال : أخبرها أنى إنما جئت من أرض العرب للذى بلغنى من عقلها لتكحنى نفسها ، فأصيب منها غلاما يملك العرب والعجم ، وإنى لم أجدى ألتبس مالا ، وإن معى من المال أربعة آلاف تابوت ذهبا وفضة هاهنا ، وأنا أدفعها إليها وأمضى الى الصين ، فإن كانت لى الأرض كانت أمرأتى ، وإن هلكت كان المال لها . فلما انتهت رسالته إليها قالت : قد أجبته فليبعث بالمال ، فأرسل إليها بأربعة آلاف تابوت ، فى كل تابوت رجلان ، وكان بسمرقند أربعة أبواب على كل باب منها أربعة آلاف رجل . قال : وجعل شمر العلامة بينه وبينهم أن يضرب لهم بالجلجل ، وتقدم بذلك الى رسله الذين وجههم ، فلما صاروا

بالمدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا وأخذوا بالأبواب، ونهّد شمر^(١) في الناس فدخل المدينة وقتل أهلها، وأحتوى على ما فيها . ثم سار إلى الصين فلقى الترك فهزمهم، وأتتهى إلى حسان بن تبع بالصين فوجده قد سبقه إليها بثلاث سنين .

قال : وفي بعض الروايات وهي المجتمع عليها : إن حسان وشمرًا أنصرفا في الطريق الذي كانا أخذاه فيه حتى قديما على تبع بما حازا من الأموال بالصين وصنوف الجوهر والطيب والسبي، ثم أنصرفوا جميعا إلى بلادهم ، فكانت وفاة تبع باليمن . وكان ملكه مائة سنة وإحدى وعشرين سنة .

قال : وأما في الرواية الأخرى فإن تبعًا أقام وواطأ أبنته حسان وآبن أخيه شمر أن يملكا الصين ويحملوا إليه الغنائم ، ونصب بينه وبينهم النار، فكان إذا حدثت حدث أو قدوا النار، فأتى الخبر في ليلة .

قال : وقد ذكر بعض الرواة أن الذي سار في المشرق من التابعة تبع الأخير، وهو تبع بنان أسعد أبو كرب بن ملك بن زيد بن عمرو بن ذى الأذعار ، وهو أبو حسان . أتتهى ما أورده ابن مسكويه من أخبارهم ، فلنرجع إلى مساق ما قدمناه مما نقله ابن حمدون .

قال : ثم ملك بعده حسان بن تبع أخوه ، فقتله عمرو بن تبع . قال : وأنصرف بالقوم إلى بلادهم فسأط الله عليه السهر فكان لا ينام ، فجعل الكهنة والقياف والعزافين فسألهم عن ذلك فلم يعرفوه ، فقال له رجل منهم : إنه يقال من قتل أخاه ظلما سأل الله عليه السهر وحرّم النوم ، فأحال بالذنب على حمير وجعل يقتل من أشار عليه بقتل أخيه واحداً بعد واحد، ثم أرسل إلى ذى رعين ليُلحقه بمن قُتل من

أصحابه، فقال : أيها الملك إني خالفتُ القوم فيما زينوا لك من قتل أخيك . قال :
ومن يعلم ذلك؟ قال : الصحيفة التي أودعتها عندك، فأخرجها فقرأها فإذا فيها :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بَنَوِمَ خَلَّى مَنْ بَيْتُ قَوِيرَ عَيْنِ
فَإِنْ تَكُ حِمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَعُذْرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

قال : فخلّى عمرو سبيله .

قال : ولما قتل عمرو أشرف قومه وصناديدهم تصعضع أمرُ حَمِيرٍ وَوَهَى
مُلْكُهَا، فَطَمَعَ فِيهِ بَنُو كَهْلَانَ بْنِ سَبَإٍ يَشْجُبُ بْنُ يَعْزُبَ بْنِ حِطَّانَ، فَوَثَبَ رُبْعَةُ
ابْنُ نَصْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ بْنِ مُرَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَذْحِجِ بْنِ كَهْلَانَ
فِي قَوْمِهِ وَجَمَعَهُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، وَجَمَعَ لَهُ عَمْرُو بْنُ تَيْعٍ وَالتَّقْوَا فُقُتِلَ عَمْرُو بْنُ تَيْعٍ .

وملك بعده رُبْعَةُ بْنُ نَصْرِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ قَالَ : وَكَانَ قَدْ رَأَى رُؤْيَا أَرْجَحَتْهُ
وَعُبِّرَتْ لَهُ أَنَّ الْحَبِشَةَ تَمْلِكُ بِلَادَهُ؛ فَوَجَّهَ ابْنَ أَخِيهِ جَذِيمَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نَصْرِ وَمَعَهُ
أَبْنَاهُ عَدِيُّ بْنُ رُبْعَةَ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَوَجَّهَ مَعَهُمَا حَرَمَهُ وَخِزَانَتَهُ، وَكَتَبَ لَهُمْ إِلَى سَابُورِ
ذِي الْأَكْثَافِ، فَأَسْكَنَهُمْ سَابُورُ الْحَيْرَةَ وَمَلَّكَهُمْ مَا حَوَّلَهَا .

قال : ولما بلغَ عَدِيُّ بْنُ رُبْعَةَ الْحُلُمَ زَوْجَهُ جَذِيمَةَ أُخْتَهُ رَقَاشَ فَوَلَدَتْ
لَهُ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ . وَهَؤُلَاءِ مَلُوكُ الْحَيْرَةِ عَلَى مَا نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِمْ .

قال : ولما ماتَ رُبْعَةُ بْنُ نَصْرِ تَجَمَّعَتْ حَمِيرٌ فَأَذْنَتْ كَهْلَانَ بِمُحَرِّبٍ أَوْ إِعَادَةِ
الْمُلْكِ فِيهِمْ، وَدَخَلَ بَيْنَهُمُ السُّفْرَاءُ فَسَلَمُوا الْمُلْكَ إِلَى حَمِيرٍ فَلَكَّتْ حَمِيرٌ عَلَيْهَا أَبْرَهَةَ
ابْنَ الصَّبَّاحِ بْنِ لُحَيْعَةَ بْنِ شَيْبَةَ الْحَمْدِ بْنِ مَرْثَدَ بْنِ الْحَمِيرِ بْنِ سَيْفِ بْنِ مَصْلَحِ

(١). في تاريخ أبي الفداء (ص ١١٨ طبع أوربا) ومروج الذهب للسعدي (ص ٢١٦ طبع بلاط)

« وكَيْفَةُ »، وفي مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٥ طبع أوربا) « وليعة » باللام .

ابن عمرو بن مالك بن زيد بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سعد
ابن زُرعة بن ذى المنار .

قال : فلك عليهم ومكث طول أيام سابور ذى الأكتاف ثم مات .

فلك بعده ابن عمه صُهبان بن محرز . قال : فبعث عُمالة على أرض العرب ،
وأستعمل على ولد سعد بن عدنان ابن خاله الحارث بن عمرو بن معاوية بن كندة
ابن عدى بن مرة بن زيد بن مذحج بن كهلان ، وكان الحارث يلقب بأكل المرار ،
وهو جد أمرئ القيس الشاعر بن حُجر بن الحارث ، وهو جد الأشعث بن قيس
ابن معديكرب بن جبلة بن عدى بن الحارث المذكور ، فقسم الحارث مملكته
بين ولده ، وكانوا ثلاثة : فلك أبنه حُجرا على أسد وكنانة ، وملك شرحبيل على قيس
وتميم ، وملك [سَلَمَة] ^(١) على ربيعة ، فمكثوا كذلك حيناً حتى مات أبوهم الحارث
فوثبت بنو أسد على حُجر فقتلوه ، ووثبت قيس وتميم على شرحبيل فطردوه ،
فغضب صُهبان وتجهز للسير إلى مضر ، فاستغاث مضر بربيعة وجاءت وفودهم
إليهم وأستنصروهم ، ورئيسهم كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جثم
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب بن وائل ، واجتمعت ربيعة ومضر
والرياسة على الحيين لكليب ، فقاتلوا صُهبان وعظاء قومه ، وهو اليوم المشهور
في العرب ، فقتل صُهبان . وفي هذا اليوم يقول عمرو بن كلثوم :

ونحنُ غداة أُوقد في خَزَازٍ ^(٢) رَقَدْنَا فوقَ رِفْدِ الرَاغِدِينَ

فَكُنَّا الْإِيْمِينَ إِذَا اتَّقَيْنَا وكان الأيسرين بنوا أَيْنَا

(١) التكلة عن النقائص (ص ١٠٧٣ طبع أوروبا) .

(٢) خَزَاز (يفتح أوله) : جبل لغنى آخر وله هضبات حر ، وفي أصله ماء لغنى يقال له (خزازة)
وهو في ناحية منج دون أمرة وفوق عاقل على يسار طريق البصرة إلى المدينة (راجع معجم ما استعجم) .

فَأَتَوْا بِالنَّهَابِ وَالسَّبَايَا وَأُتِيَ بِالْمَلُوكِ مُصَفَّدِينَ

قال : ولما قُتل صُهَيْبان بن مُحَرَّر ملك بعده الصَّبَّاح بن أبرهة بن الصَّبَّاح .
قال : وكان تَجْدًا جَلَدًا ، فسار الى مَعْدَ في مِثْنَى أَلْفٍ يطلب ثَارَ صُهَيْبان . قال :
وَتَجَمَّعَت مَعْدَ ورؤسهم كُلِّيبٌ أيضًا ، وكانت الحرب بينهم بموضع يسمَّى الكُّلاب ،
فَانْهَزَمَتِ الْيَمَنُ . وهذان اليومان من مفاخر زرار على اليمن ، وأمتنعت مَعْدَ بعد
ذلك على اليمن حتى قتل كُلِّيب بن ربيعة .

قال : ولما مات الصَّبَّاح ملك بعده أَبْنُ عم له فاسقٌ ، وقيل : إن الذي ملك
لَحْنِيعة ذو شنار ، قال : ولم يكن من أهل بيت المُلْك ، فَأَغْرَى بِحَبِّ الْأَحْدَاثِ
من أبناء الملوك ، فكان يطالبهم بما يُطالَب به النسوان ، وكان لا يسمع بأحد من
فتيان العرب وأولاد الملوك حَسَنَ الصُّورَةِ إِلَّا اسْتَدْعَاهُ وَطالَبَهُ بهذا الفعل القبيح ،
ولم يزل على هذه الطريقة المذمومة حَتَّى نَشَأَ غُلَامٌ من أبناء ملوك حِمْيَرٍ اسْمُهُ زُرْعَةُ
ابن كعب وَيُدْعَى ذَانُواس ، سُمِّيَ بذلك لَأَنَّهُ كَانَ له ذَوَاتَانِ تَسُوْسَانِ على عاتقه ،
وكان وضيئًا ، فاستدعاه لِمَثَلٍ ما كان يدعو اليه غيره ، فجعل تحت إِنْخِصِهِ سِكِّينًا ،
فلَمَّا خلا به الملك وَاتَّيَبَهُ ذُو نُوَاسَ فقتله ثم حَزَّرَ رأسه ، وكان له كُوَّةٌ يُشْرِفُ منها على
عَبِيدِهِ إِذَا قَضَى حَاجَتَهُ من الغلام الذي يَكُونُ عنده ويضع مِسْوَاكًا فِيهِ ؛ فلَمَّا
قتله ذُو نُوَاسَ جعل البسواك فِيهِ ، وجعل رأسه في تلك الكُوَّةِ الَّتِي كان يُشْرِفُ
منها على عبيده ، ثم خرج على العبيد فقالوا [له] : ذُو نُوَاسَ ، أَرَطَبٌ أَمْ يَبَاسُ ؟
فقال لهم : سل نجَّاس ، استرطبان ذُو نُوَاسَ . استرطبان لاباس . وتفسير ذلك :

(١) زيادة من السيرة لأبن هشام (ص ٢٠ طبع أوروبا) .

(٢) وردت هذه العبارة في السيرة لابن هشام بالفاظ فيها تقديم وتأخير .

سلوا الرأس التي في الكوة تخبركم وأتركوا ذا نواس ، قال : فأجمعت خير عليه أمرها وقالوا : ينبغي أن نملكه لأنه أراحنا من هذا الفاسق .

فملك عليهم ذو نواس زُرعة هذا . قال : ولما ملك وأستتب له الأمر فارق عبادة الأوثان ودخل في دين اليهودية وقتل من كان في بلاد اليمن على دين عيسى ابن مريم عليه السلام بمن أمتنع من موافقته ، ثم قصد تجران وبها عبد الله بن الناصر وأصحابه وهم على دين عيسى عليه السلام ، فسألهم الدخول في اليهودية فأمتنعوا ، فقتل عبد الله بن الناصر بالسيف وأضرم للباقيين نارا عظيمة فألقاهم فيها ، وهم أصحاب الأخذود الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ^(١) . قال : ولم ينج منهم إلا نفر قليل .

وكان سبب تهوده أن خير كان لها بيت نار فيه أصنامهم ، وكان يخرج من تلك النار عنق يمد مقدار فرسخين ، فحضر عنده قوم من اليهود وقالوا : أيها الملك إن هذا العنق من النار شيطان ، فطلب منهم تبيان ذلك ، فنشروا التوراة وقرءوها فراجع ذلك العنق وطُفِئت تلك النار ، فأعظم ذو نواس ذلك ودخل في دين اليهودية .

قالوا : ثم إن أحد الناجين من تجران - ويُعرف بدوس بن ذى ثعلبان - قصد قبضر ملك الروم مُستنجدا به ، ومُعظما عنده ما جرى على قومه وهم على دينه ، فاعتذر إليه ببعد دياره وقال : سأكتب لك إلى ملك على دينك قريب من ديارك ، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، فلما عرض عليه الكتاب وحدته بما جرى على أهل ملته غضب وحمى لأهل دينه ، وندب من جنوده سبعين ألف رجل مع

(١) سورة البروج آيات ٤ - ٨

(٢) في السيرة لأبن هشام (ص ٢٥ طبع أوربا) « درس ذو ثعلبان » .

(١١) ابن عمه أرباط ، وقدم إليه بأن يقتل كل من باليمن على دين اليهودية ، فركب أرباط في البحر حتى انتهى الى عدن فأحرق السفن وقال : يا معشر الحبشة ، العدو أمامكم ، والبحر وراءكم ، ولا تمنحني لكم إلا الصبر حتى تظفروا أو تموتوا كراما . قال : وألتقوا وأقتلوا فأنهزمت خير بعد حرب عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا . قال : وأحتجم ذو نواس البحر بفروه وقال : والله الفرق أفضل من أمر السودان ، ففرق . وكان ملكه مائتي سنة وستين سنة ، وهو آخر من ملك اليمن من حطان . بجميع ما ملكوا من السنين ثلاثة آلاف سنة وأثنان وثمانون سنة .

وأستولت الحبشة على ملك اليمن ففرق أرباط الأموال على أشراف الحبشة وحرم الضعفاء ، فجمع أبرهة أحد قواد الحبشة جمعا منهم وخرج على أرباط وحاربه فقتله أبرهة بيده وأستولى أبرهة على ملك اليمن .

ولما بلغ خبرهما النجاشي غضب لقتل أرباط وحلف لأطان أرض أبرهة سهلها وجبلها برجل ، ولأجزن ناصيته يدي ، ولأهريقن دمه بكفي ، وتجهز لالسير الى أرض اليمن ، فبلغ ذلك أبرهة فملا حرايين من تراب السهل والجبل ، وعمد الى ناصيته بفقرها ووضعها في حق ، وأحتجم وجعل دمه في قارورة وختم عليه وعلى الحق الذي فيه ناصيته بالمسك ، وبعث بذلك الى النجاشي وكتب إليه يعتذر مما فعله أرباط وأنه خالف سيرتك في العدل ، وقد بلغني ما حلفت ، وقد بعثت إليك بجرأين من تراب السهل والجبل ، فطأها هنالك برجلك ، وجز ناصيتي بيدك ، وأهريق دمي بكفك ، وبر في يمينك ، ولطف غضبك عني فأنما أنا عبد من عبيدك ، وعامل من

(١) في الأصول : « أرباط » بالياء الموحدة ، وهو تحريف ، وما أجتناه قلا عن السعدي

في مروج الذهب (ج ٣ ص ١٥٧ طبع أوربا) وسيرة ابن هشام (ص ٢٥ طبع أودبا) .

(٢) كما في السعدي وسيرة ابن هشام . وفي الأصول : « لأجزن » بالحاء وهو تحريف .

عمالك . فاعجب النجاشي عقل أبرهة وأقوة على مكانه ورضي عنه ، فبقى إلى زمان
كسرى أنو شروان وهو صاحب الفيل .

وكانت قصته أنه نظر إلى أهل اليمن يتأهبون للحج ، فسأل عن أمرهم ، فأخبر
أنهم يخرجون حجاجا إلى مكة فقال : أنا أكفيهم تحتم هذا السفر البعيد ببيعة أبيها
بضعاء فيكون حج اليمن إليها ، وأمر بنتها فبئت . وقد تقدم وصفها في الف
الأول في المباني ، ونصب عند المذبح ذرة عظيمة تضيء في الليلة الظلماء كما يضيء
السراج ، ثم نادى في أهل مملكته بالحج إليها ، فغضب العرب لذلك ، فأنطلق رجلان
من خثعم فأحدثا في البيت الذي بناه ولطخاه بالعدرة .

وقيل : إن الذي فعل ذلك رجل من كانه ، فأتهم أبرهة قريشا بذلك ، وكان
حينئذ بضعاء تجار من قريش فيهم هشام بن المغيرة ، فأحضرهم وسألهم عن
أحدث في بيعته ، فأنكروا أن يكونوا علموا بشيء من ذلك ، فقال أبرهة : ظننت
أنكم تعلم ذلك غضبا لبيتم الذي يحج إليه العرب ، فقال هشام بن المغيرة : إن بيتنا
حرز مجتمع فيه السباع مع الوحوش ، وجوارح الطير مع البغاث ، ولا يعرض منها شيء
لصاحبه ، وإنما ينبغي أن يحج إلى بيعتك هذه من كان على دينك ، فأما من كان على
دين العرب فلا يؤثر على ذلك شيئا . فاقسم أبرهة ليسيرن إلى البيت فيهدمه حجرا
حجرا . فقال له هشام بن المغيرة : إنه قد رام ذلك غير واحد من الملوك فما وصلوا
إليه لأن له ربا يمنعه . ففرج أبرهة في أربعين ألفا وسار بالقبيل ، فغضبت لفعله
همذان وجمعت إليها قبائل من اليمن - وكان ملكهم رجلا من أشراف اليمن يقال
له ذو نفر - فاستقبلوه فخار به فهزمهم وظفر بذي نفر ملك همذان ونفيل بن

(١) راجع الجزء الأول (ص ٣٨٢ من هذه الطبعة) .

حبيب سيد ختم أسيرين فأمر بضرب عنقهما . فقالا : أيها الملك ، استبقنا لنذلك
على الطريق فإننا من أدل العرب ، ففعل ذلك . فلما صاروا في مفرق الطريقين :
مكة والطائف ، قال ذو نفر لابن حبيب : كفى بنا عارا أن نطلق بهذا الأسود
الى بيت الله تعالى فيهدمه ! قال ابن حبيب : هلم بنا لناخذ به طريق الطائف
فيشتغل بتقيف ولعله يرى ما يسوءه ، فلم يشعر أهل الطائف صباحا إلا والحيوش
قد وردت عليهم ، فخرج أبو مسعود الثقفي في نفر منهم ، فأعلم أبرهة أنها ليست
طريقه ، وسار أبرهة حتى أتى مكة وأستاق السوائم ونزل على حد الحرم ، فكان فيما
ساق مائتا ناقة لعبد المطلب بن هاشم ، فركب عبد المطلب فرسه وقصد العسكر
ودخل على أبرهة فأعجبه جماله وأكرمه ونزل عن سريره كان عليه وجلس دونه حتى
لا يرفع عبد المطلب إليه ، ثم قال له : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرُدَّ على الملك
مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال له أبرهة : قد كان بلغني شرفك
في العرب وفضلك فأحببتك ، ثم دخلت على فرأيت من جمالك ووسامتك ما زادني
حبا ، فنقصت عندي في سؤالك إياي مائتي ناقة وتركت أن تسألني في الرجوع عما
همتُ به من هدم هذا البيت الذي هو شرفك وعزك ! قال عبد المطلب : أيها
الملك ، إن لهذا البيت رباً سمّيته منك وأنا ربّ إبلي ، وقد رام هدمه من لا يحصى
من الملوك فرجعوا بين أسير وقتيل ، فردّ إبله ، واجتمع الى عبد المطلب أشرف
قومه فقالوا : اجعل له مالا نجمة له ليرجع عما هم به من هدم هذا البيت . قال لهم
عبد المطلب : وما عسى أن نجعل له من المال مع عظم ما هو فيه من الملك والسلطان !
أطمئنوا ، الله أمددكم ، فوالله لا يصل إليه أبدا . ثم أنشد عبد المطلب يقول :

يارب إن المرء يم * منع جازه فامنع جلالك

(١) كذا في نسخة أ . وفي نسخة ب « لله أبركم » .

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيلُهُمْ * بَقِيَا وَمَا جَمَعُوا مِثْلَكَ

إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ * لَمَنَّا فَأَمْرٌ مَابَسَدَالُكَ^(١)

ثم عَلَا جَبَلُ أَبِي قُبَيْسٍ هُوَ وَحَكِيمُ بْنُ حِرَامٍ وَنَفَرٌ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، وَهَرَبَ النَّاسُ فَلَحَقُوا بِرُءُوسِ الْجِبَالِ، وَأَمَّ أَرْهَةُ الْبَيْتِ وَقَدَّمَ أَمَامَهُ الْفِيلَ، وَكَانَ أَكْبَرَ

فِيلٍ رَأَاهُ النَّاسُ كَالْجَبَلِ الْعَظِيمِ، وَأَسَمَهُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ مَحْمُودَ؛ فَلَمَّا آتَاهِ الْفِيلُ إِلَى

طَرَفِ الْحَرَمِ بَرَكَ، فَكَانُوا يَخْشَوْنَهُ، فَإِذَا أَخَذُوا بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا هَرَوَلًا، وَإِذَا

أَحْمَوْهُ بَرَكَ. فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ. فَلَمَّا قَارَبَ الْمَسَاءَ نَظَرُوا إِلَى طَيْرٍ قَدْ

أُفْلِتَ مِنْ نَحْوِ الْبَحْرِ لَا تُحْصِي كَثْرَةَ أَصْغَرُ مِنَ الْحَمَامِ، فَعَجِبُوا مِنْ كَثَرَتِهَا وَلَمْ يَعْرِفُوهَا

وَلَا رَأَوْا عَلَى خَلْقِهَا طَيُورًا، وَكَانَ مَعَ كُلِّ طَيْرٍ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ: حَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرٌ

فِي مَنْقَارِهِ، عَلَى مَقْدَارِ الْحَصَى، فَرَفَرَتْ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَأَطْلَتْ عَسْكَرَهُمْ، ثُمَّ قَذَفَتْ

بِالْحِجَارَةِ عَلَيْهِمْ، وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَزَادَتْ الْحِجَارَةُ صَعُوبَةً وَقُوَّةً، فَكَانَ الْحَجَرُ مِنْهَا

إِذَا وَقَعَ عَلَى رَأْسِ الرَّجُلِ مِنْهُمْ نَقَذَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ، فَإِذَا سَقَطَ عَلَى بَطْنِهِ خَرَجَ

مِنْ نَاحِيَةِ ظَهْرِهِ؛ فَكَانَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْفِيلِ: ﴿بَجَعَلَهُمْ

كَعَصِيفٍ مَأْكُولٍ﴾^(٢). وَخَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَأَصْحَابُهُ فَلَاؤُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْمَسَالِ، وَأَرْسَلَ

١٥ (١) هذه الآيات الثلاثة وردت هكذا في الأصول، وورد البيتان الأول والثاني منها في غير الأصول

باختلاف في بعض الألفاظ؛ إذ ورد البيت الأول في اللسان «مادة حُلَّ» وسيرة ابن هشام (ص ٣٥ طبع أوربا) هكذا:

لَا دَمَ إِلَّا الْبَيْدِيمُ * نَحَرَ رَحْلَهُ فَاثْنَعَ حَلَالُكَ

ورود البيت الثاني في اللسان (مادة حُلَّ) وسيرة ابن هشام هكذا:

٢٠ لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيلُهُمْ * وَمَحْلَتُهُمْ عَدَا مِثْلَكَ

والحلال (بالكسر): القوم المقيمون المتجاورون؛ يريد بهم هنا سكان الحرم. والمحال (بالكسر)

هنا: الكيد والقوة.

* (٢) سورة الفيل آية ٥

إلى قريش بجاءوه من الجبال وغنموا ما شاءوا ، فعظمت قريش في أعين العرب
وسمّوهم آل الله ، وأزداد عبد المطلب وأصحابه شرفا . ووُلِدَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد قدومهم بنحس وخمسين ليلة . وكان ذلك بعد عشرين سنة من ملك
أنو شروان .

معين التارخ لأهل التارخ

وملك اليمن بعد أبرهة أبنته يكسوم .

ثم ملك بعده مسروق بن أبرهة ، وهو الذي زال ملكه على يد سيف بن ذي يزن
على ما ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر خبر سيف بن ذي يزن

وعود الملك إلى حمير

وذلك أن حمير لما رأَتْ ملك الحبشة قد دام عليهم وتوارثوه فيهم ، اجتمع
ساداتهم إلى سيف بن ذي يزن — وهو من أولاد ذي نوّاس الذي غاب الحبشة على
اليمن في أيام ملكه — وبذلوا له أن يجمعوا له نفقة تُقيمهم ليسير إلى بعض الملوك
فيستجده ففعل ذلك ، وسار حتى وافى القُسطنطينية إلى قيصر ملك الروم ، فأستجده
فقال له قيصر : إن الجليش على ديني ، وما كنت لأعينك عليهم ، وأمر له بعشرة
ألف درهم ، فأبى أن يقبلها وقال : إذا لم تنصُرني فلا حاجة لي إلى مالك .
وأنصرف إلى كسرى وأستجده ، فقال له كسرى : بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة
خيرها ، إنما فيها الشاء والبعير وما لا حاجة لي فيه . فقال له سيف : لا تهتدي
أيها الملك في بلادى فإنها قُرُوضة العرب ، وأرض التبابعة الذين مأكوا أقطار أقاليم
الأرض ، ودان لهم أهل الشرق والغرب . قال كسرى : ما كنت لأغرر بجندى

فَمَا لَا يَنْفَعُنِي وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا أَتَتْهُ إِلَى بَابِ الْقَصْرِ ثَرَّهَا فِي النَّاسِ
 حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ كَسْرَى فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى اسْتِخْفَافِكَ
 بِصَلَاتِي حَتَّى ثَرَّتْهَا فِي النَّاسِ ؟ قَالَ : مَا أَصْنَعُ بِالْمَالِ وَتَرَابُ أَرْضِي ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ
 ثُمَّ خَفَّتْهُ الْعَبْرَةُ ، فَرَفَّقَ لَهُ كَسْرَى وَوَعَدَهُ بِالْإِنْتِصَارِ لَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِبَعْضِ وَزَرَانِهِ
 فَقَالَ : إِنْ فِي سَجُونِكَ بَشَرًا كَثِيرًا مِنْ أَسْتَوْجِبَ الْقَتْلَ ، فَمُرْ بِإِطْلَاقِهِمْ ، وَقُوِّهِمْ بِالْمَالِ
 وَالْكَرَّاعِ ^(١) وَالسَّلَاحِ ، وَوَجِّهْهُمْ مَعَ هَذَا الْعَرَبِيِّ ، فَإِنْ ظَفِرُوا كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي مُلْكِكَ ،
 وَإِنْ قُتِلُوا كَانَ ذَلِكَ جَزَاءً عَنْ جَرَائِمِهِمْ . فَأَعْجَبَ كَسْرَى هَذَا الرَّأْيَ وَعَمِلَ بِهِ وَقَدَّمَ
 عَلَيْهِمْ وَهَرِيرَ بْنَ كَاغْحَانَ ، وَكَانَ مِنْ فُرْسَانَ الْعَجَمِ وَأَهْلِي الْبُيُوتَاتِ ، وَقَدْ أَنَاثَ عَلَى
 الْمِائَةِ مِنَ السِّنِينَ ، وَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةَ رَجُلٍ ، فَرَكِبُوا الْبَحْرَ فِي سَبْعِ
 سَفُنٍ ، وَأَرْسَلَ سَيْفٌ إِلَى الْيَمَنِ وَمَخَالِيفِهَا ، فَأَتَوْهُ مِنْ أَقْصَى الْيَمَنِ وَأَدَانِيهَا حَتَّى
 صَارُوا فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَتَجَهَّزَ إِلَيْهِمْ مَسْرُوقٌ ، فَلَمَّا أَلْتَقَى قَالَ وَهَرِيرُ لِسَيْفٍ :
 أَرِنِي مِلِكَهُمْ ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ ، وَهُوَ عَلَى فِيلٍ وَعَلَى رَأْسِهِ النَّجَافُ وَفِيهِ بِاقُوَّةٌ حُمْرَاءُ مَدْلَاءٌ
 عَلَى جَبِينِهِ ، فَلَبِثَ سَاعَةً ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى فَرَسٍ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى بَغْلَةٍ ، فَقَالَ وَهَرِيرُ : ذَلِ
 الْأَسْوَدُ وَبَادَ مُلْكُهُ ، وَأَنَا أَرْمِيهِ فَنَأْتِلُ الرَّمْيَةَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَصْحَابَهُ تَصَدَّعُوا عَنْهُ
 وَحَاصُوا يَمِينًا وَشِمَالًا فَأَعْلَمْ أَنِّي قَتَلْتُهُ ، وَإِنْ لَمْ يَتَحَرَّكُوا مِنْ مَنَازِلِهِمْ فَلَمْ أَصْنَعْ شَيْئًا ؛
 ١٥ وَرَمَاهُ ، فَفَلَقَ السَّهْمُ الْبِاقُوَّةَ نِصْفَيْنِ وَخَرَجَ مِنْ مَوْخَرِ رَأْسِ مَسْرُوقٍ ، وَأَضْطَرَبَتِ
 الْحَبَشَةُ وَمَاجُؤَا ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ وَهَرِيرُ وَمَنْ مَعَهُ وَالْعَرَبُ فَوَلَّوْا مِنْهُمْ زَمِينَ ، وَدَخَلُوا
 صَنْعَاءَ وَقَتَلُوا كُلَّ أَسْوَدٍ يُوجَدُ فِي الْيَمَنِ . وَكَتَبَ وَهَرِيرُ إِلَى كَسْرَى بِالْفَتْحِ ، فَكَتَبَ

٩٨
١٣

(١) الكراع : الخيل :

(٢) حاصوا ، حاض عنه : قال وعدل .

إليه كسرى أن يسأل عن سيف بن ذي يزن^(١) ، فإن كان من أبناء الملوك فأقره على ملكه وأنصرفت عنه ، وإن لم يكن من أبنائهم فأضرب عنقه وأقم في الأرض متولياً لهم .

قال : فسلم وهيرز إليه ملكه وخلف من كان معه من العجم بصنعاء وأنصرف إلى كسرى ، وملك سيف^(٢) اليمن لكسرى ، وتداولتها الولاة بعده من قبل كسرى . وكان ملك الحبشة على اليمن اثنتين وسبعين سنة ثم أترع عنهم .

ذكر أخبار ملوك الشام من ملوك قحطان

قال عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر وصدة الدر^(٣) : ومن أهل اليمن من خرج منها فملك الشام ، وهم آل جفنة وأولهم : الحارث بن عمرو بن عامر ابن حارثة [بن أمريئ القيس بن مازن بن الأزد بن العوث بن ثبث بن مالك^(٤)] بن زيد ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويكنى الحارث بأبي شير . ثم تداولها منهم سبع وثلاثون ملكاً . ومدة ما ملكوا من السنين ستمائة سنة وست عشرة سنة إلى أن كان آخرهم جبلة بن الأيهم ، وهو الذي تنصرف في أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بعد أن كان قد أقبل إلى عمر وأسلم .

(١) كذا وردت هذه القصة في الأصول وكتب التاريخ والطبري في إحدى رواياته منسوبة إلى سيف ابن ذي يزن . وفي مروج الذهب والرواية الأخرى في تاريخ الطبري أنه منسوبة إلى معد يكرب بن سيف . ابن ذي يزن .

راجع تاريخ الطبري (ص ٩٤٩ - ٩٥٨ . من القسم الأول طبع أوربا) ومروج الذهب (ص ١١٢ - ١٧٦ ج ٣ طبع أوربا) .

(٢) راجع هذا الكتاب (ص ٨٧ طبع أوربا) .

(٣) الزيادة من كامة الزهر .

ثم إنه كان في الطواف فداً رجل طَرَفَ رِداءه فلفظمه جَبَلَةً ، فأتى الرجلُ
عمرَ رضى الله عنه فطلب جَبَلَةً لِيَقِيدَهُ مِنْهُ فَتَصَرَّ جَبَلَةً وَلَحِقَ بِهِرَقْلُ صَاحِبِ
الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، فَأَقْطَعَهُ هِرَقْلُ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ وَالرَّيَاحِ ، ثُمَّ نَدِمَ جَبَلَةً عَلَى مَا كَانَ
مِنْهُ وَقَالَ :

تَنَصَّرْتُ الْأَشْرَافَ مِنْ أَجْلِ لَطْمَةٍ * وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرٌ
تَكْتَفِنِي مِنْهَا بِلَجَاجٍ وَنَحْوَةٍ * فَبِعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعَوَرِ
فِيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي * رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عُمَرُ
وَيَا لَيْتَنِي أَرَعَى الْمُخَاضَ بِقَفْرِ * وَكُنْتُ أَسِيرًا فِي رِبْعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ
وَيَا لَيْتَ لِي بِالشَّامِ أَدْنَى مَعِيشَةٍ * أَجَالِسُ قَوْمِي ذَاهِبِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ

وَحُكِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعَثَ إِلَى هِرَقْلَ رَسُولًا يَدْعُوهُ
إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ إِلَى الْحَزْبِ فَأَجَابَ إِلَى الْحَزْبِ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّسُولُ الْإِنْصِرَافَ قَالَ
لَهُ هِرَقْلُ : أَلْقَيْتَ ابْنَ عَمِّكَ هَذَا الَّذِي عِنْدَنَا — يَعْنِي جَبَلَةً — الَّذِي أَنَا نَا رَاغِبَا
فِي دِينِنَا ؟ فَقَالَ : مَا لَقَيْتُهُ . قَالَ أَلْقِهِ ، قَالَ الرَّسُولُ : فَذَهَبْتُ إِلَى بَابِ جَبَلَةٍ
فَإِذَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَهَارَةِ وَالْحِجَابِ وَالْبَهْجَةِ وَكَثْرَةِ الْجَمْعِ مِثْلُ مَا عَلَى بَابِ هِرَقْلَ . قَالَ :
فَتَلَطَّفْتُ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ حَتَّى أُذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَوَافَيْتُهُ أَصْهَبَ اللَّحْيَةِ ، وَكَانَ
عَهْدِي بِهِ أَسْوَدَ اللَّحْيَةِ وَالرَّاسِ ، فَأَنْكَرْتُهُ وَإِذَا هُوَ قَدْ ذَرَسُ^(١) سَحَابَةَ الذَّهَبِ عَلَى لَحْيَتِهِ
حَتَّى صَارَ أَصْهَبَ ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَوَائِمُهُ أَرْبَعَةُ أَسْوَدٍ مِنَ
الذَّهَبِ . قَالَ : فَلَمَّا عَرَفَنِي رَفَعَنِي مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ . قَالَ : وَجَعَلَ يَسْأَلُنِي عَنِ
الْمُسْلِمِينَ وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَذَكَرْتُ خَيْرًا وَعَرَفْتُهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَثُرُوا .

ثم آنحدرت عن السرير فقال لى : لِمَ تَأْبَى الكرامة التى أكرمناك بها ؛ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقَّ قلبك من الدنس ولا تُبَالِ على ما فعدت . فلما سمعته يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم طمعتُ فيه فقلتُ له : ويحك يا جبلة ! ألا تُسَلِّمُ وقد عرفت الإسلامَ وفضله ؟ قال : أبعد ما كان مِنِّى ؟ قلتُ : نعم . قال : إن كنتَ تضمن لى أن يزوجنى عمرُ أبنته ويؤيِّننى الإمرة بعده رجعتُ إلى الإسلام . قال الرسول : فضمنتُ له التزويج ولم أضمن له الإمرة . قال : ثم أوماً إلى خادم كان على رأسه فذهب مُسرعا فإذا خدامٌ قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعتُ ونُصِبَتْ موائدُ الذهبِ ومِخَافُ الفضة ، وقال لى : كُلْ . فقَبِضْتُ يدى وقلتُ : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل فى آنية الذهب والفضة . قال : نعم ! صلى الله عليه وسلم ، ولكن نَقَّ قلبك وكُلْ فيما أُحِبَّت . قال : فأكل فى الذهب وأكلت فى الخَلِج^(١) ، ثم جىء بطسات الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فيها وغَسَلْتُ فى الصُّفْرِ^(٢) . ثم أوماً إلى خادم فتر مُسرعا فإذا خَدَمٌ معهم كراسى الذهب مُرَصَّعةٌ بالجواهر ، فوضعتُ عشرةً عن يمينه وعشرةً عن شماله ، ثم جاءت الجوارى عليهنَّ تيجانُ الذهب مُرَصَّعةٌ بالجواهر ، فقعدنَّ عن يمينه وعن شماله على تلك الكراسى ، ثم جاءت جاريةٌ كأنها الشمسُ حُسنا على رأسها تاج ، على ذلك التاج طائرٌ وفى يدها اليمنى جامَةٌ فيها مِسْكٌ فَنَبَتْ ، وفى يدها اليسرى جامَةٌ فيها ماء ورد ؛ فأوماتِ الجاريةُ أو صَفَرَتْ بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامِ ماءِ الوردِ

(١) الخَلِج (فارسي معرب) : شجرين صفرة وحمرة يكون بأطراف الهند والصين ورقة كالطرفاء.

وزهره أحمر وأصفروا ببيض . وأصل معناه المتنوع الألوان تتخذ من خشب الأراوى .

(٢) الصفر (بالضم) : النحاس الأصفر .

فَأَضْطَرِبَ فِيهِ ، ثُمَّ أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ أَوْ صَفَرَتْ فَوْقَ فِي جَامِ الْمَسْكِ فَتَمَرَّغَ فِيهِ ، ثُمَّ
أَوْمَأَتْ فِطَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى تَاجِ جَبَلَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ يُرْفِيفُ حَتَّى نَفَضَ مَا عَلَيْهِ فِي رَأْسِهِ ،
فَضَحَكَ جَبَلَةٌ سُرُورًا بِهِ ، ثُمَّ أَلْفَتَتْ إِلَى الْخَوَارِى اللَّوَاتِى عَنْ يَمِينِهِ وَقَالَ لَهُنَّ : يَا اللَّهِ
أَضْحَكُنَا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَغْنَيْنَ بِحَقِّ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ * يَوْمًا يَحِلُّقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ^(١)
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ * بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالزَّحِيقِ السَّلْسَلِ ^(٢)
يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهْتَزُّ كِلَابُهُمْ * لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ * شُمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّارِازِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ * قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ ^(٣)

قال : فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : أتدرى من يقول هذا ؟ قلت لا ؛
قال : حسان بن ثابت ، ثم أشار إلى الخوارى اللواتى عن يساره فقال لهن : يا الله
أبكيننا ، فَأَنْدَفَعْنَ يَغْنَيْنَ بِحَقِّ عِيدَانِهِنَّ وَيَقُلْنَ :

لِمَنِ الدَّارُ أَفْقَرَتْ بُعْثَانِ * بَيْنَ أَعْلَى الْيَرْمُوكِ فَالْخَمَانِ ^(٤)
ذَلِكَ مَغْنَى لَالِ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ * رَوْحُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ ^(٥)

- (١) جلق (بكسر تين وتشديد اللام) : هو أغم لكورة الغوطة كلها ، وقيل : بل هي دمشق
نفسها ، وقيل : موضع من قرى دمشق . (٢) البريص : اسم غوطة دمشق .
(٣) بردى : نهر دمشق . (٤) ابن مارية : هو الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان أنيرا عندهم .
(٥) معان (بضم أوله) : حصن كبير من أرض فلسطين على نخسة أيام من دمشق في طريق مكة .
(٦) اليرموك : واد بناحية الشام ، وكانت فيه الواقعة المشهورة التي عرفت بيوم اليرموك في زمن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وكان من أعظم فتوح المسلمين .
(٧) الخمان (يفتح أوله وتشديد ثانيه) : موضع بالشام .

(١) قد أراى هناك دهرًا مكيَّنًا * عند ذى التاج مقعدى ومكانى
قال : فبكى حتى سالت دموعه على لحيته، ثم قال : أتندرى من يقول هذا ؟
قلت : لا ، قال : حسان ، ثم أنشد : تنصرت الأشراف الأبيات ثم سألنى عن
حسان أحمى هو؟ قلت : نعم، فأمر له بكسوة ولى بمثلها، وأمر بمال لحسان ونوق
موقرة برأ ثم قال : إن وجدته حيًا فأدفع الهدية إليه، وإن وجدته ميتًا فأدفعها إلى
أهله وأنحر النوق على قبره .

قال : فلما أخبرت عمر بنخبره وما أشرت على وما صممت له قال : فهلا صممت
له الأمر فإذا أفاء الله به قضى الله علينا بحكمه ! ثم جهزنى عمر إلى القسطنطينية
إلى هرقل ثانية وأمرنى أن أضمن له ما أشرت، فلما دخلت القسطنطينية وجدت
الناس قد آنصروا من جنازته، فعلمت أن الشقاء غلب عليه فى أم الكتاب .

ذكر أخبار ملوك الحيرة

وهم من آل قحطان

وأولهم مالك بن قهم بن غنم بن دؤس بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك
ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (٢) . وكان قد خرج من
اليمن مع عمرو بن عامر حين أحسوا بسيل العرم، وقد ذكرنا أن الملك ربيعة
ابن نصر كان قد بعثهم إلى سابور فأسكنهم الحيرة وملكوها ما حو لها . والله أعلم .
قال : وكان ملك مالك على الحيرة عشرين سنة .

(١) رواية الديوان (ص ٥٥ ضيع أوربا) :

قد أراى هناك حتى مكين * عند ذى التاج مجلى ومكانى

ورواية الأغاني (ج ١٤ ص ٦ ضيع بلاد) :

قد أراى هناك حفا مكينا * عند ذى التاج مقعدى ومكانى

(٢) ورد هذا النسب فى تاريخ أبى الفدا (ص ١٢٠ طبع أوربا) ببعض تغيير بالزيادة والنقصان .

ثم ملك بعده أبنته جَذِيمَةُ^(١) وهو الوضاح . قال : وكان يقال له ذلك لَبْرِصٍ كان به ؛ ويقال أيضا فيه الأبرش ، وكان ينزل الأنبار ، وكان لا يُنادِم أحدًا من الناس ذهابا بنفسه على الندماء ، وكان ينادِم الفرَقْدَيْنِ فإذا شَرِبَ قدحا صَبَّ^(٢) [في الأرض] لهذا قدحا ولهذا قدحا . ويقال : إنه أول من عَمِلَ المِتَجَنِّيق من الملوك ، وأول من حُدِثَ له النَعَال . وأول من وقَدَّ بين يديه الشمع ، وهو الذي قتلته الرِّبَاءُ بحيلة .

ثم ملك بعده أبْنُ أخته عمرو بن عَدِيٍّ بن ربيعة . قالوا : وعمرو هذا هو الذي استهوته الجنُّ دهرا طويلا ثم رَجَعَ ؛ فبينما مالِك وعَقِيلُ أبنا فَارِح وقيل - فالج - يقصدان جَذِيمَةَ المَلِكِ بهديّةٍ إذ نزلا على ماءٍ ومعهما قَيْنَةٌ يقال لها : أُمُّ عمرو ، فتعرض لهما عمرو ، وقد طالَت أظفارُهُ وشعرُهُ وساءت حالُهُ وهيئُهُ ، فجلس إليهما - وكانا يا كلان - فدَّ إليهما يَدَهُ مُسْتَطْعِمًا فناولته تلك الجارية طعاما فأكله ، ثم مدَّ يده ثانية فقالت : إنَّ يُعْطَى العبدُ كَرَامًا يَتَّبَع ذراعا ! ثم ناولت صاحبيها من شرابها وأوكأت سقاءها ، فقال عمرو :

صَدَدَتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو * وكان الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليمينا

وما شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عَمْرٍو * بصاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحِينَا^(٤)

(١) في تاريخ أبي القداء (ص ١٢٠ طبع أوربا) أن الذي ملك بعد مالك بن فهم أخوه عمرو

ابن فهم ، ثم ملك بعده جَذِيمَةُ بن مالك .

(٢) التكة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٧٤ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٣) أوكأت سقاءها : شدت فيه بيرا أو خيط ، أى ربطته .

(٤) هذان البيتان من ملقة عمرو بن كلثوم المشهورة . وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت

جذيمة الأبرش كما ورد هنا والأغاني (ج ١٤ ص ٧٣ طبع بلاق) .

فقالوا له : مَنْ أنت ؟ فَأَنْتَسِبَ لَهَا ، فَفَرِحَا بِهِ وَأَقْبَلَا عَلَى خَالِهِ — وَقَدْ كَانَ
جَعَلَ الْجَعَائِلَ لِمَنْ يَأْتِيهِ بِهِ — فَلَمَّا أَتِيَاهُ بِهِ قَالَ جَذِيمَةً لَهَا : لِمَا حَكَمَكَا . فَقَالَا :
مُنَادِمَتِكَ . فَكَانَا كَمَا اخْتَارَا ، وَسَارَ بِهِمَا الْمَثَلُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُمَا نَادَمَاهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ،
فَمَا أَعَادَا عَلَيْهِ حَدِيثًا مِمَّا حَدَّثَاهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، بَلْ كَانَا يُحَدِّثَانِهِ بِحَدِيثٍ جَدِيدٍ
لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُمَا قَبْلُ .

وَعَمْرُو هَذَا هُوَ الَّذِي أَخَذَ بَنَاتِ خَالِهِ جَذِيمَةً مِنَ الزَّبَاءِ وَقَتَلَهَا . وَذَلِكَ أَنَّ قَصِيرَ
ابْنَ سَعْدِ كَانَ مِنْ غِلْمَانِ جَذِيمَةٍ قَالَ لِعَمْرُو : اضْرِبْ ظَهْرِي وَأَقْطَعْ أَرْبَعَةَ أَنْفِي
وَأَتْرَكْنِي وَالزَّبَاءَ ، فَإِنِّي سَاحِتَالٌ لَكَ عَلَيْهَا ، ففَعَلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَفَزَّ قَصِيرٌ إِلَى الزَّبَاءِ
وَصَارَ فِي جَمَلَةٍ رَجُلًا وَأَرَاهَا النَّصْحَ وَالْاجْتِهَادَ فِي حِرَاجِيزِهَا ، وَأَنَّهُ غَاشٌّ لِعَمْرُو
ابْنَ عَدَى ؛ وَجَعَلَ يَتَجَرَّ لَهَا وَيَذْهَبُ لِعَمْرُو فِي السَّرِّ فَيُعْطِيهِ الْأَمْوَالَ فَيَأْتِيهَا بِهَا ،
كَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ اجْتِهَادِهِ وَحِذْقِهِ فِي التَّجَارَةِ حَتَّى أَطْمَأْنَنَتْ لَهُ ؛ فَذَهَبَ إِلَى عَمْرُو
وَأَخَذَهُ وَأَخَذَ مَعَهُ أَلْفَ رَجُلٍ وَجَعَلَهُمْ فِي جَوَالِقٍ عَلَى أَلْفِ جَمَلٍ ، وَمَعَهُمْ دَرَوُعُهُمْ
وَسِيوفُهُمْ وَجَاءَ بِهِمْ عَلَى طَرِيقٍ يُقَالُ لَهُ الْغَوِيرُ ^(١) ، وَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَلَمَّا
قَرَّبَ مِنْ حَصْنِهَا تَقَدَّمَ إِلَيْهَا وَأَعْلَمَهَا أَنَّهُ قَدْ أَتَاهَا بِمَالٍ صَامِتٍ ، فَاشْرَفَتْ مِنْ أَعْلَى
قَصْرِهَا تَنْظُرُ إِلَى الْجَمَالِ ، فَرَأَتْهَا وَكَأَنَّهَا تَنْزِعُ أَرْجُلَهَا مِنْ أَوْحَالٍ لِيَثْقَلَ مَا عَلَيْهَا ،
فَقَالَتْ : « عَسَى الْغَوِيرُ أَبُو سَأَا » . فَذَهَبَتْ مِثْلًا . ثُمَّ قَالَتْ :

مَا لِلْعَطَايَا مَشِيئًا وَثِيْدًا * أَجْنَدَلًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا
أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا * أُمَّ الرِّجَالِ جُنْمًا قُودًا ^(٢)

(١) الغوير : موضع على الفرات .

(٢) صرَفَانًا بَارِدًا : قَالَ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ (مَادَّةُ صَرْف) : « الصَّرْفَانُ (مَحْرَكَةٌ) : الْمَوْتُ عَنْ
ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ : هُوَ النَّعَاسُ ، وَفِي اللِّسَانِ : الرِّصَاصُ الْقَلْبِيُّ » ، وَبِهِمَا فَرْقُ الزَّبَاءِ : =

وقد كان قَصِيرٌ قال لها قبل ذلك كالناصح : ما ينبغي لمثلك إلا أن يكون له موضع ليوم ، فإنه لا يدري ما تُحْدِثُهُ الأيام ؛ فأرته سِرْباً في ناحية قَصِيرها قد نفذت فيه إلى حصن أختها - وكانا على ضَفَّتَي الْفَرَات - قال : فلما دخلت الإبل على البواب فجبر لكثرتها ، حتى إذا كان آخرها طَعَن في جوالق بُعِدَ كان في يده ، فقابلت الطعنة خاصرة الرجل الذي كان في الجوالق فحق فقال البواب : لشنا لشنا ؛ أى شئ ، في الجوالق ، فثارت الرجال من الجوالق بأيديهم السيوف ، فهربت الزبَاء إلى ذلك السَّرْب فإذا هي بقَصِير عند النفق ومعه عمرو بن عدى ، والسيف في يده ، فصَّت خاتماً كان في يدها فيه سمّ ساعة وقالت : « يَيْدِي لَا يَيْدِ عَمْرُو » . وفي ذلك يقول الْمُتَمَسِّس :

١٠ وفي طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ * قَصِيرٌ وَرَأَمَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ يَهْسُ

= « ما لي بالمشيا وثيدا ... » وذكر البيهقي ، متابعاً في ذلك ما جاء في اللسان (مادة صرف) مع بعض تغيير في اللفظ . ثم قال بعد ذلك : « وقيل الصرْفان هنا : تمر وزين مثل البرني لأنه صلب المضاع عكس ، والناس يتخرونه » .

ولعل تفسير البيهقي بالتمر أنسب ؛ فإن شارح القاموس قال بعد ذلك : قال أبو عبيد : ولم يكن يهسي للزباء شئ . أحب إليها من التمر الصرْفان وأنشد :

١٥

ولما أنتها السير قالت أبارد من التمر أم هذا حديد وجندل

وقد ذكر صاحب اللسان قول أبي عبيد والبيت الذي أنشده . وقال الجوهري في الصحاح (مادة صرف) : والصرفان : الرصاص ، والصرْفان أيضاً : جنس من التمر قالت الزبَاء :

* ما لي بالمشيا وثيدا ... الخ *

٢٠

(١) لذا في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٩٣ طبع لندن) وفي الأصول : « الملك » .

(٢) كذا في الأصول ، وفي مروج الذهب (ج ١ ص ٢٢٥ طبع بلاق) . « فقال البواب : بشنا بشنا بالنبلية ، أى في الجوالق شر » . وفيه (ج ٣ ص ١٩٧ طبع أوروبا) : « فقال البواب : بشنا لشنا ، أى شر في الجوالق »

وعمرؤ هذا هو الذي يقال فيه : « شَبَّ عمرو عن الطُّوقِ » وكانت مدة مُلكه مائة سنة .

ثم ملك بعده أبْنُه عمرو القيس . فكان مُلكه ستين سنة .

ثم ملك بعده أبْنُه عمرو بنُ أمريِّ القيس وهو مُحَرِّقُ العرب ^(١) . وكان مُلكه خمساً وعشرين سنة ، وكانت أمه مارية التي يُضربُ المثلُ بقُسطِها .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر فارس حليمة ، وهو الذي بنى الخورنق وكردس ^(٢) ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) الكراديس . وكان أعور ، ويقال : إنه أشرف في بعض الأيام على ما حول الخورنق فقال : أكل ما أرى إلى نقاد؟ قيل : نعم . قال : فأي خير في ملك يكون آخره إلى نقاد ! ثم أنخلع من مُلكه ولبس المسوح وسار في الأرض . وقد ذكره عدى بن زيد فقال :

وَتَهَكَّرَ رَبُّ الْخَوْرَنْقِ إِذْ أَشَدَّ * رَفَّ يَوْماً وَلِلْهُندَى تَفَكُّيرُ

سَرُّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُ * نَلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضٌ وَالسَّيْدُورُ ^(٧)

(١) في الأصل : « الحرب » . وما أشتبهه عن مروج الذهب . وفيه وفي تاريخ أبي الفدا ص ١٢٢ طبع أوربا) أن الذي يسمى مخزوما هو عمرو بن أمريِّ القيس ، وإنما تسمى مخزوما

لأنه أول من عاقب بالثأر .

(٢) كذا في الأصل ، وفي مروج الذهب : أن الذي ملك بعده النعمان بن أمريِّ القيس ، ثم المنذر ابن النعمان بن أمريِّ القيس ، ثم النعمان بن المنذر .

(٣) كذا في مروج الذهب وشرح قصيدة ابن عبدون ، وفي الأصل : « حلة » .

(٤) الخورنق : قصر بناء سمار على ثلاثة أميال من الحيرة .

(٥) كردس القائد خيله : أي جعلها كتيبة كتيبة . والكراديس : كتاب الخيل ، وأحدها كردوس .

(٦) في تاريخ أبي الفدا : أن الذي كان أعور هو النعمان بن أمريِّ القيس بن عمرو .

(٧) معرضا : معرض بمعنى متسع ، ومنه أعرض الثوب ، أي اتسع وعرض .

فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ : فَاغْبِ • طَلَّةٌ حَتَّى إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ ؟

وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة .

ثم ملك الأسود بن النعمان . فكان ملكه عشرين سنة . ويقال : إن الأسود هذا هو الذي آتصر على غسان وأسر عِدَّةً من ملوكهم ، وأراد أن يَفْعُو عنهم ، وكان للأسود ابنٌ عمٌّ يقال له : أبو أذينة ، قد قَتَلَ آلَ غسان له أخا في بعض الوقائع ، فقال قصيدته المشهورة يُغْرِى بهم الأسود بن النعمان :

ما كُلُّ يَوْمٍ يَنالُ المرءُ ما طَلَبَا • ولا يُسَوِّفُهُ المِقْدارُ ما وَهَبَا ^(١)

وأحزَمُ الناسِ مَنْ إن فُرْصَةً عَرَضَتْ • لم يجعلِ السَّبَبَ المَوْصُولَ مُقْتَضِبَا

وأنصَفُ الناسِ في كُلِّ المَواطِنِ مَنْ • سَقَى المَعادِينَ بالكأَمَنِ الذي شَرِبَا

وليس يَظْلِمُهُمْ مَنْ رَاحَ يَضِرُّهُمْ • بِمَحْدِ سَيْفٍ بِهِ مَنْ قَلَبَهُمْ ضُرِبَا

والعَفْوُ إِلَّا عَنِ الأَكْفَاءِ مَكْرُمَةٌ • مَنْ قال غيرَ الذي قَدَّ قُلْتَهُ كَذِبَا

قُلْتَ عَمْرًا وَيَسْتَنْبِقُ يَزِيدَ لَقَدْ • رَأَيْتَ رَأِيا يَحْزُ الوَيْلَ والحَرْبَا

لا تَقْطَعَنَّ ذَنَبَ الأَفْعَى وَتُزِيلُهَا • إن كنتَ شَهْمًا فَأَنْبِيعْ رَأْسَها اللَّئِبَا

هُمُ جَرَدُوا السَّيْفَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهْ جَرًّا ^(٢) • وأوقِدُوا النارَ فَأَجْعَلُهُمْ لَهَا حَطْبَا

إن تَعَفَّ عنهم يَقُولُ الناسُ كُلُّهُمْ ^(٣) • لم يَعْفُ حِلْمًا وَلَكِنْ عَفْوُهُ رَهْبَا

وكان أحسنَ مَنْ ذا العَفْوِ لو هربوا • لكنَّهُم أَقْبُوا مِنْ مِثْلِكَ الهَرَبَا

هُمُ أَهْلَةُ غَسَّانَ وَبِجْدِهِمْ • عال فإن حالوا مُلْكًا فلا عَجَبَا

وعَرَضُوا بِفِداءٍ وإِصْفِينِ لَنَا • خَيْلاً وإِبلًا يَرُوقُ المُجَمِّ والعَرَبَا

(١) المقدار هنا : القدر (بالتحريك) .

(٢) جزرا : قتلوا .

(٣) رهبا : خروفا .

(١) **أَيُّكُلُونَ دَمًا مِنَّا وَتُحْلِلُهُمْ * رِسَالًا لَقَدْ شَرَّفُونَا فِي الْوَرَى حَلَبًا**
عَلَامَ تَقْبَلُ مِنْهُمْ فِدْيَةً وَهُمْ * لَا فِضَّةَ قَبِلُوا مِنَّا وَلَا ذَهَبًا
 فلما أنشده هذه القصيدة رجع عن رأيه في العفو عنهم وقبول الفداء منهم
 وقتلهم . والله أعلم .

(٢) ثم ملك بعده المنذر بن الأسود ، وكانت أمه ماء السماء . وكانت مدة ملكه
 أربعاً وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر . فكان ملكه أربعاً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده المنذر بن عمرو بن المنذر . وكان ملكه ستين سنة .

ثم ملك بعده قابوس بن المنذر . فكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أخوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء .

ثم ملك بعده النعمان بن المنذر ، وهو الذي قيل له : « أَيْتَ اللَّعَنَ » وهو
 آخر من ملك من آلهم . وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة . وهما نحن نذكر ما قيل
 في سبب ملكه وزواله .

قالوا : وكان عدى بن زيد العبَّادي وأبنته زيد بن عدى سبب ولايته
 وسبب هلاكه . وذلك أن عدياً وأخويه ، وهما عمَّار وعمرو ، كانوا في خدمة
 الأكاسرة ولهم من جهتهم قطائع ، وكان قابوس الأكبر عمَّ النعمان بعث إلى
 كسرى أبرويز بعدى بن زيد وأخويه ليكونوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات

(١) الرسل (بالكسر) : اللبن . والحلب (بالتحريك) : استخراج ما في الضرع من لبن .

(٢) ذكر أبو الفدا في تاريخه (ص ١٢٦ طبع أوروبا) ما يخالف ذلك فأنظره .

(٣) أسمها مارية بنت عوف بن جشم ، وإنما لقبته ماء السماء لحسنها وجالها . (راجع تاريخ أبي الفدا .

ص ١٢٦ طبع أوروبا وشرح قصيدة ابن عديون ص ٩٦ طبع لندن) .

المنذر ترك من الأولاد آتني عشر رجلا ، وهم الأشاهب ^(١) ، سموا بذلك لجمالهم ،
وفيههم يقول الأعشى :

وبنو المنذر الأشاهب بالبح * بيرة يمشون غدوة كالسيوف ^(٢)

- ١٠٤
١٣
- بجعل المنذر أبنة النعمان في حجر عدى بن زيد هذا ، وجعل أبنة الأسود
في حجر رجل يقال له : عدى بن أوس بن مرينا ، وبنو مرينا قوم لهم شرف ^(٣) ،
وهم من نخم ، وترك المنذر بقية بيده ، وهم عشرة ، يستقل كل واحد منهم
بنفسه ، وجعل المنذر على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي ، فلما مات قابوس طلب
كسرى من يملكه على العرب ، فدعا عدى بن زيد فقال له : من بقي من بني المنذر ،
وما هم ؟ وهل فيههم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت ، يعني المنذر ، وهم رجال
نجباء ، فكتب إليهم بالقدوم عليه ، فقدموا فأنزلهم ، على عدى بن زيد ، وكان عدى
يرى موضع النعمان لأنه في حجره ويختاره على بقية إخوته في الباطن ، وهو يظهر لهم
خلاف ذلك ويفضلهم عليه في الظاهر ، ويكرم نزلهم ويخلو بهم ويربهم أنه لا يرجو
النعمان ، كل ذلك ، ليطمئنوا إليه ويرجعوا إلى رأيه ، ثم خلا بكل منهم على أنفاده
وقال لهم : إن سألكم الملك : أتكفوني العرب فقولوا : نكفهم إلا النعمان ، وقال
للنعمان : إن سألك الملك عن إخوانك فقل له : إن عجزت عنهم فأتني عن غيرهم أعجز .

١٥

(١) الشبهة في الأصل : بياض يخالطه سواد ، وقيل : البياض الذي يظلم على السواد ، وقد يقال
على مطلق البياض كما قالوا : ستة شهباء : أى بياض. لكثرة الثلج وعدم النبات . وفي القاموس : « والأشاهب
بنو المنذر لجمالهم » قال شارحه السيد مرتضى : « سموا بذلك لبياض وجوههم » .

(٢) كذا في شعر الأشعشين (ص ٢١٢ طبع أوروبا) وفي الأصول : « بالسيوف » .

(٣) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة من قبائل البعاد ، وهم الذين ذكرهم أمرؤ القيس في قوله :

٢٠

فسلروني يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا

وليس مرينا بكلمة عربية (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) .

قال : وكان عدى بن أوس بن مريّنا داهيةً أريباً ، وكان يؤذى الأسود
 ابن المنذر ويقول : قد عرفتُ أنّي لك راج ، وأنّ طُلُبتي اليك ورغبتي أن تخالف
 عدى بن زيد فيما يشير به عليك ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً ، فلم يلتفت الأسود
 الى قوله . فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه قدمهم رجلا رجلا ،
 وكسرى يرى رجالا فلما رأى مثلهم ، فإذا سألهم هل تكفوني العرب قالوا : تكفيك
 العرب كلّها إلّا النعمان . فلما دخل النعمان عليه رأى رجلا دميماً قصيراً أحمر الشعر
 فكلمه وقال : هل تستطيع أن تكفيني العرب ؟ قال نعم ، قال : فكيف تصنع
 بإخوتك ؟ قال : أيّها الملك إن عجزتُ عنهم فأتى عن غيرهم أعجز ، فلكه وكساه
 وألبسه ناجاً قيمته ستون ألف درهم . فلما خرج وملك على العرب قال عدى
 ابن أوس بن مريّنا للأسود بن المنذر : دونك فإنك خالفتُ الرأى .

قال : ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة وأرسل الى ابن أوس أن آتني
 مع من أحببت فإن لي حاجة ، فاتاه في أناس فتغدّوا في البيعة ، فقال عدى بن زيد
 لعدى بن أوس : يا عدى إن أحق من عَرَف الحق ثم لم يَلَمْ عليه من كان مثلك ،
 أنّي عرفتُ أنّ صاحبك الأسود كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ،
 فلا تُلَمّني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحبّ ألاّ تتحدّ على شيء لو قدّرت عليه
 ركبته ، وأحبّ أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي ، فإن نصيبي من هذا
 الأمر ليس بأوفر من نصيبك . فقام عدى بن زيد الى البيعة وحلف ألاّ يهجوّه
 ولا يبغيه غائلةً أبداً ، ولا يروى عنه خبراً ، وحلف عدى بن أوس على مثل يمينه
 ألاّ يزال يهجوّه أبداً ويبغيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى أتى منزله بالحيرة ،
 وأُفترق العديان على وحشة ، فقال عدى بن أوس للأسود : إن لم تنظر أفلأ تعجز
 أن تطلب بشارك من هذا المعدّي الذي عمّل بك ما عمل ؟ فقد كنتُ أخبرتك

أن معدداً لا تنام عن مكراها، وأمرتك أن تحالفه فعصيتني . قال : فما تريد ؟ قال :
 ألا تأتيك فائدة من ملكك ولا أرضك إلا عرضتها عليّ ، ففعل . وكان عدى بن
 أوس كثير المال ، فلم يتر به يومٌ إلا بعث فيه إلى النعمان هدية أو تحفة . فلما توالى
 ذلك وكثرت هداياه عند النعمان صار من أكرم الناس عليه ، وصار لا يقضى في ملكه
 شيئاً إلا برأى عدى بن أوس . فلما رأى من يطيف بالنعمان منزلة ابن أوس عنده
 تابعوه ولزموه ، فكان يقول لمن يثق به من أصحاب النعمان : إذا رأيتموني
 أذكر عدى بن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما يقول ولكنه لا يُسلم عليه أحد ،
 وإنه يقول : إن الملك — يعني النعمان — إنما هو عامله ، وإنه هو الذي
 ولّاه ما ولّاه .

١٠ فلم يزالوا بهذا وأشباهه حتى أضغنوا النعمان عليه . ثم إنهم كتبوا كتاباً عن عدى
 إلى قهرمان كان له ، ودسّوا من أخذ الكتاب وأتى به النعمان فقراه فغضب ، وأرسل
 إلى عدى بن زيد يقول : عزمتُ عليك إلا زرتني فإني قد اشتقتُ إليك ، وكان
 عند كسرى ، فاستأذنه في زيارة النعمان فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه ،
 فجعل يقول الشعر ويستعطفه به ، فكان مما قاله :

١٥ أبلغ النعمان عني مالكا * إنه قد طال حبي وأنتظاري
 لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالفصان بالماء أعنصاري

١٠٥
١٣

(١) القهرمان : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج .

(٢) مالكا : مالك (بفتح اللام وضمة) : الرسالة ، لأنها تؤلك في القم (تلاك) ، قال
 ابن بري : وقد يقال مألكة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مالك جمع مألكة . (انظر اللسان
 مادة ألك) . وقال البغدادي في خزنة الأدب (ج ٣ ص ٥٩٧) : والمالكا (سكون الحزنة وضمة اللام) :
 الرسالة ، وقال الزجاج : مالك جمع مألكة .

(٣) اعنصاري : قال الجوهري : الاعتصار : أن يَفْص الإنسان بالطعام فينصر بالماء ، وهو
 أن يشربه قليلاً قليلاً ليسيء ، وأشد هذا البيت . وقال البغدادي في الخزنة (ج ٣ ص ٥٩٦) : =

وقال أشعارا كثيرة كانت تبسغ النعمان فنديم على حبسه وعلم أنه كيد فيه ، فكان يرسل إليه ويعدّه ويمنيه ، فلما طال سجنه وأعياء التضرع إلى النعمان كتب إلى أخيه أبي — وهو عثمارة — وهو مع كسرى يخبره بحاله ، ويبعثه على السعي في خلاصه ، فدخل أبي على كسرى وكلمه ، فكتب إلى النعمان في أمره وبعث رسولا بكتابيه ، فقال له أبي : إبدأ بعدى وأنظره قبل أن تجتمع بالنعمان ، ورشاد على ذلك ، ففعل الرسول ذلك ودخل إلى الحبس واجتمع بعدى وقال له : ماتحب أن أصنع ؟ قال : أحب ألا تخرج من عندي ، وأعطيني كتاب كسرى لأرسله من قبلي . قال : لا أستطيع ذلك . قال : فإنك إن خرجت من عندي قتلت . فقال : لا بد أن آتي النعمان وأوصله الكتاب من يدي ، فأنطلق إلى النعمان وأوصله الكتاب فقبله وقال : سمعاً وطاعة ، ووصله بأربعة آلاف مثقال ^(١) ذهباً وجارية ^(٢) حسناء ^(٣) وقال : إذا كان من غد فادخل عليه وأخرج به بنفسك . وكان أعداء عدى أتوا النعمان وأخبروه أن رسول كسرى دخل إلى عدى وأنه إن خرج من الحبس لم يستبق منا أحداً ، ولم تنج أنت ولا غيرك ، فأمرهم النعمان بقتله ، فدخلوا عليه لما خرج الرسول من عنده وغموه حتى مات ، فلما أصبح الرسول دخل السجن فقال له الحرس : إن عدياً قد مات منذ أيام ، ولم نجرؤ أن نخبر النعمان فراقاً منه لعلمنا بكرهه لذلك ، فرجع الرسول إلى النعمان فقال :

== وتحقيقه أن الاعتصار الألتجاء ، كما قال أبو القاسم على بن حمزة البصري "فيا كنه على النبات لأبي حنيفة الدينوري" . وساق البغدادى كلام أبي القاسم هذا بنصه ، ثم قال : وقد صار هذا البيت مثلاً للتأذى من برحى إحسانه . وقد أورد البيهقي في مجمع الأمثال المثل : « لو بغير الماء نخصت » وقال : إنه يضرب لمن يوثق به ثم يوثق السواتق من قبله وامتنع به هذا البيت . وفي الأصول : « انتصاري » وهو تحريث .

(١) التكلة من الأغاني (ج ٢ ص ١٢١ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) يريد أنهم غطوا وجهه بشئ حتى اختفى .

لَمَّا كُنْتُ بَدَأْتُ بِهِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ حَيٌّ ، فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ : يَبْعَثُكَ الْمَلِكُ إِلَى
فَتَدْخُلُ إِلَيْهِ قَبْلِي ، كَذَبْتَ ! وَلَكِنَّكَ أَرْتَشِيتَ وَتَهْدِدُهُ ، ثُمَّ أَسْتَدْعَاهُ بِمَذَلِكَ وَزَادَهُ
جَائِزَةً وَكِسُوفَةً وَاسْتَوْثِقْتُ مِنْهُ وَصَرَفَهُ إِلَى كِسْرَى ^(١) . فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : قَدِمَات
قَبْلَ مُقَدِّمِي عَلَى النِّعْمَانِ .

قال : ثُمَّ نَدِمَ النِّعْمَانُ عَلَى قَتْلِ عَدِيّ نَدَمًا شَدِيدًا وَأَجْتَرَأُ أَعْدَاءُ عَدِيّ عَلَى النِّعْمَانِ
وَهَابِهِمْ ، ثُمَّ رَكِبَ النِّعْمَانُ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ لِلصَّيْدِ فَلَقِيَ ابْنًا لِعَدِيّ بْنِ زَيْدٍ ، فَكَلَّمَهُ فَإِذَا
هُوَ غُلَامٌ ظَرِيفٌ فَقَرَّحَ بِهِ النِّعْمَانُ وَقَرَّبَهُ وَوَصَّلَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ جَهَّزَهُ إِلَى كِسْرَى ^(٢)
وَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ عَدِيًّا كَانَ مِنْ أَعْيُنَ بِهِ الْمَلِكُ فِي نَصِيحَتِهِ وَرَأْيِهِ ، فَأَنْقَضَتْ مُدَّتُهُ
وَأَنْقَطَعَ أَجَلُهُ ، وَلَمْ يُصَبِّ بِهِ أَحَدٌ أَشَدَّ مِنْ مَصِيبَتِي ، وَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَيَفْقِدُ رَجُلًا
مِنْ عِيْدِهِ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُ خَلْفًا ، وَقَدْ أَدْرَكَ لَهُ ابْنٌ لَيْسَ هُوَ دُونَهُ ، وَقَدْ سَرَّحْتَهُ
إِلَى الْمَلِكِ فَإِنْ رَأَى أَنْ يَجْعَلَهُ مَكَانَ أَبِيهِ وَيَصْرِفَ عَمَّهُ إِلَى عَمَلٍ آخَرَ فَعَلَّ . فَأَجَابَهُ
كِسْرَى إِلَى ذَلِكَ وَرَتَّبَهُ فِي وَظِيفَةِ أَبِيهِ ، وَسَأَلَهُ عَنِ النِّعْمَانِ فَأَحْسَنَ الشَّنَاءَ عَلَيْهِ ، فَكَثُرَتْ
سِنَوَاتُ عَلَى مِزْلَةِ أَبِيهِ وَأُعْجِبَ بِهِ كِسْرَى . وَكَانَ لِمُصَاحِبِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ عَلَى الْعَرَبِ
وَظِيفَةٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنَ الْإِفْرَاسِ وَالْمَهَارَةِ وَالْكَدَاةِ وَالْأَفِيطِ وَالْأُدْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَهُوَ
يَلِي مَا يُكْتَبُ عَنْ كِسْرَى إِلَى الْعَرَبِ .

قال : ثُمَّ تَمَكَّنَ زَيْدُ بْنُ عَدِيّ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ كِسْرَى حَتَّى كَانَ يَجْتَمِعُ بِهِ فِي أَوْقَاتِ
خَلَوَاتِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ فَكَلَّمَهُ فِيمَا دَخَلَ بِسَبَبِهِ ، ثُمَّ جَرَى ذِكْرُ النِّسَاءِ .
وَكَانَتْ عِنْدَ الْأَكَاْسَةِ صَفَاتُ امْرَأَةٍ ، وَمِنْ رَشْمِهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا لِلْمَلِكِ مَنْ هِيَ مُتَّصِفَةٌ

(١) عبارة الأغاني : « وتوثق منه ألا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه » .

(٢) جهزه : أعد له معدات السفر .

(٣) المهارة : جمع المهر ، والمهر أول ما يفتح من الخيل والجر الأهلية وغيرها .

بتلك الصفات . وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدي إلى أنوشروان جارية كان
أصاحبها لها أثار على الحارث الأكبر الفسائي ، فكتب إلى أنوشروان بصفة الجارية
فقال : هي معتدلة الخلق ، نقية اللون والثغر ، بيضاء قراء وطفاء دغجاء حوراء عيناء
[قنواء] شماء [برجاء] رجاء أسيلة الخلد ، [شهية المقبل] جثة الشعر ، عظيمة
الهامة ، بعيدة مهوى القوط عطاء ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مشاش
المنكب والعصيد ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبطة البنان ، لطيفة طى البطن ،
نحيصة الخصر ، غرقي الوشاح ، رداح الأقبال ، رابية الكفل ، مفعمة الساق ، لقاء
الفخذين . ربا الروادف ، ضخمة الماكمتين ، عظيمة الركبة ، مشبعة الخلخال ، لطيفة

- (١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين .
- (٢) اللدج : شدة سواد العين وشدة بياض بياضها .
- (٣) زيادة من الأغاني (ج ٢ ص ٢٣ طبعة دار الكتب المصرية) ، والقنواء : وصف من القنا وهو ارتفاع في أعلى الأنف وأحد يداب في وسطه وسبوغ في طرفه .
- (٤) الشم في الأنف : ارتفاع القصة وحسنها .
- (٥) زيادة من الأغاني . والبرجاء : الجملة الحسنة الوجه .
- (٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول . (٧) زيادة من الأغاني .
- (٨) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه . (٩) العطاء : الطويلة العنق .
- (١٠) المشاش : روس العظام مثل المنكين والركبتين والمرفقين .
- (١١) غرقي الوشاح : دقيقة الخصر .
- (١٢) الرداح : العجاء الثقيلة الأرواك الثامة الخلق . والأقبال (بالفتح) : ما استقبلك من مشرف والواحد قبل (بالتحريك) .
- (١٣) مفعمة الساق : ممتلئها .
- (١٤) الماكمتان : الهمتان اللتان على روس الوركين ، الواحدة مأكمة .
- (١٥) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن ، وفي اللسان : امرأة شبي الخلخال : ملاهى سمن .

الكعب [والقدم، قُطُوفُ المشي]، ^(١) مِكْسَالُ الضَّحَى، ^(٢) بَضَّةُ المتجرد، ^(٣) سَمُوجٌ للسيد،
 ليسبت ^(٤) بجنسَاء ولا سَفْعَاء، ^(٥) رَقِيقَةُ الأنف، ^(٦) عَزِيزَةُ النفس، ^(٧) لم تُغَدَّ في بؤس، ^(٨) حَيَّةٌ
 رَزِينَةٌ، ^(٩) حَلِيمَةٌ رَكِينَةٌ، ^(١٠) كَرِيمَةُ الحال، ^(١١) تقتصر بنسب أيها، ^(١٢) وبفصيلتها دون جماع
 قبيلتها، ^(١٣) قد أحكمتها التجاربُ في الأدب، ^(١٤) رأيها رأى أهل الشرف، ^(١٥) وعملها عمل أهل
 الحاجة، ^(١٦) صَنَاعُ الكَفَّين، ^(١٧) قَطِيعَةُ اللسان، ^(١٨) رهوة الصوت [ساكتته]، ^(١٩) تَرِينُ اليبْتِ
 وَتَشِينُ العدوَّ إن أردتها أَشْتَهَتْ، ^(٢٠) وإن تركتها أَتَهَتْ، ^(٢١) تُحْمَلِقُ عَيْنَاهَا، ^(٢٢) وتجرُّ وجتهاها،
 وَتَذَبْذُبُ شَفَتَيْهَا، ^(٢٣) وَتَبَادِرُكَ الوَبْهَةُ [إذا قَتَ]، ^(٢٤) ولا تجلسُ إلا بأمرِك إذا
 جَلَسْتَ. ^(٢٥) فَقِيلَهَا أَوْشُرُوْأْنُ وأمر بإثبات هذه الصفة في ديوانه، فكانت تتوارثُ

$$\frac{106}{13}$$

- (١) زيادة من الأغاني . والقطوف : وصف من القطاف وهو تقارب الخطو .
- (٢) المكسال : المرأة التي لا تكاد ترح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤم الضحى .
- (٣) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرد (بالفتح) أى بضة عند التجرد ، فالمتجرد على هذا مصدر . ومن قال : بضة المتجرد (بالكسر) أراد اجسم .
- (٤) الخنساء من الخنس (بالتحريك) وهو ثامر الأنف الى الرأس وأرقعاء عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف ، وقبل هو قريب من القطس وهو لصوق نصبة بالوجه وضخم الأرنبة .
- (٥) السفعاء من السفع (بالتحريك) وهو السواد والشحوب . وفي الحديث : « أذا وسفعا » الخدين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين « وضع أصابعه ، أراد بسفعا الخدين أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والزهر حتى شحبت لونها وأسودت ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .
- (٦) ركية : ساكنة وقورة . (٧) عبارة الأغاني هنا : « تقتصر على نسب أيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها » . (٨) في الأغاني : « الأمور » .
- (٩) كذا في الأصول بهاء التأنيث ، وفي القاموس واللسان : « وأمرأة قطع الكلام بغيرها . إذا لم تكن سليطة » . (١٠) رهوة الصوت : رففته سلهه .
- (١١) التكلة من الأغاني . (١٢) في الأغاني « الول » .
- (١٣) في اللسان : والمحلق من الأعين : ماحول مقلتها بياض لم يخالطه سواد .
- (١٤) التكلة من الأغاني . (١٥) في الأغاني : « دواوينه » .

حتى انتهى الملك إلى كسرى أبرويز بن هرمز . فلما قُرئت هذه الصفة عليه قال له
 زيد بن عدى : أيها الملك ، أنا أخبر بال المنذر ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات
 عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . فقال له كسرى : اكتب فيهن
 إليه . فقال : أيها الملك ، إن شئت في العرب وفي النعمان [خاصة] ^(١) أنهم يتكلمون
 — [زعموا] في أنفسهم — عن العجم ، فأبعثنى إليه وأبعث معي رجلا ^(٢) [من ثقافتك] ^(٣)
 يفقه العربية . فبعث معه رجلا جلدا ^(٤) [فيهما] ^(٥) ، فخرج به زيد حتى أتى الحيرة ودخل
 على النعمان ؛ فلما دخل عليه عظم الرسول أمر كسرى وقال له : إنه قد احتاج إلى نساء
 لأهله وولده فأراد كرامتك [بصهره] ^(٦) وبعث إليك فيهن . فقال النعمان : وما صفة
 هؤلاء النسوة ؟ قال : هذه صفتهن قد جئناك بها ، وقرأها علي زيد بن عدى ، فشق
 ذلك على النعمان وقال لزيد وللرسول : أما في مَها السَّواد وعين فارس ما تبلغون به
 حاجتكم ؟ فقال الرسول لزيد : ما المَها والعين ؟ قال : البقر . فقال زيد للنعمان : إنما
 أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن ذلك يُشَقُّ عليك لما كتب إليك ، فأنزلها [يومين
 عنده] ^(٧) ثم كتب إلى كسرى . إن الذي طلب الملك ليس عندي . ثم قال لزيد :
 أعذرني عنده . فلما رجعا إلى كسرى قال لزيد : أين ما كنت أخبرتنى به ؟ قال :
 قد كنت أخبرتك بضمتهم بنسائهم على غيرهم ، وإن ذلك من شقائهم ، فسئل هذا
 الرسول عن مقالة النعمان فإني أكره أن أواجه الملك بما قاله ، فقال للرسول :
 وما قال ؟ قال إنه قال : أما في بقر السَّواد [وفارس] ^(٨) ما يكفي الملك حتى يطلب

(١) زيادة من الأغاني . (٢) زيادة من الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « على » . (٤) زيادة من الأغاني .

(٥) زيادة من الأغاني . (٦) زيادة من الأغاني . (٧) زيادة من الأغاني .

(٨) زيادة من الأغاني .

- ما عندنا ! فعُرفَ الغَضَبُ في وجه كسرى ثم قال : رَبُّ عبيدٍ قد قال هذا فصار أمره إلى التَّبابِ ، فبلغَ كلامه النعمانَ . وسكتَ كسرى على ذلك أشهراً ، وهو يستعدُّ ويتوقَّعُ حتى أتاه كتابُ كسرى يستدعيه ، فأنطلق النعمانُ حتى أتى جبالَ طَيٍّ وهو متروِّجٌ منهم ، فأرادهم أن يمتنعوه فأبوا ذلك وقالوا : لولا صِهْرُكَ لقتلناكَ ، فإنه لا حاجة لنا في مُعاداة كسرى ، فأقبل يعرض نفسه على العرب فلا يقبلوه ، حتى نزل يدي قارِ بنِي شَيْبَانَ مِرّاً فأتى هَانِيَّ بنَ قَيْصَةَ [بن هَانِيٍّ] بن مسعود فأودعه سلاحه وتوجه إلى كسرى فلقى زَيْدَ بن عَدِيٍّ على قنطرة سَابَاطٍ ، فقال له : أئجُ نعيمُ ! فقال : أنت يا زَيْدُ فعلتَ هذا ! أما والله لئن أقلتَ لَأَسْقِيَنَّكَ بكأسِ أبيك ! فقال له زَيْدٌ : إِمِضْ نعيمُ ، فقد والله وضعتُ لك عنده أَخِيَّةً لا يَقْطَعُهَا المَهْرُ الأَرْنُ . قال : فلما بلغ كسرى أنه بالباب أمر به فُقَيْدٌ وأبعده إلى خَافِقِينَ ، فلم يزل بالسجن حتى مات بالطاعون .

(١) التَّبابُ : الهلاك والخسران . (٢) يريد النعمان .

(٣) كان عنده منهم فرعة بنت سعد بن حارثة بن لأم ، وزينب بنت أوس بن حارثة كما في الأغاني .

(٤) ذوقار : ماء بكرين وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وفيه كانت الوقعة المشهورة

بين بكرين وائل والفرس .

- (٥) زيادة من الفائق (ص ٦٣٩ طبع أوروبا) وهنا في الأغاني (ج ٢ ص ١٢٦ طبع دار الكتب المصرية) حديث دار بين النعمان وبين قَيْصَةَ بن هَانِيٍّ . توجه على أثره النعمان لمقابلة كسرى ، فانظره .

(٦) ساباط : موضع بالمداين لكسرى أبرويز .

(٧) الأخية (بتشديد الياء) كاتبة ، ويقال أخية بخفيف الياء . وأخية بالمد والتشديد : عود يمرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه . وبصير وسطه كالمرورة تشد إليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخية :

- أن يدفن طرفا قطعة من الحبل في الأرض وفيها عصية أو حجر ويظهر منه مثل عروة تشد إليها الدابة ، وإنما توضع الأخية في مهارة الأرضين لأنها أرقف بالحبل من الأوتاد الناشئة عن الأرض .

(٨) الأرن : الذئيط .

(٩) خافقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد ، بينها وبين قصر شيرين ستة

فراسخ لمن يريد الجبال ، وبها عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل .

قال ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم : والناس يظنون أنه مات بساباط
ليبت قاله الأعشى ^(١) . والصحيح ما قلناه .

وقال ابن عبدون : إن النعمان لما أقبل إلى المدائن صف له كسرى ثمانية آلاف
جارية عليهن المصبغات وجعلهن صفين ، فلما صار النعمان بينهما قتل له : أما فينا للملك
غنى عن بقر السواد ؟ وأن كسرى أمر بالنعمان فحس بساباط المدائن ، ثم أمر به
فرمى بين أرجل الفيلة فوطئته حتى مات . وفي ذلك يقول سلامة بن جندل وذكر
[قتل] كسرى أبرويز [للنعمان] فقال : ^(٢)

هو المداخل النعمان بيتا سماؤه * نحو القبول بعد بيت مسردق ^(٣)

ثم ملك بعده إيباس بن قبيصة وأتى الله تعالى بالإسلام . فهؤلاء ملوك العرب
باليمن والشام والحيرة .

(١) البيت هو :

فذاك وما أنجى من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محزرق
والمحزرق : المضيق عليه في حبسه . ويرى : « محزرق » بتقديم الراء على الزاي . قال في اللسان :
« روى ابن جني عن التوزي » قال : قلت لأبي زيد الأنصاري : أتم تشدون قول الأعشى « ... »
حتى مات وهو محزرق » وأبو عمرو الشيباني يشده بتقديم الراء على الزاي فقال : إنها نبطية ، وأم
أبو عمرو نبطية فهو أعلم بها منا » .

(٢) راجع شرح قصيدة ابن عبدون (ص ١٣١ طبع أوروبا) .

(٣) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى
لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها وسماها باسم فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه على يد سعد بن أبي وقاص في صفر سنة ١٦ هـ .

(٤) هو من بني عامر بن غيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم جاهلي
قديم ، وهو من فرسان تميم الممدودين (راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٤٧ طبع أوروبا) .

(٥) التكلة من لسان العرب مادة « سردق » .

(٦) في اللسان مادة « سردق » ورد هذا البيت وفيه « صدور القبول » بدل « نحو » . والبيت
المسردق : هو الذي يكون أعلاه وأسفله مشدودا كله .

(١) ذكر خبر سَدِّ مَأْرِبَ وَسَيْلِ الْعَرَمِ

قد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ الآية (٣) . رَوَى عَنْ فُرُوقَ بْنِ مُسَيْكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا أُنْزِلَ فِي سَبَأٍ مَا أُنْزِلَ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا سَبَأٌ؟ أَرْضٌ أَوْ امْرَأَةٌ؟ فَقَالَ: «لَيْسَ بَأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةٌ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةَ مِنَ الْعَرَبِ فَيَأْتِي مَنْ مِنْهُمْ سِتَّةَ وَتَشَاءُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءُ مِنْهُمْ فَلَخِمُوا وَجُدَامَ وَغَسَّانَ وَعَامِلَةَ، وَأَمَّا الَّذِينَ تَيَأَمِنُوا فَالْأَزْدَ وَالْأَشْعَرُونَ وَخَيْرٌ وَكِنْدَةَ وَمَذْحِجَ وَأَنْمَارَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَنْمَارٌ؟ قَالَ: «الَّذِينَ مِنْهُمْ خَتَمٌ وَبَحِيلَةٌ» . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ .

١٠٧
١٣

وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن متصلةً بالعارة مسيرة ستة أشهر، وقيل أزيد من شهرين للراكب المجتهد، وكانوا يقتتسون النار بعضهم من بعض مسيرة ستة أشهر؛

(١) السد (بالفتح والضم) : الجبل والحاجز وبهما قرئ قوله تعالى : «حتى إذا بلغ بين السدين» .

(٢) «في مساكنهم» قراءة نافع، وقراءة حفص : «في مسكنهم» .

(٣) الآيتان ١٥ و ١٦ من سورة سبأ .

(٤) كذا في تهذيب التهذيب (ج ٧ ص ٢٦٥ طبع الهند) وتفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٢ طبع دار الكتب المصرية) . وهو فُرُوقُ بْنُ مُسَيْكٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَرِيتَ، ويقال بدل كريت ذؤيب بن مالك بن منبه بن عطف المرادي ثم الغطفاني . له صحبة ، أسلم ستة تسع وسكن الكوفة ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبيه وعنه روى أبو سيرة النخعي وهاتين عن عزة المرادي وعامر الشعبي وسعيد بن أبيض بن جهم وغيرهم . وفي الأصول : «عروة» وهو نخريف .

(٥) الأشعرين : نسبة إلى الأشعر، وهو أبو قبيلة من اليمن ، وهو أشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ، وتقول العرب : جاءتك الأشعرين ، يحذف ياءى النسب (راجع لسان العرب مادة شعر) . وفي تفسير القرطبي (ج ١٤ ص ٢٨٣ طبع دار الكتب) : «الأشعريون» بإثبات ياءى النسب .

فكانت المرأة إذا أرادت أن تَجْتَنِّيَ من ثمارها [شيئاً] وَصَّعَتِ المِثْكَلَ على رأسها
ونجرت تمشي بين الأشجار وهي تَغْزِلُ وتعمل ماشاءت ، فلا ترجع إلّا وقد آمتلاً
مِثْكَلُها مما يتساقط فيه من الثمار .

واختُلف في ما رُبَ ، ف قيل : إنه أَسْمُ مَلِكٍ تلك الأرض فُسِّمَتْ به ، قال الشاعر :
مِنْ سَبَأٍ الحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ * يَنْتُونُ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا
وقيل : هو أَسْمُ لقصر الملك ، وفيه يقول أبو الطَّمْحَانِ :

أَلَمْ تَرَوْا مَأْرَبًا مَا كَانَ أَحْصَنَهُ * وَمَا حَوَالِيهِ مِنْ سُورٍ وَبُنْيَانٍ
قال : وكان أول من خرج من اليمن بسبب سَيْلِ العَرَمِ عمرو بن عامر مُزَقِيًّا ،
وقد ذكرناه في الأساب ، وإنا سبب تسميته مُزَقِيًّا أنه كان يلبس في كل يوم
حُلَّةً وقيل حُلَّتَيْنِ ، وهو الأشهر ، ثم يمزقهما عشية نهاره لئلا يابسهما غيره ، فكان
هذا دأبه في كل يوم .

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون .

(٢) المِثْكَلُ . زنبيل يعمل من الخوص يحمل فيه التروغير .

(٣) هو النابغة الجعدي : وهو أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب
ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . شاعر إسلامي ، وكان أوصف الناس للنخيل .

(٤) سَبَأٌ (بفتح الهجمة) على أنه ممنوع من الصرف لأنه اسم قبيلة ، وهذه الرواية قرأ أبو عمرو
وآبن كثير . وفي طبقات الشعراء لابن سلام (ص ٢٧ طبع أوروبا) : « أخيراً ابن سلام قال : قلت
ليونس : كيف تقرأ : (وجئتكم من سبأ بلباً يقين) ؟ فقال : قال الجعدي وهو أفصح العرب :

مِنْ سَبَأٍ الحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ * يَنْتُونُ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا
وهو على قراءة « أبي عمرو و يونس » . والعَرَمِ (بالكسر) : هو حوض الأحباس تبنى في أوساط الأودية
وهو جمع واحد عمرمة . وهذا البيت من قصيدة للجعدي ذكرها ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء »
(ص ١٦٣ طبع أوروبا) .

(٥) راجع (ج ٢ ص ٣١٤ من هذه الطبعة) .

وكان سببُ خروجه من اليمن وأطلاعه على خبر سبيل العَريم قبل حدوثه دُونَ غيره من الناس أنه كان له امرأةٌ كاهنةٌ يُقال لها : طُريفةُ الخير، وكانت قد رأت في منامها أن صحابةً غَشِيَتْ أرضهم فأرعدَتْ وأبرقت ثم أصعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه، ففزعَتْ طُريفةُ الخير لذلك فزعاً شديداً وأنت إلى زوجها عمرو بن عامر وقالت : ما رأيتُ اليومَ أزال عني النوم . فقال لها : ما رأيت ؟ قالت : رأيتُ غَيماً أرعدَ وأبرقَ طويلاً ثم أصعقَ فسا وقع على شيء إلا احترق . قال : فلما رأى ما داخلها من الرُّوع والفرع سَكَنها .

ثم إنَّ عمراً بعد ذلك دخل حديقةً له ومعه جاريةٌ من بعض جواريه ، فبلغ ذلك أمراته طُريفةً فخرجتُ إليه ومعها وصيفٌ لها اسمه سنان ، فلما برزت من بيتها عَرَضَ لها ثلاثُ مناجدٍ متصباتٍ على أرجلها ، واضعاتٍ أيديها على أعينها . قال : ^(١) والمناجد : دوابٌ تشبه اليرابيع . فلما نظرت طُريفة إليها قعدت إلى الأرض ووضعت يديها على عينيها وقالت لعلامها : إذا ذهبت هذه المناجد فأخبرني ، فلما ذهبت أعلمها فأنطلقت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت سُلْحَفَةٌ من الماء فوقعت في الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب ولا تستطيع ، وتستعير بيديها وتحشو التراب على بطنها من جنباته وتقذف بالبول . فلما رأتها طُريفة الخير جلست إلى الأرض . فلما عادت السُّاحِفَةُ إلى الماء مضت طُريفة حتى دَخَلَتِ الحديقة على عمرو حين أنتصفَ النهار في ساعةٍ شديدةِ الحر فإذا الشجرُ يتكافأ من غير ريح ، فلما رآها عمرو استحي منها وأمر الجارية بالتحنُّي

(١) كما في شرح قصيدة ابن عبدون (ص ٩٩ طبع أوروبا) وفي الأصل : « سنا » .

(٢) ورد في اللسان (مادة خلد) : « الخلد والخلد : ضرب من الفئرة أو هو الفأرة العمياء وجمعها

مناجد على غير لفظ الواحد ، كما أن واحدة الخاض من الإبل خلفه » .

ثم قال لها : ما أتى بك يا طريفة ؟ فكيف كنت ؟ وقالت : والنور والظلماء ، والأرض
والسماء ، إن الشجر لهالك ، وليعودن الماء كما كان في الزمن السالك . قال لها عمرو :
ومن خبرك بهذا ؟ قالت : أخبرني المناجيد بسنين شذائد ، يقطع فيها الولد الوالد .
قال : فما تقولين ؟ قالت : أقول قول الندمان لهفأ ، لقد رأيت سُلحفاة تجرف
التراب جرفا ، وتَقْدِفُ بالبول قذفا ، فدخلت الحسديقة فإذا الشجر من غير ريح
يتكافأ . قال عمرو : وما ترى في ذلك ؟ قالت : هي داهية دهيأ من أمور جسيمة ،
ومصائب عظيمة . قال : وما هو وبك ؟ قالت : أجل ، إن فيه الويل ، ومالك
فيه من نيل ، وإن الويل فيما يحيى به السيل . فأتى عمرو نفسه على فراشه وقال :
ما هذا يا طريفة ؟ قالت : هو خطب جليل ، ونحزى طويل ، وخلف قليل ،
والقليل خير من تركه . قال : وما علامة ما تذكري ؟ قالت : اذهب الى السد
فإن رأيت جُرْداً يكثر يديه في السد الحفر ، ويقلب برجليه مَرَّاجِلَ الصَّخَرِ ، فأعلم أن
الغمر غمر ، وإن [قد] وقع الأمر . قال : وما هذا الذي تذكري ؟ قالت : وعد
من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكأل بنا نكل . قال : فأنتطلق عمرو الى السد فخرسه
فإذا الجُرْدُ يقليب برجليه صخرة ما يقليبها خمسون رجلا ، فرجع إليها وهو يقول :

أبصرتُ أمراً عادني منه أَلَمٌ * وهاج لي من هوله برح السقم
من جُرْدٍ كفعل خنزير الأجم * أو كبش صرم من أفاويق الغنم
يقليب صخرة من جلايد العرم * له مخالب وأنياب قضم
* ما فاته صخر من الصخر قضم *

(١) الغمر : الماء الكثير . وفي الأصول : « الغمر غمر » ودو تحريف . وما أثبتناه عن شرح قصيدة
ابن عبدون (ص ١٠٠ طبع أوروبا) . وفي التعليق على هذه الكلمة بأسفل الصفحة إشارة إلى اختلاف
الروايات فيها فيما بين : الغمر غمر والحفر غمر والغمر غمر .
(٢) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

فَقَالَتْ طَرِيفَةُ : وَإِنْ مِنْ عَلَامَةٍ مَا ذَكَرْتُ لَكَ أَنْ تَجْلِسَ فِتَامِرٌ بِزُجَاجَةٍ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنَّ الرِّيحَ تَمَلُّهَا بِتَرَابِ الْبَطْحَاءِ مِنْ سَهْلِ الْوَادِي وَرَمَلِهِ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجَنَانَ مُطَلَّلَةٌ مَا يَدْخُلُهَا شَمْسٌ وَلَا رِيحٌ . فَامِرٌ عَمَرُو بِزُجَاجَةٍ فَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ تَمُكَّتْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى آمَنَلَتْ مِنْ تَرَابِ الْبَطْحَاءِ . فَقَالَ لَهَا عَمَرُو : مَتَى يَكُونُ هَلَاكُ السَّدِّ ؟ فَقَالَتْ : فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ سَبْعِ سَنِينَ . فَقَالَ : فَنَى أَهْيَا يَكُونُ ؟ فَقَالَتْ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَوْ عَلِمَهُ أَحَدٌ لَعَلِمْتُهُ ، وَلَا تَأْنِي عَلَى لَيْلَةٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّبْعِ سَنِينَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنْ هَلَاكَ فِي غَدَا أَوْ مَسَايَا .

ثُمَّ رَأَى عَمَرُو بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ سَبِيلَ الْعَرِمِ وَقِيلَ لَهُ : آيَةُ ذَلِكَ أَنْ تَرَى الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِي سَعَفِ النَّخْلِ وَكَرِّيهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوَجَدَ الْحَصْبَاءَ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهَا فَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ سَتُخَرَّبُ لَا عَالَةَ ؛ فَكَتَمَ ذَلِكَ وَأَخْفَاهُ وَأَجْمَعَ عَلَى بَيْعِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ بِأَرْضِ مَارِبَ وَيُخْرِجُ مِنْهَا هُوَ وَوَلَدُهُ ، ثُمَّ خَشِيَ أَنْ يَنْكَرَ النَّاسُ حَالَهُ فَصَنَعَ وَلِيمَةً جَمَعَ النَّاسَ لَهَا وَقَرَّرَ مَعَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ أَنَّهُ يَأْمُرُهُ بِأَمْرِ فِي مَلَأَ الْقَوْمَ فَيَخَالِفُهُ فَإِذَا لَطَمَهُ عَمَرُو فَيَلْطِمُهُ الْآخَرُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ . فَلَمَّا لَطَمَهُ أَبْنُوهُ — وَكَانَ اسْمُهُ مَالِكًا — صَاحَ عَمَرُو : وَأَذْلَاهُ ! يَوْمَ تَخْرُ عَمَرُو يَهْنُ صَيٌّ وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ ! وَحَلَفَ لِيَقْتُلَنَّهُ ، فَسَأَلَهُ الْقَوْمُ آلًا يَفْعَلُ ، فَخَلَفَ آلًا يَقِيمُ بِمَوْضِعٍ صُنِعَ بِهِ فِيهِ هَذَا ، وَلِيَبِيعَنَّ أَمْوَالَهُ حَتَّى لَا يُورَثَ بَعْدَهُ . فَقَالَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اغْتَنَمُوا غَضْبَةَ عَمَرُو وَأَشْتَرُوا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَرْضَى ، فَابْتَاعَ النَّاسُ مِنْهُ جَمِيعَ مَا هُوَ لَهُ بِأَرْضِ مَارِبَ ، وَفَشَا بَعْضُ حَدِيثِهِ فَبَاعَ أَتَانَسُ مِنَ الْأَزْدِ ، فَلَمَّا كَثُرَ الْبَيْعُ اسْتَنَكَرَ النَّاسُ ذَلِكَ فَامْسَكُوا عَنِ الشِّرَاءِ ، فَلَمَّا أَجْتَمَعَتْ لِعَمَرُو أَمْوَالُهُ أَخْبَرَ النَّاسَ بِشَأْنِ سَبِيلِ الْعَرِمِ وَخَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَخَرَجَ

(١) المراد بالحصباء هنا أشبه بالبور التي تخرج بالبدن وتظهر في الجلد .

(٢) الكرب (محركة) : أصول السعف الغلاظ المراض التي تقطع معها .

لخروجه منها حَتَّى كَثِيرٌ فَتَزَلُّوا أَرْضَ عَكَّ حَتَّى مَاتَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَتَفَرَّقُوا بَعْدَهُ فِي الْبِلَادِ؛ فَفَنَّهُمْ مَنْ صَارَ إِلَى الشَّامِ، وَهُمْ أَوْلَادُ جَفْنَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَارَ إِلَى يَثْرِبَ، وَهُمْ أَبْنَاءُ قَبِيلَةِ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، وَأَبُوهُمَا حَارِثَةُ بْنُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ، وَصَارَتْ أَزْدُ الشَّرَاءِ إِلَى أَرْضِ الشَّرَاءِ، وَأَزْدُ عُثْمَانَ إِلَى عُثْمَانَ، وَمَالِكُ بْنُ فَهْمٍ إِلَى الْعِرَاقِ .

ثُمَّ خَرَجْتُ بَعْدَ عَمْرٍو بِسِيرٍ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ طِيَّءٍ فَتَزَلْتُ بِجَبَلٍ طِيَّءٍ : أَجَا وَسَلَّمَى ، وَنَزَلَ رَبِيعَةُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ تَهَامَةَ ، وَسُمُّوا خُرَاعَةَ لِأَخْرَاعِهِمْ [مِنْ أَخْوَاتِهِمْ] ^(١) ، وَتَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فَقَالَ : ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّيْلَ عَلَى السَّدِّ فَهَبَهُ .

وَأَخْتَلَفَ فِي الْعَرِيمِ مَا هُوَ ؟ فَقِيلَ : السَّدُّ وَاحِدُهُ عَرِيمَةٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْجُرْدُ . وَكَانَ السَّدُّ فِيمَا يُدْعَرُ قَدْ بَنَاهُ لُقْمَانُ الْأَكْبَرُ بْنُ عَادَ ، وَكَانَ صَفَّهُ لِحَجَارَةِ السَّدِّ بِالزَّرِصَاصِ فَرَسِخًا فِي فَرَسِخٍ . وَيُقَالُ : إِنَّ الَّذِي بَنَاهُ كَانَ مِنْ مَلُوكِ خَمِيرٍ . وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ مِمَّنْ ابْنُ قَيْسٍ الْأَعَشَى فَقَالَ :

وَفِي ذَلِكَ لِلْمُؤَيَّسِ أَسْوَةٌ * وَمَارِبُ عَفَى عَلَيْهَا الْعَرِيمُ
رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ خَمِيرٌ * إِذَا جَاءَ مَوَارِهِ لَمْ يُرَمِ
فَصَارُوا أَيَادِي مَا يَقْدَرُو * نَ مِنْهُ عَلَى شَرْبِ طِفْلِ فُطَيْمٍ
فَارَوَى الزَّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا * عَلَى سَعَةِ مَاؤِهَا إِذَا قُسِمَ

(١) زيادة من شرح قصيدة ابن عبدون .

الباب الخامس

من القسم الرابع من الفن الخامس

في أيام العرب ووقائعها في الجاهلية ، وأنها لمن مآثرها السنية ، وإذا تأملها المتأمل دلته على مكارم أخلاقهم وكرم نجارهم ، وحققته عنده أنهم ما أجمعوا عن طلب أوتارهم ، وعلم مكافاتهم للآقران ، وسماحتهم بالنفوس والأبدان ، وإقدامهم على الموت ، ومبادرتهم عند الإمكان خشية القوت .

وقيل لبعض الصحابة رضى الله عنهم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتكم في مجالسكم ؟ فقال : نتناشد الشعر وتحدث بأخبار جاهليتنا .

وقال بعضهم : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا في الجاهلية .
 ألا ترى أن عنزة الفوارس جاهلي لا دين له ، والحسن بن هانئ إسلامي ، فمنع
 ١٠ عنزة كرمه ما لم يمنع ابن هانئ دينه ، فإن عنزة يقول :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتى * حتى يوارى جارتى ما واهها

١٠٩
١٣

وقال أبو نؤاس الحسن بن هانئ :

كأن الشباب مطية الجهل * ومحسن الضحكات والمزلي

والباعثي والناس قد هجعوا^(١) * حتى أبيت خليفة البعل

١٥

وسأذكرم من وقائعهم ما يقوى الجنان ، ويبعث الجبان .

(١) في ديوانه : « رقدوا » بدل هجعوا .

ذكر وقعة طسم وجديس

وطسم بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وجديس بن غابر بن أرم
ابن سام بن نوح عليه السلام، وهم العرب العاربة، على ما ذكر بعض المؤرخين .
وكان منزلها اليمامة، وأسمها في وقتهم جَوْ، وكان الملك عليهما رجلا من طسم يقال له :
عمليق، وكان غشوما ظلوما . وكان سبب فناءهما أن عمليقا أته ذات يوم امرأة
أسمها هزيلة بنت مازن مع زوج لها اسمه ماش . وكان قد طلقها وأراد أخذ ولده
منها، فترافعا إليه ليحكم بينهما، فقالت هزيلة : «أيها الملك، هذا أبني حملته تسعا،
ووضعت دَفْعًا، وأرضعته شَفْعًا، ولم أنل منه نفعا، حتى إذا تمت أوصاله، وأستوت
خِصَالُهُ^(١)، أراد أن يأخذه متى قهراً ويسلبني سراً، ويترك يدي منه صفراً» . فقال
الزوج : « قد أخذت المهر كاملاً، ولم أنل منك طائلاً، إلا ولدا جاهلاً، فأفعل
ما كنت فاعلاً » . فأمر الملك أن يجعل الولد في غلمانة، فقالت هزيلة :

أتينا أبا طسم ليحكم بيننا * فأبرم حكماً في هزيلة ظالم
لعمري لقد حكمت لا متورعاً * ولا فهماً عند الحكومة عالم
ندمت فلم أقدر على متخرج * وأصبح زوجي عاثر الرأي نادما

(١) اليمامة : مدينة بالبادية من بلاد العوالي، وبها قد تسمى سيلة الكذاب، وهي بلاد بنو خزيمة،
وهي عن البصرة ست عشرة مرحلة، وعن الكوفة مثل ذلك . (راجع تقويم البلدان لأبي الفدا) .

(٢) في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قرص » .

(٣) في الأغاني : « ودنا فصاله » . (٤) في الأغاني : « كرهنا » ويتركى من يده ورها .

(٥) في الأغاني : « إلا ولدا جاهلاً » .

(٦) في الصبح المنير (ص ٧٥ طبع أوربا) : « حكمت » بفتح الشاء على الخطاب . ورواية

الشر الثاني فيه هكذا : * ولا كنت من يبرم الحكم عالماً *

ورواية الأغاني هكذا : * ولا كنت فيما تبرم الحكم عالماً *

فلما بلغ عَمَلِيْقًا ذاك غَضِبَ وأقسم أنه لا تُهْدَى عُرُوسٌ في جَدِيسٍ لبعلمها حتى
 يكون هو الذي يبدأ بها قبل زَوْجِها . فلم يزل على ذلك دهرًا حتى أَهْدَيْتْ عُفَيْرَةُ^(١)
 بنت عَفَّارِ الجَدِيسِيَّةِ أخت الأَسود بن عَفَّارِ سَيِّدَ جَدِيسٍ إلى بعلمها ، ويقال : إن
 اسمها الشَّمُوسُ ، فحُمِلَتْ إلى عَمَلِيْقٍ ، فلما أَقْرَعَهَا وَخَلَّ سَبِيلَهَا خرجت على قومها
 في دماها شاقَّةَ جيبها عن قُبُلِها ودُبُرِها وهي تقول :

لا أَحَدٌ أَذَلَّ من جَدِيسٍ * هكذا يُفَعَّلُ بالعُرُوسِ
 يرضى بهذا يالْقَنُومِي حُرٌّ * أَهْدَى وقد أعطى وسِيقَ المَهْرُ
 لأخذة الموت كذا لنفسه * خيرٌ من أن يُفَعَّلَ ذا يَغْرِسِهِ
 ثم قالت تحرَّضَ جَدِيسًا على طَسَمَ :

أَيضْلُحُّ ما يُؤْتَى إلى فِتْيَانِكُمْ * وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ الرَّمْلِ^(٢)
 أَيضْلُحُّ تَمْشِي في الدِّماءِ فِتْيَانُكُمْ * صَيِّحَةٌ زُفَّتْ في النساءِ إلى البعلِ
 فإن كَسَمُوا لا تَغْضَبُوا عند هذه * فكونوا نساءً لا تَفِيقُ من الكُحْلِ
 ودونكم طيبُ العُرُوسِ فإنما * خُلِقَتْ لَأَنْوَابِ العرائسِ وللغسلِ
 فلو أنبأَتْ نَحْنًا رجالًا وكُنتم * نساءً لَكُنَّا لا تُقَسِّرُ على الذَّلِّ
 فُقُبْحًا ومُحَقَّقًا للذي ليس دافعًا * ويختال يَمْشِي بيننا مَشِيَّةَ الفحلِ
 فموتوا كِرَامًا وأَصِدُّوا لعدوكم * لحربٍ تَلْطِى بالضَّرامِ من الجَزَلِ
 ولا تَهْزَعُوا في الحربِ بأقومٍ إنما * تقوم بأقومٍ كرامٍ على رجلِ

(١) ورد في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٥ طبع دار الكتب المصرية) : « عُفَيْرَةُ » مضبوطا
 بالقلم (بفتح العين وكسر الفاء) وصوابه كما ورد في لسان العرب والقاموس وشرحه مادة عفر (ضم العين
 وفتح الفاء بصيغة التصغير) بفتح هاء وهو ما أثبتناه هنا . (٢) كذا في الأصول والصبح المنير وشرح
 قصيدة ابن عبدون والكمال لأبن الأثير (ج ١ ص ١٥٤ طبع أوروبا) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ١٦٨
 طبع دار الكتب المصرية) : « عباد » . (٣) كذا في الأصول ، وفي الأغاني والصبح المنير
 وشرح قصيدة ابن عبدون : « الخلل » .

(١)

فَاجْتَمَعَتْ جَدِيسٌ فَقَالَ لَهُمُ الْأَسُودُ بْنُ عَفَّارٍ، وَكَانَ مُطَاعًا فِيهِمْ: لَتُطِيعُنِي [فَمَا أَمْرُكُمْ بِهِ] أَوْ لَا تَتَكَيَّنَنَّ عَلَى سِنِي حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . قَالُوا : فَإِنَّا نَطِيعُكَ . قَالَ : إِنَّا طَسْمَا لَيْسُوا بِأَعَزَّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ مُلْكُ صَاحِبِهِمْ هُوَ الَّذِي يُدْعِنَا إِلَيْهِمْ بِالطَّاعَةِ ، وَلَوْ أَمْتَنَعْتُمْ مِنْهُمْ لَكَانَ لَكُمْ النِّصْفُ ^(٢) . قَالُوا : إِنَّا الْقَوْمَ أَكْثَرُ مَتَا عَدَدًا وَعُدَدًا . قَالَ : إِنِّي صَانِعٌ طَعَامًا فَأَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا جَاءَوكُمْ مَتَفَضِّلِينَ فِي الْحُلِيِّ نَهَضْنَا إِلَيْهِمْ بِأَسْيَافِنَا . فَقَالَتْ عَفِيرَةُ لِأَخِيهَا : لَا تَفْعَلْ ! فَإِنَّ الْقَدْرَ ذَلَّةٌ وَعَارٌ ، وَلَكِنْ كَاثَرُوا الْقَوْمَ فِي دِيَارِهِمْ فَتَنْظَفَرُوا أَوْ تَمُوتُوا كِرَامًا . قَالَ : بَلْ نَمَكُرُهُمْ فَتَكُونُ أَمَكُنَ مِنْهُمْ . ثُمَّ صَنَعَ الْأَسُودُ طَعَامًا وَأَمَرَ قَوْمَهُ أَنْ يَخْتَرِطُوا سِيُوفَهُمْ ثُمَّ يَدْفِنُوهَا فِي الرَّمْلِ . وَدَعَا عَمِلِيْقًا وَقَوْمَهُ ، فَلَمَّا أَتَوْا اسْتَنَارَتْ جَدِيسُ السِّيُوفَ وَشَدُّوا عَلَيْهِمْ فَمَا أَفَلَتْ مِنْهُمْ إِلَّا رِيَّاحُ بْنُ مَرْثَةَ ، فَفَزَّ إِلَى حَسَّانَ بْنِ تُبَيْعٍ فَاسْتَفَاثَ بِهِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَتْهُ جَدِيسُ بِطَسْمَ فَوَعَدَهُ النَّصْرَةَ ، ثُمَّ نَادَى حَسَّانَ فِي خَمِيرٍ بِالْمَسِيرِ وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا صَنَعَتْ جَدِيسُ بِطَسْمَ ، فَقَالُوا : وَمَا جَدِيسُ وَطَسْمَ ؟ قَالَ : هُمَا أَخَوَانٌ . قَالُوا : فَمَا لَنَا فِي هَذَا مِنْ أَرْبَ . قَالَ حَسَّانَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ هَذَا فِيكُمْ أَكَانَ حَسَنًا لِمَلِكِكُمْ أَنْ يُهْدِرَ دِمَاءَكُمْ . وَمَا عَلَيْنَا فِي الْحُكْمِ إِلَّا أَنْ نُنْصِفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ . فَقَالُوا : الْأَمْرُ أَمْرُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ فَمُرْنَا بِمَا أَحْبَبْتَ . فَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ ، فَسَارُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا مِنَ الْيَمَامَةِ عَلَى ثَلَاثِ لَيَالٍ قَالَ رِيَّاحُ بْنُ مَرْثَةَ لِحَسَّانَ بْنِ تُبَيْعٍ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! إِنَّا لَى أَخْتَا مَرْوَجَةَ فِي جَدِيسٍ تَنْظُرُ الرَّابِّ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَأَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ قَوْمَهَا ، فَأَمَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ أَنْ يَقْتُلَ شَجَرَةً مِنَ الْأَرْضِ وَيَجْعَلَهَا أَمَامَهُ ، فَأَمَرَهُمْ حَسَّانَ بِذَلِكَ . ثُمَّ سَارُوا ، فَنَظَرْتُ أَخْتُ رِيَّاحٍ فَقَالَتْ : يَا جَدِيسُ ! لَقَدْ سَارَتْ إِلَيْكُمْ الشَّجَرُ . فَقَالُوا لَهَا :

(١) التكلة من شرح قصيدة ابن عبدون . (٢) النصف (بالتحريك) : إعطاء الحق .

(٣) كذا في شرح قصيدة ابن عبدون . وفي الأصل : « يضيع » .

وما ذاك ؟ قالت : أرى شَجَرًا ، من ورائه بَشَرًا ، وإني لا أرى رجلًا من وراء شجرة ينهش كَتِفًا أو يَحْصِفُ نَعْلًا ، فكذبوها وغفلوا عن أخذ أُهْبَةِ الحرب حتى صَبَّحَتْهُمْ جَمِيرٌ . ففى ذلك تقول زرقاء اليمامة :

خَذُوا لِمِ حِذْرِكُمْ يَا قَوْمُ يَنْفَعُكُمْ * فليس ما قد أراه اليومَ يُحْتَقَرُ
إِنِّي أَرَى شَجَرًا مِنْ خَلْفِهِ بَشَرٌ * فكيف تَجْتَمِعُ الأشجارُ والبشرُ
صُفُوا الطوائفَ مِنْكُمْ قَبْلَ دَاهِيَةٍ * من الأمور التي يُحْشَى وتَنْتَظَرُ
إِنِّي أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ * أو يَحْصِفُ النعلَ خَصْفًا لَيْسَ بِعَتَدَرٍ
تُورُوا بِأَجْمَعِكُمْ فِي وَجْهِهِ أَوَّلُهُمْ * فإن ذلك مِنْكُمْ - فَأَعْلَمُوا - ظَفَرُ
وَعُورُوا كُلَّ مَاءٍ دُونَ مَنَرِهِمْ * فليس من دُونِهِ نَحْسٌ ولا ضَرَرُ
أَوْعَاجِلُوا الْقَوْمَ عِنْدَ اللَّيْلِ إِنْ رَقَدُوا * ولا تَحَاوُوا الْمَاءَ حَرَبًا وَإِنْ كَثُرُوا

فلما كان حَسَنًا على مسيرة ليلة عَابَ جَيْشَهُ ثُمَّ صَبَّحَهُمْ فَأَسْتَبَاحَ الْيَمَامَةَ قَتْلًا وَسَبِيًّا ،
وهرب الأسود حتى نزل بطييء فأجاروه مِنْ كُلِّ مَنْ يَطْلُبُهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ . وقبيلته
في طيء مذكورة . ثم إن حسانا أمر باليمامة فَنَزَعَ عَيْنَهَا فإِذَا فِي دَاخِلِهَا عُرُوقٌ سُودٌ ،
فسألها عن ذلك فقالت : حَجَرٌ أَسْوَدُ كُنْتُ أَكْتَحِلُ بِهِ يَقَالُ لَهُ الْإِنْمِدُ فَتَبَّتْ لِي
بَصْرِي . وقيل : إنها أول مَنْ أَكْتَحَلَ بِالْإِنْمِدِ ، فأمر بها فَصُلِبَتْ عَلَى بَابِ جَوْ .
وقيل : سُمِّيَ جَوْ بِالْيَمَامَةِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ . وفى ذلك يقول رِيَّاحُ بْنُ مَرْثَدَةَ لَمَّا
أَخَذَ بَثَّارَهُ :

(١) يعتذر : تريد أنه لا عذر له في خصفها . وفي شرح قصيدة ابن عبدون : « يعتسر » وأشير
في الحامش إلى رواية « يعتذر » . وفي الصبح المنير (ص ٨٢ طبع أوربا) : « يعتذر » وأشير
في الحامش إلى رواية « يعتسر » .

(٢) كذا في الصبح المنير وشرح قصيدة ابن عبدون . وفي الأصول : « دونهم » .

(٣) كذا في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون . وفي الصبح المنير : « لهم » .

غَدَرَ الْحَيُّ مِنْ جَدِّيسٍ بَطْنُ * آلِ طَسْمٍ كَمَا تُدَادَانِي تُدِينِي
قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِيَوْمٍ كَبِيرٍ * تُرْكُوا فِيهِ مِثْلَ مَا تَرَكُونِي
لَيْتَ طَسْمًا عَلَى مَنَازِلَهَا تَهْ * لَمْ أَتَى قَضَيْتُ عَنِّي دُبُونِي

وقد كثررت الشعراء قصة هذه المرأة وجؤ . فمن ذلك قول الأعشى على

رواية ابن قتيبة :

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ * أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِي آيَةً صَنَعًا^(١)
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ * دُؤَالِ حَسَانَ يُزْجِي السَّمَ وَالسَّلْعَا^(٢)
فَاسْتَزَلُّوا آلَ جَوْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ * وَهَدُّوا رَافِعَ الْبُيَّانِ فَأَتَضَعَا^(٣)

وروى ابن إسحاق :

كُونِي كَنَلِ التِّي إِنْ غَابَ وَاحِدُهَا * أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدِ نَظَرَةٍ جَزَعًا^(٤)

ثم أتى بالأبيات التي ذكرها ابن قتيبة . وقال المصنّف بن عكس :

لَقَدْ نَظَرْتُ عَيْنٌ إِلَى الْخَزَعِ نَظَرَةً * إِلَى مِثْلِ مَوْجِ الْمُقَعَّمِ الْمُتَلَاظِمِ
إِلَى خَمِيرٍ إِذْ وَجَّهُوا مِنْ بِلَادِهِمْ * تَصَيِّقُ بِهِمْ لَأْيًا فَرُوجُ الْخَمَارِمِ^(٥)

(١) كذا في الصبح المنير ، تريد أنها تلهفت حين لم تستبه أي الفعلين فعل . وفي الأصول وشرح

قصيدة ابن عبدون : « لحفا آية » .

(٢) السلق (بالتحريك) : شجر مرّ وله ثمر مثل عناقيد العنب صفار ، فإذا أبيض أسود فأكله

القرود ولا تأكله الناس ولا السائمة ، وفي الصبح المنير : « ... يزجي الموت والشرما » . والشرع

(بالكسر) : الأوتار ، واحده شرعة .

(٣) في الأصول وشرح قصيدة ابن عبدون : « فأنسما » وما أئتمناه عن الصبح المنير ، وفيه :

« شاخص » بدل « رافع » . وفي شرح قصيدة ابن عبدون : « بافع » .

(٤) في الصبح المنير : « إذا غاب واحد » .

(٥) المخارم : واحدها مخرم (بكسر الزاء) وهو مقطّع أنف الجبل .

وفيها يقول الثَّورُ بْنُ تَوَلَّبَ :

وفنائهم عَزَّ غَدَاةً تَبَيَّنَتْ * من بعد مرأى في الفضاء ومَسْمَع
قالت أرى رجلاً يُقَلِّبُ نَعْلَهُ * تَقْلِبَ ذِي وَصَلٍ لَهُ وَمُسَمَّع
ورأت مقدمة الخَيْسِ ودونها * رَكُضَ الْحَيَادِ إِلَى الصَّبَاحِ يُتَبَّع

ذكر حروب قيس في الجاهلية

يَوْمَ مَنَعِجٍ لَفْنَى عَلَى عَبَسٍ

- (١) يَوْمَ مَنَعِجٍ . هو يوم الرِّدْهَةِ وفيه قُتِلَ شَاسُ بْنُ زُهَيْرِ بْنِ جَدِيمَةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيِّ ؛
قتله رِيَّاحُ بْنُ الْأَشْلِ الْغَنَوِيُّ . وذلك أَنَّ شَاسًا أَقْبَلَ مِنْ عِنْدِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَقَدْ
أَجْزَلَ حِبَاءَهُ . وَكَانَ مِنْ حِبَائِهِ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ ذَاتُ هُدْبٍ وَطِيبٌ ؛ فَوُورِدَ مَنَعِجًا — وَهُوَ
مَاءٌ لَفْنَى — فَأَنَاحَ رَاحِلَتَهُ إِلَى جَانِبِ الرِّدْهَةِ وَعَلَيْهَا خَبَاءُ لِرِيَّاحِ بْنِ الْأَشْلِ ، وَجَعَلَ
يُغْتَسِلُ وَأَمْرَأَةٌ رِيَّاحٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ كَالثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ؛ فَأَتَرَعَهُ رِيَّاحٌ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ ،
وَضَمَّ مَتَاعَهُ وَنَحَرَ نَاقَتَهُ وَأَكَلَهَا وَغَيَّبَ اثْرَهُ . وَقُدَّ شَاسُ بْنُ زُهَيْرٍ ، حَتَّى وَجَدُوا
الْقَطِيفَةَ الْحَمْرَاءَ بِسَوْقِ عُكَاظٍ قَدْ بَاعَتَهَا أَمْرَأَةٌ رِيَّاحٍ ، فَعَلِمُوا أَنَّ رِيَّاحًا صَاحِبَ
ثَأْرِهِمْ ، فَفَزَّتْ بَنُو عَبَسٍ غَنِيًّا قَبْلَ أَنْ يَطْلُبُوا قَوْدًا أَوْ دِيَّةً ، مَعَ الْحُصَيْنِ بْنِ زُهَيْرٍ
ابْنِ جَدِيمَةَ وَالْحُصَيْنِ بْنِ أَسِيدِ بْنِ جَدِيمَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ غَنِيًّا قَالُوا لِرِيَّاحٍ : ائْتِجْ ، لَعَلَّنَا

(١) منعج (يفتح فسكون فكسر) : واد يأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع في بطن طلع .

(٢) الردهة : (بسكون الدال المهمله) : الثفرة في الجبل أو في الصخرة يستنقع فيها الماء .

(٣) في الكامل لابن الأنسير (ج ١ ص ١١ ؛ طبع أوربا) : « رباح » بالباء الموحدة ، وفي

الأغاني (ج ١١ ص ٧٦ طبع دار الكتب المصرية) . « رباح من الأسك » .

(٤) (الهدب بسكون الدال المهمله وضما) : أطراف الثوب على طرته .

نُصالح القوم على شيء [أو نرضيهم بديهة ^(١)] . فخرج رياح رديفا ^(٢) لرجل من بني كلاب ،
وهما يظنان أنهما قد خالفا وجهه القوم ؛ فمز صرد ^(٣) على رؤوسهما فصرصر ، فما راعهما
إلا خيل بني عبس ، فقال الكلابي لرياح : انحدري من خافتي وألتبس نفاقا في الأرض
فإني شاغل القوم عنك ، فأنحدري رياح من عجز الجمل حتى أتى صفة ^(٤) فأحتفر تحتها
مثل مكان الأرنب وولج فيه ، ومضى صاحبه ، فسأله فقال : هذه غني جامعة ،
وقد آستمكتهم منهم ، فصدفوه وخلوا سبيله ، فلما ولي رأوا مركب الرجل خلفه
فقالوا : من الذي كان خلفك ؟ فقال : لا تكذب ! رياح بن الأشل ، وهو في أولئك
الصعديات . فقال الحصينان لمن معهما : قد مكنتا الله من ثأرنا ولا نريد أن يشركنا ^(٥)
فيه أحد ، فوقفوا عنهما ، ومضيا بفعلا يريغان رياحا بين الصعديات ، فقال لهما : هذا
غز الكا الذي تريغانه ، فأبتدراه فرمى أحدهما بسهم فأقصده ^(٦) ، فطعنه الآخر فأخطأه ،
ومرت به الفرس ، فاستدبره رياح بسهم فقتله ثم أتى قومه . ففى ذلك يقول
الكثير بن زيد الأسدي ، وكانت له أمان من غني :

أنا ابن غني والداي كلاهما * لأمين منهم في الفروع وفي الأصل

(١) الكلمة من كتاب الأغاني (ج ١١ ص ٧٩ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الرديف : الراكب خلف الراكب .

(٣) الصرد : طائر أبيض ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود ؛ وهو من سباع
الطير ، ضخم المنقار عظيم البرئ ، كانت العرب تطير من صوته .

(٤) كذا في الأغاني . والصفة : جانب النهر أو الوادي . وفي الأصل : « صدة » .

(٥) في الأغاني : « ... في الأول من السمرات » .

(٦) أقصد : الإقصاد : أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه ، ويقال : أقصدت الرجل
إذا طعنته أو رميته بهم فلم تخطئ . مقالته فهو مقصد « بالبناء للجهد » .

هم استودعوا زهرا نسيب بن سالم ^(١) * وهم عدلوا بين الحصينين بالنبل
وهم قتلوا شأس الملوك ورغموا * أباه زهيراً بالمدة والتكل

يوم التفراوات ^(٢)

لبنى عامر على بن عباس

- فيه قُتِلَ زُهَيْرُ بْنُ جَدِيَّةَ بْنِ رَوَاحَةَ الْعَبْسِيِّ . وَكَانَتْ هَوَازُنُ تُودِّي إِلَيْهِ إِنَاوَةَ ،
فَانتَهَجَ حُوزَرُ رَهِيشَ مِنْ بَنِي نَعْمَرِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بَسْمَنَ فِي نَحْيٍ ، وَشَكَتْ سَنِينَ تَابَعَتْ
عَلَى النَّاسِ ، فَذَاقَهُ فَلَمْ يَرْضَ طَعْمَهُ ، فَدَعَاهَا بِقَوْسٍ فِي يَدِهِ عَطِلَ فِي صَدْرِهَا ،
فَاسْتَلَقَتْ عَلَى قَفَاهَا مُنْكَشَفَةً ، فَتَسَالَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ لِأَجْعَلَنَّ ذِرَاعِي
فِي عُنُقِهِ حَتَّى يَقْتَلَ أَوْ أُقْتَلَ . وَكَانَ زُهَيْرٌ مُقَدَّمًا فَتَفَزَّدَ مِنْ قَوْمِهِ بَيْنَهُ وَبَنِي أَخَوِيَّةِ
أَسِيدَ وَزَيْنَابَ يَرْيَغُ الْغَيْثَ فِي عُشْرَاوَاتٍ لَهُ وَشَوَّلَ ؛ فَاتَاهُ الْحَارِثُ [بْنُ عَمْرٍو] ^(١١)

(١) كذا في الأصول والعقد الفريد (ج ٣ ص ٦١ طبع بلاق) وفي الجزء الثاني من العقد الفريد
المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٣ أدب ورقة ٦٨ ورد هذا الشطر هكذا : « هم
استودعوا زهرا نسيب بن سالم » وفي الأغاني : « هم استودعوا هوى شبيب بن سالم » .
(٢) كذا في معجم ما استعجم ، وقد ذكره في رسم « ركة » وأشار إلى قتل زهير بن جدية .
قال : نقرى (فتح أوله وإسكان ثانيه بمنذر راء مهملة مقصور على وزن فعل) ، ويمد : موضع في بلاد
خطلفان . وكذلك في العقد الفريد المخطوط . وفي الأصول والعقد الفريد المطبوع : « التفراوات »
(بالقاف) . وفي الأغاني (ج ١١ ص ٨٤ ، ٨٥ طبع دار الكتب المصرية) : « التفراوات » .
وكلاهما محرف . (٣) رهيش : ضعيفة أو مهزولة . (٤) النحي : ألزق الذي يجعل فيه السمن .
(٥) دعها : دفعها بعنف . (٦) قوس عطل : لا وتر فيها .

- (٧) يريد أن كشفت عورتها . (٨) تال : حلف . (٩) يرغ : يطلب .
(١٠) العشراء من النوق : اتى مضى لخلها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد
الوضع ، فهي بعد الوضع عشراء أيضا . قال ابن الأنبار : قد اتسع في هذا حتى قيل لكل حامل عشراء .
والشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي الشاة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر تحف لبنها
وأرتفع ضرعها . (١١) زيادة من الأغاني .

أَبْنُ الشَّرِيدِ، وَكَانَتْ تُمَاضِرُ بَنَةَ [عَمْرِو بْنِ] الشَّرِيدِ تَحْتَ زُهَيْرٍ، فَلَمَّا عَرَفَ الْحَارِثُ
مَكَانَهُ أَنْذَرَ عَلَيْهِ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَهْطَ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، فَكَرَبَ مِنْهُمْ سِتَّةُ
فَوَارِسَ فِيهِمْ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَصَخْرُ بْنُ الشَّرِيدِ وَحُنْدُجُ بْنُ الْبَكَاءِ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ عُبَادَةَ
أَبْنُ عُقَيْلِ فَارِسِ الْهَزَارِ . وَيُقَالُ لِمَعَاوِيَةَ : الْأَخِيلُ ، وَهُوَ جَدُّ لَيْلِ الْأَخِيلِيَّةِ . فَقَالَ
أَسِيدُ زُهَيْرٍ : أَعَلَمْتَنِي رَاعِيَةً غَنَمِي أَنَهَا رَأَتْ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَّةِ أَشْبَاحًا وَلَا أَحْسِبُهَا
إِلَّا خَيْلَ بَنِي عَامِرٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا بِقَوْمِنَا . فَقَالَ لَهُ زُهَيْرٌ : « كُلُّ أَزْبٍ نَفُورٌ » ، وَكَانَ
أَشْعَرُ الْقَفَا ، فَذَهَبَتْ مِثْلًا ، فَتَحَمَّلَ أَسِيدُ بْنُ مَعِ بْنِ زُهَيْرٍ وَأَبْنَاهُ وَرَقَاءُ
وَالْحَارِثُ . وَصَبَّحَتْهُمْ الْفَوَارِسُ فَأَرَمَدَتْ بِزُهَيْرِ فَرَسِهِ الْقَعَسَاءُ وَلَحَقَهُ خَالِدٌ وَمَعَاوِيَةُ
الْأَخِيلُ ، فَطَعَنَ مَعَاوِيَةُ الْقَعَسَاءَ فَقَلَبَتْ زَهِيرًا ، وَخَزَّ خَالِدٌ فَرَعَ الْمَغْفَرِ عَنْ رَأْسِ
زُهَيْرٍ وَقَالَ : يَا لَعَامِي أَقْتَلُونَا جَمِيعًا ! وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةُ فَضْرَبَ زَهِيرًا عَلَى مَقَرَّقِ رَأْسِهِ
ضَرْبَةً بَلَّغَتْ الدَّمَاعَ ، وَأَقْبَلَ وَرَقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ فَضْرَبَ خَالِدًا وَعَلَيْهِ دُرْعَانٌ فَلَمْ تَعْنِ
شَيْئًا ، وَأَجْهَضَ أَبْنَا زُهَيْرِ الْقَوْمِ عَنْ زُهَيْرٍ وَاحْتِمَلَاهُ وَقَدْ أَثْنَتْهُ الضَّرْبَةُ فَمَنَعُوهُ الْمَاءَ
فَقَالَ : اسْقُونِي وَإِنْ كَانَتْ نَفْسِي فِيهِ ، فَسَقَوْهُ فَمَاتَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِنْ الْأَيَّامِ ، فَقَالَ
فِي ذَلِكَ وَرَقَاءُ بْنُ زُهَيْرٍ :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ * فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا * وَيَمْنَهُ مَنَى الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرُ

(١) الزَّبَبُ : كَثْرَةُ الشَّعْرِ وَطُولُهُ . وَالْبَعِيرُ الْأَزْبُ ، وَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ شَعْرُ حَاجِيهِ ، يَنْفَرُ إِذَا ضُرِبَ
الرَّيْحُ شَعْرَاتُ حَاجِيهِ .

(٢) أَرَمَدَتْ : عَدَتْ عَدُوَّ الرَّمْدِ ، أَيْ النِّعَامِ .

(٣) أَيْ نَحْبَاهُمْ مَعَهُ ، وَنَلِيَاهُمْ عَلَيْهِ .

(٤) الْعَجُولُ مِنَ النِّسَاءِ وَالْإِبِلِ : الْوَالِدَةُ الَّتِي فَقَدَتْ وَلَدَهَا التَّكْلَى لِعَجَلَتِهَا فِي جَيْتِهَا وَذَهَابِهَا جَزْئًا .

(١) فَيَا لَيْتَ أَنِّي قَبْلَ أَيَّامِ خَالِدٍ * وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُخَاضِرُ
لَعَمْرِي لَقَدْ بُشِّرْتَنِي إِذْ وَلَدْتَنِي * فَاذَا الَّذِي رَدَّتْ عَلَيْكَ الْبُشَايِرُ
وقال خالد بن جعفر في قتله زهيرا :

بَلْ كَيْفَ تَكْفُرُنِي هَوَازُنُ بَعْدَ مَا * أَعْتَقْتُهُمْ فَوَالِدُوا أحراراً
وَقَتْلُ رَبِّهِمْ زُهَيْرًا بَعْدَ مَا * جَدَعَ الْأَنْوُفَ وَأَكْثَرَ الْأَوْتَارِ
وجعلتُ مَهْرَ بَنَاتِهِمْ وَدِيَاتِهِمْ * عَقَلَ الْمُلُوكَ هَجَانًا وَبِكَارِ

يَوْمَ بَطْنِ عَاقِلٍ

لذِيانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

(٢) فِيهِ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَاقِلٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ
أَخِي النِّعْمَانِ وَمَعَهُ عُرْوَةُ الرَّحَالِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَالْتَقَى خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ وَالْحَارِثُ
أَبْنُ ظَالِمِ بْنِ غَيْطِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ عِنْدَ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، فَجَعَلَ خَالِدٌ
يَقُولُ لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ : يَا حَارِ ، أَمَا تَشْكُرُ يَدِي عِنْدَكَ أَنَّ قَتَلْتُ عَنْكَ سَيِّدَ قَوْمِكَ
زُهَيْرًا وَتَرْكُوكَ سَيِّدَهُمْ ؟ فَقَالَ : سَأُجْزِيكَ شُكْرَ ذَلِكَ . فَلَمَّا خَرَجَ الْحَارِثُ قَالَ
الْأَسْوَدُ لَخَالِدٍ : مَا دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَحْزُزَ بِهَذَا الْكَلْبِ وَأَنْتَ ضَيْفِي ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا
هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِي ، وَلَوْ وَجَدْتَنِي نَائِمًا مَا أَبْقَيْتَنِي . وَأَنْصَرَفَ خَالِدٌ إِلَى قُبَّتِهِ فَلَا مَهْ

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رياح .

(٢) في الأغاني : « أبكارا » .

(٣) بطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة بين رامين وإمرة .

(٤) كذا في الأصول والمقد الفريد المخطوط ، وهو موافق لما جاء في الكامل لابن الأثير في إحدى رواياته ، وفي الرواية الأخرى أن الملك الذي اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث بن ظالم ثم قتل الحارث خالدا في جواره ثم قتل أبنه بعد ذلك فأخذ يطارد الحارث لقتله أبنه ومن استجار به ، هو النعمان ابن أمية القيس ملك الحيرة .

عُرْوَةُ الزَّحَالِ، ثُمَّ نَامَا وَأُشْرِجَتْ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةُ^(١)، وَكَانَ مَعَ الْحَارِثِ تَبِيعٌ لَهُ مِنْ
 بَنِي مُحَارِبٍ يُقَالُ لَهُ نِحْرَاشٌ، فَلَمَّا هَدَّاتِ الْعَيُونُ أخرج الحارث ناقتَه وَقَالَ لِحِرَاشٍ :
 كُنْ لِي بِمَكَانٍ كَذَا، فَإِنْ طَلَعَ كَوْكَبُ الصَّبْحِ وَلَمْ أَتِكَ فَأَنْظُرْ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيْكَ فَأَعْمِدْ
 لَهَا، ثُمَّ أَنْطَلِقِ الْحَارِثُ حَتَّى أَتَى قُبَّةَ خَالِدٍ فَهَنَكَ شَرَجَهَا ثُمَّ وَلَحَهَا وَقَتْلَهُ، فَنَادَى
 عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : وَاجْوَارَ الْمَلِكِ ! فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّاسُ، وَسَمِعَ الْأَسْوَدَ الْهَتَافَ وَعِنْدَهُ
 أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ يُقَالُ لَهَا : الْمُتَجَرَّدَةُ، فَشَقَّتْ جَيْبَهَا . فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ جَعْدَةَ :

شَقَّتْ عَلَيْكَ الْعَامِرِيَّةُ جَيْبَهَا * أَسَفًا وَمَا تَبَيَّنَ عَلَيْكَ ضَلَالًا^(٢)
 يَأْخُذُ لَوْ نَهَيْتَهُ لَوَجَدْتَهُ * لَا طَائِشًا رَعِشًا وَلَا مِغْزَالًا^(٣)
 وَأَغْرَوْرَقْتَ عَيْنَايَ لَمَّا أَخِيرْتُ * بِالْجَعْفَرِيِّ وَأُسْبِلْتَ إِنْبَالًا^(٤)
 فَلْيَنْقُضَنَّ بِخَالِدٍ سَرَوَاتِيكُمْ * وَلْتَجْعَلَنَّ لِلظَّالِمِينَ نَكَالًا^(٥)
 فَإِذَا رَأَيْتُمْ عَارِضًا مَتَلَلًا * مَنَّا فَلَمَّا لَا تُحَاوِلُ مَنَّا

يَوْمُ رَحْرَحَانِ

لِعَامِرٍ عَلَى تَمِيمٍ

وَلَمَّا هَرَبَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ وَنَبَتْ بِهِ الْبِلَادُ لَجَأَ إِلَى مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ فَأَجَارَهُ ؛
 فَقَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِمَعْبَدٍ : مَالِكُ أَوَيْتَ هَذَا الْمَشْتُومَ الْأَنْكَدَ وَأَغْرَيْتَ بَنِي الْأَسْوَدِ ؟
 وَخَذَلُوهُ غَيْرَ بَنِي مَأْوِيَةٍ وَبَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ . وَبَلَغَ الْأَحْوَصَ بْنَ جَعْفَرِ بْنِ كَلَابٍ مَكَانَ
 الْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ ، وَأَنَّهُ عِنْدَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، فَغَزَا مَعْبَدًا فَالْتَقَوْا بِرَحْرَحَانَ^(٥) فَهَزِمَتْ

(١) أشرجت : جمعت . (٢) في الكامل لابن الأثير : « الجعفرية » .

(٣) الرعش (ككف) : الجبان . (٤) المغزال : من لا رعي له .

(٥) رحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات .

بنو تميم وأيسر معبد بن زُرارة، أمره عامر والطَّفِيلُ ابنا مالك بن جعفر بن كلاب،
فوفد لَقِيْطُ بن زُرارة عليهما في فدائه فقال لهما : لكما عندى مائتا بعير، فقالا :
أبا نهشل، أنت سيد الناس، وأخوك معبد سيد مضر فلا تقبل فيه إلا دية ملك،
فأبى أن يزيدهم وقال : إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحدا في ديتنا على مائتي بعير، وقال :
لا نؤكلوا العرب أنفسكم ولا نزيدوا بفدائكم على فداء رجل منكم، ورحل لقيط عن القوم .
قال : فتمنوا معبد الماء وضاروه حتى مات هزالاً . وقيل : بل أبى معبد أن
يُطعم شيئا أو يُشرب حتى مات هزالاً . ففي ذلك يقول عامر بن الطفيل :
قَضَيْنَا الْجَوْنَ عَنْ عَيْسٍ وَكَانَتْ * مَبْنِيَّةٌ مَعْبِدٍ فِينَا هُزَالًا
وقال جرير :

وَيْلَةَ وَاْدِي رَحْرَحَانَ رَفَعْتُمُ^(١) * فِرَارًا وَلَمْ تَلَوْا رَفِيقَ النَّعَائِمِ
تَرَكْتُمُ أَبَا الْقَعْقَاعِ فِي الْغُلِّ مَعْبِدًا * وَأَيُّ أَخٍ لَمْ تُسْلِمُوا لِلْأَذَاهِمِ
وقال أيضا :

وَبِرَحْرَحَانَ غَدَاةَ كُبَيْلٍ مَعْبِدٌ * نَكَحَتْ فَنَائِكُمْ بِغَيْرِ مَهْوَرٍ

يَوْمُ شَغْبِ جَبَلَةٍ

لِعَامِرٍ وَعَبْسٍ عَلَى ذُبْيَانٍ وَتَمِيمٍ

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : يومُ جَبَلَةٍ أَعْظَمُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا
انْقَضَتْ وَقْعَةُ رَحْرَحَانَ جَمَعَ لَقِيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ ابْنِيَّ عَامِرٍ وَأَبَى عَلَيْهِمْ . وَبَيْنَ يَوْمٍ

(١) كذا في النقااض (ص ٢٢٩ ضع أوربا) . وفي الأصل : « فرتم » .

(٢) جَبَلَةٍ : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالشَّرَفِ . وَالشَّرِيفُ : مَاءٌ لِقِي تَمِيمٍ . وَالشَّرَفُ :

مَاءُ ابْنِي كَلَابِ . (٣) عَظَامُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ : يَوْمُ كَلَابِ رَبِيعَةٍ ، وَيَوْمُ جَبَلَةٍ هَذَا ،

وَيَوْمُ ذِي قَارِ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَيَّامُ كَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلِينَ .

رَحْرَحَان ويوم جَبَلَة سنة . ويوم جَبَلَة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عامُ
 مَوْلِدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانت بنو عَبَسَ يومئذ في بني عامر حُلَفَاءَ
 لهم ، فَاسْتَعْدَى لَقِيْطُ بْنُ ذُبْيَانَ لَعْدَاوَتَهُمْ لِبَنِي عَبَسَ من أجل حَرْبِ دَاحِسَ ،
 فَاجَابَتْهُ غَطَفَانُ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي بَدْرَ ، وَتَجَمَّعَتْ لَهُمْ تَمِيمٌ كُلُّهَا غَيْرَ بَنِي سَعْدَ ، وَخَرَجَتْ
 مَعَهُ بَنُو أَسَدٍ لِحَلْفِ كَانْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانِ ، ثُمَّ أَتَى لَقِيْطُ بْنُ الْحَوْنِ الْكِنْدِيَّ (١) وَهُوَ
 مَلِكُ هَجْرٍ (٢) وَكَانَ يُحْيِي مَنْ بَهَا مِنَ الْعَرَبِ [فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي قَوْمٍ عَادِينَ قَدْ مَلَأُوا
 الْأَرْضَ نَعْمًا وَشَاءَ ، فَأَرْسَلَ مَعِيَ أَبْنَاكَ فَمَا أَصْبَنَا مِنْ مَالٍ وَسَبِيٍّ فَلَهُمَا ، وَمَا أَصْبَنَا مِنْ
 دَمٍ فَلِي ، فَاجَابَهُ الْخَوْنُ إِلَى ذَلِكَ وَجَعَلَ لَهُ مَوْعِدًا رَأْسَ الْحَوْلِ ، ثُمَّ أَتَى لَقِيْطُ بْنُ النُّعْمَانِ
 أَبْنَ الْمُنْذِرِ فَأَسْتَجِدَّهُ وَأَطْمَعَهُ فِي الْغَنَائِمِ ، وَكَانَ لَقِيْطُ بْنُ وَجِيهًا لِلْمُلُوكِ ، فَلَمَّا كَانَ
 عَلَى قَرْنِ الْحَوْلِ مِنْ يَوْمِ رَحْرَحَانَ أَقْبَلَتْ الْجِيُوشُ إِلَى لَقِيْطَ ، وَأَقْبَلَ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ
 الْمُرِّيَّ فِي غَطَفَانِ وَجَاءَتْ بَنُو أَسَدَ ، وَأَرْسَلَ الْخَوْنُ أَبْنِيَهُ مَعَاوِيَةَ وَعَمْرًا ، وَأَرْسَلَ
 النُّعْمَانُ أَخَاهُ لِأُمِّهِ حَسَّانَ بْنَ وَبَرَةَ الْكَلْبِيَّ . فَلَمَّا تَوَافَوْا خَرَجُوا إِلَى بَنِي عَامِرٍ وَقَدْ
 أَنْذَرُوا بِهِمْ وَتَأَهَّبُوا لَهُمْ ، فَقَالَ الْأَحْوَصُ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ رَحَى هَوَازِنَ
 لَقِيْسَ بْنِ زُهَيْرٍ : مَا تَرَى ؟ فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يُعْرَضْ لَكَ أَمْرَانِ إِلَّا وَجَدْتَ
 فِي أَحَدِهِمَا الْمَخْرَجَ ! فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ : الرَّأْيُ أَنْ نَزْهَلَ بِالْعِيَالِ وَالْأَمْوَالِ حَتَّى

(١) في الأغاني (ج ١١ ص ١٦٠ طبع دار الكتب المصرية) : « بسع ونهين سنة » .

وفي النقائص (ص ٦٧٦ أوربا) « بسع ونهين سنة » .

(٢) الخوْن : هو معاوية بن آكل المزارر الكندي سمي بذلك لشدة سواده . وفي الأصل :

« الخوْن الكلبى » .

(٣) هجر : مدينة بالبحرين .

(٤) التكلة من العقد الفريد لأبن عبد ربه (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق) .

(٥) النعم (بفتح ن) : الإبل خاصة .

(١١) تَدْخُلُ شُعْبَ جَبَلَةَ فَتَقَاتِلُ الْقَوْمَ [دُونَهَا] مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ ، فَإِنَّهُمْ دَاخِلُونَ عَلَيْكَ الشَّعْبَ ، وَإِنَّ لَقَيْطًا رَجُلًا فِيهِ طَيْشٌ فَسَيَقْتَحِمُ عَلَيْكَ الْجَبَلَ ، فَارَى أَنْ تَأْمُرَ بِالْإِبِلِ فَلَا تَرَعَى وَلَا تُسْقَى وَتُعْقَلُ ، ثُمَّ تَجْعَلُ الذَّرَارَى وَرَاءَ ظَهْرِنَا وَتَأْمُرُ بِالرَّجَالِ فَتَأْخُذُ بِأَذْنَابِ الْإِبِلِ ، فَإِذَا دَخَلُوا عَلَيْنَا الشَّعْبَ حَلَّتِ الرَّجَالُ عُقْلَ الْإِبِلِ ثُمَّ لَزِمَتْ أَذْنَابُهَا فَإِنَّهَا تَتَحَدَّرُ عَلَيْهِمْ وَيَحْتَمِلُونَ إِلَى مَرَايِعِهَا وَوَرْدِهَا ، وَلَا يَرُدُّ وَجُوهَهَا شَيْءًا ، وَيَخْرُجُ الْفُرْسَانُ فِي أَمْرِ الرَّجَالِ الَّذِينَ خَلْفَ الْإِبِلِ فَإِنَّهَا تُحْطَمُ مَا لَقِيَتْ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِمُ الْخَيْلُ وَقَدْ حُطِّمُوا مِنْ عَيْلٍ . فَقَالَ الْأَحْوَصُ : نَعِمَ مَا رَأَيْتَ وَأَخَذَ بَرَاهِيهَ ، وَكَانَ مَعَ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ بَنُو عَبْسٍ ، وَغَنِيٌّ فِي بَنِي كَلَابٍ ، وَبَاهِلَةٌ فِي بَنِي صَعْبٍ ، وَالْأَبْنَاءُ أَبْنَاءُ صَفْصَعَةَ . وَكَانَ رَهْطُ الْمُعَقَّرِ الْبَارِقِيِّ يَوْمَئِذٍ فِي بَنِي ثُمَيْرِ بْنِ عَامِرٍ ، وَكَانَتْ قِبَائِلُ بَجِيلَةَ كُلِّهَا فِيهِمْ غَيْرُ قَيْسٍ .

قال أبو عبيدة : وأقبل لقيطٌ والملوكُ ومن معهم فوجدوا بني عامرٍ قد دخلوا شُعْبَ جَبَلَةَ فَنَزَلُوا عَلَى فِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ : خَذُوا عَلَيْهِمُ قَمَ الشَّعْبِ حَتَّى يَعْطِشُوا وَيَجُوعُوا ، فَأَتَوْا حَتَّى دَخَلُوا عَلَيْهِمُ الشَّعْبَ ، وَكَانُوا قَدْ عَقَلُوا الْإِبِلَ [وَعَطَّشُوهَا] ثَلَاثَةَ أَهْمَاسٍ ، وَذَلِكَ آتِنَا عَشْرَةَ لَيْلَةٍ لَمْ تُطْعَمَ شَيْئًا ، فَلَمَّا دَنَوْا حَلَّوْا عُقْلَهَا فَأَقْبَلَتْ تَهَوَّى ، فَظَنَّ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الشَّعْبَ قَدْ هَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَالرَّجَالُ فِي آثَارِهَا آخِذِينَ بِأَذْنَابِهَا فَدَقَّتْ كُلُّهَا لَقِيْتَ ، فَأَنْهَزَمُوا لَا يَلُوءُونَ عَلَى أَحَدٍ ، وَقُتِلَ لَقَيْطٌ وَأُسْرِ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ، أُسِرَ ذُو الرُّقَيْبَةِ ، وَأُسْرِ سِنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّي أُسِرَ عُرْوَةُ الرَّحَالِ ، بَخْرَ نَاصِبَتَهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ عُدُسٍ ، أُسِرَ قَيْسُ بْنُ الْمُجْتَنَّفِ ، بَخْرَ نَاصِبَتِهِ وَخَلَّاهُ طَمَعًا فِي الْمَكَافَاةِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَقُتِلَ مَعَاوِيَةُ بْنُ

١١٤
١٣

(١) التكملة من العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٦٣ طبع بلاق) .

(٢) التكملة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) .

الجتون ومُقدُّ بن طريف الأسدي، ومالك بن ربيعة بن جندل بن نَهْشَل ، فقال
جرير في ذلك :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيْطًا وَحَاجِبًا * وَعَمْرَوُ بْنُ عَمْرٍو إِذْ دَعَا بِأَلِ دَارِمٍ
وَيَوْمَ الصَّفَا كُنْتُمْ عَيْدًا لِعَامِرٍ * وَبِالْحَزْنِ أَصْبَحْتُمْ عَيْدَ اللَّهَازِمِ
يعني بالحزن يوم الوقيط . وقال أيضا في بني دارم :

وَيَوْمَ الشَّعْبِ قَدْ تَرَكَوْا لَقِيْطًا * كَأَنَّ عَلَيْهِ نَحْلَةً أَرْجُوَان
وَكَبْلٌ حَاجِبٌ بِشَامٍ حَوْلًا * فَكَمْ ذَا الرُّقِيَّةِ وَهُوَ عَانِي
وقالت دَخَنُوسُ أُخْتُ لَقِيْطٍ تَرَى لَقِيْطًا :

قَرَرْتُ بَنُو أَسَدٍ فَرَا * رَ الطَّيْرِ عَرَّ أَرْبَابَهَا
عَنْ خَيْرِ خَنْدَفٍ كُلِّهَا * مِنْ كَهْلِهَا وَشَبَابِهَا
وَأَتَمَّهَا حَمَابًا إِذَا * ضُمَّتْ إِلَى أَحْسَابِهَا^(١)

يوم الحريرة

وفيه قُتِلَ الحارث بن ظالم

قال أبو عبيدة : لما قَتَلَ الحارثُ بنُ ظالم خالداً بنَ جعفر الكلابي أتى صديقا
له من كِنْدَةَ . فَأَتَفَ عَلَيْهِ وَطَلَبَهُ الْمَلِكُ نَفْخَى ذَكَرَهُ ، ثُمَّ شَخَّصَ مِنْ عِنْدِ الْكِنْدِيِّ
وَاضْمَرَتْهُ^(٢) الْبِلَادُ حَتَّى اسْتَجَارَ بِزِيَادِ أَحَدِ بَنِي عَجَلٍ بْنِ الْحَيِّمِ ، فَقَامَ بَنُو ذُهْلَ بْنِ ثَعْلَبَةَ
وَبَنُو عَمْرٍو بَنِي شَيْبَانَ فَقَالُوا لِلْمَعْجَلِ : أَخْرِجُوا هَذَا الرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ لِإِنَّهُ لَا طَاقَةَ

(١) هذه رواية الأصل والعقد الفريد (ج ٣ ص ٦٤ طبع بلاق) ورواية التفاض (ص ٦٦٦ طبع
أوربا) والأغانى (ج ١١ ص ١٤٦ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

بَكَرَ الْعِيَّ بِخَيْرِ خَنْدَفٍ * لَدَفَ كَهْلَهَا وَشَبَابَهَا

وَبَخَّرَهَا نَسَبًا إِذَا * عَدَّتْ إِلَى أَسَابِهَا

(٢) اضمرت الأرض الرجل : غيبته إما بسفر أو بموت .

لنا بالشَّهْبَاءِ وَدَوْسَرَ، وهما كَتَيْبَتَانِ لِلْأَسْوَدِ بْنِ الْمَنْذَرِ، فَأَبَتْ عَجَلٌ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ،
فَلَمَّا رَأَى الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ ذَلِكَ كَرِهَ أَنْ تَقْعَ الْفِتْنَةُ بَيْنَهُمَا بِسَبِيهِ، فَأَرْتَحَلَ مِنْ
بَنِي عَجَلٍ إِلَى جَبَلٍ طَيِّءٍ فَأَجَارُوهُ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَلَّتْ بِي الْيَوْمَ نَاقَتِي * إِلَى نَاصِرٍ مِنْ طَيِّءٍ غَيْرِ خَاذِلٍ
فَأَصْبَحْتُ جَارًا لِلْمَجْرَةِ فِيهِمْ * عَلَى بَاذِخٍ يَغْلُو يَدَ الْمُتَطَاوِلِ
إِذَا أَجَا لَقْتُ عَلَى شِعَابِهَا * وَسَلَّمِي فَأَنْتُمْ مِنْ تَنَاوَلِي^(١)

فَكَثَّ عِنْدَهُمْ حِينًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمَنْذَرِ لَمَّا أُعْجِزَهُ أَمْرُهُ أَرْسَلَ إِلَى جَارَاتِهِ كُنَّ
لِلْحَارِثِ بْنِ ظَالِمٍ اسْتَأْفَقَهُنَّ وَأُمَوَّلَهُنَّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَارِثُ، فَخَرَجَ مِنَ الْجَبَلَيْنِ فَأَنْدَسَ
فِي النَّاسِ حَتَّى عَلِمَ مَكَانَ جَارَاتِهِ وَمَرَعَى إِبِلِهِنَّ فَأَتَاهُنَّ وَأَسْتَقْدَهْنَ وَأَسْتَأَقَ إِبِلَهُنَّ^(٢)
فَالْحَقَهُنَّ بِقَوْمِهِنَّ . وَأَنْدَسَ فِي بِلَادِ غَطَفَانَ حَتَّى أَتَى سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ الْمُزَنِيَّ وَهُوَ
أَبُو هَرَمٍ بْنُ سِنَانَ مَمْدُوحُ زُهَيْرٍ . وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَنْذَرِ قَدْ اسْتَرْضَعَ أَبْنَاهُ شُرَحْبِيلَ
عِنْدَ سَلَمَى أَمْرَأَةِ سِنَانَ، وَهِيَ مِنْ بَنِي غَنَمٍ بْنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ، فَكَانَتْ لَا تَأْمَنُ عَلَى
أَبْنِ الْمَلِكِ أَحَدًا، فَاسْتَعَارَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ سَرَجَ سِنَانَ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةِ الشَّرْبَةِ، فَأَتَى
بِهِ سَلَمَى أَمْرَأَةَ سِنَانَ وَقَالَ لَهَا : يَقُولُ لَكَ بَعْلُكَ : ابْعَثِي أَبْنَكَ مَعَ الْحَارِثِ فَإِنِّي أُرِيدُ
أَنْ أَسْتَأْمِنَ لَهُ الْمَلِكُ، وَهَذَا سَرَجُهُ لَكَ آيَةً . قَالَ : فَرَزَيْتَهُ وَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ
نَاحِيَةَ مِنَ الشَّرْبَةِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ مِنْ فُورِهِ، وَهَرَبَ سِنَانَ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ . فَلَمَّا بَلَغَ
الْأَسْوَدُ قَتْلَ أَبْنِهِ شُرَحْبِيلَ غَزَا بَنِي ذُبْيَانَ فَقَتَلَ وَسَبَى، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، وَأَغَارَ عَلَى
بَنِي دُودَانَ رَهْطَ سَلَمَى، فَقَتَلَهُمْ وَسَبَاهُمْ، ثُمَّ وَجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ نَعْلَى شُرَحْبِيلَ فِي جَانِبِ
الشَّرْبَةِ عِنْدَ بَنِي مُحَارِبٍ بْنِ خَصْفَةَ، فَغَزَاهُمْ وَأَسْرَهُمْ وَأَحَى لَهُمُ الصَّفَا وَقَالَ : إِنِّي
أَحْذِيكُمْ نِعَالًا، فَأَمَشَاهُمْ عَلَيْهَا، فَسَقَطَتْ أَقْدَامُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ سَيَّارَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ جَابِرِ

(١) أَجَا وَسَلَمَى : جَبَلَانِ لَطِيَّيْنِ .

(٢) عِبَارَةُ الْأَغَانِي (ج ١١ ص ١٠٧ طبع دار الكتب المصرية) : « فَأَسَابَ فِي غَارِ النَّاسِ » .

الْفَرَارِي - احتمل للأسوددية آبنه ألف بعير ورهته بها قوسه ، فوفاه بها وقال في ذلك :

ونحن رهنا القوس ثمت فوديت * بألف على ظهر الفاراري أفرعا

بعشر مئين للسلوك وفي بها ^(١) * ليحمد سيار بن عمرو فأسرعا

قال : ثم هرب الحارث فلحق بمعبد بن زرارة فاستجار به فأجاره ، وكان من سببه وقعة رحران التي تقدم ذكرها . ثم هرب حتى لحق بمكة وقريش لأنه يقال : إن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان إنما هو مرة بن عوف بن لؤي بن غالب ، فنوسل إليهم بهذه القرابة وقال في ذلك :

إذا فارقت ثعلبة بن سعيد * وإخوتهم نسبت إلى لؤي

إلى نسب كريم غير وغيل * وحى من أكارم كل حى

فإن يك منهم أصلي فمنهم * قوانين الإله بنو قصي

فقالوا له : هذا نسب رجم كرشاء إذا استغنيت عنها أدبرتم . قال : فشخص [الحارث] ^(٢) عنهم غضبان وقال في ذلك :

ألا لستم منا ولا نحن منكم * برثنا إليكم من لؤي بن غالب ^(٦)

غدونا على نثير الحجاز وأتم ^(٤) * بمنشعب البطحاء بين الأخاشب ^(٧)

وتوجه إلى الشام فليحق يزيد بن عمرو الغسانی فأجاره وأكرمه . وكانت ليزيد ناقة محجمة ، في عنقها مدية وزناد وصرة ملح ، يمتحن بها رعيته لينظر من يحرى عليه ،

(١) في الأغاني (ج ١١ ص ١١١ طبع دار الكتب المصرية) ونزاة الأدب (ج ٣ ص ٣٠٤) .
 « سعى بها ... ليوفى » وقد صححها المرحوم الشقيطي : « سعى لها » . (٢) الرشاء : الجبل .
 (٣) زيادة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٦٧ طبع بلاط) . (٤) كذا في العقد الفريد . والنشر :
 انت المرفع من الأرض ، أو ما أرتفع عن الوادى إلى الأرض وليس بالعليط . (٥) انشعب
 الطريق : تفرق . (٦) البطحاء : كل موضع منع . (٧) الأخاشب : جبال مكة .

فَوَحِثَ أَمْرَأَةُ الْحَارِثِ فَأَشْتَهَتْ نَحْجًا فَأَنطَلَقَ إِلَى النَّاقَةِ فَأَتَتْحَرَهَا وَأَنَاهَا بِسَحْمِهَا
وَفَقَدَتِ النَّاقَةَ فَأَرْسَلَ إِلَى الْخُمْسِ الْبَغْلِيِّ، وَكَانَ كَاهِنًا، فِسَأَلَهُ عَنْهَا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْحَارِثَ
صَاحِبُهَا، فَهَمَّ بِهِ الْمَلِكُ ثُمَّ تَذَمَّنَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَوْجَسَ الْحَارِثُ فِي نَفْسِهِ شَرًّا فَأَتَى الْخُمْسَ
الْبَغْلِيَّ فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ دَعَا بِهِ الْمَلِكُ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَجَرْتَنِي
فَلَا تَقْدِرُنِي، قَالَ الْمَلِكُ: لَا صَبْرَ إِنْ غَدَرْتُ بِكَ مَرَّةً فَقَدْ غَدَرْتُ بِي مِرَارًا، وَأَمَرَ
أَبْنَ الْخُمْسِ بِهِ فَقَتَلَهُ، وَأَخَذَ ابْنَ الْخُمْسِ سَيْفَ الْحَارِثِ، فَأَتَى بِهِ سَوْقَ عَكَاظَ فِي الْأَشْهُرِ
الْحَرَمِ، فَأَرَاهُ قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ الْعَبْسِيُّ فَضَرَبَهُ بِهِ قَيْسٌ فَقَتَلَهُ.

ذِكْرُ حَرْبِ دَاخِسٍ وَالْغُبَرَاءِ

وهي من حروب قيس

- ١٠ قال أبو عبيدة: حرب داحس والغبراء بين عتب بن ربيعة وذيبيان أختي بغيض
ابن ربيعة بن غطفان. وكان السبب الذي هاجمها أن قيس بن زهير وحمل
ابن بدر تراها على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق. وكان داحس حنلاً
لقيس بن زهير. والغبراء حجر تحمل بن بدر، فتواضعا الرهان على مائة بعير، وجعلوا

(١) تذييل: استنكف. (٢) اسمه «مالك» كما في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩)

١٥ طبع دار الكتب المصرية).

(٣) وردت هذه العبارة في الأغاني (ج ١١ ص ١١٩ طبع دار الكتب المصرية) هكذا: «فأتى
به سوق عكاظ في الحرم...» وضبط لفظ «الحرم» بالقلم بفتح الحاء والراء المهملتين. وبهذا الضبط
يتبادر إلى ذهن القارئ أنه قتله بالحرم (أي الكعبة) ويؤيد هذا تكرار هذه الكلمة بهذا الضبط في السطر
التالي لها، وهذا خطأ، والصواب أنه قتله في الأشهر الحرم (بضم الحاء والراء المهملتين) بسوق عكاظ،
وهي سوق بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتسمر عشرين يوماً، تجتمع قبائل
العرب فينموا كظنون، أي يتفانرون ويتناشدون.

(٤) الحمر: الفرس الأنثى لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر. وأحجار الخيل:
ما يتخذ منها لنقل لا يفرد لها واحد.

مُنْتَهَى الْغَايَةِ مَائَةَ غَلْوَةٍ، وَالْمُضَارَّارُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ قَادَاهُمَا إِلَى رَأْسِ الْمَيْدَانِ بَعْدَ أَنْ ضَمَّرَاهُمَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . وَكَانَ فِي طَرَفِ الْغَايَةِ شِجَابٌ كَثِيرٌ، فَأَكْنَحَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ فِي تِلْكَ الشَّعَابِ فِتْيَانًا عَلَى طَرِيقِ الْفَرَسَيْنِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ جَاءَ دَاحِشٌ سَابِقًا أَنْ يَرُدُّوه عَنْ الْغَايَةِ ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُمَا ، فَلَمَّا أَحْضَرَا خَرَجَتِ الْأُنْثَى عَنْ الْفَحْلِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ ، فَقَالَ قَيْسُ : رُوَيْدًا يَعْذُوَانِ الْجَدَدَ إِلَى الْوَعْتِ وَتَرْشَحُ أَعْطَافَ الْفَحْلِ ، فَلَمَّا أَوْغَلَا عَنْ الْجَدَدِ وَخَرَجَا إِلَى الْوَعْتِ بَرَزَ دَاحِشٌ عَنْ الْغَبَاءِ فَقَالَ قَيْسُ : « بَرَأُ الْمَذَكَّاتِ غَلَابٌ ^(١) » فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَلَمَّا شَارَفَ دَاحِشٌ الْغَايَةَ وَدَنَا مِنَ الْفِتْيَةِ وَثَبُّوا فِي وَجْهِ دَاحِشٍ فَرَدُّوه عَنْ الْغَايَةِ ، فَقَالَ ذَلِكَ يَقُولُ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ :

وَمَا لَأَقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ * وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ ^(٢)
هُمُو نَحَرُوا عَلَى بَغِيرِ نَحْرِ * وَرَدُّوهُ دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي

وَنَارَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ ابْنَيْ بَغِيضَ ، فَكَدَّتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ تُنْتِجْ نَاقَةً وَلَا فَرَسًا فِيهَا لَأَشْتَغَلَهُمْ بِالْحَرْبِ . فَبَعَثَ حُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ ابْنَهُ مَالِكًا إِلَى قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ حَقَّ السَّبْقِ ، فَقَالَ قَيْسُ : كَلَّا لَا مَطْلَكَ بِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ الرِّمْحَ فَطَعَنَهُ فِدْقَ صُلْبِهِ ، وَرَجَعَتْ فَرَسُهُ غَائِرَةً ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فَحَمَلُوا دِيَةَ مَالِكِ مَائَةَ نَاقَةٍ عَشْرَاءَ ^(٣) وَزَعَمُوا أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادِ الْعَبْسِيَّ حَمَلَهَا وَحَدَّه فَقَبِضَهَا حُدَيْفَةُ وَسَكَنَ النَّاسُ .

(١) المذكية من الخليل : التي قد أتى عليها بعد فروجها سنة أو سنتان .

(٢) الغلاب : المغالبة ، أى إن المذكي يغالب مجاريه فيقلبه لقوته .

(٣) ذات الإصَاد : موضع يلاذ به في فزارة .

(٤) العشراء : التي أتى هل حملها عشرة أشهر من ملقها .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطة من أرض الشربة فأخبر حذيفة بمكانه ، فعدا عليه قتلته ، ففى ذلك يقول عنترة :
 (١)

فَلله عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مالِكِ * عَقِيرَةٌ قَوْمٍ أَنْ جَرَى قَرَسَانِ
 فليتهما لم يحسبًا قِيدَ غُلَّةٍ * وليتهما لم يرسلًا لِرَهَّانِ

فَقالت بنو عبس : مالك بن زهير بمالك بن حذيفة وردوا علينا مالنا ، فأبى حذيفة أن يرذ شيئا ، وكان الربيع بن زياد مجاورًا لبني فزارة .

قال : فلما قُتِلَ مالك بن زهير جعل بنو فزارة يتساءلون ويقولون : ما فعل حماركم ؟ قالوا : صيدناه ، فقال لهم الربيع : ما هذا الوحى ؟ قالوا : قتلنا مالك ابن زهير ، قال : بئس ما فعلتم بقومكم ! قُتِلَتِ الدِّيةُ ورَضِيتُمْ بها ثم غدرتُمْ ! فقالوا : لولا أنك جأرنا لقتلناك ، وكانت خفرة الحار ثلثا ، فقالوا له : بعد ثلاث ليل أخرج عنا ، فخرج وآتبعوه فلم يلحقوه حتى لحق بقومه ، وأتاه قيس بن زهير فعاقده . ثم نهضت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان إلى بني فزارة وذبيان ورئيسهم الربيع بن زياد ، ورئيس بنى فزارة حذيفة بن بدر .

يوم المَرِيقِبِ

لبنى عبس على بنى ذبيان

فَأَلْتَقَوْا بِذِي المَرِيقِبِ مِنْ أرضِ الشَّرْبَةِ فَأَقْتَلُوا ، فَكانتِ الشُّوكَةُ فى بَنى فَزَارَةَ قُتِلَ مِنْهُم عَوْفُ بْنُ بَدْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي الحَصِينِ ، أَحَدُ بَنى عَدَى بْنِ فَزَارَةَ وَجَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ . وفى هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذْ آلَتِ قُرْسَانَهَا * يَوْمَ المَرِيقِبِ أَنَّ ظَنِّكَ أَحْمَقُ

- (١) اللقطة : موضع قريب من الحاجر من منازل بنى فزارة .
 (٢) الشربة : موضع بين السليلة والريذة ، وقيل : إذا جاوزت النقرة وماران تريد مكة وقعت في الشربة .
 (٣) المريقب : تصغير مرقب : موضع من الشربة .

يوم ذى حُسى لذبيان على عبس

ثم إن ذبيان تجمعت لِمَا أصابت بنو عبس منهم يوم المُرَيْقَب قَزَارَةُ بن ذبيان
ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان وأحلافهم، فتلوا فتوافوا بذى حُسى^(١)، وهو وادى
الصفاء من أرض الشَّرْبَةِ، فهزمت بنو عبس وخافت ألا تقوم بجاعة بنى ذبيان
وأتبعوهم حتى لحقوهم، فقالوا: التفانى أو تُقِيدونا، فأشار قيس بن زهير على
الربيع بن زياد ألا يناجرهم، وأن يُعطوهم رهائن من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم،
فراضوا أن يكون رهنهم عند سُبَيْع بن عمرو أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان،
فدفعوا إليه ثمانية من الصّبيان، فأنصرفوا وتكافأ الناس، فمكث رهنهم عند سُبَيْع
حتى حضرته الوفاة، فقال لابنه مالك بن سُبَيْع: إن عندك مكُومَةً لا تَبِيدُ^(٢) إن أنت
احتفظت بهؤلاء الأَغْلِيمة، وكأنى بك لوُمِيتَ قد أتاكَ خالُك حُدَيْفَةُ بن بدر
فعصر لك عيذه وقال: هلك سيّدنا ثم خدعك عنهم حتى تدفعهم إليه فيقتلهم، فلا
تَشْرُفُ بعدها أبدا، فإن خِفْتَ ذلك فأذهب بهم إلى قوهم. فلما هلك سُبَيْع
أطاف حُدَيْفَةُ بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم إليه، فأتى بهم اليعمرية^(٣)، بفعل يُوْرِز
كل يوم غلاما فينصبه غَرَضًا ويقول له: نادِ أباك، فينادى أباه حتى
يقتله.

(١) ذوحسى: موضع بالعالية في أرض غطفان.

(٢) لا تبید: لا تنقطع ولا تذهب. وفي الأصل «لا تضر».

(٣) اليعمرية: ما يروى من بطن نخل من الشربة لبنى ثعلبة.

يوم اليعمرية

لعبس على ذبيان

قال : فلما بلغ ذلك من فعله بنى عبس أتوهم باليعمرية فلقوهم بجزتها فقتلوا منهم آتني عشر رجلا ، منهم مالك بن سبيع الذي نبذ بالغملة إلى حذيفة ، وأخوه يزيد بن سبيع ، وعامر بن لوزان ، والحارث بن زيد ، وهرم بن ضمضم أخو حصين . ويقال ليوم اليعمرية : يوم ذى نفر لأنهما متجاوران .

يوم الهباءة

لعبس على ذبيان

قال : ثم اجتمعوا فالتقوا في يوم قاتل إلى جنب جعفر الهباءة وأقتلوا من أول النهار إلى أن انتصف ، وحجز الحر بينهم ، وكان حذيفة بن بدر يحرق نخذه الركض ، فقال قيس بن زهير : يا بنى عبس ، إن حذيفة غدا إذا أحتمت الوديقة^(٢) مستنقع في جعفر الهباءة فعليكم بها ، فخرجوا حتى وقعوا على أثر صارف : فرس حذيفة ، والحيفاء : فرس حمل بن بدر ، ففقدوا أثرهما حتى توافوا مع الظهيرة على الهباءة ، فبصر بهم حمل بن بدر فقال : هذا قيس بن زهير قد أتاكم ، فوقف قيس وأصحابه على جعفر الهباءة وهو يقول : لبيكم لبيكم ! يعني إجابة الصبية الذين كانوا ينادونهم إذ يقتلون ! وفي الجفر حذيفة وحمل وبدر ومالك بنو بدر ، وورقاء بن بلال^(٣)

(١) الهباءة : أرض يبلاد غطفان . وجعفر الهباءة : مستنقع في هذه الأرض .

(٢) الوديقة : شدة الحر .

(٣) كذا في كتاب النقايس (ص ٩٥ طبع أوروبا) والأغانى (ج ١٦ ص ٣١ طبع بلانق) .

وفي الأصول والعقد القر يد : « هلال » .

من بني ثعلبة بن سعد . وحش بن عمرو ، فوقف عليهم شدداد بن معاوية^(١)
العيسى ، فحال بينهم وبين خيلهم ، ثم توافقت قُرسان بن عيس فقال حمل :
ناشدتك بالرحم يا قيس ، فقال : لبيكم لبيكم ! فعرف حذيفة أنه لن يدعهم فأتهم
حملا فقال : إياك والمأثور من الكلام ، فذهبت مثلا ، وقال لقيس : ان
قتلني لا تصلح غطفان بعدها أبدا ! فقال : أبعدا الله ولا أصلحها ، وجاءه
قرواش يبعبله^(٢) فقصم صلبه ، وقتل الربيع بن زياد حمل بن بدر ، فقال قيس بن
زهير يرثيه :

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ * عَلَى جَفَرِ الْهَبَاءِ مَا يَرِيمُ^(٣)
وَلَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْيَى * عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا بَدَيْتِ النُّجُومُ
وَلَكِنْ الْفَتَى حَمَلٌ بَنَ بَدْرٍ * بَنَى وَالْبَنَى مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ
أُظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي * وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي * فَمُعْجُزٌ وَأَخْرُ مُسْتَقِيمُ

ومثّلوا بحذيفة بن بدر كما مثّل بالغلمة ، فتمطعوا مذاكيره وجعلوها في فيه
وجعلوا لسانه في آسته ، ففي ذلك يقول قائلهم :

إِنَّ قَبِيلًا بِالْهَبَاءِ فِي آسَتِهِ * صَحِيفَتُهُ إِنْ عَادَ لِلظُّلْمِ ظَالِمُ
مَتَى تَقْرَأُوهَا تَهْدِيكُمْ مِنْ ضَلَالِكُمْ * وَتُعَرِّفُ إِذَا مَا فُضَّ عَنْهَا الْخَوَائِمُ

(١) كذا في كتاب النقائص والأغاني . وفي الأصول : « وهب » وفي العقد الفريد :

« حسن بن وهب » وهو تحريف .

(٢) المعبلّة : نصل عريض طويل .

(٣) ما يريم : أى ما يريح .

وقال عمرو بن الأسلع :

إِنَّ السَّمَاءَ وَإِنَّ الْأَرْضَ شَاهِدَةٌ * وَاللَّهُ يُشْهَدُ وَالْإِنْسَانُ وَالْبَلَدُ
أَنْنِي جَزَيْتُ بَنِي بَدْرِ بِسَعْفِهِمْ * عَلَى الْهَبَاءِ قَتْلًا مَا لَهُ قَبْوَدُ
لَمَّا آتَيْنَا عَلَى أَرْجَاءِ جَمْعِهَا * وَالْمَشْرِقِيَّةِ فِي أَيْمَانِنَا نَقْدُ
عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : « خُذْهَا حَذِيفُ فَإِنَّ السَّيِّدَ الصَّمَدُ »

فلما أصيب أهل الهباءة واستعظمت غطفان قتل حذيفة، تجمعوا، وعرفت
بنو عيس أن ليس لهم مقام بأرض غطفان، فخرجوا إلى اليمامة فقتلوا بأخوانهم من
بنى حنيفة، ثم رحلوا عنهم فقتلوا بنى سعد بن زيد مناة.

يوم الفُروُق

لبنى عيس

ثم إن بنى عيس غدروا بجوارهم فأتوا معاوية بن الجوف فاستجاسوا عليهم
وأرادوا أكلهم، فبلغ ذلك بنى عيس ففزعوا ليلاً، وقدموا طعّمهم، ووقفت فرسانهم
بموضع يقال له الفُروُق، وأغارت بنو سعد ومن معهم من جنود الملك على محبتهم
فلم يجدوا إلا مواقد النيران فأتبعوهم حتى أتوا الفُروُق، فإذا بالخيول والفرسان وقد
تواترت الطعن عنهم، فانصرفوا عنهم، ومضى بنو عيس فقتلوا بنى ضبة فأقاموا
فيهم. وكان بنو حذيفة من بنى عيس يسمون بنى رواحة، وبنو بدر من فزارة
يسمّون بنى سودة، ثم رجعوا إلى قومهم وصالحوهم، فكان أول من سعى في الحالة
حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة، فمات، فسمى فيها أبنته هاشم بن حرملة،
وإليه أشار الشاعر :

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ * يَوْمَ الْهَبَاءِ تَيْنِ وَيَوْمَ الْيَعْمَلَةِ

تَرَى الْمَلُوكَ حَوْلَهُ مُرْعَبِلَةً * يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ !

(١) في الأصول : « الرجح » .

يوم قَطَن

فلما توافوا للصلح وقفت بنو عيس بَقَطَن^(١) وأقبل حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمٍ فلقى تيجان
أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم . وكان عنترة بن شداد العبسي قتله
بذي المُرَيْب ، فأشارت بنو عيس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غطفان وقالوا :
لا نصالحكم ما بل البحر صُوفَةٌ وقد غدرتم بنا غير مرة ، وتناهض الناس : عيسُ
وذيبيان ، فالتقوا بَقَطَن ، فقتل يومئذ عمرو بن الأسلع عُبَيْة ، ثم سفرت السفراء ،
بينهم ، وأتى خارجة بن سنان أبا تيجان بابنه فدفعه إليه وقال : في هذا وفاء من
أبنك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبي تيجان مائة بعير فأذاها
إليه وأصطلحوا وتعافدوا .

يوم غدير قلبي

قال أبو عبيدة : فاصطلح الحَيانُ إلّا بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فإنهم أبوا
ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يُودُّوا قتلانا أو يُهدَر دُمٌّ من قتلها ، فخرجوا من قَطَن
حتى وَرَدُوا غَدِيرَ قَلْبِي ، فسبقتهم بنو عيس إلى الماء فنعوهم حتى كادوا يموتون
عَطْشًا ، فأصلح بينهم عَوْفٌ وَمَعْقِلُ أَبْنَا سُبَيْعٍ من بنى ثعلبة وإياهما يعني زهير بقوله :
تَدَارَكُمَا عَبَسَا وَذُبْيَانُ بَعْدَمَا * تَفَافَنَا وَدَقُّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنَشِمٍ^(٢)
فوردوا حربا وخرجوا عنه سلما . تمّ خبر داحس والغبراء .

(١) قطن : جبل لى أسد .

(٢) منشم : اختلف فيها ، فقبل : إنها امرأة عطارة من خزاعة ، فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم
في عطرها على أن يقاتلوا حتى يموتوا ، فصار هؤلاء مثل أولئك في شدة الأمر . وقال أبو عمرو الشيباني :
هي امرأة من خزاعة كانت تباع عطرا ، فإذا حاربوا اشتروا منها كافورا لموتاهم ، فقتلوا بها ،
وكانت تسكن مكة . وقال ابن الكلبي : هي امرأة من جرهم . وقال أبو عمرو بن العلاء : منشم ، إنما
هو من المنشم في الشر . ومنه قولهم : لما نشم الناس في عثمان . (أى طعنوا فيه ونالوا منه) راجع
شرح ديوان زهير للإمام نعلب ص ١٥ طبع دار الكتب المصرية .

يَوْمُ الرَّقْمِ

لَعَطْفَانِ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

(١)

غَزَتْ بَنُو عَامِرٍ فَأَغَارُوا عَلَى بِلَادِ غَطَفَانَ بِالرَّقْمِ - وَهُوَ مَاءٌ لَبْنِي مُرَّةٌ - وَعَلَى

بَنِي عَامِرٍ : عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ - وَيُقَالُ يَزِيدُ بْنُ الصَّمِيقِ - فَرَكَبَ عُثْبَةُ بْنُ حُصَيْنٍ

فِي بَنِي قَزَّارَةَ ، وَيَزِيدُ بْنُ سِنَانٍ فِي بَنِي مُرَّةٍ - وَيُقَالُ الْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ - فَانْهَزَمَتْ

بَنُو عَامِرٍ ، فَزَعَمَتْ غَطَفَانُ أَنَّهُمْ أَصَابُوا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا ،

١١٨
١٣

فَدَفَعُوهُمْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ أَشْجَعٍ ، كَانَتْ بَنُو عَامِرٍ قَدْ أَصَابُوا فِيهِمْ ، فَقَتَلُوهُمْ أَجْمَعِينَ .

وَأَنْهَزَمَ الْحَكَمُ بْنُ الطُّفَيْلِ فِي نَقِيرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فِيهِمْ خَوَاتِمْ بَنِي كَعْبٍ حَتَّى

أَتَوْهُا إِلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ : الْمُرُورَاتُ ، فَقَطَعَ الْعَطَشُ أَعْنَاقَهُمْ فَسَاتُوا ، وَخَنَقَ الْحَكَمُ

ابْنَ الطُّفَيْلِ نَفْسَهُ خَافَةَ الْمُثَلَّةُ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَخْتُونُ نَفْسَهُمْ * وَمَقْتَلُهُمْ تَحْتَ الْوَعَى كَانَ أَعْدَرًا^(٢)يَوْمُ التَّنَاءِ^(٣)

لِعَبْسٍ عَلَى بَنِي عَامِرٍ

يُقَالُ : نَخَرَجْتَ بَنُو عَامِرٍ تَرِيدُ أَنْ تُدْرِكَ بِئَارَهَا يَوْمَ الرَّقْمِ ، فَهَجَمُوا عَلَى عَبْسٍ

بِالتَّنَاءِ وَقَدْ أُنْذِرُوا بِهِمْ ، فَالْتَقَوْا ، وَكَانَ عَلَى بَنِي عَامِرٍ : عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَعَلَى

بَنِي عَبْسٍ : الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ ، فَأَقْتَلُوا قَتْلًا شَدِيدًا ، فَانْهَزَمَتْ بَنُو عَامِرٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ

هَزَارُ بْنُ مُرَّةٍ ، قَتَلَهُ الْأَحْنَفُ بْنُ مَالِكٍ ، وَنَهْشَلُ بْنُ عُيَيْدَةَ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَتَلَهُ أَبُو زُغْبَةَ

أَبْنُ حَارِثٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَسٍ بْنُ خَالِدٍ ، وَهُزِمَتْ بَنُو عَامِرٍ هَزِيمَةً قَبِيحَةً .

(١) فِي مَعْجَمِ مَا اسْتَعْمَجَ لِلْبَكْرِ : « الرَّقْمُ بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَثَانِيهِ : مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ قَرِيبٌ مِنْ وَادِي

الْقَرْيَةِ » . (٢) أَيْ كَانَ أَعْدَرَهُمْ مَنْ خَنَقَهُمْ أَنْفُسَهُمْ (رَاجِعْ شَرْحَ دِيْوَانِ عُرْوَةَ ص ١٣٥)

(٣) التَّنَاءُ : تَخِيلَاتٌ لِبَنِي عَطَّارٍ .

(١)

يوم شواحط

لبنى محارب على بنى عامر

غَزَتْ سِرِيَّةً مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ بِلَادَ غَسَّانَ ، فَأَغَارُوا عَلَى إِبِلِ
لَبْنَى مُحَارِبِ بْنِ خَصَفَةَ ، فَأَدْرَكَهُمُ الطَّلَبُ ، فَقَتَلُوا مِنْ كِلَابِ تِسْعَةِ نَفَرٍ وَارْتَدُّوا ^(٢)
إِلَيْهِمْ فَلَمَّا رَجَعُوا وَثَبَتْ بَنُو كِلَابٍ عَلَى جَسِيرٍ - وَهُمْ مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ ، وَكَانُوا حَارِبُوا
إِخْوَتَهُمْ ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِمْ خَالِفُوا بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ - فَقَالُوا : نَقْتُلُهُمْ
بِقَتْلِ بَنِي مُحَارِبٍ مَنْ قَتَلُوا مِنَّا ، فَنَامَ خِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ دُونَهُمْ حَتَّى مَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
وَقَالَ :

أَيَا رَاكِبًا إِنَّمَا عَرَضَتْ فَبَلَّغْنِ * عَقِيلًا وَأَبْلَغْ إِنْ لَقِيتَ أَبَا بَكْرٍ
فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَيْدِنَا وَأَمَّنَّا * إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ لَأَسْبِيلَ إِلَى جَسِيرِ ^(٣)
دَعُوا جَانِبِي إِنِّي سَأَتْرُكُ جَانِبَا * لَكُمْ وَاسْعَايَيْنِ الْيَمَامَةَ وَالْقَهْرَ
أَنَا فَارِسُ الضَّحْيَاءِ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ * أَبِي الذَّمِّ وَأَخْتَارُ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ

(٤)

يوم حوزة الأول

لسليم على غطفان

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ . كَانَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ وَبَيْنَ هَاشِمِ بْنِ حَرْمَلَةَ
أَحَدِ بَنِي مُرَّةٍ : - مُرَّةُ غُطْفَانَ - كَلَامٌ بِعَكَازٍ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ
سَمِعْتُ بِظَعَانٍ يَنْدُبُنْكَ ، فَقَالَ هَاشِمٌ : وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قَدْ بَرَيْتُ الرُّطْبَةَ - وَهِيَ جُمَّةٌ

(١) شواحط : جبل مشهور بين مكة والمدينة .

(٢) في معجم ما استمعتم للبكري في كلامه على شواحطه : « سبعة نفر » .

(٣) القهر : موضع باليمامة . (٤) حوزة : واد بالجاز .

معاوية ، وكانت الدهر تنطف ماءً ودُهنا وإن لم تُدهن — فلما كان بعد [حين]^(١)
 تنها معاوية ليفزو هاشما ، فنهاه أخوه صخر ، فأبى وغزاهم يوم حوزة ، فرآه هاشم
 ابن حرملة قبل أن يراه معاوية ، وكان هاشم ناقها من مريض أصابه ، فقال
 لأخيه دريد بن حرملة : إن هذا إن رآني لم آمن أن يشد علي ، وأنا حديث عهد
 بشكية ، فاستطرد له [دوني]^(٢) حتى يجعله بيني وبينك ، ففعل ، فحمل عليه معاوية^(٣)
 وأردفه هاشم^(٤) ، فاختلفا طعنتين فأردى معاوية هاشما عن فرسه السماء ، وأنفذها
 هاشم سنانة عن عانة معاوية ، وكرّ عليه دريد وظنه قد أردى هاشما ، فضرب معاوية
 بالسيف فقتله ، وشد خفاف بن عمرو على مالك بن حمار الفزاري^(٥) [فقتله] .

قال : وغارت السماء فرس هاشم حتى دخلت في جيش بني سليم فأخذوها وظنوا
 أنها فرس الفزاري الذي قتله خفاف ، ورجع الجيش ، فلما دنوا من صخر أتى معاوية
 قال لهم : ما صنع معاوية ؟ قالوا قتل ! قال : فما هذه الفرس ؟ قالوا : قتلنا
 صاحبها ! قال : إذا قد أدركتم ثاركم ، هذه فرس هاشم بن حرملة .

قال : فلما دخل رجب ركب صخر بن عمرو السماء صبيحة يوم حرام ، فأتى
 بني مُرة ، فلما رأوه قال لهم هاشم : هذا صخر فخيّوه وقولوا له خيرا ، وهاشم مريض
 من الطعنة التي طعنه معاوية ، فقال : من قتل أخى ؟ فسكتوا ، فقال : لمن
 هذه الفرس التي تحتي ؟ فسكتوا ، فقال هاشم : هلم أبا حسان إلى من يُجبرك !
 قال : من قتل أخى ؟ فقال [هاشم]^(٥) : إذا أصبتني أو دريدا فقد أصبت ثارك !
 فقال : هل كفتموه ؟ قال : نعم ، في بُردين : أحدهما بخمس وعشرين بكرة

(١) النكلة من العقد الفريد . (٢) النكلة من العقد الفريد .

(٣) أردفه : تبعه . (٤) أرداه : أسقطه .

(٥) النكلة من العقد الفريد .

وأروه قبره ، فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال : كأنكم أنكرتم ما رأيتم من جزمي ، فوالله ما بئت منذ عقلت إلّا واترا أو موتورا ، وطالبا أو مطلوبا حتى قُتل معاوية ، فما ذقتُ طعامَ نوم بعده .

يوم حوزة الشاني

١١٩
١٣

قال : ثم غزاهم [صخر] فلما دنا منهم مضى على السماء ، وكانت غراء مُحجَّلةً ، فسود غرستها وتحجَّلها ، فلما رآته بنتُ هاشم قالت لعمها دُرَيْدُ : أين السماء؟ قال : هي في بني سليم . قالت : ما أشبهها بهذه الفرس ! فقال : هذه ^(١) بهيم والسماءُ غراء مُحجَّلة ، ثم أَصْطَلَجَ فلم يشعُر حتى طعنه صخر ، قال : فثاروا وتناذروا ، وولى صخرُ وطلبته غطفان عامةً بومها ، وعارض دُونه أبو شجرة بن عبد العزى ، وكانت أمه خنساء أخت صخر ، وصخرُ خاله . فردَّ الخيلُ عنه حتى أراح فرسه ونجا إلى قومه ، فقال خُفاف بن ثُدبة لما قتل معاوية : قتلني الله إن برحت من مكاني حتى أثار به ! فشَدَّ على مالك سَيْدَ بنِي شَيْخٍ فقتله ، وقال صخرُ في قتله دُرَيْدا :

ولقد دَفَعْتُ إلى دُرَيْدٍ طَعْنَةً * نَجْلَاءَ تَرْغُلٍ مِثْلَ غَطِّ الْمِنْخَرِ ^(٢)
ولقد قَتَلْتُمْ نُسَاءً وَمَوْحِدًا * وَتَرَكْتُ مِرَّةً مِثْلَ أَمْسِ الدَّائِرِ

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حرملة فإنه خرج منتجعاً فلقى عمرو بن قيس الجُشَمِيَّ ، فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ، لا وأَلْتُ نفسَ إنٍ وَأَلَّ ، فلما دنا منه أرسل عليه مِجْلَةً ففَلَقَ قَحْضَهُ فقتله .

(١) البهيم : الأسود ، وما لائية فيه من الخيل للذكر والأنثى .

(٢) ترغل : تخرج الدم قطعاً فصاً .

(٣) وأل : نجا .

يَوْمُ ذَاتِ الْأَثَلِ

قال أبو عبيدة : ثم غزا صخر بن عمرو بن الثمريد بن أسد بن خزيمة فاكسح
إبلهم ، فأتى الصريح بن أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأثل ، فاقتلوا
قتالا شديدا ، فطعن ربيعة الأسدي صخر في جنبه وفات القوم بالغنيمة ، ومرض
صخر من الطعنة قريبا من الحول حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته تسأل
سأمتي أمراته : كيف بعلك ؟ قالت : لاسي فيرجي ، ولا ميت فينسي ، لقد لقينا
منه الأمرين ! وكانت أنه إذا سئلت عنه تقول : أرجوله العافية إن شاء الله !
فقال في ذلك :

أرى أم صخر لا تمل عيادي * وملت سلمي مضجعي ومكاني
فأى امرئ ساوى بأم حليمة * فلا عاش إلا في أذى وهوان
وما كنت أخشى أن أكون جنازة^(١) * عليك ومن يغتر بالحدان
لعمري لقد نهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والزوان

قال : فلما طال عليه البلاء — وقد نتأت قطعة من جنبه مثل اليد في موضع
الطعنة — قالوا له : لو قطعها لرجونا أن تبرأ ، فقال شأنكم ! فقطعوها ففات ،
فقالته أخته الحنساء ترثيه :

وقائلة والنعمش قد فات خطوها * لتذكره يلهف تهسى على صخر !
ألا نيكلت أم الذين غدوا به * إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر !

(١) إذا نفل المريض على قومه وأغتموا به فهو جنازة عليهم . هكذا ورد في لسان العرب مادة (جزي)

واستشهد بهذا البيت على ذلك .

(١)
يَوْمُ اللَّوَى
لغَطَفَانِ عَلَى هَوَازِنَ

قال أبو عبيدة : غزا عبد الله بن الصَّمَّة - وأسمُ الصَّمَّة : معاوية الأصغر -
من بني غزيرة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن - وكان لعبد الله ثلاثة أسماء
وثلث كُنى ، فاسمُهُ : عبدُ الله ، وخالده ، ومعبده ، وكنيته أبو فرعان ، وأبو دُفافة ،
وأبو وفاء ، وهو أخو دُرَيْد بن الصَّمَّة لأبويه - فأغار على غَطَفَان فأصاب منهم
إبلا عظيمة فأطردوها ، فقال له أخوه دُرَيْد : النجاء فقد ظفرت ، فأبى عليه وقال :
لأبرح حتى أنتقع نقيعي - والنقيعة : ناقةٌ ينحرها من وسط الإبل فيصنع منها طعاما
لأصحابه ، ويقسم ما أصاب عليهم - فأقام وعصى أخاه ، فتبعته نزاره فقاتلوه
وهو بمكان يقال له اللوى ، فقتل عبد الله ، وأرثت^(٢) دُرَيْد فبقى في القتل ، فلما كان
في بعض الليل أتاه فارسان ، فقال أحدهما لصاحبه : إني أرى عينة تبص ، فأنزل
فأنظر إلى سَيْتِهِ^(٣) ، فترل فكشف ثوبه فإذا هي ترمز^(٤) ، فطعنه ، فخرج دمٌ قد أحْتَقِنَ .
قال دُرَيْد : فأنفتُ عندها ، فلما جاؤوا نهضتُ ، فإشعرتُ ، وأنا بين
عرقوبتي جملة امرأة من هوازن ، فقالت : مَنْ أَنْتَ ؟ أعوذ بالله من شرك !
قلتُ : لا ، بل مَنْ أَنْتِ ؟ ويلك ! قالت : امرأةٌ من هوازن سيارَةٌ . قلتُ : وأنا
من هوازن ، أنا دُرَيْد بن الصَّمَّة . قال : وكانت في قوم مختارين لا يشعرون
بالوقعة ، فضمتُه وعالجته حتى أفاق .

(١) اللوى : راد من أودية بني سليم .

(٢) المرت : من حين من الحركة جريحا وبه رمق .

(٣) السبة : الآت . (٤) ترمز : تضطرب .

يوم الظعينة

بين دُرَيْد بن الصَّعَّة وربيعة بن مَكْدَم

قال أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج دُرَيْدُ بن الصَّعَّة في فوارس من
 بنى جُشَمَ حتى إذا كانوا في وادٍ يقال له : الأخرم ، وهم يريدون الغارة على بنى كنانة ،
 إذ رُفِعَ له رجلٌ في ناحية الوادي ومعه ظعينة ، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه :
 صح به : خلَّ الظَّعِينَةَ وَأَنْجِ بِنَفْسِكَ ، فأتتهى إليه الفارسُ ، فصاح به وألح عليه ،
 فالتقى زِمَامُ الراحلة وقال للظعينة :

سِرِّي عَلَى رِسْلِكَ سِيرِ الْآمِنِ * سِيرِ رَدَاجِ ذَاتِ جَاشِ سَاكِنِ

إِن أَتْنَانِي دُونَ قِرْنِي شَانِي * أَيْلِي بَلَائِي وَأَخْبِرِي وَعَائِي

ثم حمل عليه فصرعه وأخذ فرسه وأعطاه للظَّعِينَةَ ، فبعث دُرَيْدُ فَارِسًا آخر لينظر
 ما صنع صاحبه ، فلما انتهى إليه ورآه صريحا صاح به فتصام عنه ، فظن أنه لم
 يسمع ، فغشي ، فالتقى زِمَامُ الراحلة إلى الظَّعِينَةَ ورجع وهو يقول :

خَلَّ سَبِيلَ الْحَزَةِ الْمُنْعَةِ * إِنَّكَ لَا فِي دُونَهَا رَبِيعَةَ

فِي كَفِّهِ خَطْبَةُ مُطِيعَةٍ * أَوْ لَا نَحْذُهَا طَعْنَةً سَرِيعَةٍ

١٥ * وَالطَّعْنُ مِنْ فِي الْوَعْيِ شَرِيعَةُ *

ثم حمل عليه فصرعه ، فلما أبطأ على دُرَيْدُ بعث فَارِسًا ^(١) [ثالثا] لينظر ما صنعوا ،
 فلما انتهى إليهما رآهما صريعين ونظار إليه يقودُ ظعِينَتَهُ ويمزجُ رُحْمَهُ . فقال له :
 خَلَّ سَبِيلَ الظَّعِينَةِ ، فقال للظَّعِينَةِ : اقْصِدِي قُصْدَ الْبَيْتِ ، ثم أقبل عليه فقال :

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمِ عَائِسِ * أَلَمْ تَرَ الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ

٢٠ * أَرَدَاهُمَا عَامِلٌ رُحْمُ بَابِيسِ *

(١) الكلمة من أمالي القائل (ج ٢ ص ٢٧١ طبع دار الكتب المصرية) .

ثم حمل عليه فصره وأنكسر رُحُّه ، وأرتاب دُرَيْدٌ وظنَّ أنهم قد أخذوا الطَّيْنَةَ
وقتلوا الرجل ، فليحَقَّ ربيعةٌ وقد دنا من الحَيَّةِ ، فوجد أصحابه قد قُتِلُوا ، فقال :
أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقْتَلُ ، ولا أرى معك رُحْمًا والخيْلُ نائرةٌ بأصحابها ، فدُونَك
هذا الرُّمَحُ فَإِنِّي منصرفٌ إلى أصحابي فمُتَّبِعُهم عنك ، فأنصرف دُرَيْدٌ وقال لأصحابه :
إن فارس الطَّيْنَةَ قد حماها وقَتَلَ فرسانكم وأتَرَ عِ رُحْمِي ، ولا مَطْمَعَ لكم فيه
فأنصرفوا ، فأنصرف القوم ، فقال دُرَيْدٌ :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله * حامِي الطَّيْنَةَ فارسًا لم يُقْتَلِ
أردى فوارسَ لم يَكُونُوا نُهْرَةً * ثم أَسْمَرَ كأنه لم يَقْعِلِ
مَهْلًا تَبْدُو أَسْرَةً وَجْهِي * مثل الحُسامِ جَلَّتْ كَفَّ الصَّيْقِلِ
يُرْجِي طَئِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُحْمَهُ * مُتَوَجِّهًا يَمْنَاهُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ
وترى الفوارسَ من مخافة رُحْمِهِ * مِثْلَ الْبِغَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ
يا ليتَ شِعْرِي مَنْ أبوه وأمه * يا صاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَا يُجْهَلِ
وقال ربيعةٌ بنُ مُكْدَمٍ :

إن كان يَنْفَعُكَ اليقينُ فسائِلِي * عَنِّي الطَّيْنَةَ يَوْمَ وادِي الْأَنْحَرِ
إذ هي لأقول من أناها نُهْبَةً * لولا طِعَانُ رَيْبَعَةَ بنِ مُكْدَمٍ
إذ قال لي أدنى الفوارسِ مِينَةً * حَلَّ الطَّيْنَةَ طَائِعًا لَا تَسْدَمُ
فصرفتُ راحلةَ الطَّيْنَةِ نَحْوَهُ * عَمْدًا لِيَعْلَمَ بَعْضُ مَا لَمْ يَعْلَمِ
وهتكتُ بالرُّمَحِ الطويلِ إهابَهُ * فهو يَصْرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ

(١) قال أبو علي النخعي : البغاث (بضم الباء الموحدة وكسر ها) والضم أكثر وأشهر (راجع

وَمَنَعْتُ آخَرَ بَعْدَهُ جَيَاشَةً * نَجَلَاءَ فَاغِرَةٍ كَشِدْقِ الْأَصْخِيمِ

وَلَقَدْ شَفَعْتُهُمَا بَأْتَرٍ ثَالِثٍ * وَأَبَى الْفِرَارَ لِي الْغَدَاةُ تَكْرِمِي

ثم لم تلبث بنو كنانة أن أغارت على بني جُشم^(٢) ، فقتلوا وأسروا دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ^(١) فأخفى نفسه ، فبينما هو عندهم محبوسٌ إذ جاءه نسوةٌ تهادين إليه ، فصرخت إحداهن وقالت : هلككم وأهلككم ! ماذا جز علينا قومنا ! هذا والله الذي أعطى ربعةً رُحمه يومَ الظَّعِينَةِ ! ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس ، أنا جارةٌ له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي ! فسأله : مَنْ هو ؟ فقال : أنا دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ فمن صاحبي ؟ قالوا : ربعةٌ بنُ مُكَدَّمٍ ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتلته بنو سُليم ! قال : فما فعلتِ الظَّعِينَةُ ؟ قالتِ المرأةُ : أنا هيَّة ، وأنا أمراته ، فحبسه القوم وأمروا أنفسهم ، فقال بعضهم : لا ينبغي لدُرَيْدٍ أن تُكْفَرَ نعمته على صاحبنا ! وقال آخرون : والله لا يخرج من أيدينا إلا برضا المخارق الذي أسره ، فانبعثتِ المرأةُ في الليل ، وهي رَبيطة بنتُ جَذَلِ الطَّلَعَانِ ، تقول :

سَتَجِزِي دُرَيْدًا عَنْ رَبِيعَةَ نِعْمَةً * وَكُلُّ أَمْرِي يُجْزَى بِمَا كَانَ قَدَمًا

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا كَانَ خَيْرًا جَزَاؤُهُ * وَإِنْ كَانَ شَرًّا كَانَ شَرًّا مُدَمِّمًا

سَتَجِزِيهِ نِعْمَى لَمْ تَكُنْ بِصَغِيرَةٍ * بِإِعْطَانِهِ الرُّمْحَ الطَّوِيلَ الْمُقْسُومًا

[فَقَدْ أَدْرَكْتَ كَفَاهُ فِينَا جَزَاءَهُ * وَأَهْلٌ بَانَ يُجْزَى الَّذِي كَانَ أَنْعَمًا]^(٣)

فَلَا تُكْفَرُوهُ حَقٌّ نِعْمَاهُ فَيْكُمْ * وَلَا تَرْكَبُوا تِلْكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْقَمَا

فَلَوْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَضُقْ شَوَابَهُ * ذِرَاعًا غَنِيًّا كَانَ أَوْ كَانَ مُعْدِمًا

(١) بنو كنانة : رُحط ربعة بن مُكَدَّم .

(٢) بنو جُشم : رُحط دُرَيْد .

(٣) الزيادة من أمال القائل .

[فَفَكُّوا دُرَيْدًا مِنْ إِسَارِ مُحَارِقٍ * وَلَا تَجْعَلُوا الْيُوسَى إِلَى الدَّرِّ سُلَمًا ^(١)]
فلما أصبحوا أطلقوه ، فكسسته وجهزته ولحق بقومه ، فلم يزل كافًا عن غزو
بنى فراس حتى هلك .

يَوْمُ الصَّلْءَاءِ

لهَوَازِنَ عَلَى غَطَفَانَ

قال : فلما كان في العام المقبل غزاهم دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ^(٢) بِالصَّلْءَاءِ ، فخرجت
إليه غَطَفَانُ فقال دريد لصاحبه : ما ترى ؟ قال : أرى خيلا عليها رجال كأنهم
الصبيان ، أستهم عند آذان خيلها . قال : هذه فَرَاةٌ ، ثم قال : أنظر ما ترى ؟
قال : أرى قوما كأن عليهم ثيابا غُمِسَتْ فِي لِحَابِ الْمِعْزَى ، قال : هذه أشجع ،
ثم قال : أنظر ما ترى ؟ قال : أرى قوما يمحزون رماحهم سودا ، يخذون الأرض
بأقدامهم ، قال : هذه عَبَسٌ ، أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا ، فالتقوا بالصَّلْءَاءِ
فاقتلوا ، فكان الظفر لهوزان على غطفان ، وقتل دُرَيْدٌ ذُؤَابَ بْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبَ .

ذِكْرُ حَرْبِ قَيْسٍ وَكِنَانَةَ

يَوْمُ الْكَدِيدِ لِسُلَيْمٍ عَلَى كِنَانَةَ ^(٣)

فيه قُتِلَ رَبِيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ فَارِسُ بَنِي كِنَانَةَ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ كِنَانَةَ ، وَهُمْ أُنْجَدُ الْعَرَبِ ، كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَمْلِكُ بِعَشْرَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكَانَ

(١) الزيادة من أمالي القائل . (ج ٢ ص ٢٧٣ طبع دار الكتب المصرية) .

(٢) الصَّلْءَاءُ (فتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة مدودة) : أرض لبني عبد الله بن غطفان
ولبني فزارة بين النقرة والحاجر تطلوها طريق الحاج الجادة إلى مكة .

(٣) الكديد (فتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهملة أيضا) : موضع بين مكة والمدنية بين منزلي أجم
وصفان وهو ماء من جارية عليها نخل كثير .

ربيعة بن مكرم يُعَقِّر على قبره في الجاهلية ، ولم يُعَقِّر على قبر أحد غيره ، وقتله بنو سُليم يوم الكديد ، ولم يحضر يوم الكديد أحد من بني الشريد .

يوم فزارة

لكنانة على سُليم

- قال أبو عبيدة : لما قتلت بنو سُليم ربيعة بن مكرم فارس كنانة ورجعوا ، أقاموا ماشاء الله ، ثم إن ذا التاج مالك بن خالد بن صخر بن الشريد — وأسم الشريد عمرو ، وكانت بنو سُليم قد توجوا مالكا وأمروه عليهم — فغزا بني كنانة ، فأغار على بني فراس ^(١) بزر ، ورئيس بني فراس عبد الله بن جذل ، فدعا عبد الله إلى البراز ، فبرز إليه هند بن خالد بن صخر بن الشريد ، فقال له عبيد الله : أنت ؟ قال : أنا هند بن خالد ، قال عبد الله ، أخوك أسن منك ، يريد مالك ابن خالد ، فرجع فأخبر أخاه ، فبرز له ، فشذ عبد الله على مالك بن خالد فقتله ، فبرز إليه أخوه كرز بن خالد بن صخر ، فشذ عليه عبد الله أيضا فقتله ، فشذ عليه أخوهما عمرو بن خالد بن صخر ، فتجالدا طعنتين ، فخرج كل واحد منهما صاحبه وتحاجزا .

(٢)

يوم الفيء

لُسُلَم على كنانة

قال أبو عبيدة : ثم إن بني الشريد حرموا على أنفسهم النساء والدَّهْن أو يُدْرِكُوا نَارَهُمْ من كنانة ، فغزا عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد بقومه حتى أغار على

(١) كذا في معجم ما استعجم للبكري . و بزره (بضم) أو له وإسكان ثانياه بعده (راء) : موضع في ديار

بني كنانة . وفي الأصول والعقد القريدي « بزره » بتقديم الراء على الزاي وهو تحريف .

(٢) أصل الفيء : المغازاة لأماء فيها وأطلقت على موضع .

بنى فراس، فقتل منهم نفرا؛ منهم : عاصم بن المعلّى ، ونَضْلَة ، والمعارك ، وعمبرو ابن مالك ، وحِصْن ، وشَرْيَح ، وسبى سبا فيهم ابنة مُكَدَّم أخت ربيعة ، فقال عباس بن مُرداس في ذلك :

أَلَا أُلْفَنُ عَنِّي أَبْنَ جَدَلٍ وَرَهْطَه * فكيف طلبناكم بُكَزٍ وَمَالِكِ
غَدَاةً جَعَعْنَاكُمْ بِحِصْنٍ وَبَابِنَه * وبأبنِ المعلّى عاصم والمعارك
ثَمَانِيَةَ مِنْهُمْ نَارَانَاهُمْ بِهِ * جميعا وما كانوا بواءَ بِمَالِكِ
نُذِيقُكُمْ - وَالْمَوْتُ بَيْنِي سُرَادِقًا * عليكم - شَبَاهُ السَّيُوفِ الْبَوَاتِكِ
تَلُوخٌ بِأَيْدِينَا كَمَا لَاحَ بَارِقٌ * تَلَالُؤُا فِي دَاخٍ مِنَ اللَّيْلِ حَالِكِ

ذكر حرب قيس وتميم
يومُ السُّوْبَانِ لِبْنِي عَامِرٍ عَلَى بَنِي تَمِيمٍ^(٢)

قال أبو عبيدة : أغارت بنو عامر على بني تميم وضبة فاقتتلوا ، ورئيس ضبة حسان بن وبرة ، وهو أخو النعمان بن المنذر لأُمِّه ، فأُسِرَهِ يَزِيدُ بْنُ الصَّعِقِ ،
وأنهزمت تميم ، فلما رأى ذلك عامر بن مالك بن جعفر حسده ، فشدَّ على ضَرَارِ بْنِ

(١) البواء : الكف .

(٢) كذا في كتاب القناض (ص ٣٨٦ طبع أوربا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع أوربا) ورورده : « السُّوْبَانِ بضم أوله وإسكان ثانيه بعده باء معجمة بواحدة على وزن فعلان : واد في ديار بني تميم ... ويوم من أيام حروب بني عامر وبني تميم يسمى يوم السُّوْبَانِ ، وفي ذلك سمى عامر ابن مالك ملاعب الأسة ، وفيه فز طليل ، قال أوس من حجر :

فَوَدَّ أَبُو لَيْسٍ طَلِيلَ بَنِ مَالِكِ * يَمْتَسِجُ السُّوْبَانِ لَوْ يَتَقَصَّعُ

يَلَاعِبُ أَطْرَافَ الْأَسَةِ عَامِرِ * وَصَارَ لَهُ حِطُّ الْكَثِيبِ أَجْمَعِ

ثم قال :

كَانَهُمْ بَيْنَ الشَّيْطِ وَصَارَةِ * وَجَرَتْهُمُ السُّوْبَانُ خَشْبَ مَصْرِعِ

عمرو الضبي^(١) ، وهو الرديم^(٢) ، فقال لابنه : إذا هم أغنيتني ، فشد عليه فطعته ، فتحول عن سرحه إلى جنب أبدانه ، ثم لحقه ، فقال لأحد بنيه : أغنيتني ، ففعل مثل ذلك ، ثم لحقه ، فقال لابن له آخر ، ففعل مثل ذلك ، فقال : ما هذا إلا ملاعب الأستة ! [فسَمَّى عامر من يومئذ ملاعب الأستة^(٣)] فلما دنا منه قال له ضرار : إني لأعلم ما تريد ، أتريد اللب^(٤) ؟ قال نعم ! قال : إنك لن تصل إلي ومن هؤلاء عين تطرف ، كلهم بنو عامر : قال له عامر : فأحلني على غيرك ، فدله على حبيش بن الدلف وقال : عليك بذلك الفارس ، فشد عليه فأسره ، فلما رأى سواده وقصره ، جعل يتفكر ، وخاف ابن الدلف أن يقتله ،

= قوله : يتفصع ، أي يدخل القاصما . اهـ .

- ١٠ وفي مخرج البلدان لقوت : « السلان : بضم أوله وتشديد ثيه ، وهو فعلان من السل والنون زائدة : موضع بين البصرة والنجاة ... قال أبو أحمد العسكري : يوم السلان السين مضمومة : يوم بين بني ضبة وبني عامر صمصمة طمن فيه ضرار بن عمرو الضبي وأمر جيش بن دلف فعل ذلك بهما عامر مالك ، وفي هذا اليوم سمى ملاعب الأستة » اهـ .

- ١٥ وورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) : « السريان » وورد هكذا أيضا في العقد الفريد (ج ٦ ص ٤١ طبع مطبعة الأنستامة بالقاهرة) بتحقيق الأستاذ محمد سعيد الريان وكتب بهامشه : « كذا بالأصل ، ولا نعرفه » وورد في نسخة « السيوبات » وفي نسخة ب هكذا « السوبات » بإهمال بعض الحروف ، وقد تبين مما وضعناه أن كلاهما محرف ، والنسواب ما ذكرناه .

(١) كذا في كتاب القناض (ص ١٨٨ طبع أوربا) . وفي الأصول : « القيسى » وهو خطأ .

(٢) كذا في كتاب القناض . وسمى « رديما » لأنه كان يحمل على بغيرين يقرن بينهما لثقله .

- ٢٠ وفي الأصول : « الرويم » وهو تحريف .

(٣) النكلة من العقد الفريد (ج ٣ ص ٧٩ طبع بلاق) . وكتاب القناض (ص ٣٨٦ طبع أوربا)

ومعجم ما أستعجم للبكري (ص ٧٥٩ طبع أوربا) .

(٤) اللب : موضع المنع من كل شيء .

فقال : أَلَسْتَ تريد اللَّبَّي ؟ قال بلى ، قال : فَأَتَى لَكَ بِهِ . وفادى حَسَّانُ بْنُ وَبَرَةَ نفسه من يزيد بن الصَّعِقِ بِأَلْفِ بَعِيرٍ ، [فداءَ المَلُوكِ] ^(٢) فَكَثُرَ مَالُ يَزِيدَ وَنَبِهَ .
قال أبو عبيدة : ثم أغار بعد ذلك يزيد بن الصَّعِقِ على عَصَافِيرِ النِّعَاجِ بِذِي لُبَّانٍ ، وذو لُبَّانٍ : عن يمين العَرَنِيِّينَ .

يوم أقرن

بني عبس على بني دارم

قال : غزا عمرو بن عُدُسٍ من بني دارم ، وهو فارسُ بن مالك بن حنظلة ، فأغار على بني عبس ، فأخذ إبلا ونساءً ثم أقبل ، حتى إذا كان أسفل من ثنية أقرن نزل فأبتنى بجارية من السَّبي ، ولَحِقَهُ الطُّلُبُ فَأَقْتَلُوهُ ، فقتل أَنَسُ الْفَوَارِسُ بن زياد العبسي - عمراً : وأنهمز بنو مالك بن حنظلة ، وقتلت بنو عبس أيضا حنظلة بن عمرو - وقال بعضهم : قُتِلَ في غير هذا اليوم - وأرتدوا ما كان في أيدي بني مالك .

يوم المَرَوْتِ ^(٤)

بني العنبر على بني قشير

أغار يَحْيَى بْنُ سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ على بني العنبر بن عمرو بن تميم ، فأتى الصَّرِيحُ بني عمرو بن تميم حتى لحقوه وقد نزل المَرَوْتُ ، وهو يَقْسِمُ المَرْبَاعَ وَيُعْطِي مَنْ مَعَهُ ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « بمائة » .

(٢) الكلمة من العقد الفريد .

(٣) كذا في معجم ما استعجم (ص ١١٧ طبع أوروبا) وفي الأصول « شاء » .

(٤) المروت (يفتح أوله وتشديد ثانيه) : واد بالعالية بين ديار بني قشير وديار بني تميم .

(٥) كذا في كتاب الفناض (ص ٧٠ طبع أوروبا) ومعجم ما استعجم للبكري (ص ٢٤ طبع أوروبا)

وفي الأصول والعقد الفريد : « بحير » بالهمزة المعجمة وهو تحريف .

قتلوا ، فطعن قَعْنَبُ بْنُ عَتَّابِ المثلَّمُ بنَ عامرِ القُشَيْرِيِّ فصرعه
فأسره ، وحمل الكدَامَ ، وهو يزيد بن أزيهر المازني على بحير بن سلمة فطعنه فأرداه
عن فرسه ، ثم أسره ، فأبصره قَعْنَبُ بْنُ عَتَّابِ ، فحمل عليه بالسيف فضربه
فقتله ، وأنهزم بنو عامر .

يوم دارة مأسل

لقيم على قيس

غزا عُبَيْةُ بْنُ شُتَيْرٍ بن خالد الكلابي بنى ضَبَّةَ ، فاستاقَ نَعَمَهُمْ ، وقتل
حُصَيْنَ بْنَ ضَرَّارِ الصَّبِيِّ زَيْدَ الفوارس ، فجمع أبوه ضَرَّارَ قومه وخرج ناثراً بأبنه
حُصَيْنَ ، وزيدُ الفوارس يومئذ حدثٌ لم يُدْرِكْ ، فأغار على بني عمرو بن كلاب ،
وأقلت منه عُبَيْةُ بن شُتَيْرٍ وأسر أباه شُتَيْرَ [بن خالد ^(١)] وكان شيخاً كبيراً ، فأتى به قومه
فقال : يا شُتَيْرُ ، اختر واحدة من ثلاث ، قال : اعرضها علي ، قال : إنما أن تردُّ
أبى حُصَيْنًا ! قال : إني لا أنشر الموتى ! قال : وإنما أن تدفع إلى أهلك عُبَيْةَ
أقتله به ! قال : لا يرضى بذلك بنو عامر ، قال : وإنما أن أقتلك . قال : أما هذه
فنعيم ! فأمر ضَرَّارٌ أبنه أذهم أن يقتله ، فلما قدمه ليضرب عنقه نادى شُتَيْرُ :
يا آل عامر ، صبراً بصبي ! كأنه أنف أن يُقتل بصبي ، فقال في ذلك شملة :
١٥

وخيرنا شُتَيْراً من ثلاث * وما كان الثلاثُ له خياراً
جعلتُ السيفَ بين اللَّيْتِ منه ^(٢) * وبين قُصَّاصٍ لِمَيْتِهِ عذاراً

(١) الكلمة من القُد الفريد .

(٢) اللَّيْت (بالكسر) : صفع العتق .

أيام تميم على بكر (١) يوم الوقيط

قال فراس بن خنيدف : تجمعت اللهازم لتغير على تميم وهم غارون ، فرأى ذلك ناشب بن بشامة العنبري الأعور ، وهو أسير في بني سعد بن مالك من بني ثعلبة ، فقال لهم : أعطوني رسولا أرسله إلى بني العنبر أوصيهم بصاحبكم خيرا ليولوه ما تولوني من البر . وكان حنظلة بن طفيل المرتدي أسيرا في بني العنبر ، فقالوا : على أن توصيه ونحن حضور ، قال نعم ، فاتوه بسلام ، فقال : آيتموني بأجق ، وما أراه مبلغا عني ! قال السلام : لا والله ما أنا بأجق ، وقُل ما شئت فأتى مبلغه ، فلا الأعور كفه من الرمل فقال : كم في كفي منه ؟ قال : شيء لا يحصى كثرة ، ثم أوما إلى الشمس فقال : ما تلك ؟ قال : هي الشمس . قال : فأذهب إلى أهلي فأبلغهم عني التحية وقُل لهم : ليحسنوا إلى أسيرهم [ويكرموه] فأتى عند قوم محسنين إلى [مكرمين لي] وقُل لهم ليبروا حملي الأحمر : ويركبوا ناقتي العيساء ، ويرعوا حاجتي في بني مالك ، وأخبرهم أن العويج قد أورق ، وقد أشتك النساء ، وليعصموا هتام بن بشامة فإنه مشثوم محدود . ويطيعوا ابن الأخنس فإنه حازم ميمون .

(١) الوقيط : المكان الصلب الذي يستنقع فيه الماء ، أطلق على موضع .

(٢) الغار : الغافر .

(٣) في أمال القز (ج ١ ص ٦ طبع دار الكتب المصرية) « بنى ويميد أسود » وبعض عباراته تختلف عما هنا فراجعه .

(٤) الكلمة من كتاب القافض (ص ٣٠٦ طبع أوروبا) والعقد الفريد (ج ٣ ص ٨١ طبع بلاط) .

(٥) العيساء : الدقة يحاطل بياضها شقرة .

(٦) العويج : شوك .

(٧) المحدود : المحدود : المنوع .

قال : قَاتَاهُمُ الرُّسُولُ فَأَبْلَغَهُمْ ، فَقَالَ بَنُو عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ : مَا نَعْرِفُ هَذَا الْكَلَامَ ، وَلَقَدْ جُنَّ الْأَعْمُورُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً عَيْسَاءَ ، وَلَا جَمَلًا أَحْمَرَ ! فَشَخَّصَ الرُّسُولُ ، ثُمَّ نَادَاهُمْ هُذَيْلُ : يَا بَنِي الْعَنْبَرِ ، قَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ ، أَمَّا الرَّمْلُ الَّذِي قَبِضَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ أَنَا كُمْ عِدْدٌ لَا يُخْصَى ، وَأَمَّا الشَّمْسُ الَّتِي أَوْمَأَ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ ذَلِكَ أَوْضَحَ مِنَ الشَّمْسِ ، وَأَمَّا جَمَلُهُ الْأَحْمَرُ فَهُوَ الصَّيَّانُ ^(١) : يَا مَرْكَمُ أَنْ تُعْرَوْهُ ، وَأَمَّا نَاقَتُهُ الْعَيْسَاءُ فَهِيَ الدَّهْنَاءُ ^(٢) ، يَا مَرْكَمُ أَنْ تُحْزِرُوا فِيهَا ، وَأَمَّا أَبْنَاءُ مَالِكٍ فَإِنَّهُ يَا مَرْكَمُ أَنْ تُشِيرُوا بِنِي مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءً ، وَأَنْ تَمْسُكُوا الْخِلْفَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ ، وَأَمَّا الْعَوَاصِمُ الَّذِي أَوْرَقَ ، فَيُخْبِرُكُمْ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ لَبَسُوا السِّلَاحَ ، وَأَمَّا تَشْكِي النِّسَاءِ فَيُخْبِرُكُمْ إِنَّنِ قَدْ عَمِلْنَا جَمَلًا يَغْزُونَ بِهِ .

- قال : فَتَحَرَّزَتْ عَمْرُو فَرَكِبَتْ الدَّهْنَاءَ وَأَنْذَرُوا بَنِي مَالِكٍ فَقَالُوا : مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ بَنُو عَمْرِو ، وَلَسْنَا مُتَحَوِّلِينَ لِمَا قَالَ صَاحِبُهُمْ . قال : فَصَبَّحَتِ اللَّهَازِمُ بَنِي حَنْظَلَةَ فَوَجَدُوا عَمْرًا قَدْ جَلَّتْ ، وَكَانَ عَلَى الْجَلِيشِ أَبِجْرُ بْنُ جَابِرِ الْعَجَلِيّ ، وَشَهِدَهَا نَاسٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ ، وَشَهِدَهَا الْفِرَزُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ شَرِيكَ فِي بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَقْتَلُوا ، فَأَسْرَ ضَرَّارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَتَنَازَعَ فِي أَسْرِهِ بَشْرُ بْنُ الْعَوَّاءِ مِنْ تَيْمِ اللَّاتِ ، وَالْفِرَزُ بْنُ الْأَسْوَدِ بَخَزَوْا نَاصِيَتَهُ وَخَلَوْا أَسْرَهُ مِنْ تَحْتِ اللَّيْلِ ، وَأَسْرَ عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ مِنْ بَنِي رُبَيْعَةَ بْنِ عَجَلٍ عَنَجَلُ بْنُ الْمَسْمُومِ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ عُلْقَمَةَ مِنْ بَنِي زُرَّارَةَ ، ثُمَّ مِنْ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَتْ عَمَامَةُ بِنْتُ الطَّوْدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَأَشْتَرَكَ فِي أَسْرِهَا الْخَطِيمُ بْنُ هِلَالٍ ، وَظَرْبَانُ بْنُ زِيَادٍ ، وَقَيْسُ بْنُ خُلَيْدٍ ، فَرَدَّوْهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَسْرَ

(١) الصَّيَّانُ : جَمَلٌ أَحْمَرُ مِنْ أَرْضِ بَنِي تَيْمٍ .

(٢) تُعْرَوْهُ : يَتَنَحَّلُوهُ .

(٣) الدَّهْنَاءُ : سَجَّةٌ أَجْبَلُ مِنَ الرَّمْلِ ، وَهِيَ دِهَانٌ لَمَامَةٌ تَيْمٍ .

حظلة بن المامون بن شيبان بن علقمة ، أمره طلبه بن زياد أحد بني ربيعة بن
عجل ، وأمر حوثرة بن بدر من بني عبد الله بن دارم ، فلم يزل في الوثاق حتى قال
أبياتا يمدح فيها بني عجل فأطلقوه ، وأسر نعيم بن القعقاع بن معبد بن زُرارة ،
وعمر بن ناشب ، وأسر سنان بن عمرو أحد بني سلامة من بني دارم ، وأسر
حاضر بن ضمرة ، وأسر الهيثم بن صعصعة ، وهرب عوف بن القعقاع عن إخوته ،
وقتل حكيم النهشلي ، وكان يقاتل ويرتجز :

كُلُّ أَمْرِي مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ * وَالْمَوْتُ أَذَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وفيه يقول عنزة :

وَعَاذَرْنَا حَكِيمًا فِي جَمَالٍ * صَرِيحًا قَدْ سَلَبَنَاهُ الْإِزَارَا

(١)
يَوْمَ النَّبَاجِ وَتَيْتَلُ
لَبَكْرَ عَلَى تَمِيمٍ

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : غدا قيس بن عاصم في مُقَاعِس وهو رئيس
عليها — ومُقَاعِس هم : صريم ، وربيعة ، وعبيد ، بنو الحارث بن عمرو بن كعب
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم — ومعه سلامة بن ظرب بن نمر الحناني
في الأجارب وهم : حنان ، وربيعة ، ومالك ، والأعرج ، بنو كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم ، ففزعوا بكر بن وائل فوجدوا بني دُهل بن ثعلبة بن عكابة ،
واللهازم وهم : بنو قيس وتيمم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن الحُيم ، وعنزة بن أسد
ابن ربيعة بالنَّبَاجِ وتَيْتَلُ ، وبينهما روحة ، فتنازع قيس بن عاصم وسلامة بن
ظرب في الإغارة ، ثم اتفقا على أن يُغَيِّرَ قيس على أهل النَّبَاجِ ، ويُغَيِّرَ سلامة على

(١) النَّبَاجِ : موضع قريب من تَيْتَلُ . وتَيْتَلُ : ماء على عشر مراحل من البصرة .

أهل تَيْتَل . قال : فبعث قيسُ بن عاصم الأهم سبقةً له — والسبقةُ : الطليعة —
فأتاه الخبرُ فلما أصبح قيس سقى خيله ، ثم أطلق أفواه الروايا وقال لقومه : قاتلوا
فإن الموتَ بين أيديكم ، والفلاة من ورائكم . فلما دَنَوْا من القوم صَجَّحَ سِوَاهُ سَاقِيَا
يقول لصاحبه : يا قيسُ ، أورد ، ففءلوا به ، فأغاروا على النَّبَاح قبل الصبح ،
فقاتلوه قتلًا شديدًا ، ثم إن بكرا أنهزمت ، فأسر الأهم حُرَّانَ بن بشر بن عمرو
ابن مرثد ، وأصابوا غنائم كثيرةً ، فقال قيس لأصحابه : لا مقام دون التيتل ،
فالنَّجاة ، فاتوا تيتل ولم يغزوا سلامةً وأصحابه بعد ، فأغار عليهم قيسُ بن عاصم ،
فقاتلوه ثم أنهزموا ، فأصاب إبلا كثيرةً ، فقال ربيعة بن طريف :

فَلَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ * فَأَنْتَ لَنَا عَزِيزٌ وَمَوْثِلٌ
وَأَنْتَ الَّذِي حَرَبْتُ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ * وَقَدْ عَضَلْتُ مِنْهَا النَّبَاحَ وَتَيْتَلُ
غَدَاةً دَعَتْ يَا آلَ شَيْبَانَ إِذْ رَأَتْ * كَرَادِيسَ يَزِجِيهِنَّ وَرَدَّ مَجَلُ
وقال قُزَّة بن قيس بن عاصم :

أَنَا ابْنُ الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ وَقَدْ رَأَى * يَشْتَلِ أَحِبَاءَ اللَّهِ هَامِ حُضْرًا
فَصَبَّحَهُمْ بِالْجَيْشِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْأَيْسَةَ مَصْدَرًا
عَلَى الْجُرْدِ يعلُنُ الشَّكِيمُ عَوَاسًا * إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَانِهِنَّ تَحَدَّرَا
فَلَمْ يَرَهَا الرَّائُونَ إِلَّا بَحَاءَةً * نَرْنُ عَجَاجًا بِالسَّيَاكِ أَكْدَرَا

(١) حرب : سلب ماله .

(٢) عضلت الأرض بأهلها : إذا ضاقت بهم لكثرتهم .

(٣) كراديس : جمع كردوس ، وهي الخيل العظيمة ، وقيل : القطعة من الخيل العظيمة .

(٤) المزاد : جمع مزادة ، وهي الرواية :

(٥) فرس أجرد : قصير الشعر ، وقيل : الأجرد : الذي رُق شعره وقصر ، وهو مدح .

(٦) الشكيم في الحمام : الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس .

صَقَاهُمْ بِهَا الذِّيفَانَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ * وَكَانَ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
وَحُمُرَانَ أَذْنَهُ إِلَيْنَا رِمَاحُنَا * فَتَنَازَعَ غُلَا فِي ذِرَاعَيْهِ اُسْتَمْعِرَا
وَجَنَامَةَ الذُّهْلِي قُدْنَاهُ عَنُوءَ * إِلَى الْحَيِّ مَصْفُودَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرَا.

(١)
يوم زرود الثاني

لبنى يربوع على بنى تغلب

أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع وهم بزرد، فأقتلوا قتالا شديدا،
ثم أنهزمت بنو تغلب، وأسر خزيمة بن طارق، أسره أنيف بن جبلة الضبي
— وهو فارس السليط، وكان يومئذ ثقيلًا في بنى يربوع — وأسيد بن حناء
السليط، فتنازعا فيه، فحكما بينهما الحارث بن فراد، فحكم بनावية خزيمة
للأنيف، على أن لأسيد على أنيف مائة من الإبل. قال: ففدى خزيمة نفسه
بمائتي بعير وفرس، فقال أنيف:

أَخَذْتُكَ قَسْرًا يَا خَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ * وَلَاقَيْتَ مِنِّي الْمَوْتَ يَوْمَ زُرُودٍ
وَعَانَقْتَهُ وَالْحَيْلُ تَدْمِي نُحُورَهَا * فَأَنْزَلْنَاهُ بِالْقَاجِ غَيْرَ حَمِيدٍ

(٢)
يوم ذى طلوح

لبنى يربوع على بكر

كان عميرة بن طارق بن حصينة بن أريم بن عبيد بن ثعلبة، تزوج مربية بنت
جابر، أخت أبحر بن جابر العجلي، فأبنتى بها في بنى عجل، فأتى أبحر أخته امرأة

(١) زرد: رمال بطريق الحاج من الكوفة.

(٢) الثقل: الغريب.

(٣) ذو طلوح: موضع في حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد.

عَمِيرَةٌ يَزُورُهَا فَقَالَ لَهَا : إِنْ لَأَرْجُو أَنْ آتِيكَ بِنْتِ النَّيْفِ أَمْرَاءَ عَمِيرَةٍ الَّتِي
 فِي قَوْمِهَا، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةٌ : أَرْضَى أَنْ تَحَارِيَنِي وَتَسْبِنِي، فَنَدِمَ أَيْجُرُّ وَقَالَ لِعَمِيرَةٍ :
 مَا كُنْتُ لِأَغْزُو قَوْمَكَ، ثُمَّ غَزَا أَيْجُرُّ وَالْخَوْفَزَانَ مُتَسَانِدِينَ ، هَذَا فَيَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ
 بَنِي شَيْبَانَ ، وَهَذَا فَيَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ ، وَسَارُوا بِعَمِيرَةٍ مَعَهُمْ قَدْ وَكَلَ بِهِ أَيْجُرُّ أَخَاهُ
 حُرْقُصَةَ بْنَ جَابِرٍ، فَقَالَ لَهُ عَمِيرَةٌ : لَوْ رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَحْتَمَلْتُهُمْ ، فَقَالَ حُرْقُصَةُ :
 أَفْعَلْ ، فَفَكَرَ عَمِيرَةٌ عَلَى نَافَتِهِ ، فَسَارَ يَوْمَيْنِ وَلَيْلَةً حَتَّى أَتَى بَنِي يَرْبُوعَ ، فَأَنْذَرَهُمُ الْجَيْشُ ،
 فَاجْتَمَعُوا حَتَّى اتَّفَقُوا بِأَسْفَلِ ذِي طُلُوحَ ، فَكَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ طَلَعَ عَلَيْهِمْ عَمِيرَةٌ ،
 فَنَادَى : يَا أَيْجُرُّ ، هَلَمْ ! فَقَالَ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا عَمِيرَةٌ ، فَكَذَّبَهُ ، فَسَفَرَ عَنْ وَجْهِهِ ،
 فَعَرَفَهُ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ ، وَاتَّفَقَتْ الْخَيْلُ بِالْخَيْلِ ، فَأَسَرَ الْجَيْشُ إِلَّا أَقْلَهُمْ ، وَأَسَرَ حَنْظَلَةُ
 ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُدُسَ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ — وَكَانَ فِي بَنِي يَرْبُوعَ —
 الْخَوْفَزَانَ بْنَ شَرِيكَ ، أَخَذَهُ مَعَهُ أَبُو مُلَيْلٍ ، وَأَخَذَ ابْنُ طَارِقٍ سَوَادَةَ بْنَ يَحْيَى
 ابْنَ عَمِّ أَيْجُرُّ ، وَأَخَذَ أَبُو عَمَّةَ الضَّبِّيُّ الشَّاعِرُ مَعَ بَنِي شَيْبَانَ ، فَأَفْتَكَّهُ مَتَمُّ بْنُ نُورِيَّةَ ،
 وَأَسَرَ شَرِيكَ بْنَ الْخَوْفَزَانَ ، وَأَسْوَدُ وَقْلَحُشُ ، وَهُمَا مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ هَمَامٍ ، فَقَالَ
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَظَرٍ :
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَظَرٍ :
 جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ مَنَظَرٍ :

وَلَمَّا لَقِينَا خَيْلَ أَيْجُرِّ تَدْعِي * يَدْعُو الْجَيْشَ قَبْلَ مَيْلِ الْعَوَائِقِ
 صَبْرًا وَكَانَ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً * بِأَسَافِنَا تَحْتَ الظَّلَالِ الْخَوَائِقِ
 فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَا هَوَادَةَ عِنْدَنَا * دَعَوْا بَعْدَ كَرْبٍ يَا عَمِيرَ بْنَ طَارِقِ

(١) كَذَا فِي مَجْلَدِ التَّقَاضِي . وَفِي الْأَصُولِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ : «أَبُو مَلِيكٍ» .

يَوْمُ الْحَائِرِ وَهُوَ يَوْمُ مَلْهَمٍ

لبنى يربوع على بنى بكر

وذلك أن بنى مُلَيْل عبد الله بن الحارث بن عاصم بن عُبَيْد ، وعنقمة أخاه
 أنطلقا يطلبان إبلاً لهما حتى وردا ملهَمَ من أرض اليمامة ، فخرج عليهما نفرٌ من بنى
 يشكر، فقتلوا عنقمةً وأخذوا أبا مُلَيْل ، فكان عندهم ما شاء الله ثم خَلَوْا سَبِيلَهُ ،
 وأخذوا عليه عهداً وميثاقاً ألا يُخَيَّرَ بأمر أخيه أحداً ، فاتى قومَه فسألوه عنه
 فلم يخبرهم ، فقال وَرَّةُ بْنُ حَمْزَةَ : هذا قد أَخَذَ عليه عهدٌ وميثاق ، فخرجوا يقصّون
 الأثر ويخبرون شهابَ بْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ حتى وردوا ملهَمَ ، فلما رآهم أهلُ ملهَمَ تحصّنوا ،
 فخرقت بنو يربوع بعضَ زرعهم ، وعقروا بعضَ نخيلهم ، فلما رأى ذلك القومُ
 نزلوا إليهم فقاتلوهم ، فهزمت بنو يشكر ، وقُتِلَ عمرو بْنُ صابر صَبْرًا ، ضربوا عنقه ،
 وقَتَلَ عَيْنَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ بْنِ مُثَلَّمِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عمرو رجلاً آخر منهم ،
 وقَتَلَ مالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ حُمْرَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وقال :

طلبنا يسوم مثل يومك علقماً * لعمري لمن يَسْمَى بها كان أكرماً
 فقلنا يحنِبُ العِرْصَ عمرو بن صابر * وحُمْرَانُ أَقْصَدُ نَاهِمَا والمثلَمَا
 فله عينا من رأى مثل خيلنا * وما أدركت من خيلهم يوم ملهَمَا

يَوْمُ الْقَحْقَحِ وَهُوَ يَوْمُ مَالَةِ

لبنى يربوع على بكر

أغار بنو أبى ربيعة بن ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ عَلَى بَنِي يَرْبُوعَ وَرئيسهم مجبة
 ابن ربيعة بن ذهل ، فأخذوا إبلاً لعاصم بن قرط أحد بنى حميد ، وأنطلقوا ، فطلبهم

(١) ملهَم : قرية باليمامة لبنى يشكر وأخلاق من بكر .

بنو يربوع، فناوشوهم، فكانت الدائرة على بنى ربيعة، وقتل المنهال بن عصمة
الحجبة بن ربيعة، فقال في ذلك ابن حمران الرياحي :

وَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَأَطْعُنْ فِيهِمْ * يَوْمَ اللَّقَاءِ كَطَعْنَةِ الْمِنْهَالِ
تَرَكَ الْحَجَّةَ لِلضِّبَاعِ مَجْدَلًا * وَالْقَوْمُ بَيْنَ سَوَافِلِ وَعَوَالِ

يوم رأس العين

لبنى يربوع على بكر

أغار طوائف من بنى يربوع على بنى أبى ربيعة برأس العين فأطردوا النعم،
وأتبعهم معاوية بن فراس في بنى أبى ربيعة فأدركوهم، فقتل معاوية وفاتوا بالإبل،
فقال سحيم في ذلك :

أَلَيْسَ الْأَكْرَمُونَ بَنُو رِيَّاحٍ * تَمَوَّنِي مِنْهُمْ عَمَّى وَخَالِي
هُمْ قَتَلُوا الْحَجَّةَ وَابْنَ تَيْمٍ * تَوَّحُّ عَلَيْهِمَا سُودُ الْمَالِ
وَهُمْ قَتَلُوا عَمِيدَ بَنِي فِرَاسٍ * بِرَأْسِ الْعَيْنِ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي
وَذَاوُوا يَوْمَ طَخْفَةِ عَنْ حِمَاهُمْ * ذِيَادَ غَرَابِ الْإِبِلِ النَّهَالِ

يوم العظالي^(١)

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : وهو يوم أعشاش ويوم الأفافة ويوم الإبادة ويوم مليحة.
قال : وكانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يحيدونهم ويجهزونهم،
فأقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة فارس متساندين، يتوقعون أنحدار بنى يربوع
في الحزن — قال : وكانوا يشتون خفافا فإذا أقطع الشتاء أنحدروا إلى الحزن —

(١) سمي يوم العظالي لأنه تماطل على الرياسة بسطام وهاني بن قبيصة ومفروق بن عزمري في هذا اليوم.

قال : فاحتمل بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد من بني سليط ، أول الحمى ، حتى أسهلوا بطن مليحة ، فطلعت بنو زيد في الحزن حتى حلوا الحديقة بالأفاقة ، وحلت بنو عبيد وبنو عتيبة بـروضه الثمد . قال : وأقبل الجيش حتى نزلوا هضبة الخصى ، ثم بعثوا رئيسهم فصادفوا غلاما شابا من بني عبيد يقال له قرط بن أضيظ ، فعرفه بسطام فقال له : أخبرني ما ذاك السواد الذي أرى بالحديقة ؟ قال : هم بنو زيد . قال : أسيد بن حنأة ؟ قال : نعم ، قال : كم هم ؟ قال : نحسون بيتا ، قال : فآين بنو عتيبة وبنو أريم ؟ قال : نزلوا روضة الثمد . قال : فآين سائر الناس ؟ قال : هم محتجزون بجفاف ^(١) . قال : فمن هناك من بني عاصم ؟ قال : الأخيمر وقعب ومعدان أبناء عصمة . قال : فمن فيهم من بني الحارث بن عاصم ؟ قال : حصين . قال : فآين بنو زيد . فقال بسطام لأصحابه : أطيعوني تقبضوا على هذا الحمى من زيد ، وتصبحوا سالمين غانمين . قالوا : وما يغني عنا بنو زيد لا يودون رحلتنا . قال : إن السلامة إحدى الغنيمتين . فقال له مغروق : انتفخ سحرك يا أخا الصهباء ، قال له هاني : أجبنا . قال : ويلكم إن أسيدا لم يظله بيت قط شاتيا ولا قاءطا ، إنما بيته الفقر ، فإذا أحس بكم أحال على الشقراء ، فركض حتى يشرف مليحة ^(٢) ، فينادي : يا آل يربوع ! فيركب فيلقاكم طعن ينسيكم الغنيمة ، ولا يبصر أحدكم مصرع صاحبه ، وقد جئتموني وأنا تابعكم ، وقد أخبركم ما أنتم لاقون غدا . فقالوا : نلتقط بني زيد ، ثم نلتقط بني عبيد وبني عتيبة كما نلتقط الكمأة ، ونبعث فارسين فيكونان بطريق أسيد ، فيحولان بينه وبين بني يربوع ، ففعلوا . فلما أحس بهم أسيد ركب الشقراء وخرج نحو بني يربوع ، فأبتدره الفارسان فطعنه

(١) جفاف ، وتسمى جفاف الطير : أرض لأسد وحظلة واسعة فيها أماكن يكون فيها الطير .

(٢) مليحة : موضع في بلاد بني تميم .

$$\frac{126}{13}$$

أحدهما فالتى نفسه فى شق فأخطاه ، ثم كرّ راجعا حتى أشرف مُلِحَّة ، فنادى :
يا صباحاه ! يا آل يربوع ، غشيم ، فلاحقت الخيل حتى توافوا بالعطالي ، فأقتلوا ،
فكانت الدائرة على بكر ، قُتِل منهم مغروق بن عمرو ، فدُفِنَ بشيعة مغروق ، وبه
سُميت ، وغيره . وأما بسطام فآلح عليه فارس من بنى يربوع ، وكان دارعا على ذات
النسوع ^(١) ، وكانت إذا أُجِدَّت لم يتعلق بها شىء من خيلهم ، ففاقت الطلب حتى
أتى قومه .

يوم الغبيط

لبنى يربوع على بكر

ويقال له يومُ الثعالب . قال : غزا بسطامُ بنُ قيس ، ومغروق بن عمرو ،
والحارثُ بنُ شريك — وهو الحوفزان — بلادَ بني تميم ، وهذا اليوم قبل يوم
العطالي ، فأغاروا على بنى ثعلبة بن يربوع ، وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدى
أبن قزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، فلذلك قيل له يومُ الثعالب . وكان هؤلاء
جميعا متجاوزين بصحراء فُلج ^(٢) فأقتلوا ، فأنهزمت الثعالبُ ، فأصابوا فيهم وأساقوا
إبلا من نعمهم ، ولم يشهد عتيبة بن الحارث بن شهاب هذه الواقعة لأنه كان نازلا
يومئذ فى بنى مالك بن حنظلة . قال : ثم أسروا على بنى مالك ، وهم بين صحراء فُلج
وبين الغبيط ، فأكتسحوا إلهُهم ، فوكبت عليهم بنو مالك ، فيهم عتيبة بن الحارث
أبن شهاب ، ومعه فارسان من فرسان بنى يربوع ، وتأنف ^(٣) اليهم الأجير بنُ عبدالله ،
وأسيد بنُ حنّاة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي — وهو رئيس

(١) ذات النسوع : فرس بسطام . (٢) أُجِدَّت : سلكت الطريق الوعر .

(٣) الثعالب : أسماء قبائل اجتمعت فيه . (٤) صحراء فُلج : وادى بين العنبرين تميم ،
يقع أول الدمام . (٥) تأنف : يريد تميمهم وتحوطهم مثل تأنف الأتاني الرماد .

بنى يربوع - وربيع ، والحليس ، وعمارة ، بنو عتيبة بن الحارث ، ومعدان وعصمة
أبنا قعنب ، ومالك بن نُؤيرة ، والمنهال بن عصمة أحد بنى رياح بن يربوع ، وهو
الذى يقول فيه متم بن نُؤيرة في شعره الذى يرى به أخاه مالكا :

لقد كفن المنهال تحت رِدائه ففى غير مِبْطَانِ العِشِيَّاتِ أَرْوَعَا

فأدركوهم بغيطة المدرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأدركوا ما كانوا آسئاقوا من
أموالهم ، وأسر بسطام ، أسره عتيبة ، فلم يزل عنده حتى فادى نفسه . قيل : لانه
فدى نفسه بأربعمائة بعير وثلاثين فرسا ، ولم يكن غيره عكاظى أعلى فداء منه ، على
أن جزأ نصيبته وعاهده ألا يغزوا بنى شهاب أبدا .

يوم مُحَطَّط

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس والحوقران الحارث متساندين يقودان
بكر بن وائل ، حتى وردوا على بنى يربوع بالفردوس ، وهو بطن لإياد ، وبينه وبين
مخطط ليلة ، وقد نذرت بهم بنو يربوع فالتقوا بالمحطط ، فاقتلوا ، فانهزمت بكر ،
وهرب الحوقران وبسطام فقاتا ركضا ، وقتل شريك بن الحوقران ، قتله شهاب
أبن الحارث أخو عتيبة ، وأسر الأخيمر بن عبد الله بن الضريس الشيباني .

يوم جدود

غزا الحوقران وهو الحارث بن شريك فاغار على من بالقاعة من بنى سعد بن
زيد مائة ، فأخذ نعا كثيرا ونساء فبهن الزرقاء من بنى ربيع بن الحارث ، فأعجب
بها وأعجبت به ، فلم يتالك أن وقع بها ، فلما انتهى الى جدود منعهم بنو يربوع

(١) جدود : اسم موضع فى بلاد بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت الجملة ، فيه الماء
الذى يقال له الكلاب .

أَبْنُ حَنْظَلَةَ أَنْ يَرُدُّوا الْمَاءَ ، وَرَأَيْسُهُمْ عَتِيبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ ، فَقَاتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي بَكْرِهِمْ يَدٌ ، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي يَرْبِيعَ بَعْضَ غَنَائِمِهِمْ حَتَّى يَرُدُّوا الْمَاءَ ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ مِنْهُمْ وَأَجَازَوْهُمْ ، فَلَمَّا أَتَى الصَّرِيحُ بْنُ سَعْدٍ ، رَكِبَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى أَدْرَكَهُمْ بِالْأَشْمِينَ^(١) ، فَأَخَذَ قَيْسُ عَلَى الْحَوْفَرَانِ ، وَقَدْ حَمَلَ الزَّرْقَاءُ خَلْفَهُ رَدِيفًا عَلَى فَرْسِهِ الزَّيْدِ ، وَعَقَدَ شَعْرَهَا عَلَى صَدْرِهِ ، فَأَخَذَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ بِحَيْثُ يَكَلِّمُ الْحَوْفَرَانِ ، فَقَالَ لَهُ قَيْسُ : يَا أَبَا حَمَادٍ ، أَنَا خَيْرُكَ مِنَ الْفَلَاةِ وَالْعَطَشِ ، قَالَ لَهُ : مَا يَشَاءُ الزَّيْدُ . فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ أَنَّ فَرْسَهُ لَا يُلْحِقُهُ نَادَى الزَّرْقَاءَ فَقَالَ : مِيلَ بِهِ يَا جَعَارَ ، بَجَزَّ الْحَوْفَرَانِ قُرُونَهَا بِالسَّيْفِ وَدَفَعَهَا بِمِرْفَقِهِ وَأَلْقَاهَا عَنْ عَجْزِ فَرْسِهِ فَرَدَّهَا قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى بَنِي يَرْبِيعَ .

يَوْمُ سَقَوَانَ

قَالَ أَبُو عِيَّيْدَةَ : التَّقَتْ بَنُو مَازِنَ وَبَنُو شَيْبَانَ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ سَقَوَانٌ ، فَرَزَعَتْ بَنُو شَيْبَانَ أَنَّهُ لَهُمْ ، وَأَرَادُوا أَنْ يُحْلُوا تَمَامًا عَنْهُ ، فَأَقْتَتَلُوا قَتْلًا شَدِيدًا ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ بَنُو تَمِيمٍ وَشَلُوهُمْ حَتَّى بَلَغُوا الْمَحْدَثَ ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَتَوَعَّدُونَ بَنِي مَازِنَ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْوَدَاكِ الْمَازَنِيُّ :

رَوَيْدًا بَنِي شَيْبَانَ بَعْضُ وَعِيدِكُمْ * تَلَّاقُوا غَدًا خَيْبَلِي عَلَى سَقَوَانَ
تَلَّاقُوا جِيَادًا لَا تَحِيدُ عَنِ الْوَعَى * إِذَا الْخَيْلُ جَاءَتْ فِي الْقَنَا الْمُتَدَانِي
عَلَيْهَا الْكُفَّةُ الْغُرَّ مِنْ آلِ مَازِنَ * لِيُوثُ طِعَانٍ كُلَّ يَوْمٍ طِعَانِ
تَلَّاقُوهُمْ فَتَعْرِفُوا كَيْفَ صَبْرُهُمْ * عَلَى مَا جَنَّتْ فِيهِمْ يَدُ الْحَدَثَانِ

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْغَزَى » بِحَرْفِهِمْ يَدٌ .

(٢) الْأَشْمِينَ ، فِي بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ بِالْبَحْرَيْنِ دُونَ هَجْرَ .

مَقَادِيمُ وَصَالُونَ فِي الرُّوعِ خَطْوَهُمْ * يَكَلُّ رَفِيقِي الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِ
إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ * لَأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَانٍ

٧
٣

يوم نقا الحسن

(١) وهو يوم الشقيقة لبني ضبة على بني شيبان

فيه قتل بسطام . قال أبو عبيدة : غزا بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس
أبن خالد - وقيس بن مسعود هو ذو الجدين ، وأخوه السليل بن قيس من بني ضبة
ابن أد بن طابخة - فأغار على ألف بعير لمالك بن المستفق فيها فخلها قد فقأ عينه ،
وكان في الإبل مالك بن المستفق ، فركب فرسا له ونجا ركضاً حتى إذا دنا من قومه
نادى : يا صَبَاحَاهُ ، فركبت بنو ضبة ، وتداعت بنو تميم ، فلاحقوا بالنقا ،
فقال عاصم بن خليفة لرجل من فرسان قومه : أيهم رئيس القوم ؟ قال : حاميتهم
صاحب الفرس الأدهم - يعني بسطاماً - فعلا عاصم عليه بالرح قطعنه ، فلم تخطئ
صماخ أذنه حتى خرج الرح من الناحية الأخرى ونحر . فلما رأى ذلك بنو شيبان
خلوا سبيل النعم وولوا الأديار ، فن قتل واسير ، وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس
أخا بسطام في سبعين من بني شيبان : وقال شمعة بن الأخضر بن هيرة :

وَيَوْمَ شَقَائِقِ الْحَسَنِ لَاقَتْ * بَنُو شَيْبَانَ أَجَالاً قِصَارَا
شَكَنَّا بِالرَّمَاكِ وَهَنَّ زُورُ * صِمَانِي كَبَشِهِمْ حَتَّى اسْتَدَارَا

أيام بكر على تميم

يوم الزويرين

قال أبو عبيدة : كانت بكر بن وائل تنتجع أرض بني تميم في الجاهلية ترعى
بها إذا أجذبوا ، فإذا أرادوا الرجوع لم يدعوا عودة يصيبونها ولا شيئا يظفرون به

(١) الشقيقة : كل جد (فتح الجيم المعجزة وسكون الميم) بين حبل رمل . والجد : غلط وصلاية .

إلا اكتسحوه، فقال بنو تميم : امنعوا هؤلاء القوم من رعى أرضكم، فحشدت تميم ، وحشدت بكر واجتمعت ، فلم يتخلف عنهم إلا الحوفزان بن شريك في أناس من بني ذهل بن شيان، وكان غازياً ، فقدمت بكر عليهم عمراً الأصم أبا مفروق — وهو عمرو بن قيس بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان — فحسد سائر ربيعة الأصم على الرياسة ، فأتوه فقالوا : يا أبا مفروق ، إنا قد زحفنا لتيمة وزحفوا لنا أكثر مما كنا وكانوا قط . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن نجعل كل حى على حياله ، ونجعل عليهم رجلاً منهم ، فنعرف غناء كل قبيلة ، فإنه أشد لأجتهاد الناس . قال : والله إنى لأبغض الحلاف عليكم ، ولكن يأتى مفروق فينظر فيما قاتم . فلما جاء مفروق شاوره أبوه ، فقال له مفروق : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يخذعوك عن رأيك وحسدوك على رياستك ، والله لئن لقيت القوم فظفرت لا يزال لنا الفضل بذلك أبداً ، وإن طُفرك لا تزال لنا رياسة تُعرف بها ، فقال الأصم : يا قوم ، قد استشرت مفروقاً فرأيتُه مخالفاً لكم ، ولستُ مخالفاً رأيه وما أشار به . فأقبلت تميم بمجائين مجالين مقرونين مقيدين وقالوا : لا نولّى حتى يولى هذان الجملان ، وهما الزوران ، فأخبرت بكر بقولهم الأصم فقال : وأنا زوركم إن خشوهما فخشوني ، وإن عقروهما فأعقروني ، قال : وأنتى القوم فأقتلوا قتلاً شديداً . فأسرت بنو تميم حراث بن مالك أخا بني مرة بن همام ، فركض به رجل منهم وقد أردفه ، فأتبعه آتبعه قتادة بن حراث حتى لحق الفارس الذى أسراياه ، فطعنه فارداه عن فرسه ، وأستنقذ أباه ، ثم أنهزمت بنو تميم . وقال رجل من بني سدوس :

يَا سَلْمُ إِنَّ تَسَالَى عَنَّا فَلَا كَشْفُ * عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَسْنَا بِالْمَقَارِيفِ

نَحْنُ الَّذِينَ هَزَمْنَا يَوْمَ صَبْحَتَنَا * جَيْشَ الزُّورَيْنِ فِي جَمْعِ الْأَحَالِفِ
ظَلُّوا وَظَلَلْنَا نَكْرَ الْحَيْلِ وَسَطَهُمْ * بِالشَّيْبِ مِنَّا وَبِالْمُرْدِ الْغَطَارِيفِ

يَوْمُ الشَّيْطَانِ ^{حَرْبِ} مَعِينِ التَّارِخِ لأهل التَّارِخِ لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما ظهر الإسلام — قبل أن يسلم أهل نجد والعراق — سارت بكر بن وائل إلى السواد وقالت : نغير على بني تميم بالشَّيْطَانِ (١) ، فإن في دين ابن عبد المطلب أنه من قتل نفسا قُتِلَ بها ، فغير هذه الغارة ثم نُسِمَ عليها .

فارتحلوا من لعلع بالذَّرَارَى والأموال ، فاتوا الشَّيْطَانِ في أربع ، وبينهما مسيرة ثمانية أميال فسبقوا الجبر فصبحوهم وهم لا يشعرون ، ورئيسهم يومئذ يَشْرَبُ مسعود بن قيس بن خالد ذي الحدين ، فقتلوا بني تميم قتلًا ذريعًا واخذوا أموالهم . قال : قُتِلَ من بني تميم يوم الشَّيْطَانِ ولَمَلَعَ ستمائة رجل ، قال : فوفد وفدٌ من بني تميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أدع الله على بكر بن وائل ! فابى صلى الله عليه وسلم .

يَوْمُ صَعْفُوقٍ

لبكر على تميم

١٢٨
١٣

أغارَت بنو ربيعة على بني سليط بن يربوع يوم صَعْفُوقٍ ، فأصابوا منهم أمرى ، فاتى طَرِيفُ بن تميم العنبري فَرَوَةَ بن مسعود ، وهو يومئذ سيد بني ربيعة ، فقضى منهم أمرى بني سليط ورهَنهم أبْنَهُ ، فأبطأ عليهم فقتلوا أبْنَهُ .

(١) الشيطان : واديان .

يَوْمُ مَبَايِضَ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : كانت الفُرسان إذا كانت أيام عكاظ في الشهر الحرام ، وأمنَ بعضهم بعضاً ، تقنعوا كي لا يعرفوا ، فكان طريف بن تميم لا يتقنع ، فوافى عكاظ وقد كشفت بكر بن وائل ، وكان طريف قد قتل شراحيل الشيباني أحد بني عمرو بن ربيعة ، فقال نحيفة : أروني طريفاً ، فاروه إياه ، فتأمله ونظر إليه ، ففطن له طريف فقال : مالك تنظر ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك ، فله على إن لقيتك أن أقتلك أو تقتلني .

قال : فضى لذلك ما شاء الله ، ثم إن بني عائدة حلفاء بني ربيعة بن ذهل ، خرج منهم رجلان يصيدان ، فعرض لهما رجل من بني شيبان ، فذعر عليهما صيدهما ، فوثبا عليه فقتلاه ، فشارت بنو مرة بن ذهل بن شيبان يريدون قتلهما ، فأبى بنو ربيعة ذلك عليهم ، فقال حاتم بن مسعود : يا بني ربيعة ، إن إخوانكم قد أرادوا ظلمكم فأنمازوا عنهم ، ففارقوهم ، وساروا حتى نزلوا بمبايض : — ماء لهم — فأبقى عبدٌ لرجل من بني ربيعة ، وسار إلى بلاد تميم ، فأخبرهم أن حياً جديداً ، أى متقى من قومه ، من بكر بن وائل نزول على مُبايض وهم بنو ربيعة ، فقال طريف العبدي : دؤلاء فأرى يا آل تميم ، وأقبل معه أبو الجداء أخو بني طهمية ، وجاءه فديكى بن أعبد المتقري في جمع من بني سعد بن زيد مناة ، فأنذرت بهم بنو ربيعة ، فأنحاز بهم هاني بن مسعود ، وهو رئيسهم ، إلى علم مُبايض ، وأقام عليه وشرفوا بالأموال والسرح ، وصبحتهم تميم ، فقال لهم

(١) أنمازوا : اقصوا .

(٢) السرح : المال الراعى .

طريف : أطيعوني وافرغوا من هؤلاء الأكلب يَصِفْ لكم ما وراءهم ، فقال لهم أبو الجداء — رئيس حنظلة — وقد كنتي — رئيس بنى سعد بن زيد مناة : أنقاتل أكلبا أحرزوا أنفسهم وترك أموالهم ؟ ما هذا برأى ! وأبوا عليه . وقال هاني لأصحابه : لا يقاتل رجلُ منكم ، ولحقت تميم بالنعم والبيغال فأغاروا عليهم ، فلما ملأوا أيديهم من الغنيمة قال هاني بن مسعود لأصحابه : احملوا عليهم ، فهزموهم . وقُتِل طريف العنبري ، قتله خميسة الشيباني .

يوم فيحاح

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : لما فدى نفسه بسطام بن قيس من عتيبة بن الحارث إذ أسره يوم الفيض بأربعمائة بعير فقال : لأدركن عقرا إيلي ، فأغار بفتجان ، فأخذ الربيع بن عتيبة وأستاق ماله ، فلما سار يومين سُفلوا عن الربيع بالشراب ، فبال على قيده حتى لآن ، ثم خلعه وأنحل منه ، ثم أجال في متن ذات النسوع — فرس بسطام — وهرب ، فركبوا في أثره ، فلما يئسوا منه ناداه بسطام : ياربيع ، هلم طليقا ، فإني ، وأتوه في نادى قومهم يتحدثهم ، فجعل يقول في أثناء حديثه : إيه يا ربيع ! انج ياربيع ! وأقبل ربيع حتى انتهى إلى أدنى بنى يربوع فإذا هو براع فاستسقاء وضربت الفرس برأسها فماتت ، فسمي ذلك المكان هير الفرس ، فقال له أبوه عتيبة : أما إذ نجوت بنفسك فإني مخلف لك مالك .

يوم ذي قار الأول

لبكر على تميم

قال : فخرج عتيبة نحو من خمسة عشر فارسا من بنى يربوع ، فكان في جنبي ذي قار حتى مررت بهم إيل بن الحصين ، وهى بالعدوانة : اسمها لهم ،

فصاحوا بمن فيها من الحامية والرعاية ، ثم استاقوها ، فأخلف للربيع مذهب له وقال :

أَلَمْ تَرَنِ أَفَاتُ عَلَى رَيْسِ * جَلَادًا فِي مَبَارِكِهَا وَخُورًا
وَأَنِّي قَد تَرَكْتُ بَنِي حُصَيْنِ * بِذِي قَارِ يَمُونُ الْأُمُورَا

يَوْمُ الْحَاجِزِ .

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : خرج وائل بن صريم اليشكري من اليمامة ، فلقبه بنو أسيد ابن عمرو بن تميم ، فأسروه وجعلوا يغمسونه في الماء في الركية ويقولون :

* يَايَا الْمَانِحُ دَلَوِي دُونَكَ *

حتى قتلوه ، فغزاهم أخوه باعث بن صريم يوم حاجز ، فأخذ ثمانية بن باعث ابن صريم رجلا من بني أسيد وجيها فيهم فقتله ، وقتل على الظنة مائة منهم .

يَوْمُ الشَّقِيقِ

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : أغار أبحر بن جابر العجلي على بني مالك بن حنظلة ، فسيلى بنت محصن ، فولدت له أبحر ، ففى ذلك يقول أبو النجم :

وَلَقَدْ كَرَّرْتُ عَلَى طُهَيَّةَ كَرَّةً * حَتَّى طَرَقْتُ نِسَاءَهَا بِمَسَاءِ

ذِكْرُ حَرْبِ الْبَسُوسِ

وهي حرب بكر وتغلب أبني وائل

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب : لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة من رؤساء العرب ، وهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث .

١٢٩
١٣

وعامر هو قائد معد يوم البيداء حين تَمَذَّجَتْ مَذْجِح وسارت الى تهامة، وهي أول واقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثاني : ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب وهو قائد معد يوم السَّان، وهو يوم كان بين أهل تهامة واليمن .

والثالث : كليب بن ربيعة، وهو الذي يقال فيه : أعز من كليب وائل، وقاد معداً كلها يوم خزاز، ففَضَّ جُمُوعَ اليمن وهزمهم ، واجتمعت عليه معدُّ كلها وجعلوا له قَسَمَ الملك وتاجه ونجته وطاعته ، ففُتِرَ ^(١) بذلك حيناً من الدهر، ثم دخله زهوٌ شديدٌ وبقي على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحجى مواقع السحاب فلا يُرعى حِمَاهُ ويقول: وَحْشُ أرض كذا في جوارى فلا يُهاج، ولا تُوردُ إبلُ أحدٍ مع إبله، ولا تُوقَدُ نارٌ مع ناره .

وكانت بنو جشم وبنو شيان في دار واحدة بتهامة ، وكان كليب قد تزوجَ جليلاً بنه مرة بن ذهل بن شيان أخت جساس بن مرة، وكانت لها ناقةٌ يقال لها : السرابُ ، وبها يُضرب المثل في التشاؤم ، فيقال : « أشأم من السراب » و « أشأم من البسوس » وهي معقولة بفناء بيتها في جوار جساس بن مرة، فمزت بها إبلُ لكليب، فلما رأت السرابُ الإبلَ تازعت عِقالها حتى قطعتَه، وتبعَت الإبلَ واختلطت بها حتى آتته الى كليب، وهو على الحوض، ومعه قوسٌ وكنانةٌ، فلما رآها أنكرها، فأترعها بسهم فخرم ضرعها، فنفرت وهي ترغو، فلما رأتها البسوس قذفت نحرها عن رأسها وصاحت : واذلّاه ! واجاراه .

(١) غير : مكث وبقى .

ذكر مقتل كليب وائل

قال : فاجشت جساسا ، فركب فرسا له مغرورا به ، وتبعه عمرو بن الحارث ابن ذهل بن شيان على فرسه ، ومعه رُحْه ، حتى دخلا على كليب الحمي ، فطعنه جساس فقصم صُلْبَه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع قَطَنَه ، فوقع كُليب وهو يفحص برجله وقال لجساس : أغثنى بَشْرِيَه من ماء ، فقال له : تجاوزتُ شَيْثًا^(١) والأَحَصَّ^(٢) ، ففى ذلك يقول عمرو بن الأَهم :

وإن كُليبا كان يَظْلُمُ قَوْمَه * فَأَدْرَكُهُ مِثْلُ الَّذِي تَرَبَّابِ
فلما حَشَاهُ الرِّمْحُ كَفَّ ابْنُ عَمِّه * تَذَكَّرُ ظَلَمَ الْأَهْلِ أَى أَوَانِ
وَقَالَ لِحَسَّاسٍ أَغْنِنِي بِشْرِيَه * وَلَا نَقِيرَ مَنْ رَأَيْتَ مَكَانِي
فقال تجاوزتُ الأَحَصَّ وماءه * وَبَطْنَ شَيْثٍ وَهُوَ غَيْرُ زُوَانِ

وقال نابعة بنى جعد :

أبلغ عَقَالًا أَنْ حُطِّتَ دَاحِيسُ * بِكَفِّكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدِّمِ
كُليبٌ لعمري كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا * وَأَسْرَ ذَنْبًا مِنْكَ ضَرَجَ بِالْدَمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ يَطْعَنُهُ * كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِي الْمُسَمِّ
وقال لجساس أَغْنِنِي بِشْرِيَه * تَذَارِكُ بِهَا مَنَا عَلَى وَأَنْعِمِ
فقال تجاوزتُ الأَحَصَّ وماءه * وَبَطْنَ شَيْثٍ وَهُوَ دُوْمُوسَمِ

قال : فلما قُتِلَ كُليبٌ آرْتَحَلَتْ بَنُو شِيَانِ حَتَّى نَزَلُوا بِمَاءٍ يُقَالُ لَهُ النَّهْيُ ، وتسمُّرُ المهلهل أخو كليب — وأسمه عِدْيُ بْنُ رِبِيعَةَ ، وإنما قيل له المهلهل لأنه

(١) شيث : ماء معروف لبنى تغلب .

(٢) الأَحَصَّ : واد لبنى تغلب .

أول من هَلَمَّ الشعر ، أى أرقه - فَاسْتَعَدَّ المَهْلَهُلُ لِحَرْبِ بَكْرٍ ، وترك النساءَ والغزلَ ، وحرَّم القَهَّارَ والشرابَ ، وجمع اليه قومه ، فأرسل رجالاً منهم الى بنى شيبان يعذر اليهم فيما وقع من الأمر ، فأتوا مرةً بنَ ذهل بنِ شيبان وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كُلياً بنابٍ من الإبل ، فقطعتم الرِّحْمَ ، وأنتهكتم الحرمةَ ، وإنَّا كرهنا العَجَلَةَ عليكم دون الإعذارِ إليكم ، ونحن نعرض عليكم خِلالاً أربعاً ، لكم فيها مخرجٌ ولنا مقنعٌ ، قال مرةٌ : ما هى ؟ قالوا : نُحْيِي لَنَا كُلياً أو تدفع لنا جَسَاساً قاتله فنقتله به ، أو هما ما فإنه كفاءٌ له ، أو تمكثنا من نفسك فإن فيك وفاءً من دمه ، فقال : أمّا إحيائى كُلياً فهذا ما لا يكون . وأمّا جَسَاسٌ فإنه غلام طعن طعنةً على عَجَلٍ ثم ركب فرسه فلا أدري أىّ البلاد أجتوت عليه . وأمّا هَمَامٌ فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، كلهم فرسانٌ قومهم فلن يُسَامُوهُ لى فادفعه اليكم يُقتل بجريرة غيره . وأمّا أنا فما هو إلّا أن تجول الخيلُ جَوْلَةً غَدًا فاكُونُ أول قتيلٍ بينهما ، فما أتعجلُ من الموت ، ولكن لكم عندى خصلتان : أما إحداهما فهؤلاء بنى الباقون فعلتوا فى عُقُقِ أَهْلِهِمْ شَتْمَ نَسْعَةٍ فَأَنْطَلَقُوا به الى رجالكم فأذبحوه ذبح الجزور وإلّا فألف ناقةٍ سوداء المقل أقيم لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل ، فغضب القوم وقالوا : لقد أسأت ، تبدّل لنا صغار ولدك وتسومنا اللبن من دم كليب .

١٣٠
١٣

ووقعت الحرب بينهم ، ولحقت جليلاً زوجة كُليبَ بأبيها وقومها ، وأعتزلت قبائل بكر بن وائل ، وكرهوا مُجَامَعَةَ بنى شيبان ومساعدتهم على قتال إخوانهم ، وأعظموا قتل جَسَاسِ كُلياً بنابٍ من الإبل ، فظعنن لجُحَيْمِ عنهم ، وكفت يشكر عن نصرتهم ، وأتقبض الحارث بنُ عباد فى أهل بيته ، وهو أبو يُجَيْرِ وفارس النعامة . وقال المَهْلَهُلُ يرى كُلياً من أبيات :

٢٠

بَاتَ لَيْسِي بِالْأَنْعَمِينَ طَوِيلًا ^(١) * أَرْقُبُ النَّجْمَ سَاهِرًا أَنْ يَزُولَا
كَيْفَ أَهْدَى وَلَا يَزَالُ قَبِيلُ * مِنْ بَنِي وَائِلٍ يُنْسَى قَبِيلًا
فِي قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ .

وقال أيضا يرثيه من أخرى :

نَعَى النِّعَاءُ كُلِّيًّا لِي فَقُلْتُ لَهُمْ * مَا لَتْ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْقَائِدُ الْخَيْلُ تَرْدَى فِي أَعْنَبِهَا * زَهْوًا إِذَا الْخَيْلُ بَلَحَتْ فِي تَعَادِيهَا
مِنْ خَيْلٍ تَغْلِبُ مَا تُلْقَى أَسْتَبَا * إِلَّا وَقَدْ خَضَّبُوهَا مِنْ أَعَادِيهَا
يَهْزِهُزُونَ مِنَ الْخَطِيئِ مُدْجَجَةٌ * كُنَّا أَنَا بَيْنَهُمَا زُرْقًا عَوَالِيهَا
تُرَى الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا فَتَوَرَّدُهَا * بَيْضًا وَأُصْدَرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ يَوْمًا مَنْ يُصَالِحُكُمْ * مَا لَاحَتِ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى تَجَارِيهَا

يَوْمُ النَّهْيِ

فَالْتَقَوْا بِمَا يُقَالُ لَهُ : النَّهْيُ ^(٢) ، كَانَتْ بَنُو شَيْبَانَ نَازِلَةً عَلَيْهِ ، وَرَيْسُ تَغْلِبِ الْمَهْلَهُلُ ،
وَرَيْسُ شَيْبَانَ الْحَارِثُ بْنُ مُرَّةَ ، فَكَانَتِ الدَّائِرَةُ لِبَنِي تَغْلِبَ ، وَلَمْ يُقْتَلْ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ .

يَوْمُ الذَّنَابِ

ثُمَّ أَلْتَقَوْا بِالذَّنَابِ ، وَهِيَ أَعْظَمُ وَقْعَةٍ كَانَتْ لَهُمْ ، فَظَفَرَتْ بَنُو تَغْلِبَ وَقُتِلَ مِنْ
بَكْرِ مَقْتَلَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَفِيهِ قُتِلَ شَرَا حَيْلُ بْنُ مُرَّةَ بْنِ هَمَامَ بْنِ مُرَّةَ بْنِ شَيْبَانَ ، وَهُوَ
جَدُّ الْحَوْفَزَانِ ، قَتَلَهُ عَتَابُ بْنُ سَعْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جِشَمَ ، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي ذُهْلِ بْنِ

(١) الْأَنْعَامُ (بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ثَنِيَّةٌ أَنْعَمَ) : مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ نَعْمَانَ ، وَهُوَ وَادِي التَّنْعِيمِ .

(٢) النَّهْيُ (بِالْكَسْرِ فِي لَفْظِ أَهْلِ مَجْدٍ ، وَغَيْرِهِ بِقَوْلِهِ) بِالْفَتْحِ : الْقَدِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْمَوْضِعُ الَّذِي لَهُ

حَاجِزٌ يَنْهَى الْمَاءَ أَنْ يَفِضَ مِنْهُ .

ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان ، وقُتل من بني قيس بن ثعلبة سعد بن ضبيعة بن قيس ونيم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الجرفيين ، وكان شيخا كبيرا ، فحمل في هودج ، فلحقه عمرو بن مالك بن القدوكس بن جشم فقتله .

يوم واردات

ثم آلتقوا يوم واردات وعليهم رؤسائهم الذين تقدم ذكرهم ، فظفرت بنو تغلب ، واستحز القتلى في بني بكر ، فيومئذ قتل الشعثان : شعثم وعبد شمس أبنا معاوية بن عامر بن ذهل بن ثعلبة وسيار بن الحارث بن سيار ، وفيه قتل همام ابن مرة أخو جساس لأبويه ، فمز به مهلهل مقتولا فقال : والله ما قُتل بعد كليب قتيلا أعز على فقدائك يوم عينة .

يوم عينة

ثم آلتقوا بعينة ، فظفرت بنو تغلب ، ثم كانت بينهم معاودة ووقائع كثيرة كل ذلك كانت الدائرة فيها لبني تغلب على بني بكر ، فمنها يوم الحنسو ، ويوم عويرضات ، ويوم أنين ، ويوم ضرية ، ويوم القمصينيات ، كلها لتغلب على بكر ، أصيبت فيها بكر حتى ظنوا أن لن يستقبلوا أمرهم .

وقال المهلهل يصف هذه الأيام وينعاهها على بكر في قصيدة طويلة أولها :

أَلَيْلَتَنَا بِذِي حُصْمٍ أَنْيَرِي * إِذَا أَنْتِ أَنْقَضَيْتِ فَلَا تَحْجُورِي ^(٤)
فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَابِ طَال لَيْلِي ^(٥) * فَقَدْ أَيْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ

(١) الحارقة : عصة متصلة بالورك . (٢) استحز : اشتد .

(٣) ذو حصم : موضع . (٤) تحجوري : ترجعي .

(٥) الذناب : عن يسار فاجة مصعدا الى مكة . ومقتل كليب بالذناب ، وبها قبره .

فَلَوْ نَبِشَ الْمَقَابِرُ عَنْ كَلْبٍ * لَأُخْبِرَ بِالذَّنَابِ أَيْ زَيْرٍ
 وَأَيْ قَدْ تَرَكْتَ بَوَارِدَاتٍ ^(١) * يُجَيِّزُ فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ ^(٢)
 هَتَكَتْ بِهِ بِيُوتَ بَنِي عَبَادٍ * وَبَعْضُ الْقَتْلِ أَشْفَى لِلصُّدُورِ
 عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلْبٍ * إِذَا بَرَزَتْ مَجْبَاهُ الْخُدُورِ

وقال المهلهل أيضا وقد أشرف في الدماء :

أَكْثَرْتُ قَتْلَ بَنِي بَكْرِ بِرَبِّهِمْ * حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَمْ أَحُدْ
 آلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ * حَتَّى أُهْرَجَ بَكْرًا إِيْمًا وَجُدُوا
 أُهْرَجُ : أَيْ ادْعُهُمْ بِهَرَجًا ، لَا يُقْتَلُ بِهِمْ قَتِيلٌ ، وَلَا تُؤْخَذُ بِهِمْ دِيَةٌ .

وقال أيضا :

قَتَلُوا كُلِّيًّا ثُمَّ قَالُوا أَرِيعُوا * كَذَبُوا وَرَبَّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ
 حَتَّى تَيْبَسَ قَبِيلُهُ وَقَبِيلُهُ * وَبَعْضُ كُلِّ مُتَّقِفٍ بِالْهَامِ
 وَيُقَمِّنُ رِبَاتُ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * يَمَسُّحَنَ عَرَضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ
 حَتَّى يَبْعُثَ الشَّيْخُ بَعْدَ حَمِيمِهِ * مِمَّا يَرَى نَدْمًا عَلَى الْإِبْهَامِ

يَوْمُ قَضَةِ

قال : ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يُبَالِ بأى قبيلة من قبائل بكر وقع ، وكانت أكثر بكر قعدت عن نصرة بنى شَيْبَانَ لقتلهم كُلِّيًّا ، وكان الحارث بن عَبَاد قد أصرت تلك الحروب ، حتى قُتِلَ أَبْنَاهُ يُجَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبَاد ، فلما بلغه قتله قال : نعم القَتِيلُ قَتِيلٌ أَصْلَحَ بَيْنَ آبَائِي وَائِلٍ ، وظن أن المهلهل قد أدرك به ثار

(١) واردات : موضع عن يسار طريق مكة .

(٢) العير : الزعفران .

كَلْبٍ وجعله كفؤاً له ، فقيل له : إنما قتله بِشَيْع نَعْلِ كَلْبٍ . وكان المهلهل قال
لَمَّا قَتَلَ يُجَيْرَ بْنَ الْحَارِثِ : بُوْ بِشَيْع نَعْلِ كَلْبٍ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْحَارِثُ ذَلِكَ غَضِبَ ،
وكان له فرس يقال له النعمامة ، فركبها وتولّى قتال تغلب بنفسه ، فكانت الدائرة
فيه على تغلب ، ففترقت قبائل تغلب وهرب المهلهل . وقال الحارث بن عباد :

قَرَبًا مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي * لَقِصَحَتْ حَرْبٌ وَأَثَلٌ عَنِ حِيَالِي
قَرَبًا مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي * شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرَتْنِي رِجَالِي
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَظِيمُ اللَّهِ * لَهُ وَإِنِّي يَحْتَرُّهَا الْيَوْمَ صَالِ

في قصيدة طويلة نحو المائة بيت كثر فيها :

* قَرَبًا مَرَبِطَ النِّعَامَةِ مِنِّي *

١٠ في خمسين بيتاً .

وكان أول يوم شهده الحارث يومَ قِصَّة ، وهو يومَ تَخْلَاقِ اللَّحْمِ ، وفيه
يقول طَرَفَة :

سَأَلُوا عَنَّا الَّذِي يَعْرِفُنَا * بَعْدَ أَنَا يَوْمَ تَخْلَاقُ اللَّحْمُ
يَوْمَ تُبْدَى الْبَيْضُ عَنْ أَسْوَفِهَا * وَتَلَفَ الْخَيْلُ أَعْرَاجَ النَّعَمِ
(١) (٢) (٣) (٤)

١٥ (١) أسؤق : جمع لساق ، همزت الواو فيه لتحمل الضمة ، أى يوم تكشف النساء البيض
عن سيقانها من الفزع .

(٢) تلف : تمحج .

(٣) كذا في الأغاني (ج ٥ ص ٤٤ طبع دار الكتب المصرية) وأعراج : جمع عرج (بالفتح
ويكسر) وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى تسعين ، أو هو مائة ونحوه وفوقها ، أو من
نعمامة إلى ألف . وفي الأصول : « أفراخ » .

(٤) النعم (بالحر بك وقد نسكن عنه) : الإبل .

يوم تَخْلَقِ اللَّمَمَ

ويوم تَخْلَقِ اللَّمَمَ، إنما سُمِّيَ بذلك لأن الحارث بن عباد لما تَوَلَّى الحرب قال لقومه: اِجْلُوا معكم نساءكم يَكُنَّ من ورائكم، فإذا وَجَدَنَّ جريحاً منهم قتلوه، وإذا وَجَدَنَّ جريحاً مَنَّا سَقَيْنَهُ وَأَطْعَمْنَهُ، فقالوا: ومن أين يَتِمُّ لَاحُظٌ؟ فقال: احلقوا رؤوسكم لتتازوا بذلك، ففعلوا، فُسِّمِيَ به، فقال بِحَدْرٍ بنِ ضَبِيعَةَ — وكان من شجعانهم —: اتركوا لِمَتِّي وأقتل لكم أَوَّلَ فارسٍ يَقدُمهم، فتركوه، وهو الذي قتل عمرًا وعاصراً التغلبيَّان، طعن أحدهما بسنان رَحمته، والآخَرُ بَرجه، ثم صرع بعد ذلك، فلما رآته نساء بكر دون حَلَقِ ظَنَوهُ من تغلب فأجهزوا عليه.

وفي هذا اليوم أَسَرَ الحارثُ بنُ عَبادٍ المَهْلَهْلَ عَدِيَّ بنَ ربيعة وهو لا يعرفه فقال له: دُلَّنِي عَلَى عَدِيٍّ وَأُخْلِ عَنكَ، فقال له عَدِيٌّ: عليك العَهْدُ بذلك إن دَلَّكَ عليه، قال نعم، قال فأنا عَدِيٌّ، فجَزَّ ناصيته وتركه وقال فيه:

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَع * رِفَ عَدِيًّا إِذَا أُمَكَّنْتَنِي الْبَدَانِ

وكان الحارث آلى ألا يصالح تغلباً حتى تكلمه الأرض، فلما كثرت وقائعه في تغلب ورأت تغلب أنها ما تقوم له حفروا سرباً تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلاً وقالوا له: إذا مرَّ بك الحارثُ ففَنِّ بهذا البيت:

أَبَا مُنْذِرٍ أَتَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا * حَتَانَيْكَ بَعْضُ الشَّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

فلما مرَّ الحارثُ أَدْفَعَ الرَّجُلُ وَغَنَّى بِالْبَيْتِ، ففعل الحارثُ قد برَّبَقَ سَمَكاً فأَبَقَ بَقِيَّةَ قَوْمِكَ، فأَمَسَكَ، فَأَصْطَلَحَتْ بَكَرٌ وَتَغَلَّبَ.

(١) عالية الرمح: سنامه.

(٢) زَجَّ الرمح: حديدته في أسفل.

ثم إن المهلهل فز بنفسه فنزل بمذبح في بني جنب^(١) ، فخطبوا إليه أبنته ، وقيل
أخته ، فسمعهم ، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه جلوداً من آدم ، فقال في ذلك :

أُعِزُّ زُ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتَهُ * أَخْتُ بَنِي الْأَكْرَمِينَ مِنْ جُثَمِ
أَنكِحْهَا فَقَدْ هَا الْأَرَاقِمُ فِي * جَنْبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمِ
لَوْ بَابَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا * ضَرَّجَ مَا أَنْفَ خَاطِبٍ يَدَمِ
لَيْسُوا بِأَكْفَانِيَا الْكِرَامِ وَلَا * يُغْنُونُ فِي ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ

ثم أشتري المهلهل عبيدين يغزوان معه ، فغزا بهما حتى طال عليهما ذلك ،
فأختارا الراحة منه ، فأجمعا على قتله بموضع قفر ، فلما شعر بما هما به ولم ير لنفسه
ملجأ قال لهما : أبلغا عني هذا المراسلة ، فقالا هات ، فقال :

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي بَأَنَّ مَهْلَهْلًا * اللَّهُ دَرْكًا وَدَرْ أَيْبَكُمَا

فلما قتلاه وأنصرفا نحو بيته فقالا : مات بارض كذا وكذا وصيته ، فلم يدر
أحد ما أراد ، فقالت أبنته : والله ما كان أبي ردى الشعر ، ولا سفساف الكلام ،
وإنما أراد أن يخبركم أن العبدین قتلاه ، وإنما معنى البيت :

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي بَأَنَّ مَهْلَهْلًا * أَصْحَى قَتِيلًا بِالْفَلَا مُجْدَلًا

لَهُ دَرْكًا وَدَرْ أَيْبَكُمَا * لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يُقْتَلَ

فقتل العبدان بعد أن أقرأ بذلك . وقيل : إنه أصبح قتيلا بين رجل يحمل
هاج . والله تعالى أعلم بالصواب .

(١) جنب : حمى من مذبح ، وهم ستة رجال : منه والحارث والعلی وسبحان وشمران وعفان
يقال لم جنب لأنهم جانبوا أخاهم صداة . (راجع معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧ طبع أوربا) .
(٢) الأراقم : حمى من تغلب . (٣) أبانين : جبلان ، قيل : يقال لأحدهما : أبان
الأبيض ، وللآخر : أبان الأسود .

الكلابُ الأول

قال أبو عبيدة : لما تسافهت بكر بن وائل وغلها سفهاؤها ، وتقاطعت أرحامها ؛ أرتأى رؤسائهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا ، فأكل القوى الضعيف ، فزى أن نملك علينا ملكا نعطيه الشاة والبعر ، فiaخذ للضعيف من القوى ، ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فإياه الآخرون ، فيفسد ذات بيننا ، ولكننا نأتى تبعا فنملكه علينا ، فأتوه [فذكروا له أمرهم] فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المزار الكندي ، فقدم فزل بطن عاقل .^(٢)

ثم غزا بكر بن وائل حتى أتزع عامة ما في أيدي ملوك الحيرة الحميين ، وملوك الشام الغسانيين ، وردهم الى أقاصى أعمالهم ، ثم طعن في نيطة فسات فدفن بيطن عاقل . وأختلف أبناء شُرَحْبِيل وسلمة في الملك ، فتواعدا الكلاب ، فأقبل شُرَحْبِيل في ضبة والرباب كلها ، وبني يربوع ، وبكر بن وائل . وأقبل سلمة في تغلب والثمر وبهراء ومن تبعه من بني مالك بن حنظلة ، وعليهم سُفَيان بن مُجاشع ، وعلى تغلب السقاج ، وإنما قيل له السقاج لأنه سفح أوعية قومه وقال لهم : اندروا الى ماء الكلاب ، فسبقوا ونزلوا عليه ، وإنما خرجت بكر مع شُرَحْبِيل لعداوتها لبني تغلب ، فالتقوا على الكلاب ، وأستحرَّ القتل في بني يربوع ، وشذ أبو حنش على شُرَحْبِيل فقتله ، وكان شُرَحْبِيل قد قتل ابنه حنشًا ، فأراد أبو حنش أن يأتي برأسه الى سلمة ، فخافه فبعثه مع عسيف له ، فلما رآه سلمة دمعت عيناه وقال له :

١٣٢
١٣

(١) الكلمة من العقد الفريد . (٢) عاقل : واد بجند .

(٣) الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : ماء بين جبلة وشام على سبع ليال من الحيمة .

أنت قتلتني؟ قال لا، ولكن قتله أبو حنّس، إنما أَدفع الثواب إلى قاتله، فهرب أبو حنّس منه، فقال سلمة في ذلك :

ألا أبلغ أبا حنّس رَسُولًا * فمالك لا تَجِيءُ إلى الثَّوابِ
تَعْلَمُ أن خيرَ الناسِ طَرًّا * قَتِيلٌ بَيْنَ أَحْجارِ الكُلابِ

يَوْمُ الصَّفَقَةِ

وهو يومُ الكُلابِ الثاني

قال أبو عبيدة : كان يومُ الكُلابِ متصلا بيوم الصَّفَقَةِ ^(١) . وكان من حديث الصَّفَقَةِ أن كسرى كان قد أوقع بني تميم ، فأخذ الأموال وسبي الذراري بمدينة هجر ^(٢) ، وذلك أنهم أغاروا على لطيمة له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير ، فسميت تلك الوقعة يوم الصَّفَقَةِ ، ثم إن بني تميم أداروا أمرهم ، وقال ذو الحجي منهم : إنكم قد أغضبتم الملك ، وقد أوقع بكم حتى وهنتم ، وتسامعت بما لقيتم القبائل ، ولا تأمنون دَوْرانَ العرب .

فجمعوا سبعةً من رؤسائهم وشاوروهم في أمرهم ، وهم : أكتم بن صيفي الأسدي ، والأخيمر بن يزيد بن مرة المازني ، وقيس بن عاصم المنقري ، وأبير بن عصمة التيمي ، والنعمان بن جساس التيمي ، وأبين بن عمرو السعدي ، والزبرقان بن بدر السعدي فقالوا لهم : ماذا ترون؟ فقال أكتم بن صيفي ، وكان يكنى أبا حنّس : إن الناس قد بانهم مالفينا ، ونخاف أن يطمعوا فينا وإني قد نيّفت على التسعين ، وقد نخل قلبي كما نخل جسمي ، وأخاف ألا يدرك ذهني الرأي لكم ، فليعرض علي

(١) سمي الصَّفَقَةُ ، لأن كسرى أنوشروان أصفق الباب على بني تميم في حصن المشقر ، ويسمى

أيضا : يوم المشقر ، والمشقر : حصن بالبحرين . (٢) هجر : اسم الأرض بالبحرين .

كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَأَىهِ وَمَأْمُوحُضْرُهُ فَإِنِى مَتَى أَسْمَعَ الْحَزْمَ أَعْرَفَهُ ، فَقَالَ كُلُّ مِنْهُمْ مَا عِنْدَهُ ،
وَأَكْتُمُوا [سَاكُتٌ] لَا تَتَكَلَّمُوا ، حَتَّى قَامَ النُّعْمَانُ بْنُ الْحَسَّاسِ فَقَالَ : يَا قَوْمُ ، أَنْظَرُوا مَاءً يَجْمَعُكُمْ
وَلَا يَعْلَمُ النَّاسُ بِأَيِّ مَاءٍ أَنْتُمْ حَتَّى تَنْفَرَجَ الْخَلْقَةُ عَنْكُمْ ، وَقَدْ صَلَّحْتُ أَحْوَالَكُمْ ، وَأَنْجَبَرُ
كَيْسِيرُكُمْ ، وَقَوَى ضَعِيفُكُمْ ، وَلَا أَعْلَمُ مَاءً يَجْمَعُكُمْ إِلَّا قِدَّةً ، فَقَالَ أَكْتُمُوا : هَذَا [هُوَ]
الرَّأْيُ ، فَأَرْتَحِلُوا حَتَّى تَزِلُوا الْكَلَابَ ، وَبَيْنَ أَدْنَاهُ وَأَقْصَاهُ مَسِيرَةُ يَوْمٍ ، وَأَعْلَاهُ مِمَّا
بِئْلِ الْيَمَنِ ، وَأَسْفَلُهُ مِمَّا بِئْلِ الْعِرَاقِ . فَزَلَّتْ سَعْدُ وَالرَّيَابُ بِأَعْلَى الْوَادِي ، وَزَلَّتْ
حَنْظَلَةُ بِأَسْفَلِهِ .

قَالَ : وَكَانُوا لَا يَخَافُونَ أَنْ يَغْزُوا فِي الْقَيْظِ ، لُبَعْدِ تِلْكَ الصَّحَارَى وَشِدَّةِ
الْحَرِّ بِهَا وَقِلَّةِ الْمَاءِ ، فَأَقَامُوا بِقِيَّةِ الْقَيْظِ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِمَكَانِهِمْ ، حَتَّى إِذَا تَهَوَّرَ^(٢)
الْقَيْظُ بَعَثَ اللَّهُ ذَا الْعَيْنَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ حَبْرَ ، فَمَرَّ بِقِدَّةٍ وَصَحَارِهَا ،
فَرَأَى مَا بِهَا مِنَ النَّعْمِ ، فَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى أَهْلَ حَبْرَ فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ فِي جَارِيَةِ عَذْرَاءَ ،
وَمُهِرَّةٍ شَوْهَاءَ ، وَبَكْرَةٍ حَمْرَاءَ ، لَيْسَ دُونَهَا نَكْبَةٌ ؟ قَالُوا : وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ ؟ قَالَ : تِلْكَ
تَمِيمُ أَلْفَاءُ^(٣) مَطْرُوحُونَ بِقِدَّةٍ . فَشَنَّى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَقَالُوا : اغْتَنِمُوهَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .
فَانْخَرَجُوا مَعَهُمْ أَرْبَعَةَ أَمْلاكٍ يُقَالُ لَهُمُ الْيَزِيدِيُّونَ : يَزِيدُ بْنُ هَوْبَرٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ
عَبْدِ الْمَسْدَانِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمَأْمُومِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْحَرَمِ ، وَهُمْ كُلُّهُمْ حَارِثِيُّونَ وَمَعَهُمْ
عَبْدُ يُغُوثِ الْحَارِثِيَّ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْفَيْنِ ، فَمَضَوْا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبِلَادِ
بَاهِلَةَ قَالَ جَرِيرُ بْنُ جَرَّةٍ الْبَاهِلِيُّ لِأَبْنِهِ : يَا بَنِيَّ ، هَلْ لَكَ فِي أَكْرُومَةٍ لَا يُصَابُ أَبَدًا
مِثْلُهَا ؟ قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمٍ قَدْ جَلَاوَا هَاهُنَا مَخَافَةَ كَسْرِي ،
وَقَدْ قَصَصْتُ أَثَرَ الْجَيْشِ يَرِيدُونَهُمْ ، فَأَرْكَبْ جَمْلِي الْأَرْحَجِيَّ ، وَسِرُّ سِيرَا رُؤَيْدَا

(١) النكلة من العقد الفريد . (٢) تهوّر القَيْظُ : ذهب . (٣) الشوّهاء . ن .
الخيول : الطويلة الرائعة . (٤) أَلْفَاءُ : جمع لَفٍّ ، وهو ما طرح على الأرض .

(١) عقبة من الليل ، ثم حلّ عنه حبله وأُنْخِهُ وتوسّد ذراعه ، فإذا سمعته قد أفاض يجرّيه وبال فاستنقعت نِفْثاته في بَوْلِهِ ، فشدّ حبله ثم ضع السوط عليه ، فإنك لا تسأل جملك شيئا من السير إلا أعطاكه حتى تصبّح القوم . ففعل ما أمره به .

قال الباهلي : خفلت بالكلاب قبل الجيش فنادت : يا صباحاه ! فإنهم لَيَبِيُونَ إِلَى لَيْسَالُونِي مَنْ أَنْتَ ؟ إِذَا أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي شَقِيقٍ عَلَى مُهْرٍ قَدْ كَانَ فِي النَّعْمِ فَنَادَى : يَا صَبَاحَاهُ ، قَدْ أَتَى عَلَى النَّعْمِ ، ثُمَّ كَرَّرَ جَمْعًا نَحْوَ الْجَيْشِ ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ يَغُوثِ الْحَارِثِيُّ وَهُوَ أَوَّلُ الرِّعْلِ ، فَطَعَنَهُ فِي رَأْسِ مِعْدَتِهِ فَسَبَقَ اللَّبَنُ الدَّمَ ، فَقَالَ عَبْدُ يَغُوثِ : أَطِيعُونِي وَآمُضُوا بِالنَّعْمِ وَخَلُّوا الْعَاجِزَ مِنْ تَمِيمٍ سَاقِطَةً أَفْوَاهُهَا ، فَقَالُوا : أَمَا دُونَ أَنْ تُنْكَحَ بَنَاتُهُمْ فَلَا .

وقال صَمْرَةُ بْنُ لَبِيدِ الْحَمَاسِيِّ ثُمَّ الْمَذْحِجِيُّ الْكَاهِنُ : أَنْظَرُوا إِذَا سَقُمَ النَّعْمُ فَإِنْ أَتَاكُمْ الْخَيْلُ عُصْبًا [عُصَبًا] تَنْتَظِرُ الْعَصْبَةَ أَنْ تَنْتَظِمَ الْأُخْرَى حَتَّى تَلْتَحِقَ بِهَا فَإِنْ أَمَرَ الْقَوْمُ هَيْئًا ، وَإِنْ لَحِقَ بِكُمْ الْقَوْمُ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَرْتَدُّوا وَجُوهَ النَّعْمِ فَإِنْ أَمَرَهُمْ شَدِيدًا .

وتقدّمت سعد والرباب في أوائل الخيل وألْتَقَوْا بِالْقَوْمِ فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِمْ ، وَاسْتَقْبَلُوا النَّعْمَ وَلَمْ يَنْتَظِرْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَرَأَيْتُ الرَّبَابَ النَّعْمَانُ بْنَ الْجَسَّاسِ ، وَرَأَيْتُ بَنِي سَعْدِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ، فَالْتَقَى الْقَوْمُ ، فَكَانَ النَّعْمَانُ أَوَّلَ صَرِيعٍ ، وَأَقْتَتَلَ الْفَرِيقَانِ حَتَّى حُجِزَ بَيْنَهُمَا اللَّيْلُ ، ثُمَّ أَصْبَحُوا عَلَى رَايَاتِهِمْ ، فَنَادَى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ : يَا آلَ سَعْدِ ! يَرِيدُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَنَادَى عَبْدُ يَغُوثِ : يَا آلَ سَعْدِ ! يَرِيدُ سَعْدُ الْعَشِيرَةِ ، فَلَمَّا سَمِعَ قَيْسُ ذَلِكَ نَادَى : يَا آلَ كَعْبِ ! يَرِيدُ كَعْبُ بْنُ سَعْدِ ، وَنَادَى عَبْدُ يَغُوثِ : يَا آلَ كَعْبِ ! يَرِيدُ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَادَى :

(١) عقبة من الليل : أى ساعة .

يَا آلَ مُقَاعِسِ ! فلما سمع وعلة ابن عبد الله الحرثي - وكان صاحب لواء أهل اليمن - نادى : يَا آلَ مُقَاعِسِ ، تفاعل به فطرح له اللواء ، وكان أول من أنهزم ، فحملت عليهم سعد والرباب فهزموهم ، ونادى قيس بن عاصم : يَا آلَ تَيْمٍ ، لا تقتلوا إلا فارما فإن الرجالة لكم ، ثم جعل يرتجز ويقول :

لَمَّا تَوَلَّوْا عَصَبًا شَوَازِبًا * أَقْسَمْتُ لَا أُطْعِنُ إِلَّا رَاكِبًا

* إِنِّي وَجَدْتُ الطَّعْنَ فِيهِمْ صَائِبًا *

وأمر قيس بن عاصم أن يتبعوا المنهزمة ، ويعرقوا من لحقوه ، ولا يشتغلوا بالقتل عن اتباعهم ، فحزوا دوابهم ، وفي ذلك يقول وعلة :

فَدَيْ لَكُمْ أَهْلِي وَأُمِّي وَوَالِدِي * غَدَاةَ كَلَّابٍ إِذْ تُحْزِلُ الدَّوَابِرُ

وأسر عبد يغوث ، أسره مصاد بن ربيعة بن الحارث وكنته وأردفه خلفه ، وكان مصاد قد أصابته طعنة في مابضه ، وكان عرقه يهيم ، فترفه الدم ، قال عن فرسه مقلوبا . فلما رأى ذلك عبد يغوث قطع كتافه وأجهز عليه وأنطلق على فرسه ، وذلك أول النهار ، ثم ظفر به بعد في آخره ، ونادى مناد : قتل اليزيدون ، وشد قيصة بن ضرار الضبي على ضمرة بن لبيد الجاسي الكاهن فطعنه فخر صريعا ، فقال له قيصة : أَلَا أَنْبَاكَ تَابِعُكَ بِمَصْرَعِكَ الْيَوْمَ ، ثم أسر عبد يغوث ، أسره عصمة بن أبير التيمي .

قال أبو عبيدة : انتهى عصمة بن أبير إلى مصاد فوجده صريعا ، وكان قبل ذلك رأى عبد يغوث أسيرا في يديه ، فعلم أنه الذي أجهز عليه فأقتص أثره فلحقه وقال : ويحك ! إني رجل أحب اللين ، وأنا خير لك من الفلاة والعطش . قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : عصمة بن أبير ، فأنطلق به عصمة حتى جثاه عند الأهم على

(٢) يهي : يسيل .

(١) شوازيا : ضوامر .

أن جعل له من فدائه جُعلاً ، فتركه الأهم عند أمراته العيشمية ، فأعجبها جمالُه
وكَلَّ خلقته ، وكان عصمة الذي أسره غلاماً نحيفاً ، فقالت له : مَنْ أنت ؟ قال :
أنا سيّد القوم ، فضحكت وقالت : قبّحك الله سيّد قوم حين أسرك مثل هذا ،
ففى ذلك يقول عبْدُ يغوث :

وَتَضَحَّكَ مَنَى شَيْخَةٌ عَيْشِمِيَّةٌ * كَأَنَّ لَمْ تَرَى قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا

فأجتمعت الرّبابُ الى الأهم وقالت : ثارنا عندك ، وقد قُتل مَصاد والنعمان
فأخرجهم إلينا ، فأبى الأهم أن يُخرجه إليهم ، فكاد أن يكون بين الحيين : الرّباب
وسعد ، فتنة حتى أقبل قيسُ بنُ عامِ المِنَقَرِيّ فقال : أبُوئَيّ قطع حلف الرّباب من
قَبْلنا ؟ فضرب فاه بقوس فهتَمه ، فسَمَى الأهم ، فقال الأهم : إنما دفعه إلى عصمة
ابن أير ، ولا أدفعه إلّا لمن دفعه إلىّ ، فليجئ فياخذهُ ، فأتوا عصمة فقالوا :
ياعصمة ، قُتل سيّدنا النعمان وفارُسنا مَصاد ، وثارنا أسيرك ، فما كان ينبغي لك
أن تستحييه ! فقال : إني مُعِل وقد أصبْتُ الغنى ، ولا تطيب نفسي على أسيري ،
فأشتراه بنو جَسّاس بمائة بعير ، فدفعه إليهم ، فحشوا أن يَهْجُوهم ، فشدوا على
لسانه نِسعة ، فقال : إنكم قاتلي لا محالة ، فدعوني أذم أصحابي وأنوح على نفسي !
فقالوا : إنك شاعرٌ ونخاف أن تهْجُونَا ، فعقد لهم ألا يفعل ، فأطلقوا لسانه ،
فقال قصيدته التي أولها :

(١) قال أبو علي القالي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٤ طبع دار الكتب المصرية) : « قال الأجلش :
رواية أهل الكوفة : كان لم ترن قبلي ، وهذا عندنا خطأ ، والصواب : ترى بحذف النون علامة للجزم .
وهذا مبنى على أن الفعل مستد ليا المحاطبة على معنى كان لم ترى أنت ، فيكون فيه إلغاف من الغيبة
الى الخطاب ولم يحكم أحد من النحاة ، بل الذي ذكره صاحب المغنى أن أبا علي نرج البيت على أن أصل
الفعل رأى بهمة بعدها ألف ثم حذف الألف للجزم ، ثم أبدلت الهجزة ألفاً ، وعال بما يطول فاقطره
في مبحث « لم » .

أَلَا تَلُمُونِي كَفَى الْيَوْمَ مَا يَبَا * فَكَلَّمَا فِي الْيَوْمِ خَيْرٌ وَلَا يَبَا

ومنها :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ ^(١) * أَمْعَشَرَتَيْمَ أَطْلِقُوا لِي لِسَانِي ^(٢)
 أَمْعَشَرَتَيْمَ قَدْ مَلَكْتُمْ فَأَجْجُوا * فَإِنْ أَسَارِي لَمْ يَكُنْ مِنْ تَوَانِيَا ^(٣)
 وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْسِي مُلِيكَةً أَنِي * أَنَا اللَّيْتُ مَعْدِيَا عَلَيْهِ وَعَادِيَا

ومنها :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ * نَحْلِي كَرِي قَاتِلِي عَنْ رَجَالِيَا ^(٤)
 وَلَمْ أَسْبِ الزَّقَّ الرَّوِيَّ وَلَمْ أَقْلُ * لِأَسَارِ صَدِيقٍ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا ^(٥)
 قَالَ : فَلَمَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ قَالَتْ ابْنَةُ مَصَاد : بُؤْ بِمَصَاد ! فَقَالَ بَنُو النِّعْمَانِ : ^(٦)
 يَا الْكَاعُ ! نَحْنُ نَشْتَرِيهِ بِأَمْوَالِنَا وَنُبْؤُ بِمَصَاد ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ الشَّرَّ ،
 ثُمَّ أَصْطَلَحُوا .

(١) ذكر أبو علي القالي في أماليه (ج ٣ ص ١٣٣ طبع دار الكتب المصرية) ما نصه : «وقوله :
 وقد شدوا لساني بنسعة ، قال : هذا مثل ، لأن الإنسان لا يشد ، بنسعة ، وإنما أراد : اضلوا بي خيرا ينطلق
 لساني بشركم ، فإن لم تفعلوا فلساني مشدود لا يقدر على مدحكم » .
 (٢) أصبحوا : أي سهلوا ويسروا في أمري .
 (٣) رواية الأمالى :

* فَإِنْ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ يَوَانِيَا *

قال : البواء : السواء ، يريد إن أخاكم لم يكن نصيرا لي فأكون بواء له .

(٤) كرى : نفسى .

(٥) السباء : اشتراء الخمر .

(٦) بؤ بفلان ، أي اذهب به ، يقال ذلك تقتول بمن قتل .

(١)

يَوْمُ طَخْفَةِ

(٢)

قال : كانت الرّفاة، وقيل الرداقة، رداقة الملوك لعتاب بن هَرَمِي بن رِيّاح، ثم كانت لقيس بن عتاب ، فسأل حاجبُ بن زُرارة النعمان أن يجعلها للحارث بن مرط بن سفيان بن مُجاشع ، فسألها النعمانُ بنى يربوع وقال : أعقبوا إخوتكم في الرفاة، قالوا : إنهم لا حاجة لهم فيها، وإنما سألها حاجبٌ جسدًا لنا وأبوا عليه، فقال الحارث بن شهاب وهو عند النعمان : إن بني يربوع لا يسلّمون رداقتهم إلى غيرهم . وقال حاجب : إن بعث الملك إليهم جيشا لم يمنعوه ولم يمتنعوا . فبعث النعمان إليهم قابوسًا ابنه، وحسان بن المنذر، فكان قابوس على الناس، وحسان على المقدمة، وبعث معهم الصنائع والوضائع — فالصنائع : من كان يأتيه من العرب، والوضائع : المقيمون بالخير — فالتقوا بطخفة، فأنهزم قابوس. ومن معه، وضرب طارقُ بنُ عميرة فرسَ قابوس فعقره، وأخذه ليجز ناصيته، فقال قابوس : إن الملوك لا تُجز نواصيها، فجهزه وأرسله إلى أبيه ، وأما حسان بن المنذر فأسره بشر ابن عمرو الرياحي، ثم منّ عليه وأرسله، ففى ذلك يقول مالك بن نويرة :

وَنَحْنُ عَقَرْنَا مَهْرَ قَابُوسَ بَعْدَ مَا * رَأَى الْقَوْمُ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْخَيْلُ تُلْحَبُ^(٣)

عَلَيْهِ دِلَاصٌ ذَاتُ نَسْجٍ وَسَيْفُهُ * جُرَّازٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ أَيْصُ مِقْضَبُ^(٤)

(١) طخفة : موضع في طريق البصرة إلى مكة .

(٢) الرداقة : كانت الرداقة بمنزلة الوزارة . وكان الرديف يجلس على يمين الملك إذا جلس، ويردده وراءه إذا ركب ، وإذا نزل جلس عن يمينه فتصرف إليه كأس الملك إذا شرب ، وله ربع ضخمة الملك من كل غزوة يفتز، وله إمارة على كل من في طاعة الملك :

(٣) تلحَب : تلهت .

(٤) الدلاص من الدروع : اللينة .

(١١)

يَوْمُ فَيْفِ الرِّيحِ

قال أبو عبيدة : تجمعت قبائل مذحج وأكثرها بنو الحارث بن كعب ، وقبائل من مراد وجعفي وزبيد وخثعم ، وعليهم أنس بن مذرك ، وعلى بنى الحارث الحَصِينُ ، فأغاروا على بنى عامر بن صعصعة بقَيْفِ الرِّيحِ ، وعلى بنى عامر ، عامرُ بن مالك مُلاعبُ الأسيئة .

قال : فأقتل القوم ، فكسروهم ، وأرفضت قبائل من بنى عامر ، وصبرت بنو نمر ، وأقبل عامرُ بنُ الطَّقِيلِ وخلفه دُعَى بنى جعفر فقال : يا معشرَ الفتيان ، من ضرب ضربة أو طعن طعنة فليشهدنى [فكان ^(٢)] الفارس إذا ضرب ضربة أو طعن طعنة ، قال عند [ذلك] : أباعلى ، فبينا هو كذلك إذ أتاه مُسَهِرُ بنُ يزيد الحارثى ، فقال له من ورائه : عندك يا عامر والريح عند أذنه فوهصه — أى طعنه — ، فأصاب عينه ، فوثب عامر عن فرسه ونجا على راحلته ، وأخذ مسهر رِيحَ عامر ، ففى ذلك يقول عامرُ بنُ الطفيل من أبيات :

لَعَمْرَى وما عَمَّسَى عَلَى بَهَيْنٍ * لَقَدْ شَانَ حَرَّ الْوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرٍ
وقال مُسْهِر — وقد زعم أنهم أخذوا امرأة عامر — :

وَهَضَّتْ بِحُورِصِ الرِّيحِ مُقْلَةَ عَامِرٍ * فَاصْطَحَى نَحِيفًا فِي الْقَوَارِسِ أَعْوَرًا
وَعَادَرْنَا رُفْحَهُ وَسِلَاحَهُ * وَأَذْبَرِيْدُعُو فِي الْهَوَالِكِ جَعْفَرًا
وَكَمَا إِذَا قَيْسِيَّةٌ ذَهَبَتْ بِنَا * جَرَى دَمْعُهَا مِنْ عَيْنَيْهَا فَتَحَدَّرَا
خَافَةً مَا لَاقَتْ حَلِيلَةَ عَامِرٍ * مِنَ الشَّرِّ إِذْ سَرَّاهُمَا قَدْ تَعَفَّرَا

(١) فيف الرِّيحِ : موضع بأعلى نجد . (٢) التكلة من العقد الفريد .

(٣) فى أمالى القالى (ج ٣ ص ١٤٧ طبع دار الكتب المصرية) : « مسهر بن زيد » .

(٤) نمرص الرِّيحِ : سنامه .

قال : وكانت هذه الواقعة وقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ،
وأدرك مسير بن يزيد الإسلام فأسلم .

يوم زُرود الأول

غزا الحَوْفَزَانُ حتى انتهى إلى زُرود خلف جبل من جبالها ، فأغاروا على نعيم
كثير لبني عَبَسَ فآجَازوها ، وآتى الصريحُ^(٢) لبني عَبَسَ فركبوا ، ولحق عمارَةُ بن زياد
العَبَسِي الحَوْفَزَان فعرفه — وكانت أم عمارَةَ قد أرضعت مُضَرَ بن شَرِيك ، وهو
أخو الحَوْفَزَان — فقال : يا بني شَرِيك ، قد علمتم ما بيننا وبينكم ، قال الحَوْفَزَان —
وهو الحارثُ بن شَرِيك — : صدقت يا عمارَةَ ، فانظر كلَّ شيء هو لك نخذه ، فقال
عمارَةُ : لقد علمتُ نساء بني بكر بن وائل أتى لن أُملاً أيدى أزواجهن وأبنائهن
شفقةً عليهن من الموت ، فحلَّ عمارَةَ ليعارض النعم ليرده ، وحال الحَوْفَزَان بينه وبين
النعم ، فعثرت بعمارة فرسه فطعنه الحَوْفَزَان ، وطعنه نعامَةُ بن عبد الله بن شَرِيك :
وأمر أبنائهم عمارَةَ : سنان وشداد ، وكان في بني عَبَسَ رجلان من طيء : أبنان لأوس
ابن حارثة ، مجاورين لهم ، وكان لهما أخ أسير في بني يَشْكُر ، فلما فقصته بنو شيبان
نادوا : يا نارات معدان ! فعند ذلك قتلوا أبنَى عمارَةَ وهرب الطائيان بأسيرهما .
فلما برئ عمارَةَ من جراحه أتى طيئاً فقال : ادفعوا إلى هذا الكلب الذي قُتِلنا به ،
فقال الطائي لأوس : ادفع إلى بني عَبَسَ صاحبهم ، فقال لهم : تأمرني أن أعطي
بني عَبَسَ فطرةً من دمي ، وإن أبنَى أسير في بني يَشْكُر ؟ فوالله ما أرجو فكاً كه

(١) زُرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة .

(٢) الصريح : المستفيث .

لَا يَهْذَا . فَلَمَّا قَفَلَ الْحَوْفَرَانِ مِنْ غَزْوِهِ بَعَثَ إِلَى بَنِي يَشْكُرَ فِي ابْنِ أَوْسٍ ، فَبَعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ ، فَأَقْنَدَى بِهِ مَعْدَانُ ، وَقَالَ نَعَامَةٌ بَنُ شَرِيكَ :

اسْتَزَلَّتْ رِمَاحُنَا سِنَانًا * وَشَپَّخْنَا بِطُحْفَةٍ عَنَانَا
ثُمَّ أَخُوهُ قَدْ رَأَى هَوَانًا * لَمَّا فَقَدْنَا بَيْنَنَا مَعْدَانَا

يَوْمُ غَوْلِ الْأَوَّلِ

وَهُوَ يَوْمُ كَنْهَلٍ

قال أبو عبيدة : أقبل أبنا هجيمة - وهما من غسان - في جيش فتزلا في بني يربوع ، فجاؤا طارق بن عوف بن عاصم بن ثعلبة بن يربوع ، فتزلا معه على ماء يقال له : كَنْهَلُ ، فأغار عليهما أناس من ثعلبة بن يربوع ، فاستاقوا نَعْمَهُمَا وأَسْرَوْا مِنْ كَانَ فِي النَّعَمِ ، فركب قيس بن هجيمة بخيله حتى أدرك بني ثعلبة ، ففكر عليه عتيبة بن الحارث ، فقال له قيس : هل لك يا عتيبة إلى البراز؟ قال : ما كنت لأَسْأَلَهُ وَأَدْعُهُ ، فبارزه ، قال عتيبة : فما رأيتُ فارسا أملاً لعيني منه ، فطعنني فأصاب قربوس سرجي ، حتى وجدتُ مَسَّ السَّيْفِ فِي بَاطِنِ لَحْذِي ، ثم أرسل الرِّمْحَ وهو يرى أن قد أثبتني [وأنصرف ^(١)] فأتبعته الفرس ، فلما سمع زَجَلَهَا رَجَعَ جانحاً على قربوس سرجه ، وبدأ لي فرج الدَّرْعِ فطعنته بالرِّمْحِ ، فقتلته وأنصرفتُ ١٥ فلحقْتُ النَّعَمَ ، وأقبل الهِرْمَاسُ بْنُ هُجَيْمَةَ فوقف على أخيه قتيلًا ، ثم أتبعني فقال : هل لك في البراز؟ فقلت : لعل الرجعة خيرُ لك ، قال : أبعد قيس؟ ثم شدَّ على وضربني على البيضة ، فخلص السيف إلى رأسي ، فضربته فقتلته ، فقال جرير :

وَسَاقَ ابْنِي هُجَيْمَةَ يَوْمَ غَسُولٍ * إِلَى أَسْيَافِنَا قَسْدَرُ الْجَمَامِ

(١) التَّكَلُّمَةُ مِنَ الْعَقْدِ الْفَرِيدِ .

(٢) الزَّجَلُ : الصَّوْتُ .

(١)
يَوْمُ الْجُبَابَاتِ

قال أبو عبيدة : خرج بنو ثعلبة بن يربوع فرؤوا بناس من طوائف بكر بن وائل بالجبابات ، خرجوا سفارا ، فزلوا وسرحوا لإبلهم ترعى ، وفيها نفرٌ منهم يرعونها ، منهم : سَوَادَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ يُحْيَى الْعَجَلِيّ ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، وَكَانَ مَجْمُومًا ، فَمَرَّتْ بَنُو ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بِالْإِبِلِ فَاطَّارُوهَا وَأَخَذُوا الرِّجَالَيْنِ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ ، فَسَالُوهُمَا : مَنْ مَعَكُمْ ؟ قَالَا : مَعَنَا شَيْخٌ مِنْ يَزِيدَ بْنِ يُحْيَى الْعَجَلِيّ فِي عِصَابَةٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ خَرَجُوا سَفَارًا يَرِيدُونَ الْبَحْرَيْنِ ، فَقَالَ الرَّبِيعُ وَدَعْمُوصُ أَبْنَا عُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ : انْزَهَبْ بِهِذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ وَهَذِهِ الْإِبِلُ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَنْ أَخَذَهَا ، ارْجِعُوا بِنَا حَتَّى يَعْلَمُوا مَنْ أَخَذَ إِبِلَهُمْ وَصَاحِبِهِمْ أَنْعَمْنَاهُمْ بِذَلِكَ ، فَقَالَ عَمِيرَةُ لَهَا : مَا وَرَاءَ كَمَا إِلَّا شَيْخُ ابْنِ يَزِيدَ قَدْ أَخَذْتُمَا أَخَاهُ وَأَطْرَدْتُمَا إِبِلَهُ ، دَعَاهُ ، فَأَيُّمَا وَرَجَعَا إِلَيْهِ وَأَخْبَرَاهُ وَتَسْمِيَا لَهُمْ ، فَرَكَبَ شَيْخُ ابْنِ يَزِيدَ فَاتَّبَعَهُمَا وَقَدْ وَلَّيَا ، فَلَحِقَ دَعْمُوصًا فَأَسْرَهُ ، وَمَضَى رِبِيعٌ حَتَّى أَتَى عَمِيرَةَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ أَخَاهُ قَدْ قُتِلَ ، فَرَجَعَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهَا الْخُنْسَاءُ حَتَّى لَحِقَ الْقَوْمَ ، فَأَتَتْكَ مِنْهُمْ دَعْمُوصًا عَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ أَخَاهُمْ وَإِبِلَهُمْ ، فَرَدَّهَا إِلَيْهِمْ ، فَكَفَّرَ بَنُو عُتَيْبَةَ وَلَمْ يَشْكُرُوا عَمِيرَةَ . فَقَالَ عَمِيرَةُ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ تَرَدْ دَعْمُوصًا بِصُدِّ بَوَاجِهِ * إِذَا مَا رَأَى مُقْبِلًا لَمْ يَسْلَمْ
أَلَمْ تَعْلَمَا يَا أُخْتِي عُتَيْبَةَ مَقْدَمِي * عَلَى سَاقِطٍ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُسْلِمٍ
فَعَارَضْتُ فِيهِ الْقَوْمَ حَتَّى آتَرَعْتُهُ * جَهَارًا وَلَمْ أَنْظُرْ لَهُ بِالتَّلَوِّمِ

يَوْمُ الشُّعْبِ

غزا قَيْسُ بْنُ شَرْفَاءِ التَّغْلَبِيّ ، فَأَغَارَ عَلَى بَنِي يَرْبُوعَ بِالشُّعْبِ ، فَأَقْتَلُوا ، فَأَنْهَزَتْ بَنُو يَرْبُوعَ ، فَأَسْرَسُحِمُ بْنُ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيّ ، فَقَالَ سُحَيْمٌ فِي ذَلِكَ :

(١) الجبابات : موضع بين ديار بكر واليعرب .

أقول لهم بالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي * أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي أَبْنُ فَارِسَ زَهْدَمَ
فَقَدَيْتُ نَفْسَهُ ، وَأُسِرَ أَيْضاً مُنَمُّ بْنُ نُورَةَ ، فَوْدَ مَالِكِ بْنِ نُورَةَ عَلَى قَيْسِ بْنِ شَرْفَاءَ
فِي قَدَائِهِ فَقَالَ :

هَلْ أَنْتَ يَا قَيْسُ بْنُ شَرْفَاءَ مُنَمُّ * أَوِ الْجَهْدَ إِنْ أُعْطِيَتْهُ أَنْتَ قَابِلُهُ
فَلَمَّا رَأَى وَسَامَتَهُ قَالَ : بَلْ مُنَمُّ ، فَاطْلُقْهُ لَهُ .

يَوْمُ غَوْلِ الثَّانِي

فِيهِ قَتَلَ طَرِيفُ شَرَا حِيلَ وَعَمْرُو بْنُ مَرْثَدَ الْمُحَلَمِيَّ
غَزَا طَرِيفُ بْنُ هَشِيمٍ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ تَمِيمٍ ، فَأَغَارَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلَ يَقْتُولُ ،
فَأَقْتُلُوا ، ثُمَّ إِنَّ بَكْرًا أَنْهَزَتْ ، فَقَتَلَ طَرِيفُ شَرَا حِيلَ أَحَدَ بَنِي رَبِيعَةَ ، وَقَتَلَ
أَيْضاً عَمْرُو بْنُ مَرْثَدَ ، وَقَتَلَ الْمُجَشَّرَ .

(١) يَوْمُ الْخَلْدَمَةِ

كَانَ رَجُلٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ يُحَدِّثُ حَرْبَةً يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ ، فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَأَتُهُ :
مَا تَصْنَعُ بِهِذِهِ ؟ قَالَ : أَعِدُّنَا لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ ! [فَقَالَتْ لَهُ : مَا أَرَى أَنَّهُ يَقُومُ
لِمُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ] فَقَالَ : ^(٢) وَاقِ اللَّهُ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أُخْدِمَكَ بَعْضَ نِسَائِهِمْ ، وَأَنَا
يَقُولُ :

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَبِإِي عِلَّةٍ * هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَاللَّهِ
* وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَةِ *

(١) الخدمة : اسم جبل بمكة .

(٢) التكمة من العقد الفريد ويجمع ما استعجم للبكرى في كلامه على الخدمة .

فلما لقيهم خالد [بن الوليد] يوم الخندمة أنهزم الرجل لابلوى على شيء ،
فلامته أمرأته في ذلك ، فقال :

إِنَّكَ لَوَشَهِدْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ * إِذْ فَرَّ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عَكْرَمَةُ
وَلَقَبْتَنَا بِالسُّيُوفِ الْمُسْلِمَةِ * يَقْلِقَنَّ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُحَةٍ
ضَرْبًا فَلَا تُسْمَعُ إِلَّا غَمَغَمَةٌ * لَمْ تَنْطِقْ فِي الْأَيَّامِ أَدْنَى كَلِمَةٍ
وهذه القصة نذكرها - إن شاء الله - في أثناء السيرة النبوية في يوم فتح مكة .

يَوْمُ اللَّهِ ^(٢) هِيَاءَ

قال أبو عبيدة : كان سبب الحرب التي كانت بين [عمرو بن الحارث بن تميم
ابن سعد بن هذيل ، وبين عمرو] بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة ، أن
قيس بن عامر بن غريب أخا بني عمرو بن عدي وأخاه سلما ، خرجا يريدان
بني عمرو بن الحارث ، على فرسين ، يقال لأحدهما : اللعاب ، والآخر : عفزر ، فباتا
عند رجل من بني هذالة ، فقال الثقات لقيس وأخيه : أطيعاني وارجعاً ، لأعرفن
وماحكما تكسرف قتاد نهمان ، قالا : إِنَّ رِمَاحَنَا لَا تُكْسَرُ إِلَّا فِي صُدُورِ الرِّجَالِ !
قال : لَا يَضُرُّكُمْ ، وسحمدان أمرى ، فأصبحا غاديين . فلما شارفا مَنَ اللَّهُمَّاءَ
من نهمان ، وبنو عمرو بن الحارث قَوَّيَ ذَلِكَ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ أُدَيْمَةُ ، وأغاروا على
غم لجندب بن أبي أعيس ، وفيها جندب ، فتقدم إليه قيس ، فرماه جندب على
حلمة نديه وبجبه قيس بالسيف فأصاب ضبة السيف وجه جندب ، وحرَّ قيس

(١) الكلمة من العهد الفريد .

(٢) الكلمة من العهد الفريد .

(٣) هكذا في جميع ما أسمع للبري على لفظ الصغير معدودا . وفي الأصول ورد مقصورا .

ونفرت الغنم نحو الدار فتبعها وحمل سالم على جندب بفروسه عفرزرا، فضرب جندب
خطم الفرس بالسيف فقطعه، وضربه سالم بالسيف فقطع إحدى يديه، فخر
جندب ووقف عليه سالم، وأدرك العشي سالماً، فخرج وترك سيفه في المعركة وثوبه
بحسويه، ولم ينج إلا بحسن سيفه ومثوره فقال حذيفة بن أنيس في ذلك من
أبيات:

كَشَفْتُ غِطَاءَ الْحَرْبِ لَمَّا رَأَيْتُهَا * تَمِيلُ عَلَى صَفْوٍ مِنَ الْإِيلِ أَسْرَا
أُحْوَ الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضًّا * وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمْرًا
وَيَمْشِي إِذَا مَا الْمَوْتُ كَانَ أَمَامَهُ * كَذَا الشُّبُلُ يَحْيَى الْأَنْفُ أَنْ يَتَاخَرَا
نَحْنًا سَالِمٌ وَالنَّفْسُ مِنْهُ بِشَرْقَةٍ * وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفَنَ سَيْفٍ وَمِثْرَا
وَطَابَ عَنْ اللَّعَابِ نَفْسًا وَرِمَةً * وَغَادَرَ قَيْسًا فِي الْمَكْرِ وَعَفْرَزَا

يوم خزاز

قال أبو عبيدة: تنازع عامر ومسمع أبنا عبد الملك، وخالد بن جبلة،
 وإبراهيم بن محمد بن نوح الطاردي، وغسان بن عبد الحميد، وعبد الله بن
 سالم الباهلي، ونفر من وجوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاحرون
 ويتنازعون في الرئاسة يوم خزاز. فقال خالد بن جبلة: كان الأخوص
 ابن جعفر الرئيس. وقال عامر ومسمع: كان الرئيس كليب وائل. وقال
 ابن نوح: كان الرئيس زرار بن عدس، وهذا في مجلس أبي عمرو بن العلاء،
 فتهاكموا إليه فقال: ما شهدا عامر بن صعصعة، ولا دارم بن مالك، ولا جشم بن
 بكر، اليوم أقدم من ذلك، غير أن أهل اليمن كان الرجل منهم يحى ومعه
 كاتب وطنقة يقعد عليهما، فيأخذ من أموال زرار ما شاء، كمال صدقاتهم اليوم.

وكان أول يوم أمتعت معه عن [الملوك] ^(١) : ملوك حمير، وكانت نزار لم تكثر بعد،
فاوقدوا نارا على خراز ثلاث ليل، ودخنوا ثلاثة أيام، فقبل له : وما خراز ؟ قال :
هو جبل [قريب من امرأة على يسار الطريق] ^(١) خلفه صحراء منعج ^(٢)، ففي ذلك اليوم
أمتعت نزار من أهل اليمن، قال عمرو بن كلثوم :

ونحن غداة أوقد في خراز * رفدنا فوق رفد الرافدين
فكنا الأيمنين إذا التقينا * وكان الأسيرين بنو أبننا
فصألو صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا
فأبوا بالنهاب والسبأيا * وأبنا بالملوك مصفدين

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جده كليب وأئل قائدهم ورئيسهم ما ادعى
الرفادة وترك الرياسة .

يوم النصار

قال أبو عبيدة : تحالفت أسد وطى وغطفان، ولحقت بهم ضبة وعدي،
فغزوا بني عامر فقتلوه قتلًا شديدًا، فغضبت بنو تميم لمقتل بني عامر، فاجتمعوا حتى
لحقوا طيًّا وغطفان وحلفاءهم من ضبة وعدي يوم الفجار، فقتلت تميم ^(١) [طيًّا] أشد
مما قتلت عامر يوم النصار، فقال بشر بن أبي خازم :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النصار فأعقبوا بالصيلم

يوم ذات الشقوق

قال : خلف ضمرة بن ضمرة النهشل وقال : انحر على حرام حتى يكون لنا يوم
يكافئه، فأغار عليهم يوم ذات الشقوق فقتلهم وقال في ذلك :

(١) الذكوة من العقد الفريد . (٢) منعج : على مقربة من حمى ضرية .

الآن سَاعَ لِي الشَّرَابُ وَلَمْ أَكُنْ * آتَى الْفَجَارَ وَلَا أَشَدُّ تَكَلُّمِي
 حَتَّى صَبَحْتُ عَلَى الشَّقُوقِ بَقَارَةٍ * كَالْتَّمَرِ تُنْثَرُ فِي جَرِينِ الْحَرَمِ^(١)
 وَأَفَاتُ يَوْمًا بِالْخَفَارِ بِمِثْلِهِ * وَأَجَزْتُ نَصْفًا مِنْ حَدِيثِ الْمَوْسَمِ
 وَمَشَتْ نِسَاءُ كَالنِّسَاءِ عَوَاطِلًا * مِنْ بَيْنِ عَارِفَةِ النِّسَاءِ وَأَيْمِ
 ذَهَبَ الرَّمَاخُ بِزَوْجِهَا فَرَكْنَهُ * فِي صَدْرِ مُعْتَدِلِ الْفَنَاءِ مُقَوِّمِ

يوم خَو

قال أبو عبيدة : أغارت بنو أسد على بني يربوع فاكْتَسَحُوا إِلَهُم ، فأتى
 الصريحُ الحَيَّ فلم يَتَلَاَحَقُوا إِلَّا مَسَاءً بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ خَوٌ ، وَكَانَ ذُوَابُ بْنُ رَبِيعَةَ
 الْأَسَدِيَّ عَلَى فَرَسٍ أُخِي ، وَكَانَ عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابٍ عَلَى حَصَانٍ يَسْتَنْشِي
 رِيحَ الْأَنْثَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ وَيَتَّبِعُهَا ، فَلَمْ يَعْلَمْ عُتَيْبَةُ إِلَّا وَقَدْ أَقْبَمَ فَرَسُهُ عَلَى ذُوَابِ
 ابْنِ رَبِيعَةَ ، وَعُتَيْبَةُ غَافِلٌ لَا يَبْصُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَرَأَاهُ ذُوَابٌ فَطَعَنَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ ،
 وَلَحِقَ الرَّبِيعُ بْنُ عُتَيْبَةَ فَشَدَّ عَلَى ذُوَابٍ فَأَمْرَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَاتِلُ أَبِيهِ ، فَلَمْ يَزَلْ
 عِنْدَهُ أَسِيرًا حَتَّى فَادَاهُ أَبُوهُ رَبِيعَةُ بِإِبِلٍ قَاطِمَةٍ عَلَيْهَا ، وَتَوَاعَدَا بِسُوقِ عَمَّاظَ
 فِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا بِالْإِبِلِ وَهَذَا بِالْأَسِيرِ ، فَأَقْبَلَ أَبُو ذُوَابٍ بِالْإِبِلِ ،
 وَشَغَلَ الرَّبِيعُ بْنُ عُتَيْبَةَ فَلَمْ يَحْضُرْ سُوقَ عَمَّاظَ ، فَظَنَّ رَبِيعَةُ أَبُو ذُوَابٍ أَنْ ذُوَابًا
 قَتَلَ بِعُتَيْبَةَ ، فَقَالَ يَرِثِيهِ :

أَبْلَغُ قَبَائِلَ جَعْفَرٍ مَخْصُوصَةً * مَا إِنْ أَحَاوُلُ جَعْفَرَ بْنَ كِلَابٍ
 إِنْ الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَادَّةَ بَيْنَنَا * خَلَقْتُ كَسَحَقِ الرِّبْطَةِ الْمُنْتَجَابِ
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى التَّجَلُّدِ وَالْأَمْسَى * أَنَّ الرِّزْيَةَ كَانَ يَوْمَ ذُوَابٍ

(١) الجرين : موضع التمر الذي يجفف فيه . (٢) خَو : كتيب معروف بجند بين ديار

بني أسد وديار بني يربوع .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ هَتَكَتْ يَوْمَهُمْ * يُعْتَبَةِ بن الحارث بن شهاب
بِأَحْبِهِمْ فَقَدْ أَعَدَّاهُ * وَأَشَدَّهُمْ فَقَدْ أَعَدَّاهُ عَلَى الْأَصْحَابِ^(١)
فَلَمَّا بَلَغَ إِلَيْهِمُ الشَّعْرَ قَتَلُوا ذَوَابَّ بَنِ رُبَيْعَةَ .

أَيَّامُ الْفَجَارِ^(٢) الْفَجَارُ الْأَوَّلُ

قال أبو عبيدة : أَيَّامُ الْفَجَارِ عِدَّةٌ ، فَأَوَّلُهَا بَيْنَ كَثَانَةَ وَهَوَازِنَ . وَكَانَ الَّذِي هَاجَهُ
أَنْ بَدَرَ بَنَ مَعْشَرٍ أَحَدُ بَنِي عَقَالِ بْنِ مُلَيْكٍ بْنِ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ بْنِ كَثَانَةَ
جَعَلَ لَهُ مَجْلِسًا بِسُوقِ عُكَاظَ ، وَكَانَ مَنِيْعًا فِي نَفْسِهِ ، فَقَامَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ
قَائِمٌ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

نَحْنُ بَنُو مُدْرِكَةَ بْنِ خِنْدِفٍ * مَنْ يَطْعَمُوا فِي عَيْنِهِ لَا يَطْرِفُ
وَمَنْ يَكُونُوا قَوْمَهُ يُغْطِرِفُ^(٣) * كَأَنَّهُمْ لِحَّةُ بَحْرِ مُسْدِفٍ^(٤)

قال : وَمَدَّ رِجْلَهُ وَقَالَ : أَنَا أَعَزُّ الْعَرَبِ ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ أَعَزُّ مِنِّي فَلْيَضْرِبْهَا ،
فَضْرِبْهَا الْأَحْمِرُ بْنُ مَازِنٍ أَحَدِ بَنِي دُهْمَانَ بْنِ نَضَرَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَنْدَرَهَا مِنَ الرِّكْبَةِ^(٥)

(١) كَذَا فِي الْمَقْدُ الْفَرِيدِ . وَفِي الْأَمْوَالِ : « أَلِ » .

(٢) سَمِيَتْ الْفَجَارُ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَهِيَ الشُّهُورُ الَّتِي يَحْزَمُونَهَا فَضَجَرُوا فِيهَا ، وَهِيَ
بَغَارَانُ ، الْفَجَارُ الْأَوَّلُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَالْفَجَارُ الثَّانِي خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سَنِينَ ، وَقَدْ جُضِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عُكَاظَ مَعَ أَعْمَامِهِ وَكَانَ يَأْرَطُهُمُ النَّبَلُ ، وَانْتَهَتْ سَنَةُ ٥٨٩ م .

(٣) الْغَطْرِيفُ وَالْفَطَارِفُ : السِّيدُ الشَّرِيفُ السَّخِيُّ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ .

(٤) مُسْدِفٌ : مَظْلَمٌ .

(٥) أَنْدَرَهَا : قَطَعَهَا .

وقال : خذها إليك أيها المخنف ! قال أبو عبيدة : إنما خرصها تُرْبِصِيَّةٌ يسيرة
وقال في ذلك :

تَحْنُ بَنُو دُهْمَانَ ذُو التَّغَطْرِفِ * بَحْرٌ لِيَحْصِرَ زَانِحٌ لَمْ يُسْتَرْفِ
[* تَنَبَّى عَلَى الْأَحْيَاءِ بِالْمُعْرِفِ *]^(١)

قال أبو عبيدة : فتجاوز الحيان عند ذلك حتى كاد يكون بينهم قتال ، ثم
تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

الفَجَارُ الثَّانِي

قال : كان الفجار الثاني بين قُرَيْشٍ وَهَوَازِنَ ، وكان الذي هاجه أن فِتْيَةً من
قُرَيْشٍ قَعَدُوا إِلَى أَمْرَاءٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ وَضِيئَةَ بِسُوقِ عُكَّازٍ . وقالوا :
بَلْ أَطَافَ بِهَا شَبَابٌ مِنْ بَنِي كَنَانَةَ وَعَلَيْهَا بَرْقِعٌ [فَأَعْجَبَهُمْ مَا رَأَوْا مِنْ هَيْئَتِهَا]^(١) ،
فَسَالَوْهَا أَنْ تَسْفِرَ عَنْ وَجْهِهَا ، فَأَبَتْ عَلَيْهِمْ ، فَأَتَى أَحَدُهُمْ مِنْ خَلْفِهَا فَشَدَّ دُبُرَ دِرْعِهَا
بِشَوْكَةٍ إِلَى ظَهْرِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي ، فَلَمَّا قَامَتْ تَقْلُصُ الدَّرْعُ عَنْ دُبُرِهَا ، فَضَحَكُوا
وقالوا : مَنَعْتَنَا النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهَا فَقَدْ رَأَيْنَا دُبُرَهَا ، فَنَادَتِ الْمَرْأَةُ : يَا آلَ عَامِرِ !
فَتَجَاوَرَ النَّاسُ ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ وَدَمَاءٌ يَسِيرَةٌ ، فَحَمَلَهَا حَرْبُ بَنِي أُمَيَّةٍ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ .

الفَجَارُ الثَّالِثُ وَهُوَ بَيْنَ كَنَانَةَ وَهَوَازِنَ

وكان الذي هاجه أن رجلا من بني كنانة كان عليه دينٌ لرجل من بني نضر بن
معاوية ، فأعدم الكناني ، فوافى النضريّ بِسُوقِ عُكَّازٍ بِقَرْدٍ ، فَأَوْقَفَهُ فِي سُوقِ
عُكَّازٍ فَقَالَ : مَنْ يَبِيعُنِي مِثْلَ هَذَا بِمَالٍ عَلَى فُلَانٍ حَتَّى أَكْثُرَ فِي ذَلِكَ . وَإِنَّمَا
فَعَلَ ذَلِكَ تَعْمِيرًا لِلْكَنَانِيِّ وَلِقَوْمِهِ ، فَتَرَبَّهَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَنَانَةَ فَضْرَبَ الْقَرْدَ بِالسِّيفِ

١٣٨
١٣

(١) التكلفة من العقد الفريد .

فقتله ، فهتف النضرى : يا آل هوازن ! وهتف الكئانى : يا آل كئانة ! فهاج
الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم رأوا الخطب يسيرا فترجعوا .
قال أبو عبيدة : إنما سُميت هذه الأيام بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ،
وهي الشهور التي يحرمونها ، وهذه يقال لها أيام الفجار الأول .

الفجار الآخر وهو بين قريش وكئانة كلها وبين هوازن
وإنما هاجها البراض بقتله عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، فابت
أن تقتل بعروة البراض لأن عروة سيد هوازن ، والبراض خلع من بنى كئانة ،
وأرادوا أن يقتلوا به سيدا من قريش .

وهذه الحرب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن
أربع عشرة سنة " يعنى أنا ولهم النبل .

وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بن المنذر التميمي ملك الحيرة كان يبعث
إلى سوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب
يُجيرها له ، حتى تباع هنالك ويشتري له بها من آدم الطائف ما يحتاج إليه . وكانت
سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذى القعدة ، فيتسوقون إلى حضور الحج ، ثم
يُحجون ، فتهز النعمان غير اللطيمة ثم قال : من يُجيرها ؟ فقال البراض بن قيس
الضمري : أنا أُجيرها على بنى كئانة ، فقال النعمان : ما أريد إلا رجلا يُجيرها على
أهل نجد وتهامة ، فقال عروة الرحال — وهو يومئذ رجل هوازن — أكلب
خلع يجيرها لك ؟ أبيت اللعن ! أنا أُجيرها لك على أهل الشَّيخ والقبصوم من أهل

(١) اللطيمة : حبر التي تحمل الطيب وبرز التجارة .

نجد وتهامة ! فقال البراض : أعل بني كانة تُجبرها يا عُرْوَةُ ؟ قال : وعلى الناس
كلهم ! فدفعها النعمان إلى عُرْوَةَ ، فخرج بها وتبعه البراض ، وعُرْوَةُ لا يحشى منه
شيئا ، إلى أن نزل بارض يقال لها أَوَارَةُ^(١) ، فشرب من الخمر وغتته قَيْبَةً ، ثم نام ،
بجاء البراض فدخل عليه ، فناشده عُرْوَةُ وقال : كانت مني زَلَّةٌ ، وكانت للفيلة
مني ضَلَّةٌ ، فقتله وخرج وهو يرتجز ويقول :

قَدْ كَانَتِ الْفِيلَةُ مِنِّي ضَلَّةً * هَلَّا عَلَى غَيْرِي جَعَلَتِ الزَّلَّةُ
* فَسَوْفَ أَعْلُو بِالْحُسَامِ الْقَلَّةُ *

وقال :

وَدَاهِيَةُ يَهَالُ النَّاسُ مِنْهَا * شَدَدْتُ لَهَا بَنِي بَكْرِ ضُلُوعِي
هَتَكْتُ بِهَا بِيوتَ بَنِي كَلَابٍ * وَأَرْضَعْتُ الْمَوَالِي بِالضُّرُوعِ
جَعَلْتُ لَهُ يَدَيَّ يَنْصِلُ سَيْفٍ * أَفَلْ نَحَزَ كَالْحَذِجِ الصَّرِيعِ

وَأَسْتَأَقِ اللَّطِيْمَةَ إِلَى خَيْبَرَ ، وَاتَّبَعَهُ الْمَسَاوِرُ بْنُ مَالِكِ الْغَطَفَانِي ، وَأَسَدُ بْنُ خَيْثَمٍ
الْفَنْوِيُّ حَتَّى دَخَلَ خَيْبَرَ ، فَكَانَ الْبَرَّاضُ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمَا ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ الرَّجُلَانِ ؟
قَالَا : مَنْ غَطَفَانٌ وَغَنِي . قال البراض : مَا شَأْنُ غَطَفَانٍ وَغَنِي . هَذَا الْبَلَدُ ؟ قَالَا :
وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَنْ أَهْلُ خَيْبَرَ . قَالَا : أَلَمْ عِلِّمُ بِالْبَرَّاضِ ؟ قَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا
طَرِيدًا خَلِيعًا فَلَمْ يُؤَوِّهِ أَحَدٌ بِخَيْرٍ وَلَا أَدْخَلَهُ بَيْتًا . قَالَا : فَأَيْنَ يَكُونُ ؟ قَالَ : وَهَلْ
لَكُمْ [بِهِ] طَاقَةٌ لِمَنْ دَلَّلْتُكُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْزِلَا ، فَزِلَا وَعَقِلَا
رَاحِلَتَيْهِمَا . قَالَ : أَيُّكُمَا أَجْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْضَى مَقْدَمًا وَأَحَدٌ سَيْفًا ؟ قَالَ الْغَطَفَانِيُّ :
أَنَا . قَالَ : فَأَنْطَلِقْ أَدُلِّكَ عَلَيْهِ ، فَأَنْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا إِلَى خَرِيبَةٍ فِي جَانِبِ خَيْبَرَ خَارِجَةٍ
عَنِ الْبِيوتِ ، فَقَالَ الْبَرَّاضُ : هُوَ فِي هَذِهِ الْخَرِيبَةِ وَإِلَيْهَا يَاوِي ، فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أَنْظُرَ

(١) أَوَارَةُ (بضم أَوَّله وبالراء المهملة) : ماء دوين الحريب لبنى تميم .

(٢) التكلة من العقد الفريد .

أثمّ هو أم لا ، فوقف له ودخل البراض ثم خرج إليه وقال : هو قائم في البيت الأقصى خلف هذا الجدار ، فهل عند سيفك صرامة ؟ قال : نعم . قال : هات سيفك أنظر إليه أصارم هو ؟ فاعطاه سيفه ، فهزه البراض ثم ضربه فقتله ، ووضع السيف خلف الباب وأقبل إلى الغنوي فقال : ما وراءك ؟ قال : أجبن من صاحبك ، تركته قائماً في البيت الذي فيه الرجل ، والرجل نائم لا يتقدم إليه ولا يتأخر عنه ، قال الغنوي : يا لهفاه ! لو كان لي من ينظر راحلتينا ، قال البراض : هما على إن ذهبتا ، فأطلق الغنوي والبراض خلفه حتى إذا جاور الغنوي باب الخربة أخذ البراض السيف من خلف الباب ثم ضربه حتى قتله وأخذ سلاحيهما وراحتهما وأطلق .

٩
٣

وبلغ قريشا خبر البراض بسوق عكاظ ، فخلصوا نجياً ، وآتبعهم قيس لما بلغهم أن البراض قتل عمروة الرحال ، وعلى قيس أبو براء عامر بن مالك ، فادركوهم وقد دخلوا الحرم ، فنادوهم : يا معشر قريش ، إنا نعاهد الله ألا نبطل دم عمروة أبداً ، أو نقتل به عظيماً منكم ، وميعادنا معكم هذه الليلة من العام القابل ، فقال حرب بن أمية لأبي سفيان أبنة : قل لهم : إن موعدكم قابل في هذا اليوم ، فقال خديش بن زهير في هذا اليوم ، وهو يوم نخلة ، من أبيات أولها :

يا شدة ما شددنا غير كاذية * على سخيخة لولا الليل والحرم

١٥

وكانت العرب تسمى قريشا سخيخة لأكلها الشخن .

(١)
يوم سَمْطَة وهو يوم نُخْلَة من الفَجَارِ الآخر

قال : فجمعت كنانة قريشها وعبد مَنانها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمة ، وألبس يومئذ عبد الله بن جدعان مائة كُمي السلاح بأداة

(١) سَمْطَة (بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده ظاء معجمة) : موضع قريب من عكاظ .

(٢) الكُمي : النجاع .

٢٠

كاملة، سوى ما ألبس من قومه، والأحباب بنو الحارث بن عبد مئة بن كنانة.
قال: وجمعت سليم وهوازن وجموعهما وأخلافهما، غير كلاب وبنى كعب، فإنها
لم يشهدا يوما من أيام الفجار غير يوم نخلة، فاجتمعوا بشمطة من عكاظ في هذه
الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول، وعلى كل قبيلة من قريش وكنانة سيدها،
وكذلك على قبائل قيس، غير أن أمر كنانة كلها إلى حرب بن أمية، وعلى إحدى
مخبتين عبد الله بن جدعان، وعلى الأخرى كرز بن ربيعة، وحرب بن أمية
في القلب، وأمر هوازن كلها إلى مسعود بن معتب الثقفي، فرحف بعضهم إلى
بعض، فكانت الدائرة في أول النهار لكانة على هوازن، حتى إذا كان من آخر
النهار تداعت هوازن وصابرت، وأنكشفت كنانة فاستعز القتلى فيهم، فقتل منهم
تحت رايهم مائة رجل، ويقال ثمانون، ولم يقتل من قريش أحد يذكر، فكان
هذا اليوم لهوازن على كنانة.

يوم العباء

قال: ثم رجع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول من يوم عكاظ،
والرؤساء عليهم الذين ذكرناهم في يوم شمطة، فكان هذا اليوم أيضا لهوازن على
كنانة. وفي هذا اليوم قتل العوام بن خويلد والد الزبير، قتله مرة بن معتب
الثقفي، وقال رجل من ثقيف:

منا الذي ترك العوام مجندلا * تنابه الطير لما بين أحجار

يوم شرب

ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ،
فالتقوا شرب، وهو أعظم أيامهم والرؤساء عليهم وعلى المجنبتين من ذكرنا، وحمل

(١) شرب (يفتح أوله وثانيه بعده باء بواحدة، هكذا ثبتت الرواية عن أبي الحسن الطوسي فيه،
ورواه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي بكسر الراء): موضع قرب مكة.

أَبْنُ جَدْعَانَ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ عَلَى مِائَةِ بَعِيرٍ مِمَّنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حِمْلَةٌ ، فَالْتَقَوْا ، وَقَدْ
كَانَ لَهُوَازِنٌ عَلَى كَنَانَةِ يَوْمَانَ مَتَوَالِيَانِ : يَوْمَ شَمْطَةِ وَالْعَبْلَاءِ ، فَحَمَشَتْ قَرِيشٌ
وَكَنَانَةٌ ، وَصَابِرَتْ بَنُو مَخْزُومٍ وَبَنُو بَكْرِ ، فَأَنْهَزِمَتْ هَوَازِنٌ وَقَتَلَتْ قَتْلًا ذَرِيعًا ، فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبْعَرِيِّ يَمْدَحُ بَنِي الْمَغِيرَةِ :

أَلَا لِلَّهِ قَوْمٌ * رِلْدَتْ أُخْتُ بَنِي سَهْمٍ
هَشَامٌ وَأَبُو عَبْدِ * مَنَافٍ مِدْرَهُ الْخَصِمِ^(١)
وَذُو الرُّحَيْنِ أَشْبَاكَ * مِنَ الْقُوَّةِ وَالْحَزْمِ^(٢)
فَهَذَانِ يَذُودَانِ * وَذَا مِنْ كَثْبٍ يَرْمِي

وَأَبُو عَبْدِ مَنَافٍ : هَاشِمُ بْنُ الْمَغِيرَةِ . وَذُو الرُّحَيْنِ : أَبُو رَبِيعَةَ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، قَاتِلُ يَوْمِ
شَرَبِ بَرْمَجِينَ . وَأُمُّهُمْ رَبِيعَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ جَذَلُ الطَّعَانِ :

جَاءَتْ هَوَازِنُ أَرْسَالًا وَإِخْوَتُهَا * بَنُو سُلَيْمٍ فَهَابُوا الْمَوْتَ وَأَنْصَرَفُوا
فَاسْتَقْبَلُوا بِضَرَابٍ فَضَّ جَمْعَهُمْ * مِثْلَ الْحَرِيقِ فَمَا عَاجُوا وَلَا عَطَفُوا

يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ^(٣)

ثُمَّ جَمَعَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ وَالْتَقَوْا عَلَى رَأْسِ الْحَوْلِ بِالْحُرَيْرَةِ ، وَهِيَ حَرَّةٌ إِلَى جَنْبِ
عُكَاظٍ ، وَالرُّؤَسَاءُ عَلَى هَؤُلَاءِ [وَأُولَئِكَ] هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى الْحَبَشَتَيْنِ^(٤)
إِلَّا أَنَّ أَبَا مُسَاحِقَ بْنَ قَيْسِ الْبَعْمُرِيِّ قَدْ كَانَ مَاتَ ، فَكَانَ بَعْدَهُ عَلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ
ابْنِ كِنَانَةَ أَخُوهُ جُثَامَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فَكَانَ يَوْمُ الْحُرَيْرَةِ لَهُوَازِنٌ عَلَى كِنَانَةٍ ، وَهُوَ آخِرُ
الْأَيَّامِ الْخَمْسَةِ الَّتِي تَرَاخَفُوا فِيهَا ، فَقَتِلَ يَوْمَئِذٍ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ أُمَيَّةَ أَخُو حَرْبِ بْنِ

(١) المِدره : زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم ، وقد أطلق تَحْوِزًا الْآنَ عَلَى الْخَمَاسِ .

(٢) يقال : أَشْبَاكَ لِفُلَانٍ ، كَمَا يُقَالُ : حَبِكَ لِفُلَانٍ .

(٣) الحريرة : موضع بين الأبواءِ ومكة قرب نخلة . (٤) الشكة من العقد الفريد .

أمية، وقُتِلَ من بني كنانة ثمانية نَفَر، قتلهم عثمان بن أُسيد بن مالك من بني عامر ابن صعصعة، وقُتِلَ جماعة آخر، فقال خَدَّاش بن زُهَيْر :

١٤٠
١٣

إِنِّي مِنَ النَّفِيرِ الْمُحْمَرِّ أَعْيُنُهُمْ * أَهْلُ السَّوَامِ وَأَهْلُ الصَّخْرِ وَاللُّوبِ
الطَّاعِينَ مُحُورَ الْخَيْلِ مُقِيلَةً * يَكُلُّ تَمْرَاءَ لَمْ تُغْلَبْ وَمَغْلُوبِ
وَقَدْ بَلَوْتُمْ وَأَبْلَوْكُمْ بِلَاهُمْ * يَوْمَ الْحُرِيرَةِ ضَرْبًا غَيْرَ تَكْذِيبِ
لَأَقِيمَنَّ مِنْهُمْ أَسَادَ مَلْحَمَةٍ * لَيْسُوا بِرِزَاةِ عُوجِ الْعَرَاقِيبِ
فَالآنَ إِنْ تَقْبَلُوا نَاخِذَ مُحُورِكُمْ * وَإِنْ تَبَاهُوا فَإِنِّي غَيْرُ مَغْلُوبِ

وقال الحارث بن كِلْدَةَ التَّقْفِي :

تَرَكْتُ الْفَارِسَ الْبَذَاخَ مِنْهُمْ * تَمُجُّ عُرُوقُهُ عِلْقًا عَيْطًا
دَعَسَتْ لُبَانُهُ بِالرُّنَجِ حَتَّى * سَمِعْتُ لَمْتَهُ فِيهِ أَطِيطًا
لَقَدْ أَرَدَيْتُ قَوْمَكَ يَا بَنَ صَخْرٍ * وَقَدْ جَشَمْتُهُمْ أَمْرًا سَلِيطًا
وَكَمْ أَسَلَمْتُ مِنْكُمْ مِنْ كَيْ * جَرِيحًا قَدْ سَمِعْتُ لَهُ غُطِيطًا

مَضَتْ أَيَّامُ الْفَجَارِ الْآخِرِ، وَهِيَ خَمْسَةُ أَيَّامٍ فِي أَرْبَعِ سَنِينَ .

قال أبو عبيدة : ثم تَدَاخَى النَّاسُ إِلَى السَّلَامِ عَلَى أَنْ يَذَرُوا الْفَضْلَ وَيَتَعَاهَدُوا وَيَتَوَاقَعُوا .

(١) يَوْمُ عَيْنِ أَبَاغٍ

قال أبو عبيدة : كان ملك العرب المنذر الأكبر بن ماء السماء، ثم مات فملك ابنه عمرو، ثم هلك فملك بعده أخوه قابوس، ثم مات فملك أخوه المنذر بن المنذر

* (١) أبَاغٍ الَّذِي تَنَسَّبَ إِلَيْهِ مِنْ أَبَاغٍ (بضم المعزة وفتح المعزة أيضا) : بطرف أرض العراق مما يلي الشام .

ابن ماء السماء . وذلك في مملكة كسرى بن هرمز، فنزاه الحارث القيساني، وكان بالشام من جهة قيصر، فالتقوا بعين أباغ، فقتل المنذر، فولى كسرى النعمان بن المنذر، ثم سعى إلى كسرى في النعمان فقتله، وقد تقدم ذكر سبب ولايته ومقتله .

وكان النعمان لما تحقق غَضَبَ كسرى عليه حرب، ثم علم أنه لا منجى له من يد كسرى فقدم إليه فقتله . واستعمل كسرى على العرب إياس بن قبيصة الطائي . وكان النعمان لما شخص إلى كسرى أودع حلقته، وهي ثمانمائة درع وسلاحا كثيرا، هانيء بن مسعود الشيباني، وجعل عنده أبنته هندًا التي تُسمى حُرقة، فلما قُتل النعمان قالت فيه الشعراء، فقال زهير بن أبي سلمى من أبيات :

ألم تَرَ للنعمان كاتِبَ بَيَّجَةٍ * من الشرِّ لو أن أمرًا كان ناجيًا
فلم أرَ محدُولًا له مثلُ مُلكِهِ * أقلَّ صديقًا باذِلًا أو مؤاسيًا

يوم ذي قار

قال أبو عبيدة : يومُ ذي قار هو يومُ الحِنُو، ويومُ قُرَاقِر، ويومُ الحبَّابات، ويومُ ذاتِ المُعْجَم، ويومُ بطحاء ذي قار، وكلُّها حول ذي قار .

قال أبو عبيدة : لم يكن هانيء بن مسعود المستودع حَلَقَةُ النعمان، وإنما هو ابنُ أبيه، وأسمه هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود، لأنَّ وقعة ذي قار كانت وقد بُيِّتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخبر أصحابه بها فقال : " اليومُ أوَّلُ يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبى نُصروا " .

ولما قُتل النعمان كتب كسرى إلى إياس بن قبيصة يأمره أن يضمَّ ما كان للنعمان، فأبى هانيء بن قبيصة أن يسلم ذلك إليه، فغَضِبَ كسرى وأراد استئصال بكر بن وائل، فقدم عليه النعمان بن زُرْعَةَ التغلبي فقال : يا خيرَ الملوك، ألا أدلك

على غيرة بكر بن وائل، قال نعم، قال : أَقْرَهَا وَأَظْهَرَ الإِضْرَابِ عَنْهَا حَتَّى يُجْلِيَهَا
الْقَيْظُ وَيُدْنِيَهَا مِنْكَ ، فَأَقْرَهُمْ ، حَتَّى إِذَا قَاطَوْا نَزَلَتْ بِكَرْحَنَ ذِي قَارٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ
كَسْرَى النِّمَانِ بْنِ زُرْعَةَ يُخَيِّرُهُمْ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ يُسَلِّمُوا الْحَلْقَةَ ، وَإِمَّا
أَنْ يُعْرِوْا الدِّيَارَ ، وَإِمَّا أَنْ يَأْتَدُوا بِحَرْبٍ . فَتَنَازَعَتْ بَكْرُ بَيْنَهَا ، فِيهِمْ هَانِيٌّ بْنُ
قَيْصَةَ بَرَكُوبِ الْفَلَاةِ ، وَأَشَارَ بِهِ عَلَى بَكْرٍ وَقَالَ : لَا طَاقَةَ لَكُمْ بِمَجْمُوعِ الْمَلِكِ ، فَلَمْ تَرَوْا
مِنْ هَانِيٍّ سَقَطَةً قَبْلَهَا .

١٤١
١٣

وقال حنظلة بن نعلبة بن سيار العجلي : لَا أَرَى غَيْرَ الْقِتَالِ ، فَإِنَّا إِنْ رَكَبْنَا
الْفَلَاةَ لَمُتْنَا عَطْشًا ، وَإِنْ أُعْطِينَا بِأَيْدِينَا نُقْتَلُ مَقَاتِلَتُنَا وَنُسَبَى ذُرَارِيْنَا ، فَرَأَسَلْتُ بَكْرَ
عَنْهَا وَتَوَافَتَ بِذِي قَارٍ ، وَلَمْ يَشْهَدْهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَرُؤَسَاءُ بَكْرِ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ
نَفَرٌ : هَانِيٌّ بْنُ قَيْصَةَ الشَّيْبَانِيَّ ، وَيزِيدُ بْنُ مُسَهَّرِ الشَّيْبَانِيَّ ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ
نَعْلَبَةَ الْعِجْلِيَّ .

فَقَالَ حَنْظَلَةُ بْنُ نَعْلَبَةَ لِهَانِيٍّ بْنِ قَيْصَةَ : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، إِنْ ذِمَّتْكُمْ ذِمَّتُنَا عَامَةً ،
وَإِنِّه لَنْ يُوَصَلَ إِلَيْكَ حَتَّى تَقْتُلَ أَرْوَاحَنَا ، فَأَخْرَجَ هَذِهِ الْحَلْقَةَ فَفَرَّقَهَا بَيْنَ قَوْمِكَ ،
فَإِنْ تَظْفَرُ فَسُتَرَدَّ عَلَيْكَ ، وَإِنْ تَهْلِكُ فَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ ، فَفَرَّقَهَا فِيهِمْ . وَقَالَ لِلنِّمَانِ :
لَوْلَا أَنَّكَ رَسُولٌ مَا أَتَيْتَ إِلَى قَوْمِكَ سَالِمًا .

قال : فعقد كسرى للنيمان بن زُرْعَةَ عَلَى تَغْلِبِ وَالْثَمَرِ . وَعَقَدَ لَخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ
الْبَهْرَانِيَّ عَلَى قُضَاعَةِ وَإِيَادٍ . وَعَقَدَ لِإِيَّاسِ بْنِ قَيْصَةَ عَلَى جَمِيعِ الْعَرَبِ ، وَمَعَهُ
كِتَابَتَاهُ : الشَّهْبَاءُ وَدَوَسَرُ . وَعَقَدَ لِلْهَامِرِزِ التُّسْتَرِيَّ عَلَى أَلْفٍ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ ، وَكُتِبَ
إِلَى قَيْسِ بْنِ مَسْعُودٍ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْحَدَّادِ — وَكَانَ عَابِلُهُ عَلَى طَفِ
سَقَوَانَ — بِأَمْرِهِ أَنْ يُوَافِيَ إِيَّاسَ بْنِ قَيْصَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ .

وسار إياس بمن معه من الجند وغيرهم ، فلما دنوا من بكر أقبل قيس بن مسعود الى قومه ليلا ، فأمرهم بالصبر ثم رجع .

فلما ألتقى الزحفان وتقرّب القوم ، قام حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي فقال : يا معشر بكر ، إن نساب الأعاجم يفترقكم ، فعاجلوهم الى اللقاء وابدءوهم بالشدة ، وقال هانيء بن مسعود : يا قوم ، مهلك مقدور ، خير من منجى مغرور .
 إن الجزع لا يرد القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية خير من الدنية ، وأستقبال المنية خير من أستدبارها ، فالحذ الحذ ، فاما من الموت بد .

ثم قام حنظلة بن ثعلبة ففقطع وضن النساء فسقطن الى الأرض وقال : ليقاتل كل رجل عن خليلته ، فسمى مقطّع الوضن .

قال : وقطع يومئذ سبعائة من بني شيان أيدي أقيمتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف فتجادل القوم ، وقتل يزيد بن حارثة الشكري الهامري مبارزة ، ثم قتل يزيد بعد ذلك . فضرب الله وجوه الفرس فأنهزموا ، وأتبعتهم بكر حتى دخلوا السواد في طلبهم ، وأسر النعمان بن زُرعة التغلي . ونجا إياس بن قبيصة على فرسه الحمامة ، فكان أول من أنصرف الى كسرى بالهزيمة هو . وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه . فلما أناه إياس بن قبيصة سألته عن الجيش فقال : هزمتنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم . فأعجب ذلك كسرى وأمر له بكسوة ، ثم استأذنه إياس فقال : أحمي قيس بن قبيصة مريض بعين الثمر ، فاردت أن آتيه ، فأذن له .

ثم أتى كسرى رجلاً من أهل الحيرة وهو بالخورنق فسأل : هل دخل على الملك أحد ؟ فقالوا : إياس ، فظن أنه قد حدثه الخبر ، فدخل عليه وأخبره بهزيمة القوم

(١) الوضن : حزة الرجال .

وقتلهم، فأمر به فترعت كتفاه . وقد أكثر الشعراء في يوم ذى قار . فمن ذلك ما قاله الأعشى بكر من قصيدة له :

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارِكًا * فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ
لَمَّا آمَلُوا إِلَى النَّشَابِ أَيْدِيَهُمْ * مِنَّا بَيْضٌ لِمَنْحِلِ الْهَامِ تَحْتَطِفُ
بَطَارِقُ وَبَنُو مَلِكٍ مَرَارِيَّةٍ * مِنْ الْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا التُّطْفُ
كَأَنَّمَا الْأَلُّ فِي حَافَاتِ جَمْعِهِمْ * وَالْبَيْضُ بَرَقَ بَدَا فِي عَارِضِ يَكْفُ
مَا فِي الْخُدُودِ صُدُودٌ عَنْ سِيوفِهِمْ * وَلَا عَيْنَ الطَّعْنِ فِي اللَّيَاتِ مُنْحَرِفُ
وَقَالَ الْأَعْشَى يَلُومُ قَيْسًا مِنْ أَبْيَاتِ :

أَقْبَسَ بَنَ مَسْعُودٍ بِنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ * وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ
رَحَلْتَ وَلَمْ تَنْظُرْ وَأَنْتَ عَمِيدُهُمْ * فَلَا يَبْلُغْنِي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ
فُعْرِيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمَعْتُهُ * كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُعْرُ الْمَغَازِلُ
شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى لَمْ تُوسِّدْ خُدُودَهَا * وَسَادًّا وَلَمْ تُعَضِّضْ عَلَيْهَا الْأَنَامِلُ
لَعَلَّكَ يَوْمَ الْخِنُودِ إِذْ صَبَّحْتَهُمْ * كَتَّابٌ لَمْ تَعِصْكَ بَيْنَ الْعَوَازِلِ^(١)

قال : ولما بلغ كسرى خبر قيس بن مسعود بما فعل مع قومه حبسه حتى مات في حبسه، ففيه قال الأعشى :

وَعُرِّيَتْ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ جَمَعْتُهُ * كَتَّابٌ لَمْ تَعِصْكَ بَيْنَ الْعَوَازِلِ^(١)

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر في أحد

الأصاوين الفتوغرافيين المرموز له بنسخة (١)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار وحذف التكرار من كتاب « نهاية

الأرب في فنون الأدب » لمؤلفه أحمد بن عبد الوهاب القرشي المعروف بالنويري

(١) رواية المفد القريد : * كَتَّابٌ مَاتَ لَمْ تَعِصْكَ الْعَوَازِلُ *

رحمة الله تعالى عليه وُغْفَرَانَهُ عَلَى يَدِ كَاتِبِهِ فَقِيرٍ رَحِمَهُ رَبُّهُ الشَّامِلِ نَوْرَ الدِّينِ بْنِ شَرْفِ الدِّينِ الْعَالِمِيِّ ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَمِائَتَيْنِ وَتِسْعِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَيَلِيهِ الْجُزْءُ الرَّابِعُ عَشَرَ مِنْ نَسْخَةِ الْأَصْلِ وَأَوَّلُهُ : (الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْفَنِّ الْخَامِسِ فِي أَخْبَارِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) .

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث عشر أيضا
في الأصل الثاني الفتوغرافي المرموز له بنسخة (ب)

[انتهت أيام العرب على وجه الاختصار، وحذف التكرار، بعون الله تعالى وتوفيقه ويُعْمَنُ ، وبتمامها كل الجزء الثالث عشر من كتاب : « نهاية الأرب في فنون الأدب » يتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الرابع عشر من الكتاب ، وهو الجزء الرابع من التاريخ : القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية . وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

« وكتب بالهامش مانصه : بلغ مؤلفه مقابلة بأصله والمحمد لله » .

أُنْجِزَتْ - بعون الله وحسن توفيقه - تصحيح وتحقيق الجزء الخامس عشر من كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » من تجزئة طبعة دار الكتب المصرية في يوم الأحد ١٧ من ذى الحجة سنة ١٣٦٨ هـ (٩ أكتوبر سنة ١٩٤٩ م) . وَيَلِيهِ الْجُزْءُ السَّادِسُ عَشَرَ وَأَوَّلُهُ : « الْقِسْمُ الْخَامِسُ مِنَ الْفَنِّ الْخَامِسِ فِي أَخْبَارِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ » .

محمد عبد الجواد الأصمعي
المصحح بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية

كَمَّلَ طبع " الجزء الخامس عشر من (نهاية الأدب في فنون الأدب)"

بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الأربعاء ١١ محرم سنة ١٣٦٩

(٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩) ما

محمد نديم

مدير المطبعة بدار الكتب

المصرية

جزء معين التاريخ لأهل التاريخ

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٥/١٩٤٢/١٥٠٠)
